

الوَسْطِيطُ

فِي

الادب العربي وتاريخه

تأليف

الشيخ أحمد الإسكندري و الشيخ مصطفى عناني
المدرّسين بمدرسة دار العلوم

قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارسها :
الثانوية ، والمعالمين العليا ، والمعالمين الاولى ، والمعالمات السنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحمودُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ ، والمصلَّى عليهِ محمدٌ وآلُه ، والمدعوُّ لهُ
الوطنُ ورجالُه

وبعدُ فإنَّا رأينا الذَّشَّءَ من طُلَّابِ الأدبِ العربيِّ في حاجةٍ الى
مُختَصَرٍ مُلِمٍّ بفنونه ، مُؤَثِّرٍ لعيونه ، مُورِّخٍ لشيئونه ؛ فوضعنا هذا
الكتابَ ، لعلَّنا نُقَرِّبُ اليهمُ القَصْدَ ، ونُسَهِّلُ عليهمُ الصَّعْبَ . وعلى الله
قَصْدُ السَّبِيلِ ! وهو حسبنا ونعم الوكيلُ !

٩ ذى القعدة سنة ١٣٣٥

٦ اغسطس سنة ١٩١٦ .

أحمد الاسكندرى

المدرس بمدرسة دار العلوم

مصطفى عنانى

المدرس بمدرسة دار العلوم

تاريخ أدب اللغة

التاريخ — هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم ، وسياستهم ، التاريخ

والادب واعتقادهم ، وأديبهم ، ولغتهم

والأدب — (كل رياضة ^(١) محمودة يَخْرُجُ ^(٢) بها الإنسان في فضيلة من الفضائل)

وهذه الرياضة كما تكون بالفعل ، وحسن النظر ^(٣) ، والمحاكاة ،

تكون بمزاولة الأقوال الحكيمة التي تضمنتها لغة أي أمة

اللغة

واللغة ^(٤) — ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم

(١) الرياضة — التذليل والتحرين والمعالجة

(٢) خَرَجَته فخرَجَ - درَجَته فدرَجَ ، والأدب بهذا التعريف نقله المصباح عن أبي زيد

(٣) التمثل والاستنباط

(٤) المعروف بشهادة العقل والاستقراء وتتبع نطق الأطفال والائتم المتوحشة والراقية ، أن نشأة

اللغات

لغات العالم (على كثرتها التي لم تناه) ترجع الى امهات أصالية تولدت وتتولد عنها، وان كل واحدة من هذه الامهات هي المنشأ الاول لفروعها ، وانها كلها تنشأ من جدة عليا مجهولة هي لغة الانسان الاول ، وتلك الجدة هي الكلمات القليلة التي كان يعبر بها الانسان عن رغائبه القليلة أو عن الاشياء المحيطة به . وبعض هذه الكلمات مقتبس من محاكاة الأصوات التي تصدر عن الحيوان والانسان والرياح وغيرها : كما تفعل الببغاء التي هي دون الانسان في الادراك، وبعضها مرتجل بطبيعة القوة الناطقة التي أودعها الله الانسان وميزه بها من سائر الحيوان ، وهي فيه الهام فطري أسمى من الالهام المودع الحيوان الاعجم : فانا نسمع الهرة مثلاً تموء ببضعة أصوات مختلفة تظهر بها انفعالاتها ومطالبها: فصوت الاستعطاء والاستعطاف غير صوت الزجر والغضب الخ. فعند ما يحيش صدر الانسان باظهار رغبة أو رهبة يصبح بصوت مصوّر بصورة ما على حسب ما يلهمه الله فيسمعه غيره ويفهم منه مراده باضافة قرينة حال أو اشارة (كما نشاهد ذلك كثيراً في بعض الاطفال عند محاولتها النطق) فاذا وجد أنه أدى غرضه استعماله ثانية وثالثة في افهام رفقائه، فيذاع بينهم ويعرف، ولا يحتاج في استعماله الى قرينة ، وهكذا يفعل غيره فعلة، ويقلدها ثالث ورابع حتى تتكون اللغة الاولى الضرورية للبيئة التي يعيشون فيها ويتفق عليها من غير عمل ولا قصد الى الاتفاق . ثم تتسع هذه اللغة بطرق النوا المعروفة كالاشتقاق والزيادة والنقص والتعريف والتحويل من الحقيقة الى المجاز فيشتهر المجاز ثم يصير حقيقة

أدب
اللغة

وأدب لغة أى أمة — هو ما أودِعَ نثرَها وشعرها من نتائج عقول
أبنائها ، وأمثلة طباعهم ، وصُور أخيارهم ، ^(١) ومبَلِّغِ بيانهم : مما شأنه أن يهذب
النفس ، ويُثَقِّف ^(٢) العقل ، ويُقَوِّم اللسان

تاريخ
أدب
اللغة

وتاريخ أدب اللغة — هو العلم الباحث عن أحوال اللغة : نثرها ونظمها
في عصورها المختلفة من حيث رفعتها وضعفها ، وعمّا كان لنا فيها من الأثر البين
فيها . وهو على النظام الآتى بعدُ حديث النشأة في مصر

هذا ، والناظر أن الانسان نطق أولاً بأسماء المحسوسات ، ثم بأسماء بعض العقولات ،
وبالمصادر وبالأفعال ، وبأسماء الاشارة والضمائر والموصولات ، ثم بالحروف والمشتقات ، يعرف
ذلك من تتبع لغات الأمم الوحشية ومشاهدة كلام الاطفال عند ابتداء نطقهم
أما اللغات الفرعية فتنشأ من هجرة بعض طوائف أهل اللسان الاصلى الى جهات متباعدة ،
فيدغمهم التقاطع الى نسيان بعض الكلمات : لعدم استعمالها في وطنهم الجديد ، أو الى تحريفها على طول
الزمان ، ثم هم يرون في هذا الوطن مالم يروه قبل : من انواع الحيوان والنبات والجماد فيضطرون
الى وضع كلمات على الوجه الآتى الذكر وهكذا ، فتباعد اللغة الفرعية عن الاصلية كالتباعد الزمان
والمكان . ويزيد مدى التباعد اذا جارروا أئماً تنكلم بغير لسانهم الاصلى ، فيستعمرون من لغاتهم
كلمات تتمثل بعد حين في بنية لغتهم . ثم اذا طال الأمد على أهل لغة وكثر عددهم وارتقت
الصفات الانسانية فيهم ، اتسعت هذه اللغة وتعددت أساليب التعبير فيها وضايق حفظ أى فرد من
علمائها عن أن يحيط بها

فظهر من هذا أن اللغات وضعتها البشر من غير سابقة اصطلاح واتفاق ، وان قول من يقول انها
توقيفية لا يعقل منه الا أنها متوقفة على الهام من الله واهب النطق للانسان

أما من يقول انها توقيفية : بمعنى أن الله أوحى بها الى انبيائه (عليهم صلواته) وهم علموه
الناس ، فإذا يقول في اللغات التي نشأت وتنشأ بعد الانبياء كالفاننا العامية ولغات أهل أوربة
الحديثة أم ماذا يقول في اللسان العام (الاسبرنتو) الذي ارتجله أحد علماء أوربة ليكون لسان
العالم ويرفع به العصبية الجنسية من الارض ، ويستعمله الآن كثيرون في أغراض خاصة

واحتجاجة بقوله تعالى « وعلم آدم الاسماء كلها الآية » ليس بقطعى لجواز أن يكون معنى
هلمه : الهمة وأقدره ، ولأنه قد فسرت الاسماء بأسماء الملائكة بدليل إعادة ضمير العقلاء عليهم ،
ولجواز أن تلك خصوصية لآدم فكما خلقه ابتداء علمه ابتداء . ولو اريد بالاسماء اسماء جميع
الموجودات فهل تعلمها بجميع السنة أولاده وهي الآن ألوف مؤلفة ومنها المخترعات ذوات الاسماء
المرتجلة . هذا ما ظهر لنا والله أعلم

(١) الخيال والخيالة ما يترامى لك : من ظل أو شبح أو صورة . والمراد هنا الصورة الباهرة
المنزعة من محسوس متعدد بقصد تليحها في النفس أو تشويها فيها ولو لم تقع في الخارج
(٢) أى يقوّم ويعدل

ومن أهم فوائده :

فوائد
تاريخ
أدب
اللغة

١ - معرفة أسباب ارتقاء (أدب اللغة) وانحطاطه ، دينية كانت تلك الأسباب أو اجتماعية أو سياسية ، فستسك بأسباب الارتقاء ، ونتحاشى أسباب الانحطاط

٢ - معرفة أساليب اللغة ، وفنونها ، وأفكار أهلها ، ومواضعاتهم ^(١) ، واختلاف أذواقهم في نثرهم ونظمهم ، على اختلاف عصورهم ، حتى يتيسر للمتخرج في هذا العلم أن يميز بين صور الكلام في عصر وصورة في آخر ، بل ربما صح له أن يلحق القول بقائله عينه

٣ - معرفة أحوال النابيين ^(٢) من أهل اللغة في كل عصر ، وما كان لنثرهم ، وشعرهم ، وتأليفهم : من أثر محمود ، أو حال ممقوتة ، لنحتدى مثال المحسن ، وتذكب عن طريقة المسىء

أصل
العربية

واللغة العربية — إحدى اللغات السامية ^(٣) . وهي لغة أمة العرب القديمة العهد ، الشائنة الذكر التي كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إليها في الطرف الغربي من آسيا ويظن أنها أقرب اللغات السامية إلى أصلها : لأن العرب لم تخلط غيرها كثيراً ولم تدخل طويلاً تحت حكم أمة أعجمية

أمة
العرب

وهذه الأمة — منها القدماء . وهم الذين كانوا يسكنون تلك الجزيرة وينطقون باللغة العربية سليقة وطبعاً

طبقات
العرب

وهم ثلاث طبقات — أولاها العرب البائدة ، وهؤلاء لم يصل اليها شيء صحيح من أخبارهم إلا ما قصه الله علينا في القرآن الكريم ، والآن ما جاء في الحديث النبوي . ومن أشهر قبائلهم طسم ، وجديس ^(٤) ، وعاد ^(٥) ، وثمود ^(٦) ، وعملق ^(٧) ، وعبدضخم ^(٨)

(١) مصطلحاتهم (٢) المشهورين (٣) أى اللغات التي تكلمت بها الشعوب المختلفة من اولاد سام بن نوح وهذه اللغة مجهولة لم تعلم أصولها ولا قواعدها (٤) كانت تسكن البادية أيام ملوك الطوائف من الفرس (٥) كانت تسكن الاحقاف (٦) كانت تسكن الحجر (المسمى الآن بمداين صالح) ووادي القرى بين الحجاز والشام (٧) العمالة قوم سكن أوائلهم اليمن ثم انحدروا إلى مكة ويثرب وأرض الشام ومنهم فرائنة الرعاة بتعمر (٨) كانوا يسكنون الطائف ويقال انهم أول من كتب بالخط العربي (راجع مصور بلاد العرب في هذا الكتاب)

وثانيتها العرب العاربة — وهم بنو قحطان الذين جَلَوْا عن سِقى^(١) الفُرات، واختاروا اليمنَ منازلَ لهم، وامتزجت لغتهم بلغة سابقهم، ثم انتشرت في أنحاء الجزيرة. ومن أمهات قبائلهم كهلان^(٢)، وحمير^(٣)

وثالثتها العرب المستعربة — وهم بنو اسمعيل الطارئون على القحطانيين، والمُتمزجون بهم لغةً ونسباً، والمعروفون بعدُ بالعدنانيين^(٤) ومن أمهات قبائلهم ربيعة، ومضر، وإياد وأنمار^(٥)

وبقية القبائل المشهورة وبطونها من الطبقات الثلاث مبينة في الأشكال الآتية بعدُ مراعىً في ترتيبها مرتبة الشهرة لمرتبة النبوة الحقيقية^(٦)

ومنها المحدثون — وهم سلائل^(٧) هؤلاء الأقوام الممتزجون بسلائل غيرهم، والمنتشرون بعدَ الإِسلام في بقاع الأرض من المحيط الأخضر (الاطلنطى) الى ماوراء بحر فارسَ ودجلة، ومن أعلى النهرين^(٨) الى ماوراء جأوة وسومطرة. ويتكلمون بلهجات عامية مختلفة ترجع الى اللغة العربية الفصحى التي يتعرفونها بالتعلم

(١) سقى النهر ما يسقيه من الارض وهو المسمى الآن بحوض النهر

(٢) كهلان بن سبأ، وأصل مساكنهم اليمن ثم تفرقوا ببادية جزيرة العرب

(٣) قبيلة تنسب الى حمير بن سبأ، وكانوا يسكنون أول أمرهم غربي صنعاء، وأكثر قبائل اليمن متفرعة من حمير وكهلان

(٤) نشأوا بمكة والحجاز ثم انتشروا ببادية جزيرة العرب وأواسطها وشمالها ممتزجين بالقحطانيين

(٥) هؤلاء هم الشعوب الاربعة الكبرى التي تفرعت منها قبائل العدنانية وأكثرهم عدداً :

مضر، ثم ربيعة، وهم أولاد نزار بن معد بن عدنان

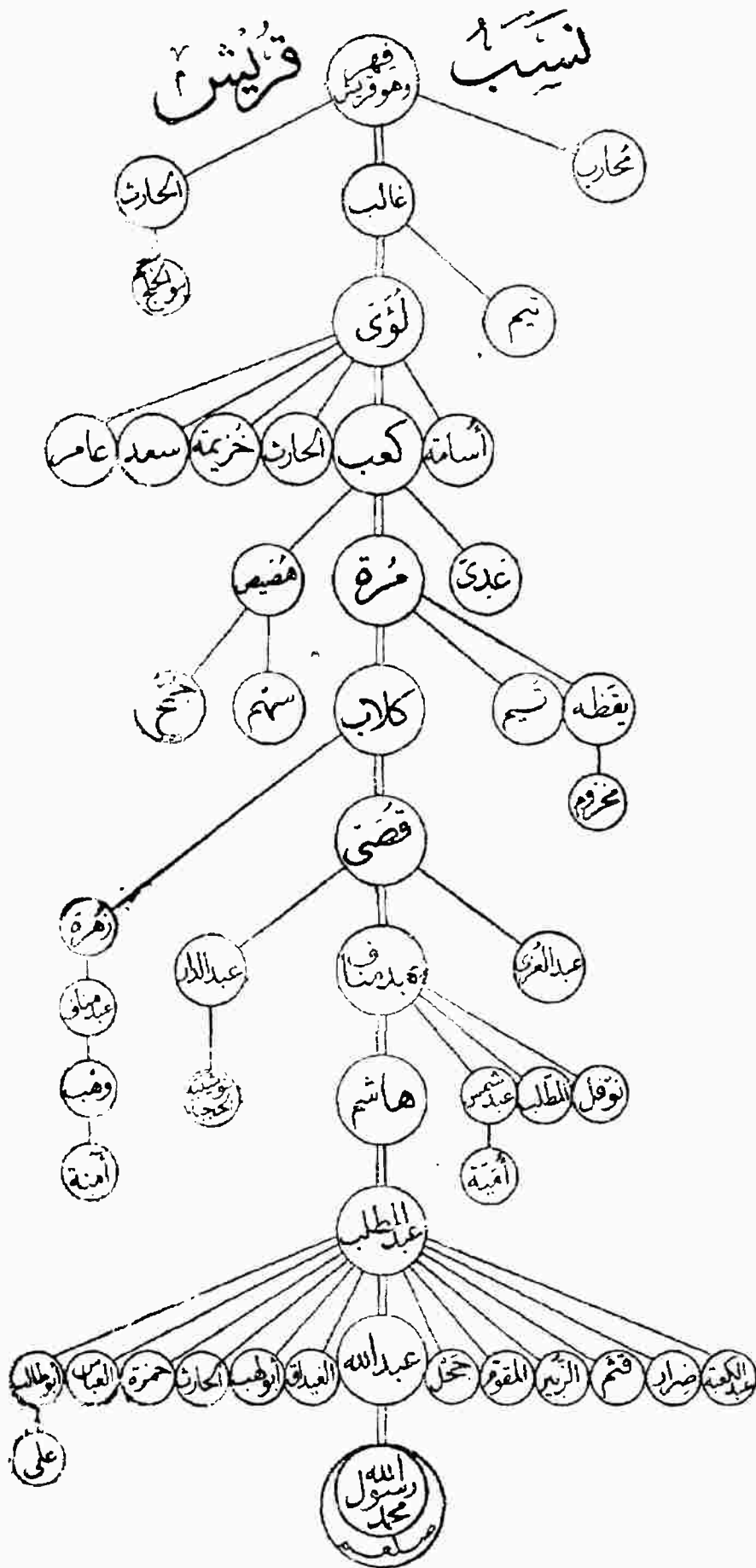
(٦) أخذنا أشكال الانساب الثلاثة في هذه الطبعة من كتاب صبيح الاعشى للقلقشندى صاحب

كتاب (نهاية الارب في معرفة أنساب العرب) وهو أشهر كتب النسب عند المتأخرين ومنه رسم جداوله صاحب سبائك الذهب المشهور. وأخذت في الطبعة الاولى من تاريخ أبى الفداء، واعتمدنا هنا بعض زياداته في الشكل الثالث. والخلاف بينهما انما هو في الزيادة أو النقص أو ترتيب البطون باعتبار الشهرة أو باعتبار النبوة الحقيقية. هذا واضطراب النسابين في الانساب

طويل عربى

(٧) أولاد

(٨) دجلة والفرات



عصور اللغة العربية وآدابها

لما كان تاريخ لغة أى أمة وأدبها يرتبط كل الارتباط بالحوادث السياسية والدينية والاجتماعية التى تقع بين ظهرانى^(١) هذه الأمة ، ناسبَ لذلك ولسهولة الدرس وضبطه أن تقسم تاريخ أدب اللغة العربية خمسة أعصر :

الأوّل — عصر الجاهلية — وينتهى بظهور الاسلام ، ومدته نحو خمسين ومائة سنة .

الثانى — عصر صدر الاسلام ، ويشمل بنى أمية — ويتبدى بظهور الاسلام ، وينتهى بقيام دولة بنى العباس (سنة ١٣٢ هـ)

الثالث — عصر بنى العباس — ويتبدى بقيام دولتهم ، وينتهى بسقوط بغداد فى أيدي التتار^(٢) (سنة ٦٥٦ هـ)

الرابع — عصر الدول المتتابعة التركية^(٣) — ويتبدى بسقوط بغداد ، وينتهى بمبدأ النهضة الأخيرة (سنة ١٢٢٠ هـ)

الخامس — عصر النهضة الأخيرة — ويتبدى من حكم الأسرة المحمدية العلوية بمصر ، ويمتدُّ الى وقتنا هذا .

(١) مثنى ظهر ، وزيدت الألف والنون فى الصيغة لزيادة المعنى والتأكيد ، ومعناه أن ظهرأ منها قدامها ، وظهرأ منها ورائها ، فهى مكنوفة من جانبيها ، ثم استعمل فى معنى الإقامة والحلول بين القوم مثلاً

(٢) هى إحدى الأمم الطورانية التى كانت تسكن شمال الصين ثم انتشرت فى غربى آسيا وشرق أوروبا .

(٣) وتشمل دولى الممالك بمصر والشام ، والدول المنخلفة عن التتار فى آسيا ، وممالك الدولة العثمانية فى القارات الثلاث القديمة .

العصر الاول عصر الجاهلية

حالة اللغة وآدابها في ذلك العصر

لغة العرب من أغنى اللغات كِمْماً ، وأَعْرَقَهَا ^(١) قَدَمًا ، وأُخْلِدَهَا أَثَرًا ، وصف وأَرْحَبَهَا ^(٢) صَدْرًا ، وأَدْوَمَهَا عَلَى غَيْرِ ^(٣) الدَّهْرِ مُحَاسَنَةً وَصَبْرًا ، وأَعْذَبَهَا مَطْطَقًا ، العربية وأسَلَسَهَا أَسْلُوبًا ، وأَرْوَعَهَا ^(٤) تَأْثِيرًا ، وأَغْزَرَهَا مَادَّةً ، وأَوْسَعَهَا لِكُلِّ مَا يَقَعُ ومزاياها نَحْتُ الْحِسِّ ، أَوْ يَجُولُ فِي الْخَاطِرِ : مِنْ تَحْقِيقِ عُلُومٍ ، وَسَنِّ قَوَانِينٍ ، وَتَصْوِيرِ خِيَالٍ ، وَتَعْيِينِ مَرَافِقٍ ^(٥) وَهِيَ عَلَى هَنْدَمَةٍ ^(٦) أَوْضَاعُهَا ، وَتَنَاسُقِ أَجْزَائِهَا ، لُغَةٌ قَوْمٍ أَمِينِينَ ، لَمْ يَكُونُوا فِي حِكْمَةِ الْيُونَانِ وَلَا صُنْعَةِ الصِّينِ ، بَادُوا وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ سَائِرَةُ مَعَ كُلِّ جَيْلٍ ، مَلَائِمَةٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ . وَلَوْلَا رُوحٌ عَظِيمٌ مَا خَلَدَتْ وَدَرَجَ ^(٧) أَقْرَانُهَا ، وَأَنْفَتَ ^(٨) وَاسْتَخَذَى ^(٩) سُلْطَانُهَا ^(١٠) . وَلَا عَجَبُ أَنْ بَلَّغَتْ تِلْكَ عوامل نمو اللغة الْمَنْزِلَةَ : مِنْ بَسْطَةِ الثَّرْوَةِ وَبُعْدِ الْمَدَى ^(١١) ، إِذْ كَانَ لَهَا مِنْ عَرَامِلِ النَّمُوِّ ، وَدَوَاعِي الْبَقَاءِ وَالرَّقْيِ ، مَا قَلِمَا يَتَهَيَّأُ لغيرها ، وَذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنْ اخْتِلَافِ طَرِيقِ الْوَضْعِ وَالِدَّلَالَةِ ، وَغَلْبَةِ أَطْرَادِ التَّصْرِيفِ وَالِاشْتِقَاقِ ، وَتَنَوُّعِ الْمَجَازِ وَالْكُنَايَةِ ، وَتَعَدُّدِ الْمُرَادِفِ ، إِلَى النَّحْتِ ، وَالْقَلْبِ ، وَالْإِبْدَالِ ، وَالتَّعْرِيبِ ، وَلَمَّا تَشَرَّفَتْ بِهِ مِنْ وَرُودِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالسَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ بِلِسَانِهَا

وما رَوَاهُ لَنَا مِنْهَا أُمَّةُ الْلُغَةِ وَجَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ هُوَ نَتِيجَةُ امتزاج لغات الشعوب التي سكنت جزيرة العرب . وَلَا يُعْلَمُ بِالضَّبْطِ الْوَقْتُ الَّذِي تَمَثَّلَتْ فِيهِ بِصُورَتِهَا الْمَعْرُوفَةِ لَنَا ، وَلَا كُلُّ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى انْدِمَاجِ لُغَاتِ بَعْضِ هَؤُلَاءِ الشُّعُوبِ فِي بَعْضٍ . وَغَايَةُ مَا عَلِمَ مِنَ الْآثَارِ الْحَجَرِيَّةِ وَبَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ كَانَ جَنُوبِيَّ الْجَزِيرَةِ وَشَمَالِيَّهَا لُغَاتٌ مُتَمَيِّزَةٌ كُلُّهَا تَمَيُّزًا مِنَ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي رُوِيَتْ لَنَا ، دَرَسَتْ

(١) أَصْلَهَا (٢) أَوْسَعَهَا (٣) حَوَادِثُ (٤) أَشَدَّهَا عَجَابًا وَهَزَةً فِي النَّفْسِ (٥) جَمْعُ مَرْفِقٍ كَتَبْتُهُ وَهُوَ كُلُّ مَا ارْتَفَعَتْ بِهِ أَيْ انْتَفَعَتْ (٦) الْهَنْدَمَةُ إِصْلَاحُ الشَّيْءِ عَلَى مَقْدَارِ خَاصٍ وَنِظَامٍ بَيْنَ (٧) انْقِرَاضِ (٨) اسْتَكْبَرَتْ (٩) خَضَعَ (١٠) السُّلْطَانُ الْغَلْبَةُ وَالْفَهْرُ وَالْمُرَادُ سَاطِنُ أَهْلِهَا (١١) الْغَايَةُ أَوْ مَدَى الْبَصَرِ

وبقيت منها أشباح^(١) تتراءى أحياناً في بعض لمحات العربية الأخيرة وأوجه اعرابها واشتقاقها وترادف ألفاظها ، كما أنه لا شك في أن من أسباب امتزاج هذه اللغات ما يأتي :

(١) هجرة الأخطانيين الى جزيرة العرب ومخاطبتهم فيها العرب البائدة بالبن ، ثم تزيقهم في بقاع الجزيرة كل معزق بظلمهم أنفسهم وتخرب بلادهم بسيل العرم^(٢) مراتب تهذيب اللغة

(٢) هجرة اسمعيل عليه السلام الى جزيرة العرب واختلاطه وبنيه بالهبطانيين بالمصاهرة ، والمجاورة في المنازل والمرايع^(٣) ، والحاربة ، والمتاجرة . وأظهر مواطن هذا الامتزاج مشاعر^(٤) الحج ، وخاصة بيت الله الحرام بمكة ببلد قريش^(٥) الأدين ، والأسواق التي كانت تقيمها العرب في أنحاء بلادها ، ومن هذه الأسواق : دكاظ^(٦) ومجعة^(٧) وذو المجاز^(٨) سب

وأهمها سوق عكاظ — وكانت تقام من أول ذي القعدة الى اليوم العشرين منه . وأقيمت تلك السوق بعد عام الفيل^(٩) بخمس عشرة سنة ، وبقيت الى ما بعد الاسلام وان لم تكن في شأنها الاول حتى سنة تسع وعشرين ومائة ، وكان يجتمع بهذه السوق أكثر أشراف العرب المتاجرة ، ومفاداة الأسرى ، والتحكيم سوق عكاظ

(١) جمع شبح وهو سواد الانسان وغيره تراه من بعد (٢) العرم جمع عرمة كفرحة وهي سد يعترض به الوادي ، أو هو جمع بلا واحد ، أو هو الاحياس والسدود تبنى في الوادي لحبس المياه خلفها وهي السماء الآن بالخزانات . وحادثة سيل العرم أنه كان سبأ في اليمن عرم تحبس المياه خلفها لتوزع بنظام فتهدمت العرم بسيل عظيم اغرق البلاد ودمر القرى أمامه فكان هو مع كثير من الفتن والحروب الاهلية سبباً في تفرق قبائل سبأ في أنحاء جزيرة العرب حتى ضرب بهم المثل في التفرق فقيل (تفرقوا ايدي سبأ) (٣) جمع صريع وهو في الاصل المكان الخصب يقيم فيه القوم زمن الربيع (٤) معالم الحج واماكن نسكه (٥) قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي بطن من كنانة من المضرية (٦) موضع قرب الطائف (٧) موضع قرب مكة (٨) سوق على فرسخ من عرفة بناحية كبك ، وككب جبل يعرفات خلف ظهر الامام اذا وقف (٩) عام الفيل هو العام الذي ولد فيه النبي عليه الصلاة والسلام وهو سنة ٥٧١ من الميلاد — وملخص حادثة الفيل أن الحبشة طردت في الاستيلاء على مكة وفهر قريش وهدم الكعبة فتجرد لذلك أحد ملوكهم المسمى أبرهة بجيش ومعه فيل عظيم فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فظلمهم كمصف ما كول

في الخصومات ، والمفاخرة ^(١) والمنافرة ^(٢) بالشعر والخطب في الحسب والنسب والكرم والفصاحة والجمال والشجاعة وما شاكل ذلك حتى في عِظَم المصائب والارزاء ^(٣) . وكان من أشهر المحكِّمين بها في الشعر النابغة الذبياني ، ومن أشهر خطبائها قُصَّ بن ساعدة الأيادي . وقد لَهَج الشعراء بذكرها في شعرهم ^(٤) ، وحضرها منهم الرجال والنساء

آثار
قريش
في اللغة

ولقريش عظيم الأثر فيما نجمَ عن اجتماع العرب في مشاعر الحج والأسواق بتهديب لغتهم أنفسهم : لأخذهم من لغات القبائل الوافدة عليهم ما خف على اللسان وحسن في السمع ؛ حتى لطفت لهجتهم ، وجاد أسلوبهم ، واتسعت لغتهم لأن ينزل بها خير الكلام كلام الله . ولمكانهم من النصيحة والرياسة حاكم شعراء القبائل وخطباؤها في استعمال لغتهم : ليكون مقالهم أسير ، وخبرهم أشهر . وما نشأ من المجرنين السابقين وغيرهما من تداخل اللغات واندماج بعضها في بعض حتى تكونت اللغة الفصيحة هو ما يسمى طوراً تكوين اللغة وتهديبها

اختلاف لهجات ^(٥) العرب ^{في الشعر}

قدّمنا أن الامة العربية تألفت أخيراً من شعبين ^(٦) عظيمين : القحطانيين أو (اليمنيين) والعدنانيين أو (الزرايين) . وتشعب من كليهما شعوب وقبائل لها لهجات مختلفة الفروع متحدة الأصول ، غير أن لغة حمير من القحطانيين غلبت على أخواتها ^(٧) . ثم دخل فيها من اللغة العدنانية ألفاظ وأساليب اختلفت قلة وكثرة

(١) المفاخرة المحاكاة في الحسب . والحسب ما نمدّه من مفاخر آبائك (٢) المنافسة ان يقتصر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ثم يحكما بينهما رجلاً ، وسميت منافرة لان المتنافرين كانا يسألان الحاكم : أبنا أعز نفرا (٣) وتسمى المفاخرة بذلك (المماظمة) ومنها معاظمة هند بنت عتبة ام معاوية حين قتل ابوها وعمها شيبه واخوها الوليد وغيرهم بوقعة بدر ، مع الخنساء بنت عمرو بن العبد السلمي المصابة بموت ابنتها واخوها صخر ومعاوية ، فترنت هند جملها بجمل الخنساء وتعاظمتا في مصائبهما نثراً ونظماً بسوق عكاظ

(٤) قال حصان : (سأنشر ان بقيت لهم كلاما ينشر في المجامع من عكاظ)

وقال طريف بن تميم : (أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الى عربهم يتوسم)

(٥) لهجة القبيلة لسانها مراعي فيه الترفيق والتفخيم ، والتتيم والترخيم ، والهمز والتلين والسرعة والبطء ، والوصل والنظم ، والامالة وعدمها ، وما الى ذلك من الثبرات الصوتية

(٦) الشعب بالفتح القبيلة العظيمة (٧) كالعينية والسبئية

بإختلاف الجهات ، وعمّرت حتى ظهور الاسلام ، وزالت بعده وبقيت منها ألفاظ
امتزجت بالعدنانية

واحدة عدنان الممثلة بعد في المضمرية ظهرت أيضاً على أخواتها بل على الحميرية
في موطنها . ولكننا لا ننسى أن البيئة ، ونزوح الديار ، ووسائل المعيشة وإختلاف
المرئيات وتنوع طرق الوضع والارتجال ، كل ذلك قد أبقى في كلام كل قبيلة ميزات
هي ما يسمى مجموعها باسم لهجة القبيلة أو لغتها ، وتكاد تنحصر طرق الإختلاف فيما
يأتى : الإبدال (١) ، وأوجه الأعراب (٢) ، وأوجه البناء والبنية (٣) ، والتردد بين
الإعراب والبناء (٤) ، والتصحيح والاعلال (٥) وما يشبههما ، والائتمام والنقص (٦) ،
والادغام والفك (٨) ، والترادف (٨)

ولكل لهجة من لهجات العرب عدا القرشية هنة أو أكثر ، واشتهر من هذه
الهنوات عَجَّجَةٌ (٩) قُضَاعَةٌ ، وغَفَمَتِهَا (١٠) وشَنَشَنَةٌ (١١) الهم ، ووَمَمٌ (١٣)

(١) مثل إبدال الميم بـاء والياء ميماً في لغة مازن فيقولون بـ اسمك في ما اسمك ، ومكر في بكر
(٢) كنصب خبر ليس عند الحجازيين مطلقاً ، ورفع عند تميم إذا افترن بالاحلال على ما مثل
ليس الطيب إلا المسك (٣) كتسكين شين عشرة عند الحجازيين وفتحها وكسرها عند تميم ،
وكبناء الهاء من أيها على الضم عند بني مالك من بني أسد إذا لم يتلها اسم إشارة فيقولون يا إيه
الناس ، وبنائها على الفتح ووصلها بألف عند غيرهم مثل يا أيها الناس (٤) كأعراب لدن عند
قيس بن ثعلبة وبنائها عند غيرهم (٥) كاعلال الأفعال الثلاثية التي من باب علم كرضى وبقي عند
طيّ بقلب يائها ألفاً وكسرتها فتحة فيقولون رضى وبقي وغيرهم يصححها ، وكقلب الألف المتطرفة
همزة عند تميم مثل العلاء في البلى وغيرهم يبقيا على حالها (٦) كحذف نون من الجارة عند خثعم
وزبيد إذا وليها ساكن وابقاها عند غيرهم فيقولون في خرجت من البيت خرجت ملبيت كلغة
العامية في مصر (٧) مثل فك المثلي في المضارع المجزوم بالسكون المضعف وأمره عند الحجازيين
مثل ان يفض طرفه فاعضض طرفك ، وادغامها عند تميم ، مثل ان يفض طرفه ففض طرفك
(٨) وهذا النوع كثير في اللغة المروية لأنها جمعت من لغات قبائل شتى ، وذلك كالمدينة عند
اليمنيين والسكينة عند الحجازيين (٩) وهي تحوّل الياء جيماً إذا وقعت بعد العين فيقولون
الرائع خرج مبيع يريدون الراعي خرج معي ، وفي المزهري هي قلب الياء المشددة جيماً فيقال قيمج
في فقيمي ومرج في مري (١٠) وهي عدم تمييز حروف الكلمات وظهورها أثناء الكلام
(١١) وهي جعل الكف شيئاً مطالة كلبيش ، وشافى في لبك ، وكافى (١٢) وهو جعل السين
هاء فيقولون النات في الناس

وطمطمأانية (١) حمير ، وتاتمة ببراء (٢) وفحفحة (٣) هذيل ، وعنينة (٤) تيم ،
وكشكشة (٥) أمد أو ربيعة ، ووهم (٦) كلب ، ووكم (٧) ربيعة كلب ،
ولخلخانية (٨) الشحر وعمان ، وقطمة طيء (٩) ، واستنطاء (١٠) سعد بن بكر
وهذيل والأزد وقيس والأنصار

كلام العرب

الغرض من كلام العرب كغيره الإبانة عما في النفس من الأفكار ، ليكون
مدعاة إلى المعاونة والمعاضة ، وذريعة إلى تسهيل أعمال الحياة
ولما كانت هذه الأفكار لا تزال متجددة غير متناهية ، كانت صور الكلام
الدال عليها لا تزال كذلك متجددة خاضعة لقوى الاختراع والابتداع ، على حسب
ما يقتضيه المقام ، فقد تصل صورة الكلام إلى الغاية القصوى في البلاغة من حيث
إيجاز اللفظ ، ووضوح المعنى ، وحسن البيان ، ولطف الإشارة ، وإصابة الغرض ، وصدق
التجربة ، فترتاح النفوس لها وتنشط لحفظها ، ليسير مئونها ، وحسن وقعها ، وسهولة
الاحتجاج بها ، ولأنها تورث ما تتخلله من الكلام رواجاً ، وتكسبه قبولاً ،

(١) وهي جعل أم بدل ال فيقولون طاب أمهواء ، في طاب الهواء

(٢) وهي كسر أحرف المضارعة مطلقاً ، وهم بطن من قضاة

(٣) وهي جعل الحاء حيناً مثل العسن أخو العسين في الحسن أخو الحسين

(٤) وهي ابدال العين من الهذرة المبدوء بها فيقولون في ان ، عن ، وفي امان ، عمان

(٥) وهي ابدال الشين من كاف الخطاب للمؤنث كمليش في عليك . أو هي زيادة شين بعد

الكاف المكسورة مثل عليكش في عليك ، وأشهر ما يكون ذلك في الوقف

(٦) وهو كسر هاء الغائب إذا وليها ميم الجمع وإن لم يكن قبلها ياء ولا كسرة فيقولون منهم

وعنهم وبينهم

(٧) وهو كسر كاف الخطاب في الجمع إذا كان قبلها ياء أو كسرة فيقولون عليكم وبكم ، وكاب

بطن من قضاة

(٨) كقولهم مشا الله في ماشاء الله

(٩) وهي حذف آخر الكلمة فيقولون (يا أبا الحكم) يريدون يا أبا الحكم كما في لغة بني سويف

الآن وشمالى مديرتى الغربية والبحيرة

(١٠) وهو جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الظاء مثل انطى في أعطى

والمثل وهذا ما يسمى (بالمثل أو الحكمة) . وقد تنحط صورة العبارة الى الدرك الأسفل من الإيابة ، بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأدباء بأصوات العجماوات أشبه ، وبين الحاليين مراتب تتفاضل فيها العقول ، وتبأرى ^(١) الفحول وجلُّ بحث علم الأدب وتاريخه في التفاوت بين هذه المراتب ورجالها ،

ونشير هنا الى أن المثل قول محكي سائر يقصد منه تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لاجله . والحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً . وكما يكون كل منهما نثراً يكون نظراً . فمن أمثال الجاهلية النثرية :

ان البُغاثَ ^(٢) بأرضنا يستنسر ، — اذا عزَّ أخوك فهن ^(٣) — ربَّ رَمِيَّةٍ
أنتَ تَبِقُ ، وأنا تَبِقُ ، فتى تنفق ^(٥) — جَوَّعَ كلبك
يَتَبَعُكَ ^(٦) — قد استنوقَ الجملُ ^(٧) — الحديث ذو شجون ^(٨) — ان العوان ^(٩)
لا تُعلمُ الخِمْرَ ^(١٠) — سَبَقَ السَّيْفُ العَدْلَ ^(١١) — ما يومُ حلِمةٍ ^(١٢) بسرَّ —
مواعيدُ عُرُقوبٍ ^(١٣) — مُكْرَهُ أَخَاكَ لا بطل ^(١٤) — تُكَلِّمُ أَرَامَهَا وَلَدًا ^(١٥) —
أتبعُ الفرسَ لجامها ^(١٦)

(١) تنعارض وتتسابق (٢) البغاث مثلك الباء طير اغبر ضعيف يستنسر يصير كالفسر في القوة ، يضرب للضعيف يصير قويا ، وللذليل يعز بعد الذل (٣) قائله هذيل بن هبيرة التغلبي ومعناه كما قال ابو عبيد : مياسرتك صديقتك ليس بضيم يركبك منه ، فتدخلك الحمية به ، انما هو حسن خلقه وتفضل ، فاذا غاسرك فياسره . يضرب في التساهل مع ذوى القربى والاصدقاء (٤) أى رب رمية مصيدة حصاة من رام شأنه أن يخطيء ، وأول من قال ذلك الحكم بن يغوث المنقرى . يضرب للمخطيء . يصيب أحيانا (٥) النثق السريعة الى الشر ، والنثق السريع الى البكاء ، يضرب للمختلفين أخلاقاً (٦) قائله احد ملوك حمير الجبابرة — يضرب في معاينة اللثام وما ينبغي ان يماثلوا به (٧) قائله طرفة بن العبد — يضرب للرجل الواهن الرأى الخاطئ في كلامه (٨) طرق ، قاله ضبة بن اد بن طابخة ، يضرب في الحديث يتذكر به غيره (٩) التى سبق لها زوج (١٠) كيفية لبس الحمار (الطريحة) يضرب للعالم بالامر المجرب له (١١) اللوم — قائله ضبة بن اد بن طابخة يضرب في استئجاله تدارك ما فات (١٢) حليلة بذت الحارث بن ابي شمر الغساني — يضرب في كل امر متعارف مشهور (١٣) رجل من العمالقة — يضرب في خاف الوعد (١٤) قائله ابو حنشل — يضرب لمن يحمل على ما يكره (١٥) قائله ييهس الملقب بنعمامة لحقه — يضرب في استعظام الحقير للحاجة اليه (١٦) قائله عمرو بن ثعلبة بن كلب — يضرب للرجل قضى الحاجة ولم يتمها

ومن أمثالهم النظمية :

تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَّارٍ نَجْدٍ فما بعد العشيِّ من عرار (١)

لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلْهَا ان كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا (٢)

انى وقتلى سليكا ثم أعقله كالثور يُضْرَبُ لما عافتِ البقر (٣)

أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ بِنَاءٍ أَوْفَى لا ذنب لى قد قلت للقوم استقوا (٤)

وتسمى الأمثال حقيقية ان كان لها أصل معروف نُقلت عنه وسيقت له كلاً أمثال السابقة ، وفرضية ان كانت تُمثل على لسان حيوان أو نبات أو جواد : مثل « فى بيته يؤتى الحكم » (٥) و « كيف أعلودك وهذا أثر فأسك » (٦) ، والأول محكى على لسان الضب ، والثانى على لسان الحية

وتكثر الفرضية فى الأيام التى يكثر فيها الجور والاستبداد والتضييق على الهداة والمرشدين ، فيضطرون إليها للوصول الى أغراضهم ، مع الأمن على حياتهم ، على

(١) قاله الصمة بن عبد الله الفشيري - ويضرب فى التمتع من الزائل ، والعرار نبت طيب الرائحة وهو النرجس البري (٢) قاله ابو أذينة اللخمي يحرض الاسود بن المنذر على قتل أسراه من ملوك غسان ، وأن لا يقبل منهم فدية . يضرب فى التحريض على استئصال شأفة الشر (٣) قاله أنس بن مدرك . يضرب فى عقوبة السكير ليخضع الصغير (٤) يضرب لمن لا يقبل الموعظة (٥) هذا المثل مما زعمته العرب على ألسن البهائم قالوا ان الارنب التقطت ثمرة فاختمتها الشمب وأكلها ، فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا الحسل — قال سميماً دعوت — قالت أتيناك لنختصم اليك — قال عادلاً حكمتما — قالت فاخرج البنا — قال فى بيته يؤتى الحكم — قالت انى وجدت ثمرة — قال حلوة فكليها — قالت فاختمتها الشمب — قال لنفسه بغى الخير — قالت فلطمته — قال بمحك أخذت — قالت فلطمنى — قال حرّاً انتصر — قالت فافض بيننا — قال قد قضيت — فذهبت أقواله كلها أمثالا (٦) أصل هذا المثل على ما حكته العرب أن أخوين اجديت بلادهما وكان بالقرب منهما واد خصب فيه حية تحميه ، فهبط أحدهما الوادى مخالفاً نصيحة أخيه فرعى فيه زمناً ثم نهشته الحية فقتلته ، فجاء أخوه الوادى يطلب ثأره فقالت له الحية هل لك فى الصلح : أدعك فى هذا الوادى وأعطيك كل يوم ديناراً ما بقيت ، فحاف لها أن لا يؤذيها ما وفّت ، فلما حسن حاله ذكر أخاه فأخذ فأسأ ثم تبعها وضربها فأخطأها ، وأثرت الفأس فى جرحها ، فقطعت عنه الدينار ، فخاف شرها وندم ، فقال لها : هل لك فى أن تتواثقى ونعود كما كنا ، فقالت كيف أعلودك وهذا أثر فأسك : يضرب لمن لا يلقى بالعمد

(الوسيط م ٣)

ما فيها من ترويح الخاطر ، ولطف المدخل ، وجمال الفكاهة المتأوية في تضاعيفها
النصيحة ، وذلك أعمل في النفس ، وأدعى الى الاعتاظ

والأمثال مرآة تريك صور الأمم وقد مضت ، وتقفك على أخلاقها وقد
انقضت ، وهي ميزان يوزن به رقي الشعوب وانحطاطها ، وسعادتها وشقاؤها ، وأدبها
ولغتها . ولقد أكثر العرب منها فلم يتركوا باباً إلا وكجوه ، ولا طريقاً إلا سلكوه .
وقد أفردوها العلماء بالتأليف . وأقدم الأمثال (على ما نعلم) أمثال لقمان الحكيم ^(١)

أثر
الأمثال

ومن الحكم النثرية : مصارع الرجال تحت بروق الطمع . من سلك الجدد ^(٢)
أمن العثار ^(٣) . خير الموت تحت ظلال السيوف . كالم ^(٤) اللسان أنكى ^(٥) من
كلم السنن . العتاب قبل العقاب . خير الغنى القناعة . قطيعة الرحم تورث الهم .
رضى الناس غاية لا تدرك . أول الحزم المشورة . رب عجلة تهب ريثاً ^(٦) . أنجز
حرماً ما وعد . اترك الشر يتركك . من عز بر ^(٧) . بعض الشر أهون من بعض .
ان أخاك من واساك ^(٨) . يكفيك من شر سمائه

طائفة
من
الحكم

ومن الحكم النظمية :

قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذبا فما اعتذارك من قول اذا قिला
واكذب النفس اذا حدثتها ان صدق النفس يزرى بالأمل ^(٩)
اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
ولست بمسئق أخا لا تلته على شعث أي الرجال المهذب ^(١٠)

(١) هو لقمان بن عاد أحد حكماء العرب ومن أمثاله رب أخ لك لم تلده أمك - الصمت حكم
وقليل فاعله - كل امرئ في بيته أمير - كل امرئ بشأنه عليم - آخر الدواء الكي
(٢) ما استوى من الأرض (٣) مصدر عثر بمعنى زل وسقط (٤) جرح (٥) أشد ايلاما
(٦) بطئا (٧) من غلب سب (٨) ساعدك (٩) لا تحدث نفسك بأنك لا تظفر فان ذلك
يثبطك (١٠) الشمت انتشار الأمر وخلاه : أي ولست مستديماً صعبة صديق لانحتمله على ما فيه
من زال ، بل ينبغي لك لاستدامة صحبته أن تلمه وتصلحه وتجمع ما شئت من أمره ، اذ لا يوجد
رجل خال من العيوب

ومن لم يندد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
وكلام العرب بمراتبه : (العليا والدنيا وما بينهما) تغوره كغيره أحوال
تتغير بتغير حياة أهله : العقلية والمعيشية والدينية والسياسية ، وتلك الاحوال تتجلى
في (أغراض اللغة ، ومعانيها ، وعباراتها) وهي في اللغة الواصلة اليها المروية عن
العرب أخريات جاهليتهم وبعد تضعع مدنيهم القديمة يمكن الاشارة اليها بما يأتي :

أغراض اللغة ^(١) في الجاهلية

- (١) كانت اللغة تستعمل في أغراض المعيشة البدوية ، ووصف مراقبها :
من حلّ وترحال وتنج حيوان ، وانتجاع كلاً واستدرار غيث
- (٢) وفي اثارة المنازعات والمشاحنات ، وما يتبعها : من الحض على ادراك
النار ، والتفاخر بالانتصار ، والتباهي بكرم الأصل والتجار
- (٣) وفي شرح أحوال المشاهدات ، والإخبار عن الوقائع ، والقصص ، وغير
ذلك مما يلائم بينتهم ويناسب طباعهم

معاني اللغة في الجاهلية

- تجمل أحوال معاني اللغة في الأمرين الآتين :
- (١) قَصُر معاني المفردات على ما تقتضيه البدّاءة والفطرة الغضة الخالية من
تكلف أهل الحضرة وثأقهم
 - (٢) سَيْرُ التعقّل — المُستنبط من الحس والمشاهدة أو الطبيعة أو التجربة أو
الوجدان — في طريق غير طريق المبالغة والاغراق
 - (٣) ارسالُ التخيل — المنزعة صورته من المحسوسات — على وجه قلما
يخرج عن الإمكان العقلي والعادي

(١) أغراض اللغة مقاصدها التي تؤديها وتستعمل فيها

عبارة اللغة في الجاهلية

تلخص أحوالُ العبارة في الجاهلية فيما يأتي :

(١) استعمال الألفاظ في معانيها الوضعية ، أو معانٍ مناسبة للمعنى الأصلي بطريق المجاز الذي يُصبح بعد غلبة الاستعمال والإلف حقيقةً جديدةً ؛ ولذلك يظهر لنا عند تلاوة الشعر العربي القديم أن المجاز فيه أقلُّ مما هو في كلامنا ، وأنه قريب من الحقيقة : لشدة علاقته بالمعنى الأصلي ، وارتقاء بعضه إلى رتبة الحقيقة

(٢) كثرة الترادف في المفردات ؛ والحق أن لأكثر الألفاظ المترادفة معنى خاصاً لا يؤدّيه الآخر بالدقة ^(١) ، وإن تُنوّس بعض هذه الخصائص . وبعض المترادف آت من اختلاف لغات القبائل الفصيحة التي جمعت لغاتها وتكوّن منها اللسان العربي المروى لنا المحفوظ في كتب اللغة

الترادف

(٣) قلة الإعجمي المعبر عنه بالمعرب ، على أنه لم يتم إلى الآن دليل قطعي على أن كل الألفاظ المشتركة بين لغة العرب ولغات الأعاجم نقلها العرب عن غيرهم ، ولم ينقلها غيرهم عنهم حتى نحكم بأنها أعجمية لا عربية

المعرب

(٤) إرسال الأساليب الكلامية على حسب ما تقتضيه البلاغة بدون تكلف وبدون مراعاة لما تستلزمه الصناعة البديعية ، فلم يعمدوا جناساً ، ولم يتكلفوا طباقاً ، ولم يقصدوا إلى تورية ^(٢) ، وما وقع لهم من المحسنات الكلامية على قلته فتما كان عفواً لا تعمل فيه خلا بعضاً من سجع الكهان

(٥) خلو الكلام العربي من اللمح . لأن الحق أن العربي لا يلحن في لغته

(٦) شيوع الإيجاز في كلامهم كما ترى ذلك واضحاً في نثرهم وشعرهم

(١) كالحث والحض فالاول يكون في السير والسوق وكل شيء ، والثاني لا يكون في سير ولا سوق . وكالجلوس والقمود : الاول عن ضجعة ، والثاني عن قيام

(٢) وأما ادعاء بعضهم - أن في (سخينا) من قول عمرو بن كلثوم :

مشعشة كأن الحص فيها إذا ما أذاها خالطها سخينا

تورية مقصودة بمجمله فعلا من السخاء ، أو اسماً من السخونة ، فتخرص وطن بلا دليل

تقسيم كلام العرب

ينقسم كلام العرب قسمين : نثراً ونظماً ؛ فالنظم هو الموزون المقفى ؛ والنثر ما ليس مرتباً بوزن ولا قافية

النثر

المحادثة - الخطابة - الكتابة

أقسام
النثر

الأصل في الكلام أن يكون منشوراً : لإيادته مقاصد النفس بوجه أوضح ، وكلفة أقل . وهو إما حديث يدور بين بعض الناس وبعض في اصلاح شئون المعيشة ، واجتلاب ضرور المصالح والمنافع ، وذلك ما يسمى (المحادثة) أو (لغة التخاطب) ؛ وإما خطاب من فصيح نابه الشأن يُلقى على جماعة في أمر ذي بل ؛ وهذا ما يسمى (الخطابة) ؛ وإما كلامٌ نفسي مدلول عليه بحروف وتقوش : لإرادة عدم التلنظ به ، أو لحفظه للخاف ، أو لبعد الشقة بين المتخاطبين ، وذلك ما يسمى (الكتابة) . فأقسام النثر ثلاثة : محادثة ، وخطابة ، وكتابة . وكلها : إما أن تكون كلاماً خالياً من التزام التقفية في أواخر عباراته ، وذلك ما يسمى (النثر المرسل) ، وإما أن تكون قطعاً ملتزماً في آخر كل فقرتين منها أو أكثر قافية واحدة ، وهذا ما يسمى (السجع) ، وهو نوع من الحلية اللفظية اذا جاء عفواً ولم يتعمد التزامه ؛ ولحسن وقعه في الأسماع ، وحوكه ^(١) في الطباع ، كان أكثر ما يستعمل في الخطابة ، والأمثال ، والحكم ، والمفاخرات ، والمنافرات ، وتخرصات الكهان ، والكتابة التي من هذا الوجه

المرسل

السجع

مميزات النثر الجاهلي

ومن مميزات النثر في الجاهلية :

(١) قلة تأنيدهم في انتقاء الألفاظ المناسبة الوزن ، المتشابهة في النغم والجرس

(١) حوكه تأنيده وأخذه

وانما يعمدون في تأدية المعنى الى ألفاظ تطابقه على ما يتفق وكما يكون

(٢) قلة استعمالهم الجمل والعبارات المتواردة على معنى واحد كما يفعل الجاحظ

وأشباهه من المولدين

(٣) قلة ولوعهم بالتكلف في صوغ عباراتهم وأساليبهم وسجعهم ، اللهم إلا

ما وقع من سجع كاهن أو عراف

(٤) قصر الجمل ، أو توسطها ، وكثيراً ما يلتزمون ذلك في الحكم والأمثال والوصايا

(٥) ميلهم الى الإيجاز من غير إخلال بالمعنى

(٦) كثرة استعمالهم الكناية القريبة المثل ؛ اتقاء التصريح بما يستهجن ، أو

تحريكاً للنفس في استحضار صورة المكثور عنه بذكر أخص صفاته

(٧) قلة تعمقهم في استخراج المعاني البعيدة وفي استقصاء الأفكار العويصة

التي تحتاج الى كد خاطر أو درس علم

ومن أمثلة النثر المرسل ما قاله أبو جُبَيْل قيس بن خُفاف البُرْجُمِيُّ الحاتم

مثال
للمرسل

في دماء^(١) : اتى سمات دماء عوات فيها على مالى وآمالى ، فأما مالى فتدّمته ،

وكنت أكبر آمالى ، فان تحمّلتها فكم من حتى قضيت ، وهم كفيت ، وان حال

دون ذلك حائل ، لم أذم يومك ، ولم أيسس من غدك

ومن سجع الكهان قول سَطِيع^(٢) بن مازن في تعبير رؤيا ربيعة بن نصر المخمي

أمثلة
للسجع

أحد ملوك اليمن :

أحلب بما بين الحرّين^(٣) من حدش ، ليهبطن أرضكم الحبش ، وليملكن

ما بين أبين^(٤) الى جرش^(٥)

وقول شقّ أنمار^(٦) في تعبير تلك الرؤيا :

(١) جمع دم والدم هنا الدية

(٢) اسمه ربيع بن ربيعة ، مات في أيام أنوشروان بعد مولده صلى الله عليه وسلم

(٣) الحرّة كل أرض ذات حجارة سود نخرة (٤) مخلاف منه مدينة عدن المشهورة

(٥) مخلاف باليمن من جهة مكة (٦) كاهن كان في زمن كسرى أنوشروان

أحلف بما بين الحربين من انسان ، لينزلن أرضكم السودان ، وليغلبن على كل حافلة (١) البنان ، ولیملكن الى ما بين أبين ونجران (٢) ومن السجع في غير الكهانة قول لبید (٣) يصف بقلة (٤) تدعى التربة : هذه التربة التي لا تدكى (٥) ناراً ، ولا تُوهل (٦) داراً ، ولا تسرجاراً ، عودها ضئيل ، وفرعها كليل (٧) ، وخيرها قليل ، بلدها شاسع (٨) ، ونبتها خاشع (٩) ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها ضائع ، أقصر البقول فرعاً ، وأخبثها مرعى ، وأشدّها قلعاً ، فتعسا (١٠) لها وجدعاً (١١)

المحادثة أو لغة التخاطب

لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحدت (١٢) لغاتها هي اللغة العربية المستعملة في شعرها وخطبها وكتابتها ، ولا فرق بينها في البلاغة إلا بقدر ما تستدعيه حال الخطابة والشعر والكتابة : من نبالة الموضوع والتأنق في العبارة

وأكثر ما وصل إلينا منها ما كان شريف المعنى ، فصيح اللفظ . وما زعمه بعض من اللحن خلوها
باحثي زماننا : من أن هذه اللغة لم تكن معربة مطلقاً ، أو أنها كانت معربة عند
أقوال
الخاصة غير معربة عند العامة ، أو أن غير المعربة كانت خاصة بالمحادثة دون الشعر
باحثي
والخطابة والكتابة ، أو خاصة بلغات أطراف الجزيرة لمجاورتها أمم الأعاجم دون
زماننا
أواسطها ، ظنون لم يقيم عليها دليل ، نشأت من عدم فهم كلام العلماء ونقل اللغة
فيها

الخطابة

الخطابة ضرب من التكلم ، وهي - إذا تهيات داعيتها ، ووفرت أداتها ، وقلت كفاية الكتابة أو ثقلت مؤنتها - سبيل الاقناع ، وعدة التأثير : لما فيها من حضور التكلم بشخصه ، ودفاعه عن رأيه بنفسه ، وإفاضته (١٣) في كل ما يريد مذهبه . ومن طبيعة القبائل المتبدية (١٤) التي تعميها الأمية ، ولا يربطها قانون عام ، ولا

(١) ناعمة (٢) مخلاف شمال اليمن (٣) شاعر ستأتي ترجمته (٤) البقل ما نبات من بزره لامن أرومة ثابتة والبقه واحده (٥) أذكى النار أوقدها (٦) من قولهم ثريدة مأهولة أى فيها اهالة وهي مأبؤتم به من زبت ونحوه أى لا تؤدم (٧) ضعيف غير صليب (٨) بديد (٩) دان من الارض (١٠) هلاكا (١١) قطعا (١٢) المراد بتوحيد اللغات توحيدها بعد امتزاج لغات العرب للبادية والصحراوية والمدنانية بعضها ببعض (١٣) اندفاعه (١٤) المقيمة بالبادية

تضبطها حكومة منظمة، ولا تضمُّها راية سلطان واحد — كما كانت الأمة العربية في جاهليتها — أن تكون الخطابة لما ضرورية، وفيها فطرية فمن الدواعي الطَّبِيعِيَّةُ للخطابة في الجاهلية ما يأتي :

(١) غلبة الأمية على العرب غلبةً أُلْجَأَتْها الى الاستعانة باللسان أداة القول، بدلَ القلم أداة الكتابة

(٢) تملكهم زمام الفصاحة، وانقيادهم لسلطان البلاغة واستجابة خاصتهم وعامتهم لدعاء سادتهم وكبرائهم وأولى النجدة فيهم عند الأمر الحافز^(١)، والخطب الداهم^(٢)، لما بين الداعي والمدعو من وحدة الجنس واللسان، وتوافر أسباب التفاهم والبيان

(٣) تفرقهم قبائل مستقلة، وعشائر صغيرة، وفئات مُقاتلة، بحيث يتيسر لكل جمهور منهم الاجتماع في صعيد واحد، والاستماع الى خطيب فرد

(٤) تعذر طرق التواصل المنظمة بينهم: كبريد يحمل رسائل ضافية، وكتباً مطولة، أو برق يوصل أخباراً هامة، أو صحف تنشر حوادث عامة، فكانت الداعية شديدة الى رسول مُوفِدٍ نابه الشأن، فصيح اللسان قوى الحججة

(٥) شن الغارات لأوهى الأسباب، وافضاء ذلك الى الدفع عن النفس والعرض والمال، ثم الى الانتقام لفراغ أكثرهم مما يشغل الخواطر والجوارح من صناعة وزراعة وتجارة، وللخطابة في ذلك المثل الأعلى، والقِدْحُ المَعْلَى^(٣)

ومن أغراض الخطابة والمقامات التي يخطب فيها ما يأتي :

(١) التحريض على القتال، والحض على الأخذ بالثار، وما الى ذلك من تهوين لشأن العدو، أو تنبيه على غرّة^(٤) منه أو تهيئة تعبئة لملاقاته

(٢) اصلاح ذات البين عند نشوب الحرب، فيخطب رؤساء القبيلتين في تعظيم رزايا الحرب، وتعميد مصائبها، والتنفير منها أو في امكان تحمل دماء القتلى، ومفاداة الأسرى، ونحو ذلك

(١) الدافع والسائق (٢) دمه غشيه (٣) سابع سهام الميسر وهو أكبرها حظاً (٤) غفلة

(٣) المفاخرة والمنافرة ، والمباهاة بقوة العصبية وكرم النجار^(١) ، وشرف الخصال وعظم الفعال : ترهيباً للطامعين ، وتهديداً للمعادين

(٤) توضيح المقاصد وتربية التواصل بالسفارات ما بين سادات قبائلهم وأقيالهم ، وبينهم وبين ملوك الممالك المجاورة لهم ، في تأمين سبيل ، أو خفارة درّب ، أو إجازة تجارة ، أو استنجاد ، أو تهنئة ، أو تعزية

(٥) خطبة الإملاك^(٢) : بترغيب القبيل المخطوب اليه في قبيل المخطوب له ، وعد فضائله ، وذكر ما يسوقه من المهر ونحو ذلك

(٦) التوصية بفعل الرغائب ، واقتناء المحامد ، والتبصر في العواقب ، والتروى عند الحوادث ، ويكثر ذلك من حكمائهم وكهانهم لعامتهم ، أو من الآباء لأبنائهم ، وخاصة عند دنو آجالهم

وانما لم تصل إلينا أخبار خطبائهم الأوائل ، وشيء من خطبهم كما كان ذلك في الشعر ، لحظهم قديماً بالشعر دون الخطابة ، ولصعوبة حفظ النثر وما عني الرواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم إلا عند ما حلت الخطابة بعد منزلة أسمى من الشعر : لا بدالة بتعاطي السفهاء والعامّة له ، وتلوّثهم^(٣) بالتكسب به والتعرض للحرم ، فنبه بذلك شأن الخطابة ، واشتهر بها الأشراف . وكان لكل قبيلة خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر

واذا كان جل التصد من الخطابة إثارة الشعور ، وإيقاظ الوجدان كما هو الشأن أدلتها وسجتها في الشعر ، كان جل الاعتماد فيها على الأدلة المؤثرة في النفوس ، المهيجة للعواطف ، ممثلة في صور العبارات الرائعة ، وكثرت فيها الفواصل والأسجاع لحسن وقعها ، على ما فيها : من استرواح الخطيب ، وسهولة تدارك المعاني

وخطب العرب منها الطوال ومنها القصار ، ولكل مكان يليق به ، وهم إلى القصار أميل : لانطباعهم على الإيجاز ، ولأنها إلى الحفظ أسرع ، وفي الأصقاع أشيع ؛

(١) الاتصال (٢) الزواج (٣) تلطخهم

وكانوا يُعَوِّنُ في خطبهم ولا سيما القصار منها بمرد كثير من الحكم والأمثال والنصائح ، على أنه قلما رويت لنا خطبة بنصها وفصها^(١) : لنفثوا الأمية في الجاهلية ولعجز الرواة عن استظهار جميعها ، وإنما يحفظون منها ما كان أشدَّ قرعاً للسمع ووقفاً في النفس ، بعبارات تتفق في أصل المعنى ، وتنفرد في بعض اللفظ

وكان من عادة الخطيب في غير خطب الإملاء^(٢) أن يخطب قائماً ، أو على نشز من الأرض^(٣) ، أو على ظهر راحلته : لابتعاد مدى الصوت ، وللتأثير بشخصه ، وإظهار ملامح وجهه ، وحركات جوارحه ؛ ولا غنى له عن آوُث^(٤) العلمة ، والاعتماد على مَخَصْرَة^(٥) ، أو عصا ، أو قذاة^(٦) ، أو قوس ، وربما أشار بأحداهما أو بيده وقد كانوا يستحسنون أن يكون رابط الجأش^(٧) ، قليل اللحظ^(٨) جَهير الصوت ، متخير اللفظ ، قوى الحجّة ، نظيف البزّة^(٩) ، كريم الأصل ، عاملاً بما يقول

وخطباء العرب كثيرون (من أقدمهم) كعب بن لؤي^(١٠) وكان يخطب العرب عامة ، ويحضر على البرّ كنانة خاصة ، ولما مات أكبروا موته ، وأرّخوا به حتى كان عام الفيل . وذو الأصابع العدناني وهو حُرثان بن مُحَرِّث ، وسمى كذلك لأن حية نهشت إبهام رجله فقطعها

(ومن أشهرهم) قيس بن خازجة بن سنان خطيب حرب داحس والغبراء^(١١)

(١) النص تعيين الشيء والفص مفصل الشيء ، والمعنى أنت معينة مفصلة كما قالها صاحبها بالضبط (٢) التزوج (٣) مرتفع من الأرض (٤) عصب (٥) الخمرة السوط ونحوه وما يأخذه الملك لبشير به أو الخطيب إذا خطب (٦) رمح (٧) النفس أي شجاع (٨) لاحظ النظر بمؤخر العين وهو أشد من الشرر ، والمراد قليل التلفت والنظرات (٩) الهيئة والنياب (١٠) هو الجذع السابع للنبي صلى الله عليه وسلم

(١١) داحس والغبراء فرسان لنيس بن زهير سيد عبس ، راحته حذيفة بن بدر الفزاري على أن يسابقه بفرسيه : الخطار والحنفاء ، فوضعت فزارة كعبنا في طريق السباق فاطم وجه الغبراء وكانت سابقة ، فهاجت الحرب بين عبس وفزارة ، ثم بين عبس وذبيان لنصرتها فزارة ، وفي القصة روايات أخرى

وخويلد بن عمرو الغطفاني خطيب يوم الفجار^(١) . وقس بن ساعدة الإيادي^(٢) .
خطيب عكاظ . وأكثم بن صيفي زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان - فيما يقال -
على كسرى : وهم (أ كثم بن صيفي وحاجب^(٣) بن زرارة التميميان ، والحارث بن
عباد^(٤) وقيس بن مسعود^(٥) البكريان ، وخالد بن جعفر^(٦) ، وعلقمة بن علاثة^(٧) ،
وعامر بن الطفيل^(٨) العامريون ، وعمرو بن الشريد السلمي^(٩) ، وعمرو بن
معد يكرب الزبيدي^(١٠) ، والحارث بن ظالم المري^(١١))

تراجع
مختصرة
للخطباء

(١) يوم الفجار حرب كانت بين قريش وهوازن حضرها النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمره
أربع عشرة سنة ، وسميت كذلك لأنها كانت في الأشهر الحرم (٢) ستأتي ترجمة قس وأكثم
(٣) سيد من سادات تميم ، وهو الذي وفد على كسرى حين منمن تميم من ريف العراق حتى
أصابهم القحط ، فأعجب به ومنحه مطية ، واهده له حاجب بحسن الجرار ، ورهن عنده قوسه
على ذلك فنبطها منه ، وبقيت عند كسرى حتى أخذها ابن حاجب ثم بيعت به بأربعة آلاف درهم
(٤) كغراب كان خطيباً مؤثراً ، وشاعراً بليغاً ، وله عمل جليل في الحرب التي نشبت بين بكر
وقلب لمقتل كليب بهد أن اعتزلها ، وله فيها قصيدة مشهورة منها :

قرباً مربوط النمامة منى
لنحت حرب وائل عن حبال

(٥) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين ، كان كريماً على الهمة من أفضل العرب
حسباً ونسباً وكانت تقرر له النبائل كلها بذلك بل هي وكسرى أيضاً ، وكان له حظيرة فيها مائة من
الابل لأضيافه إذا انحوت ناقة قيدت أخرى مكانها (٦) سيد من سادات بني عامر ، خلص
قومه من العبودية لظفان بهد أن قتل سيدها زهير بن جذيمة (٧) خطيب بليغ اشتهر في قومه
بالعفة والمحافظة على الجوار والوقل الراجح والحسب الواضح (٨) هو ابن عم لبيد الصعاني شاعر
متين ، وفارس من أشهر فرسان العرب نجدة ، وأهدهم اسماً ، واقد بلغ من شهرته أن قيصر كان
إذا قدم عليه قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر فإن كانت بينه وبينه رحم واشجة ، فربه وأكرمه
(٩) وهو أبو السيدة تماضر الحنساء يميل إلى الفخر والصراحة في القول واقد بلغ من تغاليه
في ذلك أنه كان يأخذ ابنته معارية وصخرها في المراسم العامة ويقول أنا أبو خيرى مضر فمن انكر
خليغير فلاغير ذلك عليه أحد (١٠) خطيب شاعر ، وفارس قاهر ، وصحاني جليل ، شهد اليرموك
والقادسية وأبلى فيهما البلاء الحسن على كبر في سنه وضرب في جسمه وستأتي ترجمته في المخضرمين
(١١) كان شجاعاً فأنكا ، وخطيباً شاعراً ، يميل إلى مفاخرة الحر . وهو الذي قتل خالد بن
جعفر غيلة لقتله أباه وكثيراً من قومه

نماذج من الخطب والوصايا

قال هانيء بن قبيصة الشيباني لقومه في يوم ذي قار وهو يحرضهم :
يا معشر بكر : هالك معذور ، خير من ناج فرور ، ان الحذر لا ينجي من
القدر ، وان الصبر من أسباب الظفر . المنية ، ولا الدنية . استقبال الموت خير من
استدباره . الطعن في ثغر^(١) النحور ، أكرم منه في الأعجاز والظهور . يا آل بكر
قاتلوا فما للمنايا من بد

وخطب مرند الخير أحد أقيال حمير في الصلح بين سبيع بن الحارث أخي
ذى جندن وميم بن مثوب بن ذي رعين حين تنازعا الشرف وتشاحنا حتى خيف
أن يقع بين حبيهما شر فيتفانى جذماهما^(٢) فقال :

ان النخب^(٣) وامتطاء المجاج^(٤) ، واستحقاب الأجاج^(٥) ، سيقفكما على
شفا هوّة^(٦) في توردها بوار الأصلية^(٧) ، واتقناع الوسيلة . فتلافيا أمركما قبل
انتكاث^(٨) العهد ، وانحلال العقد ، وتشئت الألفه ، وتباين السهمه^(٩) ، وأتبا
في فُسحة رافيه^(١٠) ، وقدم واطيده^(١١) ، والمودة مُثريه^(١٢) ، والبقياء مُعرضه^(١٣) ،
قد عرقم أنباء من كان قبلكم من العرب ممن عصى النصيح ، وخالف الرشيد ،
وأصغى الى التقاطع ، ورأيتم ما آلت اليه عواقب سوء سعيهم ، وكيف كان صيُور^(١٤)
أمورهم ، فتلافوا القرحة^(١٥) قبل تفاقم الثأى^(١٦) ، واستفحال^(١٧) الداء ،
واعواز الدواء ، فانه اذا سُفكت الدماء ، استحكمت الشحنة ، واذا استحكمت
الشحنة ، تقضبت^(١٨) عرى الإبقاء ، وشرب البلاء

(١) جمع نفرة وهي نفرة النحر بين الترفوتين (٢) اصلاهما (٣) السير على غير هدى .
(٤) أى ركوب الرأس وعدم التروى (٥) والاحترام بالخصومة أى التمسك بها (٦) حافة
حفرة (٧) هلاك الاصل (٨) انتقاض (٩) القرابة (١٠) ناعمة (١١) ثابتة (١٢) متصله
(١٣) ممكنة (١٤) عاقبة (١٥) أى الجرح (١٦) الانسداد (١٧) اشتداده (١٨) تقطعت

ومن منافرة عامر بن الطفيل مع علقمة بن عُلانة :

قال علقمة — الرياسة لجدى الأحوص ، وانما صارت الى عمك أبي براء من أجله ، وقد استسن^(١) عمك وقعد عنها فأنا أولى بها منك ، وان شئت نافرتك . قال عامر : قد شئت ؛ والله لأنا أشرف منك حسباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول قصباً^(٢) . قال علقمة : أنافرك : واني لبرّ وانك لفاجر ، واني لوكود وانك لعافر ، واني لواف وانك لغادر . قال عامر : أنافرك : واني أنشر منك أمة^(٣) ، وأطول قبة^(٤) ، وأحسن لمة^(٥) ، وأجعد جمّة^(٥) ، وأبعد همة . قال علقمة : أنا جميل وأنت قبيح ؛ ولكن أنافرك ، أنا أولى بالخيرات منك . فخرجت أم عامر وقالت نافره : أيكما أولى بالخيرات ؟ ففعلوا على مائة من الإبل وحكموا هرما الفزاري فلم يفضل أحدهما على الآخر حتى لا تكون فتنة بين الحيتين

وخطب أبو طالب حين تزوج النبي ﷺ السيدة خديجة

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحكم على الناس . ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح^(٦) عليه براً وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ، ومجداً ونبلأ^(٧) ، وان كان في المال قل^(٨) فتما المال ظل زائل ، وعارية^(٩) مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتكم من الصداق^(١٠) فعلى

لما احتضر ذو الاصبع العدواني دعا ابنه أسيداً ليوصيه فقال :

يا بني ان أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سُم العيش ، واني موصيك بما

(١) كبرت سنه (٢) القصب عظام اليدين والرجلين ونحوهما والمراد طول قامته (٣) أي أكثر قوماً (٤) الامة الشعر المتجاوز شحمة الأذن (٥) يجتمع شعر الرأس (٦) فاق (٧) ذكاه ونجبه (٨) قلة (٩) ما تداوله الناس بينهم (١٠) المهر

ان حفظته بلغت في قوتك ما بلغت ، فاحفظ عني : ألين جانبك لقومك يُحبوك ،
وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجبك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم ^(١) بشيء .
يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك
صغارهم ، واسمح بآلاك ، واحم حريمك وأعز زجارك ، وأعز من استعان بك ،
وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريح ^(٢) ، فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصن
وجهك عن مسألة أحد شيئاً فبذلك يتم سوددك
وقال مروان بن زنباع العبسي :

يا بني عبس ! احفظوا عني ثلاثاً : اعلوا أنه لم ينقل أحد اليكم حديثاً إلا نقل
عنكم مثله ، وإياكم والتزويج في بيوتات السوء ؛ فإن له يوماً ناجئاً ^(٣) واستكثروا
من الصديق ما قدرتم ، واستقلوا من العدو فإن استكثاره ممكن

قُس بن ساعدة الأيادي

هو خطيب العرب قاطبة ، والمضروبُ به المثل في البلاغة والحكمة والموعظة
الحسنة . كان يدين بالتوحيد ، ويؤمن بالبعث ، ويدعو العرب الى نبذ العكوف
على الاوثان ^(١) ويُرشدهم الى عبادة الخالق ، ويخطبهم بذلك في المحافل العامة ،
ومواسم الاسواق ؛ ويقال أنه أول من خطب على شرف ، وأول من قال في خطبه
(أما بعد) وأول من اتكأ على سيف أو عصا في خطابته ؛ وكان الناس يتحاضرون
اليه فيقضى بينهم بسديد رأيه ، وصائب حكمه ، وهو القائل (البينة على من ادعى ،
واليمين على من أنكر) وكان قس يفد على قيصر ويزوره ، فقال له يوماً : ما أفضل
العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ، قال : وقوف المرء عند علمه ، قال :
فما أفضل المروءة ، قال : استبقاء الرجل ماء وجهه ، قال : فما أفضل المال ، قال : ما قضى
به الحقوق . وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يخطب في عكاظ على جمل

(١) تختص بالاسن (٢) أي عند الصريح وهو نداء المستغيث (٣) الناجت الحافر ، والنجية
ما يخرج من تراب البئر يريد كاشفاً (٤) الاصنام

أورق^(١) فعجب من حسن كلامه وأظهر من تصويبه ، وأثنى عليه ، وعمر قس طويلاً ومات قبيل البعثة

وقد كان مهذب الألفاظ ، قوى التأثير ، بعيداً عن الحشو والنفو في كلامه . وسجعه كما سترى تصوير الفواصل ظاهر على مرسله

ومن خطابه خطبته التي خطبها في سوق عكاظ : وهي كما في صبح الأعشى^(٢) أيها الناس . اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فُت ، وكلُّ ما هو آت . ليلٌ داج^(٣) . ونهارٌ ساج^(٤) . وسماءٌ ذات أبراج^(٥) . ونجومٌ تزهر^(٦) . وبحارٌ تزخر^(٧) وجبالٌ مرساة ، وأرضٌ مدحاة^(٨) وأنهارٌ مجرأة . ان في السماء لخبراً^(٩) ، وان في الأرض لخبيراً ، ما بَلُ الناس يذهبون ولا يرجعون ، ارضوا فاقاموا ؟ ، أم تُركوا فناموا . يُقسم قسٌ بالله قسماً لا اثم فيه : ان لله ديناً هو أَرْضى لكم وأفضل من دينكم الذي أُنتم عليه . انكم لتأتون من الأمر منكرًا . ويروى أن قسا أنشأ بعد ذلك يقول :

في الداهيين الأولي — ن من القرون لنا بصائر^(١٠)
لما رأيت موارد الموت ليس لها مَصَادِر^(١١)
ورأيت قومي نحوها تمضي : الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي إلى م ولا من الباقيين غابر^(١٢)
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

(١) الاورق من الابل ما في لونه يباض الى سواد (رمادى)

(٢) صفحة ٢١٢ من الجزء الاول طبعة سنة ١٣٣١ هـ بالمطبعة الأميرية

(٣) مظالم (٤) الساحى الساكن والدائم (٥) البرج واحد الابراج : وهي اثنا عشر برجاً تقابلها الشمس في طريقها طول السنة . والبرج صورة من مجموعة كواكب تشبه صورة حيوان أو غيره (٦) تضيء وتتلألأ (٧) تغطي وترتفع (٨) مدحوة أي مبسوطة وانما جاءت على هذا الوزن لمشاكله أخواتها في اللفظ (٩) أى ان في صنع السماء لدليلاً على خالق عظيم (١٠) جمع بصيرة وهي العلم والخبرة (١١) ورد الماء أنه يشرب ، وصدر عنه شرب ورجع ، أى تذهب الداس للموت ولا تعود (١٢) مقيم

أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي

هو من أبلغ حكماء العرب ، وأعرفها بأنسابها ، وأكثرها ضرباً أمثال ، واصابة رأى ، وقوة حجة ؛ كان خطيباً مصقماً^(١) ؛ وحكماً موفقاً ، رفيع المكانة في قومه ، يُمدّ من أشرافهم ومن كبار المحكّمين فيهم ؛ وقيل من جاراها من خطباء عصره في معرفة الأنساب ، وضرب الأمثال ، والاهتداء لحل المشكلات ؛ والسداد في الرأي ؛ وهو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى ، وكلهم خطباء مصاقع ، ولسنٌ مَقَاوِل ؛ ولقد بلغ من اعجاب كسرى به أن قال له : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . وقد عمّر طويلاً حتى أدرك مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وجمع قومه وحشّهم على الإيمان به . وفي اسلامه روايتٌ

وكان في خطبه قليل المجاز ، حسن الایجاز ، حلّو الألفاظ ، دقيق المعاني ، مؤلماً بالأمثال ، لا يلتزم السجع ؛ يميل الى الاقتناع بالبرهان ، ويعتمد في خطابه على قوة تأثيره وشدة عارضته^(٢) لاعلى المبالغة والتهويل . ومن جيد خطبه خطبته أمام كسرى وهي :

ان أفضل الأشياء أعاليها . وأعلى الرجال ملوكهم ، وأفضل الملوك أعمّها نفعا . وخير الأزمّة أخصبها . وأفضل الخطباء أصدقها . الصدق منجّاه . والكذب مهواه . والشرُّ لجأجه^(٣) ، والحزم مركب صعب . والعجز مركب وطيء^(٤) . آفة الرأي الهوى . والعجز مفتاح الفقر . وخير الأمور الصبر . حسن الظن ورطه^(٥) ، وسوء الظن عيصه . إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي . من فسدت بطانته^(٦) كان كالفاص بالماء^(٧) . شر البلاد بلاد لا أمير بها . شر الملوك من خافه البريء .

(١) المصقع البليغ أو العالي الصوت أو الذي لا يرتج عليه في كلامه ولا يتمتع (٢) البيان واللسن والجلد والصرامة والقدرة على الكلام (٣) اللجاج واللجاجة تماحك الخصمين وتماديهما أي ان أصل الشر اللجاجة (٤) سهل لين (٥) الورطة الهلكة وكل أمر تفسر النجاة منه (٦) أصحابه وأصداؤه (٧) الشرق بالماء

المراء يعجز لا المحالة ^(١) . أفضل الأولاد البررة . خير الأعوان من لم يراء
بالنصيحة . أحق الجنود بالنصر من حسنت سريره . يكفيك من الزاد ما بلغك
المحل . حسبك من شرسماعه . الصمت حكم ^(٢) وقليل فاعله . البلاغة الایجاز.
من سدّد نقر ، ومن تراخى تألف



(١) الحيلة (٢) الحكم : الحكمة ، ومنه قوله تعالى « وآتيناہ الحكم صبياً » والمعنى ان
استعمال الصمت حكمة وقل من يستعمله

الكتابة

يراد بالكتابة عند الادباء صناعة انشاء الكتب والرسائل ، واذ كانت الكتابة بهذا المعنى تؤدَّى بالنقوش المسماة بالخط ، ناسب أن نُشير هنا الى نشأة الخط العربي فنقول :

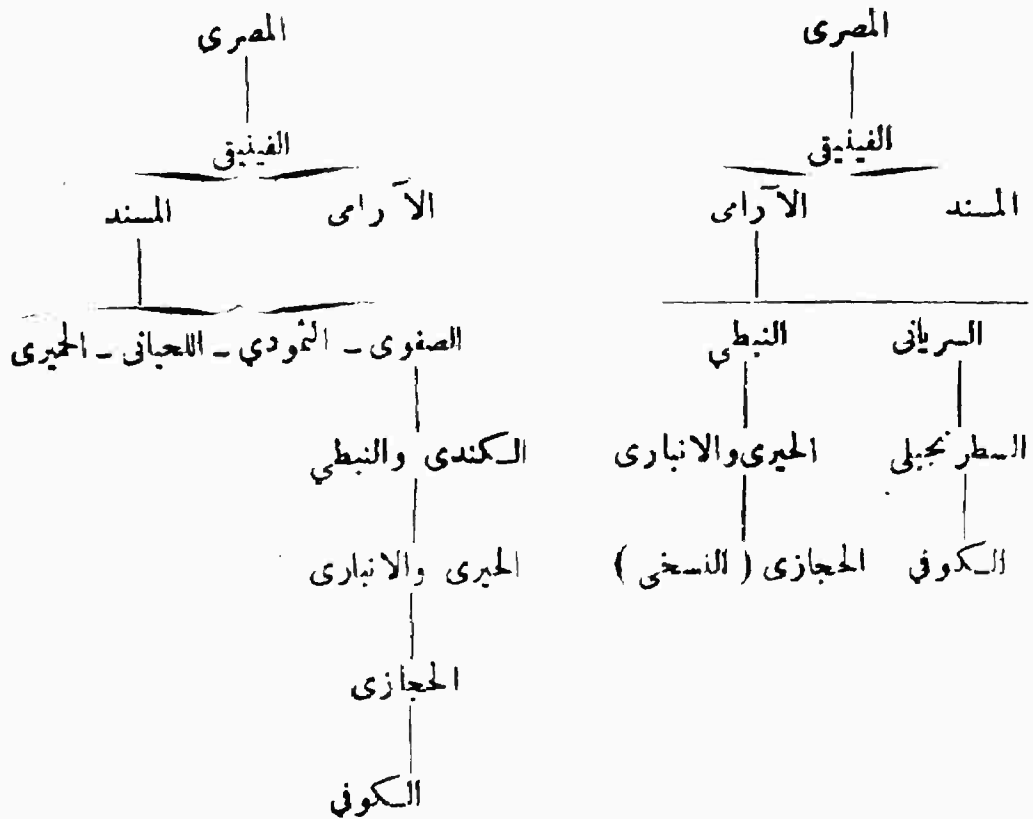
نشأة الخط العربي
أول حلقة من سلسلة الخط العربي هي الخط المصري القديم ، ومنه اشتق الخط الفينيقي^(١) ومن هذا اشتق الآرامي^(٢) والمسند بأنواعه: الصفوي والثودي والآحياني^(٣) شمالي جزيرة العرب ، والحيري جنوبياً . ومن هذا اختلف رأى رواة العرب ورأى باحثي الافرنج ، فيرى باحثو الافرنج أن قد تولد من الخط الآرامي خطوط منها: النبطي^(٤) والسرياني^(٥) ؛ والاول يظهر في حروفه الاتصال ، ومنه أخذ أهل الحيرة والأنبار خطهم النسخي المنسوب اليهم ، ومنهما وصل الى أهل الحجاز . والثاني اشتق العرب من نوع منه (يسمى بالسُّطْرَنْجِيلِي) خطهم الكوفي
رأى العرب
أما رواة العرب قبل الاسلام وبعده فانهم يقولون : انهم أخذوا خطهم الحجازي عن أهل الحيرة والأنبار ، وهما عن كندة^(٦) والنبط^(٧) الناقلين من المسند . ونحن أدلهم نرى رأيهم لأسباب : منها العثور على فروع من الخط المسند في أراضي النبط وشماليها ، بعضها وهو الصفوي قريب الشبه جداً من أصله الفينيقي

(١) الفينيقيون سكان ارض كنعان وكانت على ساحل البحر الابيض بمحاذاة جبل لبنان
(٢) الآرام الامم السامية القديمة التي كانت تسكن شمالي بلاد العرب في فلسطين والشام والعراق
(٣) مملكة الانباط كانت في القرن الاول قبل الميلاد تتسع من شمالي الحجاز الى نواحي دمشق أي كانوا يملكون مدين وخليج العقبة والحجر وفلسطين وحوران
(٤) يعلم ذلك مما قاله ابن عباس حين سئل عن اصل الخط العربي . وخلاصته ان قريشا أخذته عن حرب بن أمية وهو عن عبد الله بن جدعان أو بشر بن عبد الملك اخي اكيدر صاحب دومة الجندل ، وما عن اهل الحيرة والأنبار عن طاري طراً عليهم من اليمن من كندة
(٥) يعلم ذلك من رواية المسعودي وابن السكبي وهي أن بني الحصن بن جندل بن يمصب بن مدين هم الذين نشروا الكتابة يريد النبط

ومنها وجود حروف الروادف وهي : نخذ ضظغ في الخط المسند دون الآرامي ،
ومنها صريح الاجماع من رواة العرب على أن الخط العربي مأخوذ من الحيرى
والأنبارى ، وهو مأخوذ من المسند على يد كندة والنبط

أما الكوفى الذى لم يعرف إلا بعد تمصير الكوفة فليس إلا نتيجة هندسة الكوفى
ونظام فى الخط الحجازى . ولعل شبهة الافرنج آتية من شيوع استعمال السطرنجبلى
والكوفى فى الكتابة الجلمية على المعابد والمساجد والقصور وما شاكلها ، مع شدة
تشابه ما فيهما من الزخرفة والزينة

سلسلة الخط العربى على رأى الافرنج سلسلة الخط العربى على رأى رواة العرب



وهاك جدولاً يبين لك نشأة هذه الخطوط المختلفة على رأى العرب :

مصرى للعامّة	فينيقى	مسند وآرامى	كندى ونبطى	حبرى وانبارى	نسخ عادى
ا	𐤀	𐤁	𐤅	ا	ا
ب	𐤁	𐤂	𐤆	ب	ب
ج	𐤂	𐤃	𐤇	ج	ج
د	𐤃	𐤄	𐤈	د	د
هـ	𐤄	𐤅	𐤉	هـ	هـ
و	𐤅	𐤆	𐤊	و	و
ز	𐤆	𐤇	𐤋	ز	ز
ح	𐤇	𐤈	𐤌	ح	ح
ط	𐤈	𐤉	𐤍	ط	ط
ى	𐤉	𐤊	𐤎	ى	ى
ك	𐤊	𐤋	𐤏	ك	ك
ل	𐤋	𐤌	𐤐	ل	ل
م	𐤌	𐤍	𐤑	م	م
ن	𐤍	𐤎	𐤒	ن	ن
س	𐤎	𐤏	𐤓	س	س
ع	𐤏	𐤐	𐤔	ع	ع
ف	𐤐	𐤑	𐤕	ف	ف
ص	𐤑	𐤒	𐤖	ص	ص
ق	𐤒	𐤓	𐤗	ق	ق
ر	𐤓	𐤔	𐤘	ر	ر
ش	𐤔	𐤕	𐤙	ش	ش
ت	𐤕	𐤖	𐤚	ت	ت

أما الكتابة بمعنى انشاء الكتب والرسائل ، فهي لازمة لكل أمة متحضرة كتابة ذات دولة منظمة ، ودواوين ممتدة ، وصناعات متنوعة ، وتجارة رائجة ، وزراعة ^{الرسائل} والفنون بامية ، وفنون مختلفة ، وقد كن بعض ذلك موفوراً في ممالك التبابعة جنوباً ، ومأثوراً ^{استعمالها} عن ممالك المناذرة والفساسنة شمالاً : ولذلك استعمل الخط المسند الحيرى عند ^{في الشمال} الأولين من عهد مديد ، والأنبارى الحيرى عند الآخرين . وإنما لم يصل إلينا شيء من رسائل تلك الأمم ولا من كتب فنونها ودينها غير ما عُثر عليه في بقايا خرائبهم وسدود مياههم وبعض دقائن الأحجار والقبور : لتقدم عهد أهلها وعدم استكمال البحث بعد في بلادها . ولعل الزمان يُعثرنا على شيء منها

ولم يعرفنا التاريخ أيضاً بأحد من كتاب هذه الصناعة إلا بلقيط بن يعمر ^{كتاب} الایادی وعدى بن زيد العبادى ^(١) وابنه ، وكانوا كتاباً وتراجة عند كسرى ^{الجاهلية}

أما البدو من سكان أواسط الجزيرة وهم جمهور مضر وبعض القحطانيين فكأنوا أميين . ومن المعتقد أنهم لم يعرفوا الكتابة الانشائية إلا بعد أن عرفوا ^{جعل} الخط آخر عصور الجاهلية ، وهو ما نقل عنهم فيه أنهم كانوا يكتبون في بدء رسائلهم ^{الكتابة} في البدو باسمك اللهم ، ومن نلان الى نلان ، وأما بعد ^(٢) . ولم تبق لهم دولة بالمعنى السابق إلا بقيام الاسلام فهو الذى أفشى فيهم الخط والكتابة

ولما كانت علوم كل أمة — وخاصة اللسانية منها — لها الأثر العظيم في تكوين ^{التدوين} كتابه فكر الأديب وخيال الشاعر ، والبلاء الحسن في تقويم اللسان ، وتوفير مادة اللغة ، والتصنيف وكانت كتابتها قسماً قسماً بنفسه يسمى كتابة التدوين ^(٣) والتصنيف ^(٤) — ناسب أن نُعرّف موضوعاتها ويُوثق على خلاصة نشأتها في تاريخ الأدب

(١) نسبة الى عباد وهم قبائل شتى من العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة

(٢) وقد دثرنا على وصية مطولة كتب بها اكثم الى طيء

(٣) تدوين الكتاب جيد ديواناً ، والدبوان مجتمع المعرف ، والكتاب والدفر ما يكتب فيه

(٤) تصنيف الاشياء جعلاً صنوفاً ، وتمييز بعضها من بعض ، ومنه تصنيف الكتب أى لانه

جمع كل طائفة متشابهة من المسائل في باب ، فالتدوين أعم من التصنيف

﴿ علوم العرب وفنونها ﴾

العلوم والصناعات لازمة لحضارة الأمم ، متناسبة معها ؛ ومن العرب أهل حضارة دلت عليها دولهم العظيمة ، وقدم تاريخهم ، وآثارهم الخالدة ، وهم التبابعة في اليمن والمناذرة والغساسنة في الشمال ، وإذا تكون هندسة إرواء الأرض وعمارة المدن ، والحساب ، والطب ، والبيطرة ، والزراعة ونحوها معروفة في الجنوب والشمال ، مدونة في الكتب ، وإن لم يحفظ لنا الدهر صوراً منها . أما البدو منهم وإن كانوا أميين ، يمتقنون الصناعات وينتقصون أهلها فلا غنى لهم عن تجربة ترشدهم إلى ما ينفعهم في بواديهم المتفرقة ، ومجاهلهم الطامسة : ليعلموا ما به تصح أنفسهم وأنعامهم ، وتستطلع خبايا أمورهم ، وتدون فيه مناخرهم ؛ ويعرفوا متى تجود السماء . وبهم يتميز الأقرباء من البعداء ، فكسبهم ذلك علم النجوم ، والطب الضروري ، والأنساب والأخبار ، ووصف الأرض ، والزراعة ، والعيافة ، والقيافة ، والكهانة ، والعرافة ، والزجر ، وقرض الشعر

علم النجوم — هو معرفة أحوال الكواكب : من طلوعها ، وغروبها ، وألوانها ، وأنوائها ، ومواقعها ، وقرانها ، وصور أفرادها وجماعاتها ؛ وما يرتبط بها : من حرّ وبرّد ، وأمطار ورياح ، واعتدال زمان ، ونتاج حيوان ، إلى غير ذلك : مما تمس إليه حاجتهم ، وتدعو إليه ضرورتهم . وقد كانوا أبرع في هذا العلم منهم في كل علم سواه ، تعرفه عامتهم^(١) قبل خاصتهم : للاهتمام به في ظلمات البر والبحر ، ومعرفة أزمنة الخصب والمحل ، وبعض معارفهم فيه مستمدة من الكلدان :

(١) قال الاصمعي : كان شيخ من الاعراب في خبائه وابنة له بالفناء إذ سمع رعداً فقال ما زين يابنية قالت أراها حواء فرحاً ، كأنها أقرب أُنْان قراء ، ثم سمع راعدة أخرى فقال كيف تربنها ؟ قالت أراها جة الرجاء ، متقاطعة الاكفاف ، تنألق بالبرق الولاف . قال هلى المعرفة انتهى نويا

لاختلاطهم بهم ، ولاتفاق اللغتين في بعض أسماء السكواك والبروج ؛ ومن أشهرهم فيه بنو حارثة بن كلب ، وبنو مرة بن همام الشيباني

الطب الانساني والحيواني (البيطرة) — وقد عاناه من العرب كثيرون ^{الطب والبيطرة}

اكتسبوه بحدقهم وتجاربهم ومما نقلوه عن غيرهم ، يدل لذلك كثرة ما تجده في لغتهم من أسماء الأمراض ، والأدوية ، وأسماء الأعضاء الباطنة والظاهرة وأوصافها المختلفة وأجزائها الدقيقة ، وكانوا يعالجون بالعقاقير ^(١) نارة ، وبالعرائم والرقى ^(٢) أخرى ، وأطواراً يستعملون الحجامة ^(٣) والسكى بالنار . ومن أمثالهم (آخر الدواء الكى) . ومن مشهورهم الحارث بن كلدة النخعي وابن حنيم التيمي

الانساب — علم تُعرّف به القربات التي بين بعض القبائل وبعض فتلحق الانساب

فروعها بأصولها . وإنما دعاهم الى العناية به حاجتهم الى التناصر بالعصبية : لكثرة حروبهم ، وتفرق قبائلهم وأنفقتهم من أن يكون لغريب عنهم سلطان عليهم ، وحبهم الافتخار بأسلافهم ، ولذلك كانوا يحفظون أنسابهم ، ويروونها أبناءهم ، ويحافظون عليها جهدهم . ومن اشتهر بمعرفة أنساب العرب دغفل بن حنظلة الشيباني وزيد بن الكيس النمرى ، وابن لسان الحمرة

الاخبار والتاريخ والقصص — هي معرفة أحوال السابقين ، وكانوا يعرفون ^{الاخبار والتاريخ}

منها ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاورهم من الأحوال الماثورة ، ووقائع أيامهم المشهورة ، وهي كغيرها من أخبار الأمم القديمة بعضها صحيح وبعضها حديث خرافة . وقد جاءنا منها شيء ليس بالقليل في شعرهم ونثرهم وأمثالهم : كقصص الفيل ، وحرب

(١) جمع عقار ككتان وعقير كسكيت ما يداوى به من نبات وغيره

(٢) العزائم جمع عزيمة من عزم الراق على الداء والجن والارواح كأنه أقسم عليها ، والرقى

جمع رقية وهي ما يتلوه الشخص في ذلك

(٣) صناعة الحجام ، والحجم مص الدم من المريض بأداة تسمى المحجم

داحس والغبراء ، وحرب البسوس^(١) ، ويوم ذى قار^(٢) ، وحرب الفيجار

وصف الأرض — هو معرفة كل بقعة وما يجاورها وكيف يهتدى إليها .

ومن قرأ شعر العرب في نسيبهم ، واطلع على وصف أطلالهم^(٣) ودمنهم^(٤) .

ومصايفهم ومرابعهم ، وكيف كانوا يحدّون الحقيير منها بحدود قلما تُحدّ بها مملكة

عظيمة — عرف شدة حذقهم بمعرفة بلادهم ، مما كان له الفائدة الجلّى في إمداد علم

وصف الأرض (الجغرافية) بمواضع بلادهم وطبائعها

الفراصة — هي الاستدلال بهيئة الانسان وشكله ولونه وقوله على أخلاقه

وفضائله ورذائله . وقد نبع فيها من العرب من لا يحصى عددهم ، ولهم في ذلك نواذر

شيء^(٥)

القيافة — ضرب من الفراصة منشؤه قوة الخيال والحافظة والذكاء : وهي

الاهتداء بآثار الأقدام على أربابها ، أو الاستدلال بهيئة الانسان وأعضائه على نسبه ،

وربما خصوا النوع الأول باسم القيافة ؛ وللعرب في ذلك أمور تكاد تدخل في عداد

(١) هي حرب دامت بين بكر وتغاب أربعين سنة ، وسببها أن رجلا من قبيلة جرم نزل ضيفا على البسوس التميمية خلة جساس بن مرة البكرى ، وللجرمي ناقة أخذت ترعى مع ابل كليب سيد تغاب ، وكان جبارا يحبس أرضه أن ترعى فيها ابل غيره ، فبصر بناقة الجرمي بين ابله فرماها بسهم في ضرعها فوات تصيح الى فناء صاحبها ، فاستغاث بأمر مثنوا البسوس فصاحت : واذا له ، فانتز جساس قمره من كليب وقتله غيلة ، فنشبت الحرب بين القبيلتين

(٢) موضع بقرب الكوفة كان به يوم لبنى شيبان وعجل على الفرس ، وهو أول يوم انتصف فيه العرب من العجم

(٣) الطال الشاخص من الآثار (٤) الدمن جمع دمنة وهي آثار الداس وما سودوه بالرماد

والسرجين (٥) منها أن أولاد نزار ذهبوا الى الافعى الجرهمي ليحكم بينهم في ميراث أبيهم وبينما هم في الطريق اذ رأى مضر كلاً قد رعى فقال ان البعير الذي رعى هذا أعور ، فقال ربيعة هو أزور ،

وقال اياد هو ابتر ، وقال أنمار هو شرود وبعد قليل لقيهم رجل ينشد بعيره فوصفوه كما تفرسوا

فتناق بهم وذهبوا الى الافعى الجرهمي فقال كيف وصفتموه ولم تروه ، فقال مضر رأيت اية رعى جانباً

ويترك آخر فعرفت أنه أعور ، وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدته فعرفت أنه أزور ، وقال اياد رأيت بصره مجتمعا فعرفت أنه ابتر ، وقال أنمار رأيت رعى المكان الملتف

ثم يجوزوه الى غيره فعرفت أنه شرود . فقال الجرهمي لصاحب البعير اطلب بعيرك من غيرهم . ثم قال لهم انتحاجون الى وانتم كما أرى ؟

المستحيلات، فقد كانوا يميزون بين أثر الرجل والمرأة، والشيخ والشاب، والاعمى والبصير، والاحق والكيس، وإذا نظروا عدة أشخاص ألحقوا الابن بأبيه والاخ بأخيه، والقريب بقريبه، وعرفوا الاجنبي من بينهم — ومن اشتهر بالقيافة بنو مدلج^(١)، وبنو لُهب^(٢). ولا يزال هذا العلم باقياً عند عرب البوادي الى الآن

الكهانة والعرافة — وهما القضاء بالغيب، وربما خُصَّت الكهانة بالأُمور الكهانة والعرافة

المستقبل والعرافة بالماضية، وطريقهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية: لما بينهما من المشابهة الخفية، أو المناسبة البعيدة، أو الارتباط الدقيق، ويحتاج صاحبها الى كثرة التجارب وحدة الذكاء وصدق الفراسة وللدرب في الكهانة اعتقاد عريض: لزعمهم أنهم يعلمون الغيب، فيرفعون اليهم امورهم للاستشارة، ويستقضونهم في المصومة، ويستفسرونهم عن الرؤى، ويستطبونهم في امراضهم. ومن اشتهر من الكهانة شق أنمار وسطيح الذئبي، ومن الكواهن طريفة^(٣) الخير، وسامى^(٤) الحمدانية، ومن العرافين عراف نجد: الأبلق الأسدي، وعراف اليمامة: رباح بن عجلة

الزجر — وهو الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وسائر أحواله على الزجر الحوادث بقوة الخيال والاسترسال فيه. ومن أشهر الزجَّارين بنو لُهب وأبو ذؤيب الهذلي ومرة الأسدي

ومن العرب من لم يعبا بالزجر وما شاكاه كالمِرْقَش الشاعر ولبيد بن ربيعة، ومن قوله في ذلك:

لَعَرَّكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ^(٥) بِكَأَحْيٍ وَلَا زَايَجَاتِ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ

(١) قبيلة من كنانة (٢) بطن من الازد (٣) زوج عمرو بن عامر مزيقياء: احد ملوك اليمن (٤) بنت سيد همدان (٥) الطريق بالمعنى هو ضرب المعنى بهضه ببعض والقوة للنظر فيه كما يفعل بعض النساء بالودع

النظم

الشعر والشعراء

* الشعر *

النظم هو القسم الثاني من قسمي الكلام . وعرفه العربُويون بأنه الكلام الشعر الموزون المقفى قصداً ، ويرادفه الشعر عندهم . أما المحققون من الأدباء فيخصّون عند العرب الشعر بأنه الكلام الفصيح الموزون المقفى المعبر غالباً ^(١) عن صور الخيال البديع . واذ كان الخيال أغلب مادته أطلق بعض ^(٢) العرب تجوزاً ^(٣) لفظ الشعر على كل كلام تضمن خيالاً ولو لم يكن موزوناً مقفى . وهو يوافق رأي قدماء الأفرنج ومُحدثيهم في شعرهم ، ورأي الناطنة أيضاً : لأن المنطق مستمد من اليونان . ^(٤)

تأثير الشعر
ولجزيه وفق النظام الممثل في صورة الوزن والتقفية ، وظهوره في حُلل الخيال الرائع ، كان تأثيره في النفس من قبيل إثارة الوجدان والشعور ، بسطاً وقبضاً وترغيباً وترهيباً ، لا من قبيل إقناع الفكر بالحجة الدامغة ، والبرهان العقلي . ولذلك يَجْمَلُ أثره في إثارة العواطف وتصوير أحوال النفس ، لافي الحقائق النظرية . ولا ريب أن النفس ترتاع بصور المحسوس الباهر ^(٥) وما انتزع منه من الخيال الجلي ^(٦) خلفه

(١) وقد يبر به عن الحقائق النابتة من غير مدخل للخيال فيها كآيات الحكم والمواعظ والامثال
(٢) فقد قال حسان لابنه (شعر ورب الحكمة) حينما سمعه يصف الحيوان الذي اسمعه بقوله :
« كأنه ملثف في بردى حبرة » ومن هذا تسمية بعض علماء الأدب عندنا النثر المسجوع المعتمد على الخيال من مثل مقامات الهذلي والحريري ، ورسائل القاضي الفاضل ، وتسميم العبا شعراً منشوراً . وأما تسمية بعض المعاندين من كفار العرب القرآن شعراً والنبي شاعراً ، فذلك من باب العناد أو الحيرة والدهشة : لانهم كما سموه شعراً سموه سحراً وكهانة وقصصاً لأساطير الأولين
(٣) من باب اطلاق الجزء على الكل (٤) ومن هنا يظهر وجه شبهة بعض كتاب عصرنا من درس أدب لغة الأفرنج في خطتهم بين مذهب القوم ومذهب العرب في الشعر الحقيقي (٥) بهره غلبه اما بقوته وشدته واما بحسنه وجماله (٦) أي في الحسن أو القبح

مؤننه عليها ، وراحته لها من المعاناة والكدة ، فكيف اذا انضم الى ذلك نعم الوزن والقافية الشديد الشبه بتأثير الإيقاع ^(١) والتلحين ^(٢) الذي يطرب له الحيوان بلة الانسان

والعرب بنظرهم مطبوعون على الشعر : لبداوتهم ، وملاءمة بيتهم لتربية الخيال ، فالبدوي الحرية واستقلاله بأمر نفسه ، وعدم خضوعه لسيطرة مدلة ، أو لقوانين نظرية ، أو سلطان قاهر ، يغلب على أحكامه الوجدان ، ويسلك اليه من طريق الشعور ، ومعيشته فوق أرض نقية التربة ، مبسوطة الرقعة ، مجلوة الآفاق ، وفيرة الوحش والطير ، وفي جو صحيح الهواء ، وتحت سماء صافية الأديم ، ساطعة الكواكب ، صاحبة الشمس ، سافرة البدر ، جلت لحية مناظر الوجود ، وعوالم الشهود ، فكان خياله من ذلك مادة لا يغور مأوها ، ولا ينضب معينها ، فهم بها في كل واد ، وأفاض ^(٣) منها الى كل مراد ، وكان له من لغته وفصاحة لسانه أقوى ساعد ، وأكبر معاضد

ويشعر الانسان بطبعه أن الشعر متأخر في الوجود عن النثر ضرورة تأخر المقيد عن المطلق . وإن كانت واسطة بين النثر المرسل والشعر ، فليست الا السجع : لما فيه من معادلة المنقر ، والتزام القافية ، والميل الى التغنى به ، كما يشاهد ذلك في صغار الصبيان ، فيظن أن متغنياً بسجع وقع له سجتان متوازتان وزناً سهلاً (قيل إنه الرجز) فأعجبه ذلك ومضى فيه ، وتمت له قطعة من الشعر ، رآق من سمعها ، وحاكوه فيها ، وتغنوا بها ، فكان من ذلك المقطعات ^(٤) والاراجيز الصغيرة ، يحدون بها الابل ، ويعددون بها المكارم . ثم لما تمت ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أغراضه أمامهم ، نوعوا الأوزان وأطالوا القوافي ، وقصّدوا القصيد ولبعد العهد بقدمااء الحضر من العرب ، ومكان الأمية من بدوهم ، خفي علينا

(١) الإيقاع تبين الالمان وضبط نسبها (٢) التلحين الصوت المصنوع بكيفية خاصة

(٣) اندفع وأسرع (٤) المفظة ما دون القصيدة من الايات ، والقصيدة على أرجح الأقوال

ما بنيت من سبعة أبيات فصاعداً

— كما كثرت الأسماء — مبدأ قول الشعر، وأول من قلده، بل لم يبلغنا مما قيل منه في تلك العصور الغابرة والقرون الطويلة الخالية شيء، حتى كان منتصف القرن الثاني قبل الهجرة، فرؤى لنا منه قُلٌّ من كثرة أدركه رواة اللغة ودَوَّنُوهُ قبل أن يبيد كما باد سلفه. أما ما نسب من الشعر الى آدم^(١) وإبليس^(٢) والملائكة^(٣) والجن^(٤) والعرب البائدة^(٥)، فهو حديث خرافة مدسوس على أهل الغفلة من الرواة: لسخافة نسجه، وركاكة^(٦) لفظه، وبذاذة^(٧) معناه؛ ولأن لغة هؤلاء غير لغة مضر المنظوم بها هذا الشعر، وإنما ساقهم الى ذلك ما رأود في طبائع الناس من ميلهم الى معرفة الجبول. وشغفهم بالغريب، واسترسالهم في الخيال

والشعر الذي صحت روايته منذ أواسط القرن الثاني قبل الهجرة ينتهي أقدم مطولاته الى مهمل بن ربيعة، وأقدم مقطعاته الى نضر العليم لم يبعدوا عنه طويلاً، مثل العنبر بن عمرو بن تميم، ودؤيد بن زيد بن نهد — واعتذر بن سعد بن قيس عيلان، وزهير بن جناب الكلابي، والأفوه الأودي، وأبي ذؤاد الإيادي

وتدروا أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وأن أول من تصد القصائد وذكر الوقائع المهمل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب؛ فهو أول من رويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً، وتبعه الشعراء: مثل امرئ القيس، وعنقة، وعبيد: ممن أخرجوا لنا الشعر العربي في صورته الحاضرة. والمعتول أن هذه الصورة لم تنشأ كل طرفة: في تنوع الأوزان، وطول القوافي، وتعدد الأغراض واختلاف الأساليب، وبراعة الاستعارة، وروعة التشبيه، ودقة الكناية، على يد مهمل وأمرئ القيس وطرفة وأمثالهم؛ بل لا بد من أن يكون

بدء
الشعر
الصحيح

تقصيد
القصائد

تدرج
الشعر

(١) كالقطعة التي أولها: تنيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

(٢) د د د تنج عن البلاد وساكنيها في الفردوس ضائق بك النسيح

(٣) كفولهم: لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى الذهاب

(٤) د الخير ابق وان طال الزمانه والشر أخت ما أوعيت من زاد

(٥) وقال مرثد بن سعد: زعموا أنه من اصحاب هود: عصت طادرسولهم وأمسوا

(٦) ضنف (٧) البذاذة سوء الحال وراثثة الهيثة عطاشا ما تباهم السماء

هؤلاء قد سبقوا بأقوام نقلوا الشعر من السجع الى الرجز ، ومن المقطعات الى القصائد ، وقالوه في غرض واحد ، ثم في أغراض شتى ، وهدبوه ورققوه ، وجودوه وهلهله (١) ، قبل مهلهل ببضعة قرون ، يشهد لهذا قول امرئ القيس في شعره :
عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ الْمَحِيلِ (٢) لَأَنَّا (٣) نبكى الديارَ كما بكى ابنُ خِذَامِ (٤)
وقول عنتره :

هل غادر الشعراء من مُتَرَدِّمٍ (٥) أم هل عرفت الدار بعد توهم
وقول زهير :

ما أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا مُعَارَا أو مُعَادَاً مِنْ لَفْظِنَا مَكْرُورَا

يشير الأول الى أن ابن خِذَام وهو رجل من طيء بكى الديار قبله ، ولم يرو الأئمة له شيئاً ، ولا سمعوا عنه تنويهاً في غير هذا البيت ، ويعدُّ الثاني نفسه مُحَدَّثًا قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً ، وهو (كما يقولون) ممن عاشر امرأ القيس ، ويشير زهير الى أن كثيراً من أقوال الشعراء مستعار من غيرهم ومع قصر عهد الشعر الجاهلي المروى لنا الذي لم يطل أجله الى أكثر من قرن ونصف ، وموت الكثير من حفظته في المغازي والفتوح الاسلامية ، ألم الأئمة فيه بشعر كثير من الشعراء حتى قيل ان بعضهم (٦) كان يحفظ عشرات الألوف من قصائده وأراجيزه ، مما لم يؤثر عن أمة من الأمم (فيما نعلم)

وما أربى العرب على غيرهم في قول الشعر إلا لأنهم قوم أميون ، لم يرجعوا في تدوين حكمتهم ، وتخليد ما نزلهم ، الى رَقْمٍ في رَقٍّ ، أو نَقْرِ في حجر ، فكسبهم ذلك التأنيق في الكلام ، وجودة الحفظ ، ومُعَانَاة الرواية ، ولا تتمثل هذه الأمور في أمثل من الشعر ، فاتخذوه كما قال الجُمُحِيُّ « ديوان علمهم ، ومنتهى حكمتهم ،

(١) هلهل النواج الثوب نسجه رقيقاً ، ولقب الشاعر بمهلهل لانه أول من رفق الشعر على زمهم
(٢) المنفرد (٣) لاننا لغة في لعلنا (٤) ككتاب شاعر جاهلي قديم (٥) تردم الثوب رقبه ، وكلامه وشعره تتبعه حتى أصلحه وسدّ خلله ، أي لم يترك السابق من الشعراء للاحق منهم شيئاً يحتاج الى الاصلاح
(٦) كحماد والاصمعي وخلف وأبي عمرو الشيباني وأبي بكر الحواري وغيرهم

به يأخذون ، وإليه يصيرون ، « وأحلوه من الاعتبار في الغاية ، ومن الرعاية في الذروة . وكانت القبيلة يرفعها البيت من الشعر ، ويخفضها الآخر ^(١) هذا مجمل ما يتعلق بحقيقة الشعر ونشأته في الجاهلية ، أما ما يتعلق بمادته وجوهره ، فانه يرجع الى الأمور الآتية :

(أولاً) - أغراضه وفنونه . (ثانياً) - معانيه وأخيلته . (ثالثاً) - ألفاظه وأساليبه . (رابعاً) - أوزانه وقوافيه

(١) أغراضه وفنونه

نظم العرب الشعر في كل ما أدركته حواسهم ، وخطر على قلوبهم : مما يلائم بيئتهم ، وينتظم مع تنشئتهم . ويضيق المقام عن سرد الكثير من فنون الشعر وأغراضه عندهم ، وانما يجمل الالمام بأشهرها ، وهي :

النسيب — ويسمى التشبيب ، وطريقه عند الجاهلية يكون بذكر النساء ودواحيه

(١) فمن ذلك في الجاهلية قصة الاعشى الشاعر مع آل الحاق وسندكرها بعد . وقصة حسان مع بني عبد المदान وذلك أنه مجاهم بقوله :

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ جسم البغال وأحلام المصافير
فقالوا له والله يا أبا الوليد لقد تركتنا ونحن نستحي من ذكر أجسامنا بعد ان كنا نفخر بها
فقال لهم سأصلح منكم ما افسدت ، ثم قال :

وقد كنا نقول اذا رأينا لدى جسم بعد وذى بيان
كأنك أيها المظي لساناً وجها من بني عبد المदान

وفي الاسلام قصة الحطيئة مع بني أنف الناقة ؛ وقد كانوا يديرون في الجاهلية هذا الاسم حتى قال فيهم الحطيئة :

(قوم هم الانف والاذناب غيرهم) ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا
فما هذا الاسم شرقاً لهم وفخرأ فيهم

وقصة جرير مع بني نمير أشراف قيس وذواثبها وذلك أنه قال فيهم :

ففض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

فما بقي نميرى الا طأطأ رأسه وانتسب عامراً ، بعد ان كان اذا سئل « ممن الرجل ؟ » فخم لفظه ومدّ صوته وقال « من بني نمير »

ومحاسنهن^(١)، وشرح أحوالهن : من ظعنهن وأقامتهن^(٢)، ووصف الأطلال والديار بعد مغادرتهن^(٣)، والتشوق اليهن بجنين الإبل، وغناء الحمام^(٤)، ولمع البروق وكوُح^(٥) النيران، وهبوب النسيم، وبذكر المنازل والمياه التي نزلها^(٦) والرياض التي حللتها^(٧)، ووصف ما بها من خزان^(٨)، وبهار^(٩)، وأقحوان^(١٠)، وعَرَّار^(١١). وكانوا لا يعدُّون النساء إذا نَسَبوا، وكان للنسيب عندهم المقام الأوَّل من بين أغراض الشعر، حتى لو انضم إليه غرض آخر، قدم النسيب عليه، وافتتح به القصيد : لما فيه من لهو النفس، وارتياح الخاطر، ولأنَّ باعثه الفدَّ^(١٢) هو الحب، وهو السر في كل اجتماع إنساني، والبدوأ أكثر الناس حبًّا : لفراغهم وتلاقي قبائلهم المختلفة في المصايف والمرايع، فإذا ما افترقوا ذكر كلُّ أليف إلفه، وحبَّيب حَبَّبه، ثم إذا عاودوا تلك الأماكن مرة أخرى، هاج أشجانهم، وجدَّد الذكرى فيهم ما يرونه من آثار أحبابهم وأطلال منازلهم

الفخر — وهو تمدُّح المرء بخصال نفسه وقومه، والتحدُّث بحسن بلائهم ^{الفخر} ^{والحماسة} ومكارمهم وكرم عنصرهم، ووفرة قبيلهم، ورفعة حسبهم ونسبهم، وشهرة شجاعتهم

(١) قال النابغة : بيضاء كالشمس وافت يوم أسعدها لم تؤذ أهلا ولم تفحش على جار والطيب يزداد طيبا إن يكون بها في جيد واضحة الحدين ممطار
(٢) الظمن الرحيل قال زهير :

تبصر خليلي هل ترى من ظمائن تحمان بالدياب من فوق جرثم
علون بأعماط عناق وككة وراذ حواشيهام مشاكهة الدم

(٣) قال عنتره : حبيت من طال تقادم عهده اقوى واقتر بعد أم الهيثم
وقال زهير : وقتت بهامن بعد عشرين حجة فلا يا عرفت الدار بعد توهم

اناقى سعفا في معرس مرجل ونؤيا كعجذم الحوض لم يتثلم
(٤) قال النابغة : اذا تغنى الحمام الورق هيجنى وان تغربت هنا ام همار

(٥) مصدر لاح بمعنى بدا ولمع

(٦) قال زهير : بكن بكنورا واستعحرن بسحرة فهن ووادي الرس كاليد للفم
فلما وردن الماء زرقا جامه وضمن عصي الحاضر التخيم

(٧) انظر نماذج الوصف (٨) نبت برى زهره أطيب الازهار نفحة (٩) نبت طيب الرائحة زهره أصفر اكبر من زهر البابونج (١٠) البابونج البري (١١) بهار البر (١٢) الفرد

المدح — وهو الثناء على ذى شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية : كرجاحة العقل والعفة والعدل والشجاعة وأن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه ، وتعداد محاسنه الخلقية كالجمال وبسطة الجسم . وشاع المدح عند ما ابتدئ الشعر واتخذ الشعراء مهنة . ومن أوائل مدحهم زهير والنابعة والأعشى

الرثاء — وهو تعداد مناقب الميت، وإظهار التفجع والتلّف عليه. واستعظام المصيبة فيه . ومن عادات الجاهلية في الرثاء كما قال ابن رشيق ^(١) في كتابه العمد «ضربُ الأمثال بفناء الملوك العظام، والممالك الكثيرة، والأُمم القوية، والوعول ^(٢) المتنتعة في قُلل الجبال ، والاسود الخادرة ^(٣) في الغياض ^(٤) ، وبجمر الوحش المنصرقة بين القفار ، وبالنسور والعقبان والحيات لبأسها وطول أعمارها »

الهجاء — هو تعداد مثالب المرء وقبيله ، ونفى المكارم والمحاسن عنه . وكانت العرب في بدء أمرها لا تفحش في هجوها ، وتكتفى بالتهمك بالمهجو والتشكك في حقيقة حاله ^(٥) ، ثم أقذع ^(٦) فيه بعض الاقذاع المحترفون بالشعر، وحا كلهم السفهاء في ذلك

الاعتذار — هو درء الشاعر التهمة عنه ، والترفق في الاحتجاج على براءته منها ، واسمالة قلب المعتذر اليه ، واستعطافه عليه . والنابعة في الجاهلية فارس هذه الحلبة ^(٧)

الوصف — هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع: لاحتضاره في ذهن السامع كأنه يراه أو يشعر به . وهذا هو الأصل الذي جرى عليه أكثر العرب قديماً ، وقد يبالغ فيه : تهويل أمره ، أو تملّحه ، أو تشويهه ، أو نحو ذلك

(١) هو الحسن بن رشيق القيرواني من أدباء إفريقية توفي سنة ٤٦٣ هـ (٢) جمع وعمل وهو تيس الجبل (٣) المستنرة (٤) جمع غيضة وهي الاجمة والشجر المجتمع في مفيض ماء (٥) كقول زهير : وما أدري ولست أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء (٦) الغش (٧) جماعة الخيل المتسابقة

فيكون منه المقبول والمقوت . ولا سبيل الى حصر ضروب الوصف عند العرب ؛ فانهم وصفوا كل ما رأوه أو عانوه أو خالط نفوسهم : فوصفوا من الحيوان الابل^(١) ، وافتنوا في ذلك بما لم تفقه فيه أمة في وصف نفيس لديها . ومن أبلغ وُصَافِ الابل طرفة - ووصفوا الخيل^(٢) في ضروب خلقها وأحوال سيرها . ومن أشهرهم في ذلك امرؤ القيس وأبو ذؤاد الأيادي ووصفوا منه أيضاً كواسر السباع ، وأوابد الوحوش^(٣) ، وجوارح الطيور وصادحها^(٤) ، وخشاش الأرض وهوامها^(٥) ، ووصفوا من النبات ضروبه وشيائه ، ومن السماء نجومها وكواكبها ، وسحابها وبروقها ، وأنواءها وأمطارها^(٦) ، ومن الأرض سهلها وجبلها^(٧) ، ومرابعها ومصايفها ، وخاصة الديار والأطلال ، وتعفية الرياح والأمطار لآثارها ، والدِّمَن وتشبيها أحياناً برقم الكتب ، وصحائف الرهبان ، وبالوشم على ظاهر اليد ، وبالثوب الخلق أو المرقم ، ونحو ذلك^(٨)

- (١) قال عنترة : هل تلبني دارها شديدة
خطارة غب السرى زيافة
لمنت بحروم الشراب مصرم
تطس الاكام بوخذ خف ميثم
- (٢) انظر نماذج الوصف
- (٣) قال امرؤ القيس : فمن لنا سرب كان نعاجه
فأدبرن كالجزع المنفصل بينه
هذاري دوار في ملاء مذيل
بحيد معم في العشرة مخول
فألقنا بالهاديات ودونه
جوارحها في صرة لم تزيل
- (٤) وقال أيضاً : كان مراكبي الجواء غدية
صبغن سلافا من رجب مقلقل
- (٥) حشرات الارض مالا دماغ له من هوامها (والهوام) جمع هامة وهي كل ماله سم يقتل
وقال شاعر جاملي يصف افعى :
وبدير عيناً للوقاع كنها
وكان شديقه اذا استمرضته
سمراء طاحت من نفيس برير
شدقا عجوز مضضت لظهور
- (٦) انظر نماذج الوصف
- (٧) قال امرؤ القيس : كان ثبيرا في عرايين وبله
لحولة اطلال بيرقة شهيد
- (٨) قال حاتم : اتعرف اطلالا ونزيا مهديما
وقال صبيد : مثل سحق البرد في بعدك
ونال امرؤ القيس : قفانك من ذكرى حبيب وعرفان
أت حجاج بعدى عليها فاصبحت
كبير اناس في بجاد مزمل
تلوح كباق الوشم في ظاهر اليد
كخطك في رق كتابا منمنما
تطر منمنا وتأويب الشمال
درسم عفت آياته منذ أزمان
كخط زبور في مصاحف رهبان
(الوسيط م — ٧)

ووصفوا جمال الانسان وأخلاقه وطباعه وأحواله في الظعن والاقامة وأفعاله
في قتاله ونزاله ، ودفاعه بمختلف سلاحه

هذا وباب الوصف عند العرب أكبر فنون الشعر

الحكمة
والمثل

الحكمة والمثل - وقد تقدّم تعريفهما ؛ وأكثر ما تكون أمثال العرب وحكمها
موجزة متضمنة حكماً مقبولاً ، أو تجربة صحيحة ، تملّحها عليها طباعها بلا تكلف
كتكاف فلاسفة المولدين ، ولا اكثار منها حتى يخرج الشعر بها عن بابه المبنيّ
على الخيال والأوصاف ، وإنما يُؤتى بها في كلامهم كالمسح في الطعام - وأكثر
شعرائها أمثالاً زهير والناطقة

(٢) معانيه وأخيلته

قصدُ الشاعر من شعره الإيانة عما يُخالج نفسه من المعاني في أيّ غرض من
الأغراض السابقة ونحوها ، ومن هذه المعاني : ما هو فطريّ في الناس متأصل
في نفوسهم ، فيشترك فيه البدويّ والحضريّ والعربيّ والعجميّ : كالأخبار
الصادقة ، وأوصاف المشاهدات ، وشرح الوجدانات كما يملحها الخاطر بلا مبالغة ولا
إغراق ، ومنها ما هو غريب نادر انتزعه الخيال من المرئيات البديعة ، والأشكال
المنظمة ، والهيئات المتناسقة ؛ وذلك ما يسمى بالمعنى المخترع ؛ وهو في الفطر السليمة
أنّى ، وللأهم المتحضرة أطوع ؛ وتتفاضل الشعراء بالاجادة فيه والاكثار منه .
وإذا قسنا الشعر الجاهليّ بهذا المقياس وجدنا معانيه وخيالاته تتجلى في الأمور الآتية :

(١) جلاء المعاني وظهورها ، ومطابقتها للحقيقة والواقع

(٢) قلة المبالغة والغلو فيها بما يخرجها عن حدّ العقل ومألوف الطبع

(٣) قلة المعاني الغريبة المنزع ، الدقيقة المأخذ ، المتجلية في صور الخيال البديع ،

والتشبيه الطريف ، والاستعارة الجميلة ، والكناية الدقيقة ، وحسن التعليل ، وغير
ذلك مما لا يهتدى إليه إلاّ بعد التعمّل وكبد الفكر

(٤) قلة تأتقهم في ترتيب المعاني والأفكار على النظم الذي يقتضيه الطبع أو العقل ، بل يرسلونها على ما خيلت نفوسهم ، واستدعته بديهتهم وارتجالهم ، فيدخلون معنى في معنى ، وينتقلون من غرض الى آخر اقتضاباً بدون تحيّل ولا تلطّف ، وربما مهد بعضهم لانتقال الذهن بقوله : دع ذا ، وعدّ عن ذا

(٣) ألفاظه وأساليبه

ولما كانت العرب أمماً بدوية تنظم الشعر بطبعها ، من غير معاناة صناعة ، ولا دراسة علم غاب على شاعرها صراحة القول ، وقلة المواربة فيه ، والبعده عن التكلف وصحة النظم والوفاء بحق المعنى ، أضف الى ذلك الأمور الآتية :

(١) جودة استعمال الألفاظ في معانيها الموضوعية لها : لاحاطة علمهم بلغتهم ومعرفتهم بوجوه دلالتها

(٢) غلبة استعمال الألفاظ الجزلة

(٣) استعمال الألفاظ العربية التي هجرت عند المحمدين ، إما لقلة استعمال مدلولها أو للاقتصار على مرادف لها أسهل منها

(٤) القصد في استعمال ألفاظ المجاز

(٥) مقت استعمال الأعجبي إلا ما وقع نادراً على سبيل التلميح والتظرف في مثل شعر الأعشى^(١)

(٦) عدم تعمد المحسنات البديعية مثل الجناس ، والمقابلة ، والمطابقة ، وما شاكلها

(٧) متانة الأسلوب بحسن ايراد المعنى الى النفس من أقرب الطرق اليها وأطر فيها لديها : كتجاهل العارف ، ومخاطبة الديار والأطلال

(٨) إيثار الایجاز إلا اذا دعت الحال

(٤) أوزانه وقوافيه

الحق أن العرب لم تعرف موازين الشعر بتعلم قوازين صناعية ، وتعرف أصول
وضيعة ، وإنما كانت تنظم بطبعها على ما يهيمه لها انشادها وتغنيها وحدأوها .
وقد هدتهم هذه النظرة الى أوزان أرجعها الخليل ^(١) الى خمسة عشر وزناً سماها
بحوراً ، وزاد عليها الأخنش ^(٢) بحراً . وقد أكثروا النظم من بعضها دون بعض
بل إن بعضهم كان يكثر النظم من بحر دون آخر . وشعر العرب رجزه وقصيده
يبنى على قافية واحدة كيفما طال القول

نماذج من الشعر الجاهلي في الاغراض الآتية :

الحماسة — قال المرقش الأكبر : عمرو بن سعد

ان تبتدر ^(٣) غايه يوماً لمكرمة	تلق السوابق ^(٤) منا والمصلينا ^(٥)
وليس بهلك مناسيد أبدأ	الأفتلينا ^(٦) غلاماً سيّداً فينا
انا لثرخيص يوم الرّوع أنفسنا	ولو نسام بها في الأمن أغلينا
شعث مقادُنا نهى مراجلنا ^(٧)	نأسو بأموالنا آثار أيدينا ^(٨)
إني لمن معشر أفنى أوائلهم	قيل الحكمة ^(٩) : ألا أين المحامونا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا	من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا
إذا الحكمة تنحوا أن يصيبهم	حد الثّبات ^(١٠) وصلناها بأيدينا
ولا تراهم وان جلت مصيبتهم	مع البكاة على من مات يبكونا
ونركب الكره ^(١١) أحياناً فيفرجه	عنا الحفاظ ^(١٢) وأسياف تواتينا

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي النحوي اللغوي مخترع العروض وستأنى ترجمته

(٢) هو سعيد بن مسعدة النحوي تلميذ سيبويه ، وسيبويه تلميذ الخليل

(٣) أى يجعل اليها (٤) السابق والمجلى من الخليل في الحلبة الذي يحمى أولاً

(٥) المصلى من الخليل التالى للسابق (٦) فطمنا من الرضاع ، أى نشأ فينا بدله

(٧) يريد اصحاب حروب وقرى للضيغان ، والمقادم النواصى

(٨) يريد ترفهم عن القود ورفع اطماع الناس عن مقاصتهم ، والاسو المداواة أى تقتل وندى

(٩) الشجوان (١٠) يريد السيوف لا حدّها (١١) المسكروه (١٢) الدفاع عن المحارم

المدح — قال زهير بن أبي سلمى :

وفيهـم مقاماتٌ حسانٌ وجوههـم وأنديـة ينتابها القول والفعل^(١)
وان جئتـهم ألفت حول بيوتـهم مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل^(٢)
على مكثرهـم رزقٌ من يعترهـم وعند المقلتين الساحة والبذل^(٣)
سمى بعدهم قوم لكى يدركوهـم فلم يفعلوا ولم يليموا^(٤) ولم يألوا^(٥)
فما كان من خير أتوه فانما توارثه آبله آبلهم قبل
وهل يُنبِت الخطيَّ إلا وشيجـه وثُرسُ الأ في منابتها النخل^(٦)
وقال أمية بن أبي الصمّت :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياه
وعلمك بالحقوق وأنت فرعُ لك الحسبُ المهذبُ والسناه
خليلٌ لا يُغيره صباح عن الخلق الجليل ولا مساء^(٧)
وأرضك كلُّ مكرمة بذتها بنو تيم وأنت لها سماء^(٨)
إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرّضه الشاء
تبارى الريح مكرمة ومجداً اذا ما الكلاب أججره الشتاء^(٩)

الرثاء — وقال لبيد بن ربيعة يرثى أخاه أربد :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا والمصانع^(١٠)

(١) جمع مقامة وهي الجماعة يجتمعون في مجلس ، والاندية المجالس ، والانياب القصد الى الموضع والحلول به (أى يبيت فيها الجليل من القول ويعمل به)

(٢) مكثرهم اغنيائهم ، يعترهم يقصدهم . أى ان فقراهم يسبحون ويبدلون جهود طاقتهم واغنياءهم يكفون من يقصدهم (٣) يقوموا في اللوم (٤) يقصروا

(٥) الخطي الخط نسبة الى الخط وهي جزيرة في البحرين ترفأ اليها السفن . والوشيج شجر الرماح واحده وشيجة ، اى لا تنبت القناة الا في شجرها ، ولا ثرس النخل الا بجيث تنبت وتصلح ، والمراد انه لا يلد الكرام الا الكرام

(٦) اشار بالصباح والمساء الى وقتى الضيافة والذارة

(٧) اى تحمي تلك الارض بالغيث في وقت الشدة والمحل (٨) اى ادخله برد الشتاء في ججره

(٩) الباني من القصور والحصون

وقد كنت في أكناف جارِ مَضْنَةٍ ففارقني جارٌّ بأربدٍ نافعٍ ^(١)
 فلا جَزَعٌ أن فرَّقَ الدهر بيننا ؛ فكل امرئ يوماً به الدهر فاجع ؛
 وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم خلَّوها وراحوا بلاقعٍ ^(٢)
 وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور ^(٣) رماداً بعد اذ هو ساطع
 وما المال والأهلون إلا ودائعٌ ولا بد يوماً أن تُردَّ الودائع
 وما الناس إلا عاملان : فعامل يتبر ^(٤) ما بيني وآخرُ رافع
 فمنهم : سعيد أخذ بنصيبه ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانع
 الهجاء — قال يزيد بن قنافة يهجو حاتمًا :

لعمري وما عمري على بهين لبئس الفتى المدعو بالليل حليم
 غداة أتى كالثور أخرج ^(٥) فاتقى بحبيته أقتاله ^(٦) وهو قائم
 كأنَّ بصحراء المريط ندامةً تبادرُها جنح الظلام نعام
 أعارتك رجلتيها وهافي ^(٧) لُبها وقد جردت بيض المتون صوارم
 وقال قريط بن أنيف أحد شعراء بلعُزْبَر يهجو قومه ويرميهم بالجن عن دفع
 المغيرين عليهم ويتهم بهم :

لو كنت من مازن ^(٨) لم تستبح ^(٩) ابلي بنو اللَّقيطة من ذهل بن شيبانا
 لكن قومي وإن كانوا ذوى عدَد ليسوا من الشرِّ في شيء وإن هانا
 يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفَرَةً ومن إساءة أهل السُّوء إحسانا
 كأن ربك لم يخلق نخشيتَه سواهم من جميع الناس إنسانا
 فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شدوا ^(١٠) الاغارة فرسانا وركبانا ^(١١)

(١) أكناف ظلال ، جار مضنة يضمن به ويتنافس فيه ، بأربد أى هو أربد (٢) البلقع الأرض القفر والجمع بلاقع وهي خبر لمبتدأ تقديره هي (٣) يرجع (٤) يهلك ويهدم (٥) ضيق عليه وأخرج عن عاتقه (٦) الاقتران والاعداء ، يقول متهمًا جاء كالثور الهائج مغضبا فلما جاء وقت القتال انهزم (٧) خافق قلبها واراد نفي العقل عنه ؛ يقول لما انهزم كان نعمة تسابقها نعام إلى اداحيها اعارت حاتمًا رجايها فكان اسراعه في العدو اسراعها (٨) مازن تميم (٩) الاستباحة اخذ الشيء مباحا (١٠) حملوا (١١) الاغارة مفعول لاجله

الاعتذار — قال أعشى قيس يعتذر الى أوس بن لام^(١) عن هجائه إياه :

واني على ما كان مني لئام^(٢) واني الى أوس بن لام لئام
واني الى أوس ليقبل عذرتي^(٣) ويصفح عني (ما حييت) لراغب
فهب لي حياتي فالحياة لقائم بشرك فيها خير ما أنت واهب
سأحمو بمدح فيك اذ أنا صادق كتاب هجاء سار اذ أنا كاذب
وقال النابغة الذبياني :

نبئت أن أبا قابوس^(٤) أوعدني^(٥) ولا قرار على زار^(٦) من الأسد
مهلاً فداء لك الأقوام كلهم وما أنمر^(٧) من مال ومن ولد
فلا لعمر الذي طيفت بكعبته وماهريق على الانصاب من جسد^(٨)
والمؤمن العائدات الطير يمسحها ركبنا مكة بين الغيل^(٩) والسند^(١٠)
ما قلت من سيي مما أتيت به اذن فلا رفعت سوطي الى يدي
اذن فعاقبني ربي معاقبة قرّت بها عين من يأتيك بالحسد
الوصف — قال امرؤ القيس يصف فرسه :

وقد أغتدى والطير في وكنائها^(١١) بمنجرد^(١٢) قيد الأوابد^(١٣) هيكل^(١٤)
مكر مفر^(١٥) مقبل مدبر معاً كجملود^(١٦) صخر حطه السيل من عل
وقال عبيد بن الأبرص يصف الغيث :

فسق الزباب مجلجل^(١٧) أكناف لماع بروق^(١٨)
جون^(١٩) تكفكه^(٢٠) الصبا وهنا^(٢١) وتمريه^(٢٢) خريقه^(٢٣)

(١) بنو لام من طي (٢) عذري (٣) كنية النعمان بن المنذر (٤) هددني (٥) صوت
(٦) اجمع (٧) هريق : صب . الانصاب : الاصنام . جسد : دم (٨ - ٩) نوعان من الشجر
(١٠) الوكنات أعشاش الطير (١١) ماض في السير (١٢) الوحوش (١٣) طويل
(١٤) السكر الهجورم والفر الهرب وفرس مكر مفر جيدهما (١٥) الحجر العظيم
(١٦) سحاب مجلجل مصوت بالرعد (١٧) اسود من تكاثفه (١٨) تدفقه (١٩) الوهن نحو
من نصف الليل أو بعد ساعة منه (٢٠) تدره وتستخرج مائه (٢١) الخريق الريح الباردة
الشديدة الهبابة وهي التي تنزل المطر

مَرَى الْعَسِيفَ ^(١) عِشَارَهُ ^(٢) حتى اذا دَرَّتْ عُرْوَقَهُ ^(٣)
ودنا يَضِيءُ رَبَابَهُ ^(٤) غَابًا يُضَرِّمُهُ حَرِيقَهُ
حتى اذا ما ذَرَعَهُ بالماء ضاق فما يُطِيقَهُ
هَبَّتْ لَهُ مِنْ خَافِهِ رِيحٌ شَامِيَةٌ تَسْوِقُهُ
حَاتَ عَزَالِيَهُ ^(٥) الْجَنُوبَ ^(٦) بَ فَتَجَّ ^(٧) واهيةً خُرُوقَهُ

وقال طرفةً يصف السفينة التي شبه بها الخدوج :

كَأَنَّ خُدُوجَ ^(٧) الْمَالِكِيَّةِ غُدُوَّةٌ خَلَايَا ^(٨) سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ ^(٩) مِنْ دَدٍ ^(١٠)
عَدُولِيَّةٌ ^(١١) أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنْ ^(١٢) يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي
يَشُقُّ حَبَابَ ^(١٣) الْمَاءِ حَيْزُومَهَا ^(١٤) بِهَا كَمَا قَسَمَ التَّرْبُ الْمُفَايِلُ ^(١٥) بِالْيَدِ

وقال عنتره يصف غراب البين :

ظَمَنَ الَّذِينَ فِرَاقَهُمْ أَتَوَقَّعُ وَجَرَى بَيْنَهُمُ الْغَرَابُ الْأَبْقَعُ ^(١٦)
خَرِقَ ^(١٧) الْجَنَاحَ كَأَنَّ لَحْيَ ^(١٨) رَأْسِهِ جَلْدَانِ ^(١٩) ، بِالْأَخْبَارِ هَشَّ ^(٢٠) مُوَلَعٌ

- (١) العسيف الاجير أو العبد المستعان به في الحرب ونحوه
(٢) جمع عشراء كنفساء لفظاً ومعنى أو هي الحامل لعشر أى أن الريح تستخرج الماء من السحاب كما يستخرج العبد الابن من العشار
(٣) أى السحاب (٤) الرباب السحاب الابيض — أى أن السحاب يرسل صواعقه يبرقه فيصيب الغاب فيضيء من الحريق الذي نشب فيه
(٥) جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية ونحوها (٦) نبح الماء سال — والمعنى حتى اذا ضاق السحاب ذرماً بالماء ساقته ريح شامية من الشمال وقابلته ريح باردة من الجنوب غلت أفواهها
(٧) جمع حدج ككثر وهو مركب للنساء كالخفة (٨) جمع خلية كغنية وهي السفينة العظيمة
(٩) الشعاب في الجبال تكون مسايل ومجارى للمياه زمن الامطار (١٠) اسم مكان (١١) أى منسوبة الى عدولى وهي بلدة بالبحرين أو الى عدول رجل كان يتخذ السفن (١٢) ملاح كان يتخذ السفن الكبار (١٣) الموج (١٤) الحيزوم الصدر
(١٥) الفيل لعبة كان يلعبها صبيان الاحراب يخبثون الشيء في التراب ثم يقسمونه بأيديهم وية ولون : في أيهما هو ؟
(١٦) الذي فيه سواد وبياض (١٧) الحرق الذي لا يحسن العمل ، يذمه بأنه ليس حسن الطيران في الخير وانما ينقل أخبار الشؤم (١٨) أصل اللحي عظم الفك الذي تنبت عليه الاسنان من الحيوان والمراد باللحيين في الغراب شقا متقاربه (١٩) الجلطان المقراض يأتي على صورة المفرد والمثنى باعتبار شقبة (٢٠) أى خفيف نشيط فرح بنقل الاخبار ، وكذلك معنى المولع هنا

وقل حسان السعدى يصف القمر :

مهما يكن ريبُ النون فأننى أرى قر الليل المعذب كاللقى
يهلُّ صغيراً ثم يعظم ضوءه وصورته حتى إذا ما هو استوى^(١)
تقارب يخبو^(٢) ضوءه وشعاعه ويمصّح^(٣) حتى يستسر^(٤) فما يرى

وقال عنتره يصف روضة :

ولقد مررت بدار عبلة بعد ما لعب الربيع^(٥) بربعها المتوسّم^(٦)
جادت عليه كل عين ثرة^(٧) فتركن كل قرارة^(٨) كالدرهم
سحاً^(٩) وتسكاباً فسكل عشبة يجرى عليها الماء لم يتصرّم^(١٠)
وخلا الذباب بها فليس يبارح غردا كفعل الشارب المترّم
هزجا^(١١) يحكّ ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد^(١٢) الاجذم^(١٣)

وقال أيضاً فى وصف مبارزه :

ومدجج^(١٤) كرد الكداة^(١٥) نزاله لا تمنن^(١٦) هرباً ولا مُستسلم
جادت له كفى بعاجل طعنة بمثقف^(١٧) صدق الكعوب مقوم
برحبة الفرغين^(١٨) يهدى جرسها^(١٩) بالليل معتنس^(٢٠) الذئاب الضرم^(٢١)
فشكت بالرمح الاصم^(٢٢) ثيابه ليس الكريم على القنا بحرم

(١) استوى بلغ تمامه (٢) يخفى ويحول (٣) يذهب وينقطع (٤) يستتر ويخفى (٥) المطر
(٦) المتفرس فيه أى يتخيل المتوهم موضعه (٧) العين مطر أيام لا يقطع ، والثرة
الكثيرة الماء (٨) القرارة الحفرة (٩) سح المطر وتسكابه : مظه (١٠) لم ينقطع
(١١) كثير الصوت (١٢) أى كقدح الاجذم المكب على الزناد ليوربها . والزناد جمع زند
وهو هود يفرك بالكفين فوق عود آخر من خشب سريع الاحتراق فينتبلان والودود الاسفل
يسمى زنده (١٣) الناقص اليدين (١٤) نام السلاح (١٥) جمع كفى الشجاع المستتر
بالسلاح (١٦) مسرع (١٧) أى بروج معدل صاب الكعوب (١٨) الرحبة الواسعة ، والفرغ
مخرج الماء من الدلو (١٩) صوتها (٢٠) طاب فريسة (٢١) الجياع (٢٢) الصلب — أى انقذت
الرمح فى جسمه وثيابه كلها . وقيل ان معنى الثياب هنا القلب

فتركته جزر^(١) السباع ينشئه^(٢) يقص من^(٣) حسن بنانه والمعصم

الحكم والأمثال - قال طرفة بن العبد :

كلُّ خليلٍ كنتُ خالئته لا ترك الله له واضحة^(٤)
كلهم أروغ^(٥) من ثعلب ما أشبه الميلة بالبارحة !

وقال الأفوه الأودي :

والبيت لا يُبتنى إلا له عمد ولا عماد إذا لم تُرْس أوتاد
فان تجمّع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا
لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّأ لهم سادوا
تبقى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فان تولت فبالأشرار تنقاد

﴿ الشعراء ﴾

شعراء الجاهلية أكثر من أن يحاط بهم ، ومن جهل منهم أكثر من عرف ؛
وانما اشتهر بعضهم دون بعض : لنبوغه ، أو كثرة المروي من شعره ، أو قرب
عهده من الاسلام زمن الرواية ، أو تعصب عشيرته له ، أو عظم جاهه ، أو اشتهاره
بمنقبة أخرى فوق الشعر كالشجاعة والكرم والوفاء ، أو اشتراكه بشعره في حادث
عظيم . وهم بعد متفاوتون في القول قلة وكثرة ، ورداءة وإجادة ، وجفاء ورقة ،
وروية وإرنجالة

سبب
اشتهار
الشاعر

وكان للشعراء عند العرب منزلة رفيعة ، وحكم نافذ ، وساطان غالب ، اذ كانوا
أستهم الناطقة بمكارمهم ومناخرهم ، وأسلحتهم التي يذودون بها عن حياض شرفهم
وبهم كانوا يماجدون ، وينافرون ، ويفخرون . وما كانوا يسرون بشيء أعظم من

منزلة
الشاعر
عند
القبيل

(١) جمع جزرة وهي الشاة المعدة للذبح (٢) يتناولنه (٣) القضم الاكل بمقدم الاسنان
أى ينهشه (٤) الواضحة الاسنان تبدو عند الضحك (٥) راغ الثعلب ذهب يمنة ويسرة في سرعة
خديعة فهو لا يستقر في جهة

سرورهم بشاعر ينبغ فيهم . قال ابن رشيح في العمدة : « وكانت النبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أنت القبائلُ فهنأتها ، وصنعت الأظمة وأنت النساء يامعن بالمزاهر ^(١) كما يصنعون في الأعراس ، ويتباشرون الرجال والولدان لأنه حِمايةٌ لأعراضهم ، وذَبُّ عن حياضهم ، وتخليد لمناخرهم ، وإشادة بذكورهم ، وكانوا لا يهتئون إلا بغلام يؤلد ، أو شاعر ينبغ ، أو فرس تُنتج »

وكانت طريقة نظم الشعر في أكثر الأحوال أن يرتجلوه ارتجالاً ، فتأتيهم طريقة نظم الشعر والنكسب ألفاظه عفواً ، ومعانيه رهواً ^(٢) ، كما وقع للحارث بن حلزة ، وعمر بن كاثوم . أما من اتخذ منهم صناعة يستدرثها ، ومكسباً يستمرئ ، ويلتمس به الجوائز ، وينشده في المحافل والمواقف العظام فانه يُنحى ^(٣) عليه بالتشقيف والتجويد ، والتهذيب والتنقيح : ليجمعه كله متشابهاً في الصنعة متساوياً في الأحكام ، رقيق الحاشية ^(٤) ، حسن الديباجة ^(٥) مُتَخَيَّرَ الألفاظ ، يصح أن يقال فيه : إنه المثل الأعلى للشعر الجاهلي ، كما ترى ذلك واضحاً في حواريات زهير ، واعتذاريات النابغة

وقد غبر الناس دهرًا طويلاً لا يقولون الشعر إلا في الأغراض الشريفة والمقاصد النبيلة ، لا يمدحون عظيمًا طمعاً في نواله ، ولا يهجون شريفاً تشفيًا منه وانتقاماً حتى نشأت فيهم فئة امتهنت الشعر وتكسبت به ، ومدحت الملوك والامراء كالنابغة الذبياني وحسان مع النعمان بن المنذر وملوك غسان ، وزهير بن أبي سلمى مع هرم بن سنان ، وأميمة بن أبي الصلت مع عبد الله بن جدعان : أحد أجواد قريش ، والاعشى مع الملوك والسوقة ، حتى قصد به الاعاجم ، وجملة متجراً يتجر به ، فتحامى الشعر الأشراف وآثروا عليه الخطابة

(١) المزهر ككبر العود يضرب به (٢) سهلة متتابعة

(٣) يقبل عليه (٤) حاشية الثوب جانبه وكلام رقيق الحواشي حسن

(٥) الديباج ثوب من الحرير الخالص ويكوز عادة منقشاً فيستعار للكلام الحسن الزين فيقولون لهذه

القصيدة ديباجة حسنة اذا كانت محبرة منمقة

﴿ طبقات الشعراء ﴾

طبقات الشعراء باعتبار عصورهم أربع :

- (١) طبقة الجاهليين
 - (٢) طبقة المخضرمين : وهم الذين اشتهروا بقول الشعر في الجاهلية والاسلام
 - (٣) طبقة الاسلاميين : وهم الذين نشئوا في الاسلام ولم تفسد سليقتهم العربية ،
وهم شعراء بني أمية
 - (٤) طبقة المولدين ، أو المحدثين : وهم الذين نشئوا زمن فساد العربية ،
وامتزاج العرب بالعجم ، ولو كانت أصولهم عربية بحتة ، وذلك من عصر الدولة
العباسية الى يومنا هذا
- والشعراء الجاهليون يُقسَّمون باعتبار شهرتهم في الشعر الإيجادة أو للكثرة
الى طبقات كثيرة نذكر منها ثلاثاً (١) :

- (١) الطبقة الأولى — امرؤ القيس ، وزهير ، والنابعة
- (٢) الطبقة الثانية — الأعشى ، ولبيد ، وطرفة
- الطبقة الثالثة — عنتره ، وعروة بن الورد ، ودريد بن الصمة ، والمُرَقَّش
الاكبر ؛ على أن كثيراً من الفصحاء والأدباء يقدمون بعض هؤلاء على بعض
ويزيدون غيرهم عليهم : الملائمة شعرهم لأذواقهم وهوى نفوسهم

(١) امرؤ القيس

هو الملك الضِّلِيلُ (١) أبو الحارث حُنْدُج (٢) بن حُجْر الكِنْدِيُّ ، شاعر
اليَمَانِيَّة ، ورأسُ شعراء الجاهلية ، وقائدُهم الى التفتن في أبواب الشعر وضروبه
وآبائِهِ من أشرف كِنْدَةَ وملوكها ، وامه فاطمة بنت ربيعة أخت كُليب
ومُهَلِّم التَّنَبِّيَّين . وكانت بنو أسد من المضربة خاضعةً للملوك كندة ، وآخر
ملك عليهم هو حُجْر أبو امرئ القيس

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بني أسد ، وسلك مسلك المترفين منشؤه
من أولاد الملوك يلهو ويلعب ، ويعاقر (٣) الخمر ويغازل الحسان . وزاد على ذلك أنه
أنفق وقته في التشبيب بالنساء والخروج في ذلك الى حد الصَّراحة في الفُحش ، منصرفاً
عما يأخذ به أمثاله أنفسهم : من الاعتداد للملك وقيادة الشجعان ؛ فمقته أبوه لذلك ،
وزجره عن اللهو والتشبيب بالنساء ، ولما لم ينجع فيه القول طرده عنه وأقصاه .
فالتف عليه بعض صعاليك (٤) العرب وذوئبانهم (٥) وشذاذهم (٦) ، ينزلون المياه
وينعمون ويذبحون ويشربون ويَطْرَبُونَ ، وتقنيهم القيان (٧) . وإنه لكذلك في إحدى
نزلاته بأرض (دَمُون) (٨) يشرب ويلعب التَّرد مع رفاقه إذ جاءه نبأ ثوران بني أسد
على أبيه وقتلهم له : لأنه كان يعسف في حكمه لهم ، ويشتط (٩) عليهم في الإتاوة (١٠)
التي يؤدونها اليه . فلم ينزعج امرؤ القيس للخبر خشية أن ينقص على رفاقه عيشهم .
ثم قال : « ضيعني صغيراً ، وحملني دمه كبيراً ! لاصحو اليوم ، ولا سُكر غداً ،
اليوم خمر ، وغداً امرؤ » وأخذ يجمع العدة ويستنجد القبائل في ادراك ثأره ، فكان
يجيبه بعضها ويعتذر بعضها . فنازل بني أسد وقتل فيهم كثيراً ولم يشف ذلك من

خروجه
في ثأر
أبيه

(١) كسكت الكثير الضلال ، وسمى بذلك لانه كان يتعير في شمره (٢) أصل الحندج الرملة الطيبة
تلبت ألواناً (٣) يلازم ويدمن (٤) فقراء (٥) لصوصهم وصعايلهم (٦) الشذاذ الذين
لم يكونوا في حيزهم ومنازلهم (الشردون) (٧) جمع قينة وهي الامة المغنية (٨) بلدة بمحضر موت من
اليمن (٩) يجور وبظلم (١٠) الحراج

علمته . وكانت في نفس المنذر أحد ملوك الحيرة ، مَوْجِدَّةً ^(١) على آل امرئ القيس :
لأن الحارث جدُّ امرئ القيس زاحم المناذرة ملوك الحيرة عند كِسْرَى في النيابة.
عنه على ملوك الحيرة ، وقت أن شَجَرَ ^(٢) الخلافُ بين المناذرة وكسرى قُبَاذ ^(٣)
فألب المنذرُ على امرئ القيس العرب : من إيلاد وبهراء وتؤوخ ، وأمدّه كسرى
أنوشروان بن قُبَاذ بجيش من الأساورة ^(٤) لرضاه عن آل المنذر ، فلم يكن
لامرئ القيس به طاقة ، وتفرق عنه أصحابه . فجعل يستجير بالقبائل واحدة بعد
واحدة ، وتقع من أجله حروب عدة ؛ حتى نزل على السموؤل فاودعه ابنته ودروعه
وسلاحه ، وطالب إليه أن يكتب له الى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ليوصله
الى قيصر . فلما بلغ قيصر استنصره على أعدائه الذين جلمهم من شيعة المناذرة التابعين
للفُرس أعداء الروم ؛ فأمدّه بجيش لم يفصل ^(٥) به امرؤ القيس عن بلاد الروم حتى
بدا ^(٦) لقيصر ، فاسترجع الجيش ، وقتل امرؤ القيس راجعاً وحده ، واشتد به
في طريقه علة قروح مات منها ودفن بأنقرة . وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن.
شعره — يعتبر امرؤ القيس رأس فحول الجاهلية والمقدم في الطبقة الأولى
من شعرائهم المعروفة أخبارهم ، وهو وإن كان مسبوقةً بمثل أبي ذؤاد الإيادي ،
وخاله مهليل لم يسبقه على مبلغ علمنا الى طرق كثير من أبواب الشعر والافاضة فيه
أحد ؛ فهو أوّل من أجاد القول في استيقاف الصحب ، وبكاء الديار ، وتشبيه النساء
بالظباء والمها والبيض ، وفي وصف الخيل بقيد الأوابد ^(٧) وفي ترقيق النسيب ، وتقريب
مآخذ الكلام ، وتجويد الاستعارة وتنويع التشبيه ، حتى ليُظَنُّ أنه المبتكر لاكثر ذلك ؛

(١) غضب (٢) شجر بينهم الامر اضطرب (٣) هو ابو كسرى انوشروان

(٤) فرسان المعجم وقوادهم (٥) لم يخرج (٦) بداله في الامر نشأ له فيه رأى ، فيضم

الفاعل ويفسر بلفظ البداء أو الرأي ، وقد يظهر الفاعل أحيانا

(٧) الوحوش ، وفرس قيد الاوبد يلحق الوحش لجودته ، وينتفع من الذوت بصرعته ، فكانها

مقيدة له لانمدو

ويغلب على شعره التشبيب والوصف أليم صبوته ^(١) وبث الشكوى من الزمان
وتنكر ^(٢) الخللان زمن محنته

وقد يفتحش في تشبيهه بالنساء وتحدثه عنهن . ويشم من شعره رائحة النبل
وتلمح فيه اشارات السيادة والملك : من ذلك قوله :

فذل العنبري يرتين بلحمها وشحم كبدآب الدِّمَقسِ المفتل ^(٣)

وظل طهاة اللحم من بين منضجٍ صفيفٍ شواء أو قديرٍ معجلٍ ^(٤)

ولو أن ما أسمى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلٌ من المال

ولكنما أسمى لمجد مؤئلٍ ^(٥) وقد يدرك المجد المؤئل أمثالي

وشعره وان اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة ، وخشونة الألفاظ ، وتجهيم
المعاني ، تراه أحياناً يخطر في حُلٍّ من حسن الديباجة ، وبديع المعنى ، ورقة النسيب ،
ومقاربة الوصف ، وسهولة المأخذ : مما كان تلافه منه أجملُ مثال حاكوه في ترقيق شعرهم
وحسن تأتيهم في تصوير معانيه

فمن النوع الأول قوله في وصف محبوبته :

واذ هي تمشي كمشي النزي ف ^(٦) يصرعه بالكثيب البهر

برهره ^(٧) رودة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر

(١) العجوة جملة الفتوة والشباب (٢) التنكر التغير عن حال تدرك الى حال تكرهها

(٣) بقي الدناري اكثر النهار يتعاقب بترامى لحم نافته التي عقرها لمن وبشعرها المكتنز الشبيه
باهذاب الحرير الابيض المفتول (٤) قال هذا البيت بعد ان اصطاد بقر وحش وجلس ينظر
الأكل منه فذكر أنه كان معه في خروجه الى الصيد طباخون يطبخون له انواداً منها الشواء
ومنها ما يطبخ في القدور وذلك غريب في الصحراء ، لا يفعله الا الملوك (٥) مؤصل

(٦) النزف الاستخراج والتزيف المتزف دمه من جراحة . الفرع الطرح على الارض .
الكثيب التل من الرمل ، البهر السلال وانقطاع النفس (٧) البرهرة الرقيقة الجلد ، الرودة
الشابة ، الرخصة الناعمة ، الخرعوبة الفصن ، المنفطر المتشقق الذي خرج ورقه . ومعنى البيت
الاول انه شبه مشية حبيبته بمشية رجل نزف دمه حتى صار لا يقدر أن يسرع المشي لما اصابه
من الضعف خصوصاً اذا كان المكان مما يصعب السير فيه كالشبة الرمال

وقوله في معلقته :

وفرع يُغَشِّي المَنَ أسودَ فالحم
غداثه مستشزرات الى العلا
وكشح لطيف كالجديل مخصر
وتعطو برخص غير شئن كأنه
أثيث كقنو النخلة المتعش كل (١)
تضل المدارى في منى ومرسل (٢)
وساق كانبوب السقي المذل (٣)
أساريع ظبي أو مساويك إسحيل (٤)

ومن الثاني قوله :

كأن عيون الوحش حول خبائنا
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
أغرّك منى أن حبك قاتلي وأنك مها تأمرى القلب يفعل
ولامرى القيس المطولات والمقطعات ، وأشهر مطولاته معلقته المضروب بها
المثلل في الاشتهار ، وأولها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل (٥)

(١) الفرع الشعر التام ، المَن الظهر ، الفاحم الشديد السواد ، الاثيث الكثير ، القنو العذق
(السباطة) المتعشك الكثير الشماريح الداخل بعضها في بعض . يريد تشبيه شعر محبوبته بكباسة
النخل الكثيرة الشماريح

(٢) غداثه ذوائبه ، مستشزرات مرتفعات ، تضل تغيب ، المدارى الامشاط ومفردها مدرى
(٣) الكشح ما بين الحاصرة الى الضلع الخلف ، الجديل زمام يتخذ من سيور ، المخصر الدقيق
الخصر ، والانبوب ما بين المقدين من القصب وغيره . والسقي المذل يعنى البردى المسقى الملين
بالارواء . يريد تشبيه كشح محبوبته بخطام الناقة المتخذ من الجلد ، وساقها بنبابة البردى
المسقية كثيراً

(٤) المعطو التناول ، الشئن الغليظ ، الاساريع جمع اسروع وهو دود يكون في البقل
والاماكن الغدبة ، وظبي اسم مكان ، والاسحل شجرة تدق اغصانها في استواء . يشبه اصابع
محبوبته بهذا الصنف من الدود أو هذا النوع من المساويك

(٥) خرز اسود يخالطه يياض (٦) اردأ التمر (٧) قال ياقوت قال السكرى الدخول
وحومل وتوضح والمقراة مواضع ما بين امرة وأسود العين ، امرة مثل امعة منهل من مناهل حاج
البصرة ، وأسود العين جبل بنجد يشرف على طريق البصرة الى مكة

فَتَوْضِيحٌ فَلِإِقْرَاقٍ لَمْ يَمُفْ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ (١)
ومنها يشكو طول الليل :

وَلَيْلٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُودَهُ عَلَى بَأْنَوعِ الْهَمُومِ لِيَبْنَى (٢)
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمُطِّي (٣) بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا (٤) وَنَاءً (٥) بِكُلِّ كَلٍّ (٦)
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي (٧) يَصُبُّحٌ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ (٨)
فَيَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَانَ نَجُومُهُ بِكُلِّ مُغَارٍ (٩) الْفَتْلُ شَدَّتْ بِيَدِهَا (١٠)
وَمِنْ شَعْرِهِ يَذْكُرُ رَحْلَتَهُ إِلَى قَيْصَرَ مَعَ صَاحِبِهِ عَمْرُو بْنِ قَمَيْثَةَ الضُّبَيْي (١١)

الشاعر وكان امرؤ القيس غره في رحلته وأخفى عليه وجه قصده :

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ مَا كَانَ أَقْصَرَا وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ طَبِيٍّ فَعَرَعَرَا (١٢)
فَدَعَهَا وَسَلَّى الْهَمَّ عَنْهَا بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَرَا (١٣)
عَلَيْهَا قَتَى لَمْ تَحُولِ الْأَرْضُ مِثْلَهُ أَبَرَّ بِمِثَاقٍ وَأَوْفَى وَأَصْبَرَا
إِذَا قَاتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيَتْهُ وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بَدَّلْتُ آخَرَا (١٤)
كَذَلِكَ جَدِّي (١٥) ، لَا أَصَاحِبَ صَاحِبًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا خَانِي وَتَغَيَّرَا
تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أَنْتَ عَلَى جَمَلٍ بَنَى الرِّكْبُ وَأَعْفَرَا (١٦)
وَلَمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ (١٧) وَالْأَلُّ دُونَهَا نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بَعَيْنِيكَ مَنْظَرَا
تَقْطَعُ أَسْبَابَ اللَّبَانَاتِ (١٨) وَالْهَوَى عَشِيَّةً جَاوَرْنَا كَهَمَةً وَشِيزَا (١٩)

(١) لم يمف رسمها لم يذهب أثرها ، ونسج الريحين على البقعة اختلافهما عليها جنوبا وشمالا .
يوجب من عدم عفاه رسمها للسبب الذي من أجله نغفو الرسوم وهو اختلاف الرياح عليها بسقي التراب .
(٢) كموج البحر في توحشه وتكارة أمره ، والمراد بالسدول الظلمات الشبيهة بالسدور .
(٣) مد ظهره (٤) ما خير (٥) مقلوب نأى بمعنى بعد (٦) الكل كل الصدر . والمعنى
أفرط في الطول (٧) انكشف (٨) أفضل ، وذلك لأنى أقابى الهموم نهائياً كما أمانها ليلاً .
(٩) جبل محكم الفتل (١٠) جبل بنجد (١١) نسبة إلى ضيعة قبيلة من بكر (١٢) طودك
الشوق بعد ما كان تركاك . وظي وعمر مكان الأول في أرض كلب والثاني في نجد (١٣) الجسرة
الناقة الماضية ، والذمول السريمة ، وصام النهار وهجرا اشتد حره (١٤) به من عبوب القافية سناد
التأسيس (١٥) بنحى وحظي (١٦) جل واعفر موضعان بالشام (١٧) كورة واسعة من
أعمال دمشق (١٨) الحاجات أى تقطعت الحاجات (١٩) حماة مدينة بالشام بينها وبين شيزر
مسيرة يوم ، وقد افتتحها المسلمون سنة ١٧ هـ

بكي صاحبي لما رأى الدرب^(١) دُونَهُ وأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نَحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذِرَا
وَمِنْ أَيْيَاتِهِ السَّائِرَةِ :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزَنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخِزَانٍ
فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كِفَاخِرٌ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ^(٢)
وَقَدْ طَوَّفَتْ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

(٢) النابغة الذبياني

هو النابغة الذبياني أبو أُمَامَةَ زِيَادُ بْنُ مَعَاوِيَةَ : أَحَدُ فُخُولِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ،
وَحَكَمَهُمْ بِعُكَاظٍ ، وَأَحْسَنَهُمْ دِيبَاجَةً لَفْظًا ، وَجَلَاءً مَعْنَى ، وَأُطْفَافَ اعْتِدَارٍ .
وَلُقِّبَ بِالنَّبَاغَةِ لِنُبُوغِهِ فِي الشَّعْرِ فُجَاءَةً وَهُوَ كَبِيرٌ ، بَعْدَ أَنْ امْتَنَعَ عَلَيْهِ وَهُوَ صَغِيرٌ ؛
وَهُوَ مِنْ أَشْرَافِ ذُبْيَانَ الْأَنْ تَكَسَّبَهُ بِالشَّعْرِ غَضٌّ مِنْ شَرَفِهِ ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَكَسَّبْ
بِشَعْرِهِ إِلَّا فِي مَدْحِ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي ذَلِكَ أَنْ اتَّصَلَ بِمُلُوكِ الْحِيرَةِ
وَمَدَحَهُمْ وَطَالَتْ صُحْبَتُهُ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُذَنَّرِ ، فَأَدْنَاهُ مِنْهُ ، وَاتَّخَذَهُ جَلِيسًا وَنَدِيمًا ،
وَوَصَلَهُ بِجَوَازِهِ السَّنِيَّةِ وَنَوَقَهُ الْعَصَافِيرَ^(٣) حَتَّى صَارَ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ إِلَّا
فِي صِحَافِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، إِلَى أَنْ وَشَى بِهِ عِنْدَ النُّعْمَانِ أَحَدَ بَطَانَتِهِ فَغَضِبَ عَلَيْهِ وَهَمَّ
بِقَتْلِهِ ، فَأَسْرَّ إِلَيْهِ بِذَلِكَ عِصَامَ حَاجِبِ النُّعْمَانِ ، فَهَرَبَ النَّبَاغَةُ إِلَى مُلُوكِ غَسَّانَ
الْمُنَافِسِينَ لِلْمُنَادَرَةِ فِي مُلْكِ الْعَرَبِ ، فَدَحَ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ الْأَصْغَرَ وَأَخَاهُ النُّعْمَانُ ؛
غَيْرَ أَنَّ قَدِيمَ صُحْبَتِهِ لِلنُّعْمَانِ ، وَحَسَنَ صَنِيعِ النُّعْمَانِ عِنْدَهُ ، وَرَجَاءُ أَظْهَارِ بَرَاءَتِهِ ، كُلُّ
ذَلِكَ جَعَلَهُ يَحْنُ إِلَى مَعَاوِدَةِ الْعِيشِ فِي ظِلَالِهِ ، فَتَنَصَّلَ مِمَّا رُمِيَ بِهِ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِقِصَائِدِ

ملشوّه
وتكسبه
بالشعر

(١) الدرب باب السكة الواسع وكل مدخل الى الروم فهو درب

(٢) المغلوب مراراً

(٣) العصافير نوق نجائب كانت للملوك تنجت من أكرم فحل للعرب يسمى عصفوراً

سَلَّتْ سَخِيمَتَهُ (١) وَعَطَفَتْ عَلَيْهِ قَلْبَهُ ، وَحَلَّ عِنْدَهُ فِي مَنْزِلَتِهِ الْأُولَى . وَعَمَرَ النَّابِغَةُ طَوِيلًا ، وَمَاتَ قَبِيلَ الْبَعْثَةِ

شعره — أهل البصر بالشعر على أن النابغة الذبياني من فحول الطبقة الأولى الجاهلية ، بل جعل بعضهم شعره غايةً المدي الذي بلغه الشعر الجاهلي من الجمال وحسن الرونق ، ويمدّه الكثير من الرواة في أصحاب المملقات . ويمتاز شعره برشاقة اللفظ ، ووضوح المعنى ، وحسن النظم ، وقلة التكلف ، حتى عدّ عند المُرَقِّقِينَ من الشعراء — كجبرير — أنه أشعر شعراء الجاهلية . وأغراه تكسبه بالشعر أن يَفْتَنَ في ضروب المدح والاستقصاء فيه حتى مدح بالشئ وضدّه ، فقال من قصيدة مدح بها النعمان :

فأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يَبْدُ منهن كوكب
وقال من أخرى من اعتذارياته :

فأنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي وإن خلت أن المُنْتَأَى عنك واسع
كما أغراه بلطف الاعتذار واجتلاب الرضا عندما فاته طيب المكسب . ولعل تقدّره على الشعراء لم يكن من حكم علماء الشعر وحُدُثِهِمْ ، بل يظهر أنه قد شاركهم فيه شعراء الجاهلية أنفسهم ، فلا ريب ما قدموه عليهم في عكاظ وجملوه حكمًا يتناشدون أماءه أشعارهم ، فيقضي لشاعر على شاعر . وله ديوان شعر شرحه البَطَّايُوسِيُّ (٢) وطبع مرارًا وإن لم يجمع أكثر قوله . ومن أبلغ شعره معلقته التي أوّلها :

عُوجُوا فَحَيَّوْا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدار ماذا تُحْيُونَ من نُؤْيٍ وأحجار (٣)
أَقْوَى وَأَقْفَرُ من نُعْمٍ وَغَيْرِهِ هُوجُ الرِّيحِ بهابِي التُّرْبِ مَوَّارِ (٤)

(١) حقه (٢) هو ابن السيد البطايوسي شارح أدب الكتاب لابن قتيبة ، منسوب إلى بطليوس مدينة بالاندلس (٣) عوجوا قفوا ، الدمنة ما اجتمع من آثار الديار ، النؤي الحفير يكون حول الحباء يمنع المطر (٤) أقوى وأقفر خلا ، هوج الرياح جمع هوجاء وهي الشديدة ، الهابي الساقى ، موار بجى وبذهب

وقفتُ فيها سرّاةَ اليوم أسألها عن آل نعم أُمونا عِبْرَ أسفار^(١)
 فاستعجمتُ دارُ نعم ماتكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار
 ومن جيد قوله في الاعتذار :

أَتَانِي (أَبَيْتَ اللَّعْنَ^(٢)) أَنْكَ لُمْتَنِي وتلك التي أهتم^(٣) منها وأنصب^(٤)
 فَبِتْ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ^(٥) فَرَشْنَ لِي هَرَّاسَا^(٦) بِهِ يُعَلِّي فِرَاشِي وَيُقَشِّبُ^(٧)
 حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً وليس وراءَ الله للمرء مذهب
 لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي جُنَايَةً^(٨) لَمُبْلَغُك الْوَاشِي^(٩) أَغْشَ وَأَكْذَبُ
 وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لِي جَانِبُ^(١٠) من الأرض فيه مُسْتَرَادُ^(١١) وَمَهْرَبُ
 مَلُوكُ^(١٢) وَآخِوَانِ إِذَا مَا أَتَيْتَهُمْ أَحْكَمُ^(١٣) فِي أُمُوالِهِمْ وَأَقْرَبُ
 كَفَعْلِكَ فِي قَوْمِ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرْهَمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا^(١٤)
 فَلَا تُتْرَكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنَّنِي إِلَى النَّاسِ مَطْلِي بِهِ الْقَارُ^(١٥) أَجْرَبُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً^(١٦) تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ^(١٧)
 وَأَنْكَ شَمْسَ وَالْمُلُوكِ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ^(١٨)
 وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيْ الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ^(١٩)

(١) سرّاة اليوم وسطه ، الامون النافذة التي يؤمن عثارها ، عبر أسفار أى عبر عليها فيها
 (٢) جملة دعائية يخاطبون بها الملوك تحية ، ومعناها أبيت أن تفعل شيئاً تلعن به ، وكانت هذه
 تحية ملوك لحم وجذام
 (٣) أصير لأجلها ذا هم (٤) أتعب واعيا (٥) الزاثرات في المرض
 (٦) شوكا كأنه حسك (٧) بخاط (٨) ذنباً (٩) التمام
 (١٠) الجانب الناحية وأراد به الشام (١١) موضع يتردد فيه لطلب الرزق
 (١٢) بدل من مستراد ومهرب أو مبتدأ بتقدير فيه ملوك (١٣) اتصرف كيف أشاء
 (١٤) قال الاصمعي كما فعلت أنت بقوم قريبهم وأكرمهم فتركوا الملوك ولزموك فلم تر ذلك
 ذنباً عليهم (١٥) القطران (١٦) منزلة رفيعة وشرفاً (١٧) يضطرب
 (١٨) أراد بهذا البيت والذي قبله تسليّة النعمان على ما حصل منه من مدحه لآل جفنة
 (١٩) تلمه تصاحبه ، والشعث الفساد ، المهدب المنقى من العيوب ، يمتدح بذلك عن زلته ،
 والمعنى أى الرجال يكون مبرأ من العيوب فان قطعت اخوانك بذنب لم يبق لك أخ

فان أك مظلوماً ^(١) فعبدٌ ظلمته وانك ذا عتبي ^(٢) فثلك يُعْتَب ^(٣)
ومن أبياته السائرة :

وانت كدهر مَبْثُونًا حَبائله والدهر لا ملجأ منه ولا هربُ

أَضَحَّتْ خِلاءٌ وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخَذَنِي عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لَبْدٍ ^(٤)

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ ^(٥) أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الْأَسَدِ

فَلَوْ كَفَى الْبَيْنَ بَيْنَكَ خَوْنًا لَا فَرَدْتَ الْبَيْنَ عَنِ الشَّمَالِ

(٣) زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُامَى

هو زهير بن أبي سامى ربيعة بن رباح المزنى ثالث فحول الطبقة الاولى من
الجاهلية ، وأدفعهم قولاً ، وأوجزهم لفظاً ، وأغزرهم حكمةً ، وأكثرهم تهذيباً لشعره
نشأ فى غطفان ، وان كان نسبُه فى مُزَيْنَةَ ، من بيت جُلُّ أهلِه شعراء : رجالاً منشؤه
ونساءً ، وأكثر ما استفاد حكمة وشعره وأدبه من خل أبيه بشامة بن القدير أحد
أشراف غطفان ، وكان بشامة هذا مُعَمِّداً حَزَمَ شاعراً مُجِيداً ، يرجعون اليه فى مُعْضَلِ
أُمُورِهِمْ وَيَقْسِمُونَ لَهُ مِنْ غَنَائِمِهِمْ كَأَنْفُسِهِمْ ، فشَب زهير متخالفاً ببعض صفاته وأرثاً
عنه شعره ، ولزم أيضاً أَوْسَ بْنَ حَجَرٍ زوجِ أمه ، وكان شاعراً مُضمر فى زمانه
فروى عنه الشعر ثم ظهر عليه وأخمله . واختص زهيرٌ بِمدحِ قُرَيمِ بْنِ سَنانِ الذُّبْيَانِ

مدحه
لهم

(١) جبل غضبه ظالماً لانه عن غير موجب (٢) رضا (٣) برضى

(٤) اسم آخر ما هلك من نسل لعمان السبعة التى وهب الله له عمراً يطول بطول أعمارها

فطال عمر هذا النسر حتى قيل طال الامد على لبْد ، واخفى عليه أهله ، ويريد بالذى أخنى
طليها ، الزمان وحوادثه

(٥) أصل القابوس الرجل الجليل الوجه الحسن اللون وأبو قابوس كنية النعمان بن المنذر أحد
ملوك العرب

المرتى ، فمدحه بمدائح خلد اسمهُ أبداً الدهر^(١) حتى ضرب بمدحه فيه المثل كما يقول البوصيرى فى بُردته :

ولم أَرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَنْتَ يَدَا زَهِيرٍ بِمَا أَتْنَى عَلَى هَرَمٍ
وَأَوَّلُ مَا أُعْجِبَهُ مِنْ أَمْرِهِ وَحَبَّبَ إِلَيْهِ مَدْحَهُ حَسَنَ سَعِيهِ هُوَ وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ
فِي الصَّلَاحِ بَيْنَ عُبْسٍ وَذُبْيَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ وَالْغُبَرَاءُ ، بِتَحْمُلِهِمَا دِيَاتِ الْقَتْلِ الَّتِي
بَلَّغَتْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ بَعِيرٍ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَتَهُ أَحَدَى الْمَعْلَقَاتِ السَّبْعِ الَّتِي أَوَّلَهَا :
أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى^(٢) دِمْنَةً^(٣) لَمْ تَكَلَّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَلْتَنْتَلَمْ^(٤)
ثُمَّ تَابَعَ مَدْحَهُ كَمَا تَابَعَ هَرَمَ عِطَاءِهِ حَتَّى حَلَفَ أَلَّا يَمْدَحَهُ زَهِيرٌ إِلَّا أَعْطَاهُ ، وَلَا
يَسْأَلُهُ إِلَّا أَعْطَاهُ ، وَلَا يَسْأَلُهُ عَلَيْهِ إِلَّا أَعْطَاهُ : عَبْدًا أَوْ وَائِدَةً أَوْ فَرْسًا . فَاسْتَحْيَا زَهِيرٌ
مِنْهُ ، فَكَانَ إِذَا رَأَاهُ فِي مَلَأَ قَالَ : أَنْعِمُوا صَبَاحًا غَيْرَ هَرَمٍ وَخَيْرَ كَمِ اسْتَنْتَيْتَ
وَكَانَ زَهِيرٌ سَيِّدًا كَثِيرَ الْمَالِ حَلِيمًا مَعْرُوفًا بِالْوَرَعِ مُتَدِينًا مُؤْمِنًا بِالْبَعْثِ
وَالْحِسَابِ كَمَا يَظْهَرُ مِنْ قَوْلِهِ :

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفُوسِكُمْ لِيَخْفَى وَمَهَا يُكْتَمُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ
يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُنْذَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلُ فَيُنْتَقَمَ

وَعُمِّرَ زَهِيرٌ وَمَاتَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ بِسَنَةٍ

كَانَ زَهِيرٌ صَاحِبَ رُويَّةٍ وَتَعَمَّلُ وَتَهْدِيْبُ لَمَّا يَقُولُ ، وَلَا سِيَّامَطْوَلَاتُهُ ، حَتَّى
قِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَنْظُمُ الْقَصِيدَةَ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، وَيَهْدِيْبُهَا فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، وَيَمْرُضُهَا عَلَى
خَوَاصِهِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، فَلَا يَظْهَرُهَا إِلَّا بَعْدَ حَوْلٍ ، وَلِذَلِكَ يُسَمُّونَ بَعْضَ مَطْوَلَاتِهِ
الْحَوْلِيَّاتِ

روية
زهير

(١) قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِبَعْضِ وَلَدِ هَرَمٍ أَنَشِدْنِي بِمَدْحِ زَهِيرِ أَبِيكَ فَأَنَشَدَهُ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ
كَانَ لِي حَسَنٌ فَيَكُمُ الْقَوْلُ ، قَالَ وَنَحْنُ وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنَحْسَنُ لَهُ الْعِطَاءَ ، قَالَ : قَدْ ذَهَبَ مَا أُعْطِيْتُمُوهُ
وَبَقِيَ مَا أُعْطَاكُمْ . وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِابْنِ زَهِيرٍ مَا فَعَلْتَ الْحَالَ الَّتِي كَسَاهَا هَرَمُ أَبِيكَ قَالَ أَبْلَاهَا
الدَّهْرُ ، قَالَ لَكُنِ الْحَالَ الَّتِي كَسَاهَا أَبُوكَ هَرَمًا لَمْ يَلِهَا الدَّهْرُ
(٢) امْرَأَةُ زَهِيرٍ (٣) مَا اسْرَدَ مِنْ آثَارِ الدَّارِ بِالْبَحْرِ وَالرَّمَادِ وَغَيْرِهَا
(٤) حَوْمَانَةُ الدَّرَّاجِ مَاءٌ يَنْجِدُ عَلَى الطَّرِيقِ الَّتِي بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَمَكَّةَ ، وَالتَّمْلُحُ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْهُ



شعره — ولا خلاف بين أئمة الشعر ونقدته في أن زهيراً أحد ثلاثة الفحول ^{شعره} للقدمين في الجاهلية على من سواهم ، وإن كثيراً منهم ليفضلونه على صاحبيه : امرئ القيس ، والنابعة ، وحجتهم في ذلك أنه يمتاز بلزاي الأتية :
أولاً — 'حسن' الایجاز وحذف فضول الكلام ^(١) وحشوه بحيث يودع اللفظ اليسير المعنى الكثير . كقوله :

فما يك من خير أتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل
ثانياً — إجادة المدح وتجنب الكذب فيه ، فلا يمدح الرجل إلا بما عرف من أخلاقه وصفاته ^(٢) كقوله :

على مكثرهم رزق من يعتريهم وعند المقلين الساحة والبذل
ثالثاً — تجنب التعقيد اللفظي والمعنوي ، والبعد من 'حوشى' الكلام وغريبه ^(٣) كقوله :

ولو أن حمداً يخلد الناس أخلدوا ولكن حمد الناس ليس يخلد
رابعاً — قلة السخف والهذر ^(٤) في كلامه . ولذلك كان شعره عفيفاً يقل فيه الهجاء . ولقد هجا قوماً فأوجع ، ثم ندم على ما صنع

(١) سأل معاوية الاحنف بن قيس من أشعر الشعراء قال زهير ، قال وكيف ، قال أتى عن المادحين فضول الكلام ، قال مثل ماذا ، قال مثل قوله « فما يك من خير » البيت »

(٢) قال عبد الملك بن مروان حين سمع هذا البيت ما يضر من مدح بما مدح به زهير آل أبي حارثة من قوله « على مكثرهم » البيت » أن لا يملك أمور الناس (يعنى الخلافة) ثم قال ما ترك منهم زهير غنيا ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه

(٣) قال ابن عباس قال لى عمر بن الخطاب هل تروى لشاعر الشعراء قلت ومن هو ؟ قال الذى يقول «ولو أن حمداً » البيت « قلت ذاك زهير قال فذاك شاعر الشعراء ، قلت وبم كان شاعر الشعراء قال : لأنه كان لا يماطل فى الكلام وكان يتجنب وحشيه ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . بما ظلال بين الكلام يداخل فيه وبمقده . وحوشى الكلام وحشيه وغريبه

(٤) السخف فى الكلام رداءته . الهذر الكثير الردى . أو سقط الكلام

خامساً - الإيثار من الأمثال والحكم بما لم يفقه فيه شاعر جاهليّ وبما فتح به باب الحكم والأمثال في الشعر العربي ، فكان كلامه الدرب الذي سلكه الشعراء لبُلوغ الحكمة : أمثال صالح بن عبد القدوس ^(١) وأبي العتاهية وأبي تمام والمتنبي والمعرّي ^(٢) من المولدين . ومن حكمه في معلقته قوله :

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عم
رأيت المنايا خبطَ عشواء ^(٣) من تُصيب توتّه ومن تخطئ يعمر فيهرم
ومن يجعل المعروف من دون عِرْضِهِ يفرّه ^(٤) ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يُوف لا يذمم ومن يُهد قلبه الى مُطمئن البر لا يتجمجم ^(٥)
ومن هاب أسباب المنايا ينلته وإن يرق أسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف في غير أهله يكن حمده ذمّاً عليه ويندم
ومن لم يند ^(٦) عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم ^(٧)
ومهما تكن عند امرئ من خليقة ^(٨) وإن خالها تخفى على الناس تعلم
ومما سبق فيه غيره قوله يمدح هرماً :

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون الى أبوابه طرقا ^(٩)
من يلق يوماً على علّاته هرماً يلق السماحة منه والندی خلقا ^(١٠)
لو نال حتى من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الأفقا

(١) من نابي شعراء الدولة العباسية قتل لاثامه بالزندقة

(٢) سنائي تراجمهم ، وهم من شعراء الدولة العباسية

(٣) الخبط الضرب باليد ، والعشواء النافة التي لا تبصر ليلاً ، يريد أن المنية كالنافة العشواء

تسير على غير هدى فتصيب الناس على غير ندق معروف أو ترتيب محدود

(٤) يصنه ويحفظه (٥) يتزلزل ويضطرب (٦) يدفع ويكف

(٧) من انقبض عن الناس وكف يده عن الامتداد اليهم رأوه مهيناً ضعيفاً فاستطالوا عليه

وظلموه (٨) طبيعة

(٩) المبتغون الطالبون ، في هرم عند هرم أومنه ، جعل طلاب المعروف عند هرم طرقا الى

أبوابه لكثرة ترددهم عليه وقصدهم اليه (١٠) على علّاته أي ان تلقه على قلة مال وعدم تجدد

سمعا كريما فكيف به وهو على غير تلك الحال

وقوله : وأبيض^(١) فياض^(٢) يده غمامة^(٣) على معنفيه^(٤) ماتيب^(٥) فواضله
أخى ثقة لا يترك آخر^(٦) ماله ولكنّه قد يهلك المال نائله
تراه إذا ما جئته متّبالاً كأنك تُعطيه الذي أنت سائله

(٤) عنزة العبسي

هو عنزة بن عمرو بن شدّاد العبسي أحد فرسان العرب وأغرّبها^(٥)
وأجوادها وشعرأها المشهورين بالفخر والحماسة

منشؤه
ونسبه

وكانت أمّه أمة حبشية تسمى زُبَيْبَةً ، وأبوه من سادات بني عَبَس

وكان من عادات العرب ألاّ تُأخِّق ابن الأمة بنسبها ، بل تجعله في عِداد العبيد ،
ولذلك كان عنزة عند أبيه منبوذاً بين عبدانه ، يرعى له إبله وخيله . فرباً بنفسه
عن خِصال العبيد ، ومارس الفُروسية ومهَرَّ فيها ، فشبَّ فارساً شجاعاً هُماماً . وكان
يكره من أبيه استعباده له وعدم إلحاقه به ، حتى أغار بعضُ العرب على عبس
واستاقوا إبلهم ، ولحقّتهم بنو عبس وفيهم عنزة لاستنقاذ الإبل ، قال له أبوه : كُرِّ
ياعنزة . قل : العبدُ لا يُحسِّن الكرّ ، إنما يُحسِّن الخِلابَ والصَّرَّ^(٦) قال كرّ
وأنت حرّ ، فقاتل قتالاً شديداً حتى هزَمَ القومَ واستنقذ الإبل ، فاستلحقه أبوه .
ومن ذلك الوقت ظهر اسمه بين فرسان العرب وساداتها وخاض مع عبس أكثر
وقائعها : وخاصةً حرب داحس والغبراء ، حتى أصبح فارس حومتها ، وحامى بيضتها
وحقّ ضرب به المثل في الشجاعة والاقدام . قيل له يوماً أنت أشجع العرب وأشدّها ،
قال : لا . قيل : فبماذا شاع لك هذا في الناس ، قال كنت أقدم إذا رأيت الإقدام
عزماً ، وأحجم إذا رأيت الاحجام حزماً ولا أدخل موضعاً لا أرى منه مخرجاً ،

(١) نقي من العيوب (٢) كثير العطاء (٣) الطالب لمروفه

(٤) أى لا تأتي في الغب (والغب ان تأتي يوماً وتنقطع آخر) بل هي دائمة لا تنقطع

(٥) اغربة العرب سودانهم والاغربة في الجاهلية عنزة ، وخفاف بن ندية ، وأبو صير بن

الحباب ، وسليك بن المسكة (٦) الخلاب الحلب ، والصر شد ضرع الناقة

وكنـت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة المائلة يطير لها قلب الشجاع فأُنـي عليه فأقتله . وطال عمر عنـترة حتى ضُـف جسمه وعجز عن شن الغارات ومات قبيل البعنة

*
* *

شعره — لم يشتهر عنـترة أوّل أمره بشعرٍ غير البيتين والثلاثة ، وإنما غلبت عليه الفروسية مكنتها بها حتى عيّرهُ يوماً بعض قومه سواده وأنه لا يقول الشعر ، فاحتج لسواده بخلقه وشجاعته ، واحتج لفصاحته بنظم معلقته المشهورة التي كانت تسمى المذهبة أيضاً وأولها :

هل غادر الشعراء من مُتردّمٍ أم هل عرفت الدار بعد توهم^(١)
وقد ضمنها خصاله ومكارم قومه . وحسن دفاعه عنهم ووفرة جوده ، معرجاً فيها على أوصاف أمور شتى ، وهي من أجل المملقات وأسهلها لفظاً ، وأكثرها انسجاماً ، وأبدعها وصفاً ، وأشدّها حماسة وفخراً ، وكذلك كل ما عرف من شعره وأكثر ما في سيرته الموضوعات في زمن الفاطميين ، وما في الديوان المنسوب إليه المستخرج من هذه السيرة منحول له لا يعتدّ به ومن قوله في معلقته :

لما رأيتُ القوم أقبل جمعهم يتذاكرون^(٢) كررت غير مذمّم
يدعون عنـتر والرماح كائنهم أشطان^(٣) بثرفي لبان^(٤) الأذم^(٥)
مازلت أرميهم بشجرة^(٦) نحرة ولبانه حتى تسربل بالدم
فازور^(٧) من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمّم^(٨)

(١) تردم الرجل ثوبه رقبته و « ام » بمعنى بل والنوهم النفوس ، والمعنى لم يترك الشعراء لي شيئاً أصاحه ثم خاطب نفسه قائلاً هل عرفت دار محبوبتك بعد شدة بحثك عنها
(٢) يحض بعضهم بعضاً على القتال (٣) الحبال التي يستقي بها (٤) اللبان الصدر
(٥) الحصان الاسود (٦) أعلى نحرة (٧) مال (٨) العبدة تردد البكاء في الصدر ، والتحمّم من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له

لو كان يَدْرِنِي مَا الْمُخَاوِرَةُ اشْتَكَى
ولقد شفى نفسى وأبرأ سُقْمَهَا
والخيلُ تَنْتَحِمُ الْخَبَارُ ^(٢) عَوَابِسَا
ومنْهَا:

أَنْنِي عَلَىٰ بِمَا عَلِمْتَ فَنِي
فَإِذَا ظَلُمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِي بِاسْل
سَمَحٌ مَخَالِطِي إِذَا لَمْ أَظْلَم
مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ
ومن جيد قوله :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الْخُتُوفُ ^(٥) كَأَنِّي
فَأَجَبْتُهَا : إِنْ الْمَنِيَّةُ مِنْهُلٌ ^(٦)
فَأَقْنَى ^(٧) حِيَاءَكَ (لَا أَبَالُكَ) ^(٨) وَأَعْلَى
إِنْ الْمَنِيَّةُ لَوْ تُثْمَلُ تُثْمَلْتُ
أَنِّي أَمْرٌ مِنْ خَيْرِ عَبَسَ مِنْصَبًا
وَإِذَا الْكَتِيبَةُ ^{١٢} أَحْجَمَتْ ^{١٣} وَتَلَا حِظْتُ ^{١٤}
وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَنْنِي
وَالْخَيْلُ سَاهِمَةٌ ^(١٦) الْوُجُوهُ كَأَنَّمَا
وَلَقَدْ أَيْتَ عَلَى الطَّوْى ^(١٧) وَأَظْلَهُ
ومن إفراطه قوله :

وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا وَالطَّعْنُ مِنِّي سَابِقُ الْآجَالِ

(١) وى كلمة يقصد منها التعجب والكاف للخطاب (٢) الارض اللينة
(٣) الفرس الطويل (٤) الاجرد القصير الشعر الرقيقه
(٥) الخنف الموت (٦) مشرب (٧) الزمى (٨) كلمة يراد بها هنا التنبيه والاعلام لا الجفاء
والشدّة (٩) ضيق (١٠) نصق (١١) السيف (١٢) الطائفة من الجيش
(١٣) تأخرت عن الاقدام (١٤) نظر بعضهم بعضا بمؤخر عينه من شدة الهول
(١٥) كريم الاعمام والاخوان (١٦) متغيرة عابسة (١٧) الجوع

(٥) عمرو بن كلثوم

هو أبو الاسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي سيد تغلب وفارسها وأحد فتاك العرب وشعراؤها المشتهرين بتصيدة واحدة ، والمجيدون للفخر . وأمه ليلي بنت مهليل أختي كليب . نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية شجاعاً هماماً خطيباً جاءه ما نال الشرف ، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقاد الجيوش مظفراً في كثير من أيامهم ، وأكثر ما كانت تهن تغلب وحربها مع أختها بكر بن وائل بسبب الحرب المشهورة المشهورة بحرب البسوس ، وكان آخر صلح لم فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر . ولم تضر مدة يسيرة بعد الصلح حتى حدث بين وجوه القبيلتين ملاحاة ومشاحة في مجالس عمرو بن هند قام أثناءها شاعر بكر الحارث بن حازمة اليشكري وأشد تصيدته المشهورة . وما فرغ منها حتى ظهر عمرو بن كلثوم أن هوى الملك مع بكر ، فانصرف ابن كلثوم وفي نفسه ما فيها : ثم خطر في نفس ابن هند أن يكبر من أكلة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم ، فدعا وأمه ليلي بنت مهليل ، وأغرى هنداً أمه أن تستخدمها في قضاء أمر من أمورها ، نصاحت ليلي : واذا لاه : فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه ، ثم رحل نواً الى بلاده بالجزيرة وأشد معلقته التي أولها :

ألا هي بصحنك^(١) فاصبحينا^(٢) ولا تبقى نخور الأندرينا^(٣)

يصف فيها حديثه مع ابن هند ، ويفتخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة ، ثم كان يخطب بها في عكاظ وغيرها ، وحفظها بنو تغلب واكثرها من روايتها . ومات عمرو بن كلثوم قبل الاسلام بنحو نصف قرن

شعره — كان عمرو بن كلثوم من عظماء الجاهلية وأشرفهم وفسانهم الذين

نمره

(١) الصحن القدح العظيم (٢) اسقينا العيوض وهو ما أصبح عندهم من الشراب

(٣) قرية بالشام

شغلّتهم الرياسة وخوض الحروب عن أن يفيضوا في الشعر ويطرقوا أكثر أبوابه كدأب من يتخذون الشعر مهنةً وتجارةً ، ولذلك لم يشتهر إلا بمعلقته الواحدة التي قامت له مقام الشعر الوفير : لحسن لفظها ، وانسجام عبارتها ، ووضوح معناها ورشاقة أسلوبها ، وعلوّ فخرها ، ونبالة مقصدها ، ولولا أنه افتخر فيها وعدّد مآثر قومه ما قالها ، ورويت له مقطّعات لم يخرج بها عن أغراض معلقته ، ولعل شهرته بالخطابة تقل عن شهرته بالشعر

ومن سامى فخره في معلقته :

وقد علّم القبائل من معدّة	إذا قُبِبَ بأبطحها ^(١) بُئينا
بأنّا المطعمون إذا قدرنا	وأنا أهلُكون إذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردنا	وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون إذا سخطنا	وأنا الآخذون إذا رَضينا ^(٢)
ونشرب إن وردنا الماء صفوّاً	ويشربُ غيرُنا كدِرا وطينا
إذا ما الملكُ سامَ الناسَ خسفاً ^(٣)	أيّنا أن تُقرَّ الذلُّ فينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها	ونبطش حين نبطش قادرينا
بفاةً ظالمين وما ظلمنا	ولكنّا سنبداً ظالمينا
ملأنا البرَّ حتى ضاق عنا	ونحن البحرَ نملؤه سفينا
إذا بلغ الرضيع لنا فظاما	تخرُّ له الجبابر ساجدينا

وقال يتوعد عمرو بن أبي حجر الغسانی :

ألا فاعلم (أبيت اللعن) أنا	على عمد سنأتي ما نريد
تعلم أن محملنا ثقیل	وأن ذیاد ^(٤) كُبتنا ^(٥) شديد
وأنا ليس حيٌّ من معدّة	يوازتنا إذا لبس الحديد

(١) الأبطح والبطحاء مسيل واسع فيه دقاق الحمى

(٢) لا تقبل عطايا من غضبنا عليه وتقبل مديا من رضينا عنه (٣) اولاهم ذلا

(٤) دفاع (٥) جاعتنا

(٦) طرفة بن العبد

منشؤه هو عمرو بن العبد البكري أقصر فحول الجاهلية عمراً ، وأجودهم طويلاً ، وأوصفهم للناقة . مات أبوه وهو صغير ، وولى أمره أعمامه ، ومال الى البطالة واللهو والأخذ بأسباب الصبوة والفتوة وقول الشعر والوقوف به في أعراض الناس ، حتى هجا قومه وأهله ، وحتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة ، مع أنه كان يتطأب معروفة وجوده . فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة له ، فاضطغها عليه ، حتى اذا ما جاءه هو وخاله المتلس يتعرضان لفضله — وكان قد بلغه عن المتلس مثل ما بلغه عن طرفة — اظهور لهما البشاشة والوداد ليومئهما ، وأمر لكل منهما بجائزة ، وكتب لهما كتابين وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفياها منه . وبينما هما في الطريق ارتاب المتلس في صحيفته ، فعرج على غلام يقرأها له . (ومضى طرفة) . فاذا في الصحيفة الأمر بقتله ، فألقى الصحيفة وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه ، وفر الى ملوك غسان ، وذهب طرفة الى عامل البحرين وقتل هناك وعمره بضعة وعشرون سنة

* * *

شعره — قال طرفة الشعر وهو صبي فنبغ فيه حتى عدّ من الفحول ولم ينيّف . على العشرين ، وزاد عليهم بقصيدته الطويلة التي وصف فيها الناقة بخمسة وثلاثين بيتاً وصفاً لم يسبقه اليه أحد ، وتعد معلّته من أجود المملكات وأكثرها غريباً وأغزرها معنى ، وأدقها وضعاً . ورؤى له غيرها من الشعر ولكنه قليل بالنسبة الى شهرته ، وربما دل هذا على أن الرواة قد جهلوا أكثره . ويجيد طرفة الوصف في شعره مقتصرأ فيه على بيان الحقيقة مع قصد في الغلو ومعاظلة في بعض التراكيب واسترسال في حوشى اللفظ وخفي المعنى^(١) ، وكذلك كان

(١) قال بعض نأت : لها فخذان أكل النحس فيهما
وطى محال كالحنى خلفه
كان كناسي ضالة يكفهاها
كانهما بابا منيف ممرد
وأجرة لزت بدأي منضد
وأطر قى تحت صلب مؤيد

هجاؤه على شدة وقعه ، ومطالع معتقه :

لَحْوَلَةٌ (١) أَطْلَالٌ بِرُقَّةٍ (٢) نَهْمِدُ (٣) تَمُوحُ (٤) كَبَاقِي الْوَشْمِ (٥) فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
وَمِنْ أَجُودِهَا قَوْلُهُ :

أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ (٦) الْكَرَامَ وَيَصْطَفِي
أَرَى الْعَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ (مَا أَخْطَأَ الْفَتَى)
مَتَى مَا يَشَاءُ يَوْمًا يَقْدَهُ كَلِمَتُهُ
وَمِنْ أَبْيَاتِهِ السَّائِرَةِ :

وِظْلُمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً
أَرَى الْمَوْتَ أَعْدَادَ (٩) النَّفُوسِ وَلَا أَرَى
سَتْبَدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا
عَلَى الْمَرءِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ الْمُهْنَدِّ
بَعِيدًا غَدًا ، مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ
وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودْ
قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرُ الصَّغِيرَ كَبِيرَهُ
حَتَّى تَظَلَّ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبَّبَ
وَمِنْ قَوْلِهِ يَفْتَخِرُ :

نَحْنُ فِي الْمَشْتَمَةِ (١٠) نَدْعُو الْجَفْلَى (١١) لَا نَرَى الْآدِيبَ (١٢) فِينَا يَنْتَقِرُ (١٣)
حِينَ قَالَ النَّاسُ فِي مَجْلَسِهِمْ أَقْتَارُ (١٤) ذَاكَ أَمْ رَجَحَ قُطْرُ (١٥)

(١) اسم محبوبته (٢) البرقة مكان اختلط ترابه بحجارة أو حصى

(٣) موضع في ديار بني عامر (٤) تلوح تلمع

(٥) النقش على اليد وغيرها بالنياج وهو المسح الآن (بالدق)

(٦) يختار (٧) كرام المال

(٨) الطول الحبل الذي يطول للدابة فترمي فيه ولثني العارف والجمع انتهاء ، والمبنى أقسم بحياتك أن الموت مدة مجاوزته للفنى بمنزلة حبل طول للدابة ترمي فيه وطرفاه يمد صاحبه ، فكما أن الدابة لانفات ما دام صاحبها أخذاً بطرفي طولها فكذلك الإنسان لا يهرب من الموت

(٩) جمع عدد ، أى لسكنى انسان ميتة فإذا ذهبت النفوس ذهبت ميتتهم كلها ، أو جمع عدد بالكسر وهو الماء الذى لا تنقطع مادته وكل أحد يرد

(١٠) أى زمن الشتاء والبرد وهو أشد الزمان عندهم لما فيه من المحل والجذب

(١١) الدعوة العامة الى الطعام (١٢) الذى يدعو الى الأدبية

(١٣) يدعو الأنزى وهى الدعوة الخاصة (١٤) ربح شواء (١٥) المود الذى يتبخر به

بجفان تعترى (١) نادينا من سديف (٢) حين هاج الصَّيْبُ (٣)
كلجوابي (٤) لا تنى (٥) مترعة (٦) لقرى (٧) الأضياف أو للمُحْتَضِر (٨)
ثم لا يُخْزَنُ فِينَا لَحْمُهَا إِنَّمَا يُخْزَنُ لَحْمُ الْمَذْخِرِ (٩)
ولقد تعلم بكرُّ أننا آفة الجزر مساميح يسر (١٠)
ولقد تعلم بكرُّ أننا فاضلو الرأي وفي الروع وقر (١١)
يكشفون الضرَّ عن ذى ضرِّهم ويبرؤون على الآبي المبر (١٢)
فُضِّلَ أحلامهم عن جارهم رُحِبَ الأذرع بالخير امر (١٣)
ذلق في غارة مسفوحة ولدى البأس حمة ما نفر (١٤)
نُشِكَ الخيل على مكروها حين لا يُسْكها الا الصَّيْبُ (١٥)

صدر (٧) أعشى قيس

هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل التيسى ، رابع فحول
الجاهلية ، وأمدحهم للملوك ، وأوصفهم للخمر وأغزهم شعراً ، وأكثرهم عروضاً
وافتناناً ، وطوالاً ، جياداً . وينتهى نسبه إلى بكر بن وائل ، وكان من أهل
البيامة ، يسكن قرية منها تسمى منفوحة . ونشأ في بدء أمره راويةً لخاله المسيب بن
عَلَس أحد الشعراء المقلِّين المجيدين . وكان الاعشى يُطْرَى شعره ويأخذ منه ،

-
- (١) تلم ونأى نادينا (٢) شحم السنام (٣) أشد ما يكون من البرد
(٤) جمع جاية وهي الحوض العظيم (٥) لا تقتر بل هي لا تزال (٦) مملوءة
(٧) لاكرام الاضياف (٨) النازلين ممنا على الماء
(٩) الجزر جمع جزور والمساميح الاسخياء والبسر الداخلون في الميسر والمفرد يسور
(١٠) جمع وقور أي لا تنزع (١١) ابر عليه غلبه ، والآبي الممتنع ، والمبر الغالب ، أي
يفلبون الغالبين للناس (١٢) جمع أمور وهو الكثير الأمر
(١٣) أي مسرعون الى الغارة ، متقدمون فيها وأصله من ذلق السيف اذا كان يخرج من
غمدته ، ومسفوحة مصبوبة
(١٤) أي نُسِكَ الخيل على ما تلقاه من شدة الحرب وجهدها ولا تنهزم ، وانما ذكر مكروه
الخيال لانها اذا أصابها مكروه في الحرب فهم أحدر أن يصيبهم

حتى إذا جاد شعره ونبه شأنه ، قصد الملوك والأجواد ، وطوّف اليهم الآفاق ،
وأقصى البلدان مادحاً لهم مستجدياً عطائهم . وهو أول من صرح في شعره بالسؤال
وطلب الحاجة ، فوضع ذلك من شأنه ؛ وكان الشعراء قبله يمدحون ولا يسألون ،
وكان ينتاب بالمدح بنى عبد المدان ملوك نجران وأساقفتها ، يُقيم عندهم ما يشاء ،
يشرب الخمر ويسمع الغناء ويأخذ عندهم بعض آرائهم في العقائد ، فجاء لذلك وصفه
للخمر ، وظهر بعض معتقدهم في كلامه ، كما كان ينتاب ملوك الحيرة وخاصة الأسود
أخا النعمان بن المنذر . وما زال هذا شأنه ، حتى طمع في جوائز كسرى ، فرحل إليه
يمدحه بالشعر العربي فأجزل عطاءه ، وإن لم يرق عنده شعره ، لسوء ترجمته له

وعمي الأعشى ، وطال عمره ، حتى كان الاسلام وعظم أمر النبي صلى الله عليه وسلم
بين العرب ، فأعدّ له قصيدة يمدحه بها وقصده بالحجاز ، فلقية كفار قريش وصدّوه
عن وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حمراء ويرجع إلى بلده : لتخوفهم أثر شعره ، ففعل .
ولما قرب من اليمامة سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات . ودفن ببلده منفوحة باليمامة

شعره — يُعدُّ الأعشى عند الكثيرين رابعاً لثلاثة الفحول : امرئ القيس ،
والنابغة ، وزهير ، وإن كان يمتاز منهم بغزارة شعره ، وكثرة ما روى له من الطوال
الجياد ، ونظمه من أكثر أعاريض الشعر وضروبه ، وتفننه في كل فن من أغراضه ،
واشتهر من بينهم بالمبالغة في وصف الخمر ، حتى قيل : أشعر الناس امرؤ القيس إذا
ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب . ولشعره طلاوة
وروعة ليست لكثير من شعر غيره من القدماء . ولقوة طبعه وجلبّة شعره سبي
صنّاجة^(١) العرب حتى ليُخيّل إليك إذا أنشدت شعره أن آخر ينشد معك . ولجلالة
شعر الأعشى في صدور العرب ، وسرعة طيرانه بين قبائلهم كان يرفع الوضع الخامل ، أثر شعره

(١) وقبل سمي صنّاجة لذكره الصنّج في شعره وهي آلة موسيقية (العمدة)

ويخفض الشريف النابه . ومن الذين رفعهم شعر الأعشى الخلق^(١) ، وقد كان أبا ثمانى بنات عوانس رغبت عن خطبتين الرجال لفقهرن . فأضافه على فقره ، فمدحه الأعشى ونوه بذكره في عكاظ ، فلم يمتض علم حتى لم تبق جارية منهم إلا وهي زوج السيد كريم . وكان الأعشى يتظرف في شعره ، ويتملح بذكر بعض أسماء الادوات استعماله للالفاظ الامعية والأزهار باللغة الفارسية^(٢) إعلاناً منه أنه دخل بلاد القوم ، وجالسهم ، وصدر عن ملوكهم . وعدّه بعضهم من أصحاب المعلقات ؛ وذكر قصيدته التي يمدح بها الاسود الكندي ، ومطلعها :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما تردّ سؤالي

ومن جيد شعره قصيدته التي أعدها لينشدها بين يدي رسول الله صلى الله

عليه وسلم يمدحه فيها فلم يقر بذلك وأولها :

ألم تفتض عيناك ليلة أرمداً^(٣) وبت كابات السليم^(٤) مسهداً^(٥)

ومنها يتحدث عن ناقته ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

فأليت لا أرني لها من كلالة^(٦) ولا من حفي^(٧) حتى تلاقى محمداً

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم تراحي^(٨) وتلقى من فواضله ندى

نبي يرى ما لا يرون وذكره أغار لعمرى في البلاد وأنجدا^(٩)

له صدقات ما تُعب^(١٠) ونائل وليس عطاء اليوم يمنعه غدا

وقصيدته في مدح الخلق وأولها :

أرقت^(١١) وما هذا السهاد المورق وما بي من سقم وما بي تعشق

(١) سمي كذلك لان فرساً عضه فصار موضع عضته كالحلقة

(٢) وشاهدنا الجبل والياسمين والنسمات بأقصابها

وبربطنا دائم معمل فأى الثلاثة أزرى بها

(٣) رجل أرمد به رمد في عينه (٤) المذوغ ، وسمى بذلك تفاؤلاً

(٥) لا ينال (٦) تعب (٧) رقة القدم (٨) أتقبحي (٩) أغار دخل الغور وهو كل ما انحدر

منرباً عن تهاة ، وانجد دخل التجد وهو ضد النور (١٠) تنقطع (١١) سهرت

ومنها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في اليقاع ^(١) تحرق
تُسَبُّ لِقُرُورَيْن ^(٢) يصطليانها ^(٣) وبات على النار الندى ^(٤) والحلق
رضيعي لبان ندى أم تقاسما بأسحهم داج عَوْضُ لا نفرق ^(٥)
تري الجود يجري ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندواني رونق
يداه يدا صدق فكف مبيدة ^(٦) وكف إذا ما ضن بالمال تنفق
ومن أبياته السائرة :

عَاقَتْهَا عَرَضًا وَعَاقَتْ رُجُلًا غَيْرِي وَعُلِقَ أُخْرَى ذَلِكَ الرَّجُلُ
كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوهِنَهَا فَلَمْ يَغْرِهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

(٨) الحارث بن حازمة

هو الحارث بن حازمة الشكري البكري أحد أصحاب المعانيات ، والمشهورين
بالواحدات ، والمجيدين على البدية والارتجال ، والمضروب بهم المثل في الحماسة
والافتخار ، ويتصل نسبه إلى بكر بن وائل . وكان فيها بمنزلة عمرو بن كلثوم في
تغلب ولم يؤثر عنه غير قطع يسيرة وقصيدته المعلقة التي مطلعها :

أَذْنَتْنَا ^(٧) بَيْنَهَا ^(٨) أَسْمَاءُ رَبِّ نَاوٍ ^(٩) يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

وكان من أمر هذه المعلقة أن عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة أصلح بين بكر
وتغلب بعد حربهما المشهورة بحرب البسوس . وأخذ من كلا الفريقين رهائن من
أبنائهم ليكشف بعضهم عن بعض ، وليقيد منها للمعتدى عليه من المعتدى ، فحدث
أن سرح الملك ركباً من تغلب في بعض حاجته ، فزعمت تغلب أن الركب نزلوا
على ماء لبكر فأجلوهم عنه وحملوهم على المغازة فأتوا عطشاً ، وتزعم بكر أنهم سقوهم

(١) الزل (٢) أصابهما البرد (٣) يستدفئان بها (٤) الكرم (٥) بأسحهم داج يريد
إيلا شديد السواد ، والمعنى أن الكرم والحلق رضاء من ندى واحد وتماهدا على انهما لا يفتقان
أبداً (٦) متلفة (٧) أعلمتنا (٨) فراقها (٩) مقيم

وأرشدوهم الطريق فناهوا وضلوا وهلكوا . وذهب الفريقان يتدافعان عند عمرو بن هند ، وكانت ضلّعه مع تغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حلّزة وكان في المجلس مستوراً عن الملك بستارة لما فيه من البرص ، فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً يفتخر فيها بقومه وفعلهم ، وحسن بلائهم عند الملك وعظم أيامهم معه ، فما أتم قصيدته حتى انقلب الملك إلى جانب البكرين واستدنى الحارث ورفع الستر بينه وبينه حتى صار معه في مجلسه . وعمر الحارث طويلاً حتى قيل : انه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة

* *

شعره — أكثر الرواة وتقدة الشعر معجبون بارتجال الحارث بن حلّزة شعره . قصيدته على طولها وإحكام نظمها ، وكثرة غريبها ، وتعدد فنونها ، واشتمالها على كثير من أيام العرب ووقائعها ومن قوله فيها وهو أوجز ما قيل في وصف التأهب للارتحال وأصدق وأوضحه تصويراً للحقيقة :

أجمعوا أمرهم عِشاءً فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء^(١)
من منادٍ ومن مُجِيبٍ ومن نصٍّ — هال خيل ، خلال ذاك رُغاء^(٢)
ومن قوله فيها :

لا يُقيم العزيز بالبلد السهّل ولا ينفع الذليل النّجاء^(٣)
ليس يُنجى موائلاً^(٤) من حِذارٍ رأس طودٍ وحرّة رجلاء^(٥)
ومن قوله في غير المعلقة :

مَنْ حَاكَمَ بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ مَالٌ عَلَى عَمْدَا

(١) الضوضاء اختلاط الاصوات (٢) الرغاء صوت البعير (٣) الاسراع في السير
(٤) وأل هرب وفزع كوامل (٥) الحرة الارض ذات الحجارة السوداء النخرة ، والرجلاء
الظليظة الشديدة التي يترجل فيها ، يريد ان الشركان شاملا لم يسلم منه العزيز ولا الذليل ، وان
المهارب منهم لم ينجه تحصنه بالجبل ولا بالحرّة الغليظة الشديدة

أودى بسادتنا وقد تركوا لنا حَقًّا^(١) وجُرْدًا^(٢)
 خيلي وفارسها وربِّ م أبيك كان أعزَّ فقدا
 فلو أن ما يَأْوِي إلى م أصاب من مَهْلَآن^(٣) هَذَا
 فضمي قناعك^(٤) ان ريب الدهر قد أقي معدا
 فلکم رأيت معاشرًا قد جمَّعوا مَالًا ووُلْدًا
 وهم رَبَّاب حَارٌّ^(٥) لا يُسْمَعُ الْآذَانَ رَعْدًا
 فحش بجد لا يضرُّك النُّوكُ^(٦) مالا قيت جدًّا^(٧)
 والعيش خير في ظلا ل النوك ممن عاش كدًّا

ومن قوله :

ان السعيد له في غيره عظة وفي التجارب تحكيم ومعتبر

(٩) لبيد بن ربيعة

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري ، أحد أشراف الشعراء المجيدين ، والقواد
 الفرسان المتمرين ، والاجواد العريتين والحكام الحنكين . وهو من بني عامر بن منشم
 صمصمة إحدى بطون هوازن من مضر ، وأمه عيسية . نشأ لبيد جواداً شجاعاً
 فتكا : أما الجواد فورثه عن أبيه الملقب بربيعة المتمرين ، وأما الشجاعة والفتك
 فهما خصلتا قبيلته ، اذ كان عمه ملاعب الأسنة أحد فرسان مضر في الجاهلية . وكان
 بين قبيلته وبين بني عبس أخواله عداوة شديدة ، فاجتمع وفداهما عند النعمان بن
 المنذر ، وعلى العيسيين الربيع بن زياد ، وعلى العامريين ملاعب الأسنة ، وكان
 الربيع مقرَّباً عند النعمان يؤاكله ويناديه ، فأوغر صدره على العامريين ، وعدَّ
 معايبهم ومخازيهم . فلما دخل وفد هم على النعمان غص منه وأعرض عنه ، فشق

(١) سلاحاً (٢) خيلاً (٣) جبل بني نمر (٤) القناع ما تستر به المرأة رأسها
 (٥) سحاب أبيض لم يتجه جهة (٦) الحنق (٧) حظاً

ذلك عليهم وخرجوا غضاباً يتذاكرون في أمرهم مع الملك ، وليبد يومئذٍ صغير يسرح إبلهم ويرعاه ، فسألهم عن خطبهم فاحتقروه لصغره ، فألح حتى أشركوه معهم ، فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غداً عند النعمان أسوأ انتقام : بهجاء لا يجالسه بعده ولا يؤاكله ؛ فكان ذلك ، ومات النعمان الربيع ولم يقبل له عندي ولم يجتمع به بعد ، واكرم العامريين وقضى حوائجهم . فكان هذا أول ما اشتهر به لبيد . ثم قال بعد ذلك المقطعات والمطولات ، وشهد النابغة له وهو غلام بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته التي أولها :

عفت الديار محلها فمقامها بنى تأبد غورها فرجامها^(١)

ومن حوادث فتكه أن الحارث الأعرج الغسانی أرسل مائة من الفتيان الفتاك على رأسهم لبيد ، ليقتلوا المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، فذهبوا إليه وأظهروا أنهم أتوه داخلين في طاعته ، فأدناهم إليه ، ولما صادفوا منه غيرةً قتلوه وهربوا ، فتبعهم جنود المنذر وقتلوا كثيراً منهم وفرّ البقية وفيهم لبيد — ولما ظهر الاسلام وأقبلت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم جاء لبيد في وفد قومه بنى جعفر ابن كلاب بن عامر وأسلم وعاد إلى بلاده وحسن اسلامه ، وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر الشعر حتى لم يرو له في الاسلام غير بيت واحد وهو^(٢) :

ما عاتب الحرّ الكرم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

وبعد أن فتحت الامصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر واختارها دار إقامة . ومن أحاديث جوده أنه نذر في الجاهلية (ألا تنهب الصبا إلا أطم) وأزم ذلك نفسه في الاسلام ، وكانت له جفتان يغدو بهما ويروح على مسجد قومه بالكوفة فهبت الصبا والوليد بن عقبة وإلى الكوفة على المنبر ، وليبد يومئذٍ قليل

(١) الديار في الاصل ماحل فيها لا يام معدودة ، والمقام ما طالت الإقامة به ، ومعنى موضع بنجد غير منى مكة ، تأبد توحش ، القول ما انهبط من الارض ، والرجام واحد رجعة وهي الهضاب وقيل القول والرجام موضعان

(٢) وقيل هو : الحمد لله اذ لم يأتني أجلى حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

المال ، فخرَّض في خطبته الناس أن يعينوه على مروءته ففعلوا ، وبعث هو إليه مائة بكرة ، فشكرته ابنة لبيد عن أبيها على ذلك بشعر جميل . وما زال بالكوفة حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة ؛ ومن ذلك تعلم أنه من كبار المعمرين ، وقد قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة

شعره — أما جعلنا لبيداً في فحول الجاهلية وإن عُمر في الاسلام أكثر من شعره أربعين سنة : لأنه كما قد منا لم يكن شاعراً في الاسلام ، بل لم يصح عنه فيه إلا بيت واحد . وقال لبيد الشعر ونبغ فيه وهو غلام ، وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان : كمنتره وعمر بن كلثوم ، فلم يجعله مورد كسب ، ولذلك ترى في شعره ولا سيما معلقته نبالة الفخر والتحدث بالفتوة والنجدة والكرم وإيواء الجار وعزة القبيل . ويشابه علو همته جزالة لفظه ، وفخامة عبارته ، ودقة معانيه ، وشرف مقاصده ، وقلة اللغو في قوله ، وكثرة اشتماله على عتائد الايمان والحكمة الصادقة والموعظة الحسنة . وقد ثبت في الصحيحين شهادة النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله أصدق كلمة قالها شاعرٌ كلمة لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) . وهو ممن يجيد الرثاء من الجاهليين ، ويأتى فيه بأبداع الحكم والأمثال التي تذهب الحزان ، وتسلي الهموم ، وتهوّن على النفس ألم المصيبة ، وعبارته فيه سهلة تخلص إلى النفس بلا عائق من غرابة في لفظ ، أو تعقيد في معنى

ومن جيد شعره قوله في معلقته مفتخراً بفعاله وقوله وقومه :

أنا إذا التقت الجماع لم يزل منا لزازٌ عظيمة جشامها (١)
ومقسّم يعطى العشيرة حقها ومُعذّرٌ لحقوقها هضامها (٢)

(١) رجل لزاز الخصوم يصلح لأن يلزمهم أى يقرن ليلهم ويقرهم ، جشم الامر كسمع تسكفه على مشقة وجشام مبالغة منه أى لا تخلو الجماع من رجل منا يتجلى بقمع الخصوم ويتكلف الخصام (٢) الغدرة النضب ، والهضم الظلم . يريد منا الذي يقسم الغنائم فيوفر على المصارح حقوقها ويتفض عند اضاءة شيء منها ويهضم حقوق عشيرته اذا ظلمت وجارت

فضلاً ، وذو كرم يعين على الندى
من معشر سنت لهم آباؤهم
لا يطبعون ولا يبور فعالمهم
فاقنع بما قسم الملك فانما
واذا الامانة قسمت في معشر
فبني لنا بيتاً رفيعاً سمكه
وهم السعاة إذا العشيرة أفضعت
وهم ربيع المجاور فيهم
وهم العشيرة أن يبطل حاسد
ومن قوله في النعمان يرثيه :

ألا نسألان المرء ماذا يحاول
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل أناس سوف تدخل بينهم

أنحب فيقضي أم ضلال وباطل^(٦)
بلى كل ذي لب إلى الله واسل^(٧)
وكل نعيم لا محالة زائل^(٨)
دويهة تصفر منها الانامل^(٩)

(١) الرغائب جمع رغبة وهي المطاء الكثير ، والامر المرغوب فيه ، وفضلاً أي يفعل ذلك تفضلاً
(٢) الطبع تدنس المرض وتلطيخه ، والبوار الفساد ، والالام المقول
(٣) افطعت اصيبت بأمر فظيع (٤) ارمل القوم فقد زادهم أي هم لمن جاورهم وللنساء
اللاتي فقدت ازواجهن بمنزلة الربيع المموم نفعم واحياهم ايهم بجودهم
(٥) هم متعاضدون كراهية ان يبطل الحساد بعضهم عن نصر بعض أو ان يميل لثامهم
الى الاعداء

(٦) السؤال بمعنى الاستفهام ، والمحاولة استعمال الحيلة ، والنحب النذر - اسألوا هذا الحريص
على الدنيا عما هو فيه أهو نذر نذراً على نفسه فلا بد من فعله أم هو ضلال وباطل من أمره
(٧) الواسل الطالب والراغب الى الله — أرى الناس لا يعرفون ما هم فيه من خطر الدنيا
وسرعة زوالها فالماقل من يتوسل الى الله بالطاعة والعمل الصالح
(٨) كل شيء غير الله تعالى زائل وفات ومضمحل ليس له دوام
(٩) التصغير للتعظيم والمراد الموت ، والمقصود من الانامل الاظفار لان صفرتها لا تكون
الا بالموت

وكل امرئ يوماً سيعلم غيبه إذا كشفت عند الإله الحصائل^(١)
 إذا المرء أسرى ليلة خال أنه قضى عملاً والمرء ما دام عامل^(٢)
 فقولا له إن كان يقسم أمره ألماً يعظك الدهر ، أمك هابل^(٣)
 فتعلم أن لا أنت مدرك ما مضى ولا أنت مما تحذر النفس وائل^(٤)
 فان أنت لم ينفك عامك فتنسب لعمك تهديت القرون الاوائل^(٥)
 فان لم تجد من دون عدنان والداً ودون معدٍ فلتزك العواذل^(٦)

(١٠) أمية بن أبي الصلت

هو أبو عثمان أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي شاعر
 قفيف وأحد الملتزمين للدين في الجاهلية

منشؤه — نشأ بالطائف ، وكان أبوه شاعراً مشهوراً ، فأرثى أمية عليه ،
 واستزاد النظر في الأديان ، وتطلبها من أهل الكتاب ، وروى الكثير من أخبار
 اليهود والنصارى ، وما بقى في رءوس شيوخ الجاهلية من ملة إبراهيم وإسماعيل ،
 وحدث عن خلق السموات والأرض والملائكة والجن وشرائع الأنبياء والرسل ،
 وخاض في التوحيد وأمر الآخرة ، وتعبد ولبس المسوح وحرّم الخمر على نفسه ،
 وشك في الاوثان . ورأى في هذه الكتب ما يبشر ببعثة نبي من العرب فطمع أن
 يكونه . فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كشف باله ، وحمله الحسد والكمد

(١) جمع حصيلة والمراد الحسنات والبركات

(٢) إذا سهر المرء في عمل ظن انه فرغ منه ، وهو ما عاش يمرض له مثل ذلك

(٣) يقسم يدبر ، هبلته أمه نسكته (٤) فتعلم بالنصب جواب التثني ، وائل من وأت

بمعنى نجت والوائل المنجى

(٥) ان لم تنفع بعلمك فانت مبونل ابن فلان بن فلان فانك لا ترى أحداً بقي ، لعمك تهديت

وترشدك هذه القرون الخالية

(٦) تزكك نسكك ، الدواذل هنا الحوادث ، وعدنان جده الأعلى — يقول لم يبق لك أب

حتى الى عدنان فكف عن الطمع في الحياة

أن ينابذه ويكفر بدينه على علمه بصحته ، ويحرض عليه قريشاً ، ويرثى قتلاهم في وقعة بدر . فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن رواية شعره في ذلك . وروى أنه هو الذي نزلت فيه آية « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » وكان عليه الصلاة والسلام إذا سمع شعره في التوحيد والإيمان والثناء على الله يقول : آمَنَ لسانه وكفر قلبه . واختص بأكثر مدائح في الجاهلية عبد الله بن جُدعان (أحد سراة قريش وأجوادها) حتى كان منه بمنزلة زهير مع هريم . وأقام بقية حياته بالطائف إلى أن مات بها كافراً سنة تسع للهجرة .

شعره — يعد أمة من أكبر شعراء القرى على قلة الشعر فيهم ، غير أن الذي أزدى بشعره في نظر بعض علماء العربية حتى أسقطوا الاحتجاج به كثرة استعماله للدخيل من العبرية والسريانية في شعره ، كأنهم أنكروا عليه حق التعريب لشدة مخالطته للأعاجم وإن كان عربياً صريحاً كما أنكروه على عدى بن زيد لادخاله الكثير من ألفاظ الفرس في شعره وطول معاشرته لهم .

وكان أمة يسمى السماء صاقورة ، وحاقورة ويزعم أن للقمر غلافاً يدخل فيه إذا خسف ويسميه (الساهور) ويسمى الله في شعره السلطيط ، والتغرور ونحو ذلك ويمتاز شعره ببعض السهولة في لفظه وبذكره بعض العجائب من القصص الخيالية والأساطير الخرافية ، وخلق العالم وفنائه ، وأحوال الآخرة وصفات الخالق والخشوع له ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء قبله ، ويتخلل ذلك شيء من الحكم والأمثال .

ومن شعره :

الحمد لله مَسَانَا وَمُصَبِّحَنَا	بالخير صَبَّحَنَا رَبِّي وَمَسَانَا
رَبِّ الْحَنِيفَةِ ^(١) لَمْ تَنْفَدْ خَزَائِنَهُ	مَمْلُوءَةً طَبَقَ الْآفَاقِ سُلْطَانَا
أَلَا نَبِيٌّ لَنَا مِنَّا فَيُخْبِرُنَا	مَا بَعْدَ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مَحْيَانَا

(١) يريد بها ملة إبراهيم

وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا
وعتب علي ابن له فأنشأ يقول :

غذوتك مولوداً ومُنتك يافعاً
إذا ليلةً ثابتك بالشجو لم أبتُ
كأني أنا المطروق دونك بالذي
تخاف الردى نفسي عليك وإنني
فلما بلغت السن والغاية التي
جعلت جزائي غلظة وفضاظة

تعلُّ بما أجنى اليك وتنهل
لشكواك الأَ ساهراً أتملح
طرقت به دوني فعيني تهمل
لأعلم أن الموت حتم مؤجل
اليها مدى ما كنت فيك أو مل
كأنك أنت المنعم المتفضل

ومن قوله في المدح :

عطاؤك زين لامرئٍ قد حبوته
وليس بشينٍ لامرئٍ بذل وجهه
ومن قوله وقد حضرته الوفاة :

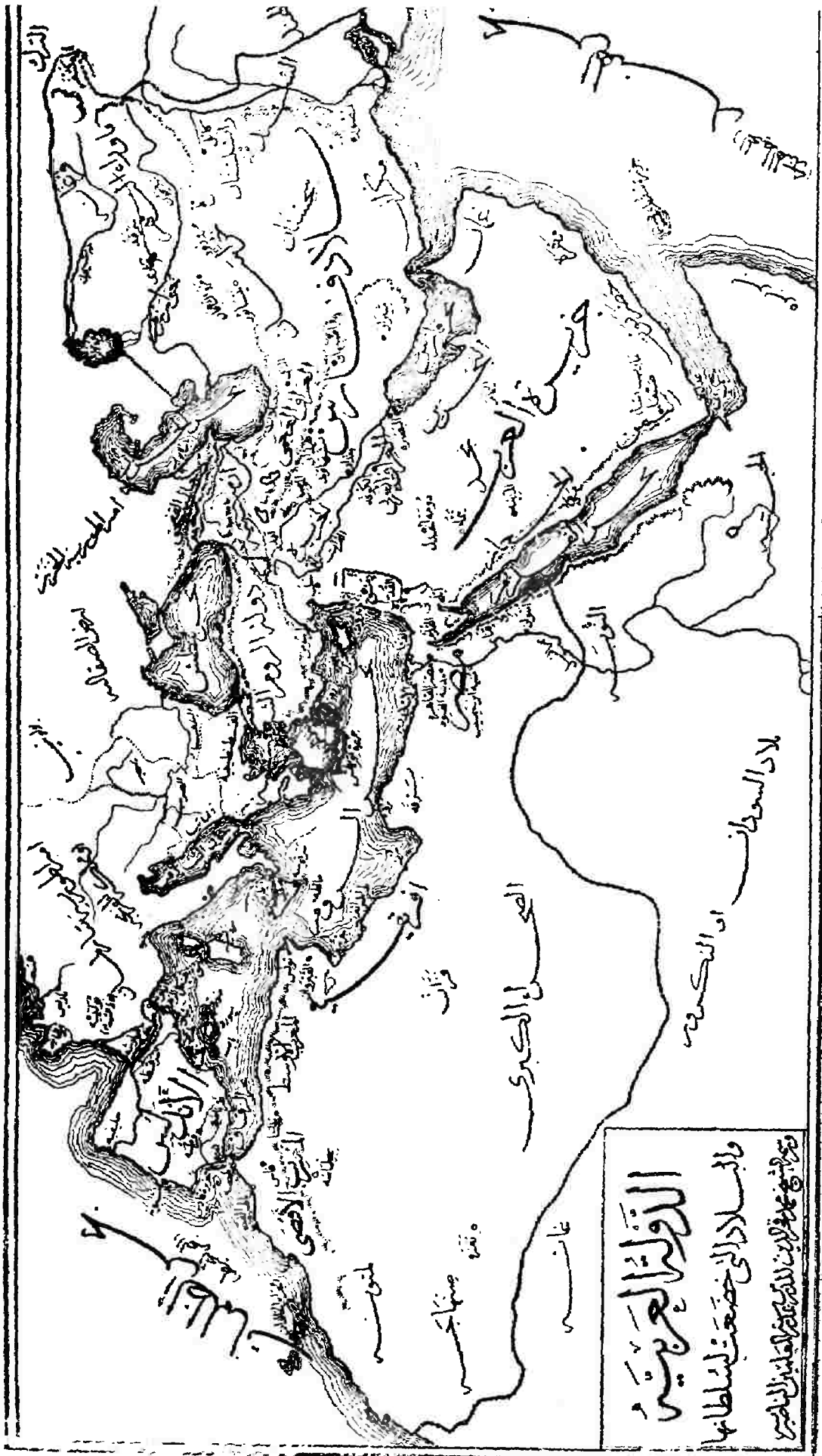
إن تغفر اللهم تغفر جمّاً
وأى عبدٍ لك لا ألما



الرواية والرواية

قد علمنا مما تقدم أن عامة المروى من كلام العرب : شعرها ونثرها وأخبارها معزوة الى أهل البدو الأميين ، ولذلك لم يصل إلينا كتابٌ يجمع بين دَفْنِيهِ الكثير منها ، إلا ما روى عن هشام بن الكلبي : من أنه استخرج أخبار ملوك الحيرة من بعض صحفهم ، والأما قيل من حديث الطَّنُوج (١) التي عثر عليها المختار الثَّقَفِيّ تحت قصر النعمان بالحيرة ، وما روى لنا من كلام فصحاء العرب ليس إلا النزر اليسير بوجوه مختلفة : من نقص وزيادة ، وتقديم وتأخير ، ووضع لفظ موضع آخر ، إذ لا يعقل أن الناس كيفما قويت ملكة الحفظ فيهم (كما هو شأنها في الأمة العربية) يضبطون كل ما يسمعون طبع أصله بلا تغيير ولا تبديل ، ولو كان هذا الأمر ممكناً لغنيت أمة به عن الكتابة وإن تفتى . وبالطبع لا يحفظ هذه الوديعة إلا أهل الحفاظ عليها والاعتداد بها ، وهم الشعراء والمتأدّبون وأرباب الأحساب والمفاخر ، فقد كان امرؤ القيس راوية أبي دواد الياذي ، وزهير راوية أوس بن حجر والأعشى راوية المسيّب بن علس

واشتهر من قريش أربعة بأنهم رواة الناس للأشعار وعلماءهم بلا أنساب وهم : مخزّمة بن نوفل ، وأبو الجهم بن حذيفة ، وحويطب بن عبد العزّي وعقيل بن أبي طالب



الدولة العثمانية
والسلاطنة الخصصة لسلطانها
وتحت إشرافها الذين لا يخرجون من العالم إلى البحر

العصر الثاني

عصر صدر الاسلام ، ويشمل بنى أمية^(١)

حالة اللغة وآدابها في ذلك العصر

ملخص
حالة اللغة
في
الجمالية

كانت العرب في اخريات جاهليتها بحسب طبيعة أرضها أمماً بدوية ، وقبائلاً رحالة ، ليس لها من وسائل العمران وأسباب الرخاء ما يحملها على تبخر في علم ، أو تبصر في دين ، أو تفنن في تجارة ، أو تأنق في زراعة ، أو تدبر في سياسة ، وكانت من التدابر والتقاطع والتساؤل^(٢) على حال لم تقتصر على سكّان القفر والوهر ، بل عمّت المدن والمدن^(٣) ، وعلى وفق ذلك كانت اللغة العربية لا تعدو أغراض المعيشة البدوية ووصف مراقبها ، وإثارة المنازعات والمشاحنات ، إلا أن روحاً من الله تنسّم^(٤) بين أرجائها فأيقظها من رقدتها ، ونبّها لضرورة التعاون على الخير في معاشها ولغتها وجماعتها ، فظهر ذلك بيدنا في الاسواق التجارية اللغوية الاجتماعية وفي الإذعان فيها إلى حكومة الأشراف والفصحاء والنبلاء من قريش وتميم وغيرهما . مما هيأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد ، ويتفاهموا بلسان واحدة ، فكان ذلك إيداناً من الله باظهار الاسلام فيهم . وما ألفت نفوسهم هذا النمط الجديد إلا وقد جاء النبي الكريم لا مآل لشعثهم ، موحداً لكلمتهم ، مهذباً لطباعهم ، منشئاً لهم تنشئة جديدة ، مبيّناً طريق الحق ، وجادة الصواب ، بشريعة عظيمة ، تتمثل في كلام

- | | |
|-------------------------------------|--|
| (١) خلفاء بنى أمية هم : | ٧ : ساجان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩) |
| ١ : معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠) | ٨ : عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١) |
| ٢ : يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤) | ٩ : يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥) |
| ٣ : معاوية بن يزيد (٦٤ - ٦٤) | ١٠ : هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) |
| ٤ : مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥) | ١١ : الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ - ١٢٦) |
| ٥ : عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦) | ١٢ : يزيد بن الوليد الاول (١٢٦ - ١٢٦) |
| ٦ : الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦) | ١٣ : مروان الجعدي (١٢٧ - ١٣٢) |

(٢) التواضع والمهاجرة (٣) الحضرة (٤) تنفس

الله وكلام رسوله ؛ فكان من نتيجة ذلك أن أسست لهم جامعة قومية ملية ومملك كبير
وبلتفاف العرب حول صاحب هذه الدعوة وأنصاره ، وتفهمهم شريعته وكلامه
ثم خضوعهم بعد نزاعاً عامّة^(١) قومه وخلفائه ، وولائهم وأعوانهم وأنصارهم ، وفتوحهم
تحت ألويتهم ممالك الأكسرة والقيصرية وغيرها : من جبال البرانس^(٢) الى الهند
والصين ومخالطتهم أهلها بالجوار والمصاهرة ، حدث في حياتهم الفكرية واللسانية
ما يمكن اجماله في الأمور الآتية :

الأول — شيوع اللغة القرشية ، ثم توحد لغات العرب وتمثلها جميعها في لغة
قريش ، واندماج سائر اللهجات العربية فيها . وبعض أسباب هذا يرجع الى ما قبل
الاسلام بتأثير الأسواق والحج واختيار قريش ، وأكثرها يرجع الى نزول القرآن
بلغتهم ، وظهور ذلك الداعي العظيم منهم ، وانتشار دينه وسلطانه على أيديهم ، إذ
كانوا هم القائمين بأمر الاسلام بعد فتح مكة ، ومنهم كان الخلفاء والأمراء وقادة
الجيوش ورجال الدولة وأصحاب الحل والعقد الذين تألفت منهم عصبية^(٣)
العرب في الاسلام ، وكان لهم الغلب على كل قبائله واممه ؛ وبحكم الضرورة تكون
افتهم هي اللغة الرسمية بين كل القبائل . واذا علمنا أن أكثر رجال الدولة العربية
من السلالات المضربية ، وهم أولاد عم قريش ، سهل علينا أن نعرف وجه انتقال أكثر
العرب لغة قريش في زمن قليل . أما ما كان باقياً من لغة حمير فلم يكن متميزاً من
لغة قريش بامر جوهري في إعراب أو أسلوب أو تصريف ، بل كان باختلاف
بعض الألفاظ في دلالتها على المعاني المتحدة ؛ فمثلاً الشناتير ، بلغة حمير : الأصابع بلغة
قريش ؛ والكُتيع عند حمير : الذئب عند قريش ؛ وأنطى في كلام حمير : أعطى في كلام
قريش . الى غير ذلك مما له نظائر بين لغات بعض قبائل مضر أنفسها ولغات بعضها
الآخر ؛ فمثلاً السدفة : الظلمة عند تميم ، والضوء عند قيس وهكذا . ولذلك لم تتخلف

(١) ربيعة (٢) جنوبي فرنسا

(٣) العصبية تناصر العشيرة والقبيلة بعضهم لبعض والمراد هنا القوة

الغة حمير عن الأحاق بأخواتها من لغات العرب واندماجها في لغة قريش

الثاني — انتشار اللغة العربية في ممالك الفرس والروم وغيرهما بالفتوح والمغازي^(١) وهجرة قبائل البدو اليها ، واستيطانهم لها ، واختلاطهم بأهلها ، وتقرب هؤلاء الأعاجم اليهم بتعلم لغتهم والدخول في دينهم المستمد من القرآن العربي المبين

الثالث — ظهور اللحن في الكلام بين المستعربين : من الموالى ، وأبناء العرب من الفتيات ، وبعض العرب المكثرين من معاشرة الأعاجم

الرابع — اتساع أغراض اللغة بسلوكها منهجاً^(٢) دينياً ، واتباعها خطة نظامية تقتضيها حال الملك وسكنى الحضر وتتضح فيما يأتي :

اتساع
أغراض
الغة

(١) تبين العقائد الدينية التي جاء بها الاسلام : من اثبات وجود الخالق ، وتوحيد ذاته ، وتقديس صفاته ، ومن الايمان بالبعث والنشور والثواب والعقاب وغير ذلك ، مما لم يكن يفقهه بعض الأتباع خاصة الجاهلية ، وأصبح بعد الاسلام الشغل الشاغل لجميعهم بل للأمة الاسلامية جمعاء

(٢) تبين الشريعة واستنباط الأحكام الملائمة لآحوال الزمان والمكان ، والكفالة لحسن معيشة المرء في منزله ، ومعاملته للناس والسلطان

(٣) استعمالها في ضبط أمور الملك ونظام العمران ، ونشر الامان والعدل ، وفيما تستدعيه مرافق أهل الحضر والأمصا

(٤) وضع مبادئ بعض العلوم ، وترجمة اليسير من العلوم الطبيعية والرياضية والطبية

الخامس — ارتقاء المعاني ، ويظهر ذلك في الأمور الآتية :

معاني
الغة

(١) اتساع مادة المعاني باتساع مادة المشاهدات والمعقولات

(٢) حسن نظامها ومراعاة الوفاق بينها. لارتقاء الفكر وثقيفه بالنظر الصحيح في أمور الدين والملك والاقتباس من حضارة الفرس والروم ، وتنوع صور الخيال وروعة جماله ، تبعاً لتنوع المرئيات الجميلة التي انتزع منها

السادس — تغير الألفاظ والأساليب بما يأتي :

مبارة

- (١) تهذيب ألفاظ اللغة : بمحاكاة ألفاظ القرآن الكريم والسنة في مجانبة حوشي اللغة
الألفاظ الذي ينبو عنه السمع ، ويمججه الذوق السليم
- (٢) التوسع في دلالة الألفاظ : باخراجها من معنى إلى معنى بينه وبين الأول مناسبة ، ومن ذلك الالفاظ التي استعملها الشارع في غير معناها الأصلي : كالصلاة والصيام والزكاة ، والمؤمن والكافر والفاسق والمنافق وغير ذلك ، والألفاظ التي استعملت في نظام الملك ، ومصطلحات العلوم والصناعات التي عرفت في ذلك العصر
- (٣) موت ألفاظ حظر الشارع استعمال مدلولاتها أو أعضائها غيرها كالرباع^(١) والنشيط^(٢) والفضول^(٣) وكيم صباحاً ، وعيم ظلاماً
- (٤) دخول طائفة من الألفاظ الاعجمية في الكلام وتسمى الكلمة حينئذٍ معربة^(٤)

(١) الرباع ربع الغنيمة ، وكان يختص به قائد الغارة وفارسها

(٢) ما كانوا يفتنونه هفوا في طريقهم الى غارة مقصودة

(٣) الفضول ما فضل من القسمة مما لا يمكن قسمه على الفزاة ككرس ونحوه وبمطى لفارس

الغارة أيضاً قال الشاعر العربي :

ك الرباع فينا والصفايا وحكمك والنشيط والفضول

(٤) التعريب أن تدخل العرب كلمة من كلام المعجم ولغتها ، وتجريها غالباً على منهاج أبنية كلمها وتنطق بها من مخارج حروفها ، ويسمى اللفظ الأعجمي بعد استعماله « معرباً » أو دخيلاً ، والصحيح منه في غير الاعلام (على ما قاله أئمة اللغة) ما وقع في القرآن الكريم : أو الحديث الصحيح ، أو الشعر القديم ، أو كلام من يوثق بعربيته ، وهم عرب الجاهلية ، وعرب الاسلام الفصحاء ، الى أواسط القرن الثاني . وما عربه المتأخرون من المترجمين والاطباء وغيرهم يسمى « ولدأ » ، سواء أكان أعجمي الأصل أم محرفاً عن العربي . وقد أخذ العلماء على صاحب القاموس ذكر بعض الكلمات المولدة في معجمه من غير أن ينبه عليها ، فأوقع بعض الناس في ابس . والاشتقاق من الألفاظ الأعجمية سماعى كالتعريب نفسه : مثل ألجم وءلجم من اللجام ، ومدرهم ومدزمن الدرهم والدينار هذا وإذا احتجنا الى وضع أسماء لمسميات لم نعرفها العرب ، ولم نضع لها ألفاظاً ، وجب أن نأخذها من الألفاظ العربية المهجورة القابلة للتصريف والخفيفة على السمع ، بشرط أن يكون بين المعنيين مناسبة ما ، ويسمى هذا بالوضع العرفي أو الاصطلاحي ، وهو قياسى عند علماء اللغة : لانه مبني على المجاز القياسى

(٥) التأنق في صوغ الأساليب والتفنن في أنواعها وإحكام نظمها ، ووصولها في البلاغة إلى غايتها : لانبعاث روح القرآن الكريم في قلوب المتكلمين بها ، وسلوكهم سبيله في البيان وحسن الأداء مؤثرين الإيجاز على الاسهاب في أكثر المواضع إلى أن تقاصرت دونه أفهام الناشئين في الحضرة من العرب والمستعربين من المعجم آخر هذا العصر ، فأصبح للاسهاب نصيب من عنايتهم لا يقل عن الإيجاز ولما كان معظم هذه التغيرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوي ، ناسب أن نذكر قللاً من أكثر مما ينبغي أن يقال فيها

القرآن الكريم وأثره في اللغة

القرآن (كتابٌ أحكمت آياته ثم فصّات من لدن حكيم خبير) فيه آيات بينات ، ودلائل واضحة ، وأخبار صادقة ، ومواعظ راقية ، وشرائع راقية ، وآداب عالية ، بعبارة تأخذ بالألباب ، وأساليب ليس لأحد من البشر بالغاً ما بلغ من الفصاحة والبلاغة أن يأتي بمثلاً أو يفكر في محاكاتها ، فهو آية الله الدائمة ، وحجته الخالدة ، (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) . أنزله الله على رسوله ليبلغه قومه وهم فحول البلاغة ، وأمراء الكلام ، وأبابة الضمير ، وأرباب الأنفة والحمية ، فبهروهم ببيانهم ، وأذهلهم افتنانه ، فاهتدى به من صح نظره واستحصف^(١) عقله ، ولطف ذوقه . وصداً عنه^(٢) أهل العناد والمكابرة والأجاج^(٣) فتحدّاهم^(٤) أن يأتوا بمثله فنكصوا^(٥) ، ثم بعشر سور مثله فعجزوا ، ثم بسورة من مثله فانقطعوا^(٦) ، فحق عليهم إعجازه^(٧) ، قال تعالى

(١) استحكم (٢) أعرض عنه (٣) المحصومة (٤) تحدى الرجل خصمه باراء ونازعه الغلبة في الشيء (٥) اجمعوا (٦) انقطع في الحاجة غلب وسكت بهراً وانقطعت حجته (٧) أجمع المسلمون على أن القرآن معجز ، وسلكوا إلى بيان اعجازه طرناً شتى ، ونشير هذا إلى نقطة من بحر مما قالوه ، فهو معجز

(قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (١)

وقد علمت مما تقدم في حالة اللغة ما كان له من الأثر البين في توحيد اللغة ونشرها وترقيتها من حيث أغراضها ، ومعانيها ، وألفاظها ، وأساليبها ، ونزید هنا أنه قد أثر فيها ما لم يؤثره أي كتاب سماويًا كان أو غير سماوي في اللغة التي كان بها ، إذ ضمن لها حياة طيبة وعمراً طويلاً ، وصانها من كل ما يشوّد خلقها ، ويذوي (٢) غَضَارَتِهَا (٣) ، فأصبحت وهي اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التي انطمست آثارها ، وصارت في عداد اللغات التاريخية — وأنه قد أحدث فيها علوماً جمة وفنوناً شتى لولاه لم تخطر على قلب ، ولم يخطها قلم : منها اللغة ، والنحو ، والصرف ، والاشتقاق ، والمعاني ، والبديع ، والبيان ، والأدب ، والرسم ،

أولاً - من جهة أغراضه ومقاصده - فتجده في كل غرض وموضوع غاية في الإبانة والجلال ، ونهاية في الإصابة وإطراد الأحكام : فمن تشريع خالده ، وتنذيب بارعه ، وتعليم جامع ، وأدب بالغ ، وإرشاد شامل ، وقصص واعظ ، ومثل سائر ، إلى الحكمة بالغة ، ووعد ووعد ، وإخبار بمغيّب ، وغير ذلك من الأغراض والمقاصد

وقد كان فحول البلاغة لا يبرز أحدهم إلا في فن واحد من أنواع القول : فمن يبرع في الخطابة لا ينبغي في الشعر ، ومن يحسن الرجز لا يجيد القصيد ، ومن يستعظم منه الفخر لا يستعذب منه النسيب ، ولا يمر ما ضربوا المثل بأمرى الفيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والاعشى إذا طرب ، والنايفة إذا رهب

ثانياً - من جهة الفاظه وأساليبه - فلا تجده منه إلا عذوبة في اللفظ ، ودماثة في الأساليب ، وتجاذبا في التراكيب ، وليس فيها وحشي متنافر ، ولا سوق مبتذل ، ولا تعبير عويص . ولا فواصل متعذبة ، على شيوخ ذلك في كلام الملقين ، وأهل الحبيطة المتروين ، حتى أنك لترى الجملة المقتبسة منه في كلام أفصح الفصحاء منهم تفرعه جمالاً ، وتشمله نوراً ، وتكسوه روعة وجلالة ، إلى أجمال في خطاب الخاصة ، وتفصيل في تفهيم العامة ، وتكنية للعربي ، وتصريح للعجمي ، وغير هذا مما يقصر عن احصائه الالمام ، ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام

ثالثاً - من جهة معانيه - فأنك تجدها من غير معين العرب الذي منه يستفنون : لأطراد صدقها وقرب تناولها ، وإطرائان النفوس إليها ، وإبتكارها البديع على غير مثال مهود : من حجج باهرة ، وبرهانات قاطعة ، وأحكام مسلمة ، وتشبيهات رائعة ، على تمازج ونواصل ، وبراعة من التقاطع والتدابر . وهو في جلته نزهة النفوس وشفاء الصدور . وهو الكتاب الخالد الذي لا يتبدل أسكاته ، ولا ناسخ لأحكامه ولا ناض . انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون

(١) - ساعداً ومعيناً (٢) يذبل (٣) غضارة النبات والعيش نصارته

والقراءات ، والتفسير ، والأصول ، والتوحيد ، والفقه

ونظم القرآن من نوع النثر وان لم يجز على مألوف العرب في نثرها المرسل
وسجعها الملتزم ، بل هو آيات وفواصل يشهد الذوق السليم بانتهاء الكلام عندها ،
فتارة تكون سجعاً ، وطوراً تكون موازنةً وازدواجاً ، وأحياناً لا تكون هذا ولا ذاك
وفي القراءات الكريمة من الحكم والأمثال وجوامع الكلم ما كان به هداية
الحكيم ، وإرشاد الأديب - فنمها :

طائفة من الآيات الكريمة
أَنَامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ — وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ — وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ إِنَّا كُلُّوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ — كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ —
قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى — لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا —
لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ — وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ — إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ
مِنْ بَعْدِهِ — وَايْخُشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا
اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا — مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا — مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ — قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَلِيشُ
وَالطَّيِّبُ — لِكُلِّ نَبَأٍ مَسْتَقَرٌّ — مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ — إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
مَبِقُومٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ — لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ — وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً
إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا — قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى
شَاكِلَتِهِ — لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ — مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ —
وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ — وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ — قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ — هَلْ جِزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ — فَاعْتَبِرُوا
يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ — تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى

جمع القرآن وكتابه

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجماً على حسب الوقائع ومقتضيات الاحوال في بضع وعشرين سنة ؛ وكان عليه الصلاة والسلام يأمر كتاب وحيه بكتابة ما ينزل ، فكانوا يكتبونه بين يديه في عُسْب^(١) أو لخاف^(٢) أو اكتاف^(٣) ، وهو يرشدهم إلى وضع كل آية من السورة التي ينبغي أن تكون فيها . وفي صحيح البخاري أن جبريل كان يعارض^(٤) النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن كل عام مرة ، وانه عارضه به مرتين في العام الذي توفي فيه . وفي الاتفاق^(٥) للسيوطي أن زيد بن ثابت اكبر كتاب الوحي شهد العرصة الاخيرة التي يُتَن فيها ما نسخ وما بقي ، وكتبها للرسول صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه ، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمع القرآن ، وولاه عثمان كتابة المصاحف

وتوفي رسول الله والقرآن كله مكتوب ، وفي صدور الصحابة محفوظ ، وان لم يتفقوا في حفظه وترتيبه لأسباب شتى . ولما رأى عمر رضي الله عنه أن القتل قد استحر^(٦) بلفاظ في وقعة اليمامة^(٧) حتى قُتل منهم سبعمائة أشفق من ضياع القرآن ، فذهب إلى أبي بكر وأخبره الخبر ، وبعد أخذ وردّ اتفقا على جمع القرآن وكتابته ، وعهدا بذلك إلى زيد بن ثابت ، فجمعه من العسب والخاف والاكتاف والصدور وكتبه صحفاً ، فكانت تلك الصحف عند أبي بكر حياته ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر

وفي مدة عثمان كثرت الفتوح وانتشر القراء في الأمصار وقرأوا القرآن بلغاتهم على تعددها ، وأدّى ذلك إلى تخطئة بعضهم بعضاً ، فخشى عثمان تفاقم^(٨) الأمر ،

(١) اصل العسف الذي لا يثبت عليه الحوص من الجريد (٢) حجارة بيض رقاق

(٣) مفردا كتف وهو عظم اللوح من الحيوان (٤) يقابله ويصنع معه مثل ما يصنع في القراءة

(٥) كتاب للسيوطي خاص بمعلوم القرآن (٦) اشتد (٧) وهي الواقعة التي قتل فيها خالد

ابن الوليد مسيلمة المثني الكذاب (٨) تفاظم

فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوا تلك الصحف في مصحف واحد مرتب السور ، واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قريش لنزوله بلغتهم

الحديث النبوى

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وأبينهم وأحكمهم ، وكانت حياته كلها هداية ونوراً ، وأفعاله وأقواله جميعها مدداً يستمد منه الخلق سدادهم ورشادهم في معاشهم ومعادهم ؛ ولهذا حرص المسلمون على حفظ ذلك الأثر العظيم حرصاً لم يوفق إلى مثله أمة في حفظ آثار رسولها ؛ فجمعوا من كلامه ووصف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام ووعوا منها في صدورهم ما لا يدخل تحت حصر . وكلامه صلى الله عليه وسلم منزّه عن اللغو والباطل ، وإنما كان في توضيح قرآن أو تقرير حكم ، أو إرشاد إلى خير ، أو تنفير من شر ، أو في حكمة ينتفع الناس بها في دينهم ودنياهم — بعبارة هي في الفصاحة والبلاغة والايجاز والبيان بالدرجة الثانية بعد القرآن ، ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب بالمنزلة التالية لكلام الله تعالى ، ولا سيما حكمه وجوامع كلمه التي هي القدوة الحسنة للأديب ، والحلية التي يزدان بها كلام الكاتب والخطيب

فمن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم :

طائفة من الأحاديث الشريفة
انما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى — المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً — اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ^(١) — يد الله مع الجماعة — كل ميسر لما خلق له — دَعْ مَا يَرِيكَ ^(٢) إلى ما لا يريك — الناس كلهم سواسية كأَسنان المشط — وقوله يخاطب الأنصار: انكم لتقولون عند الطمع ، وتكثرون عند النزع — إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجالس يوم النيامة أحابنكم

(١) تكفل (٢) يجملك شاكاً فيه لست على يدنة من أمره

أَخْلَاقًا مَوْطُونًا^(١) اِكْتَنَافَا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ ؛ وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَى وَأَبْغَضَكُمْ مِنْى
مَجَالِسِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ^(٢) الْمُتَشَدِّقُونَ^(٣) الْمُتَفِيهِقُونَ^(٤) . وَمِنْ عَجَائِبِ تَعْنِيْلِهِ
وَرَوَائِعِ كَلِمَةِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ قَوْمًا رَكِبُوا فِي سَفِينَةٍ فَاقْتَسَمُوا ، فَصَارَ لِكُلِّ
رَجُلٍ مِنْهُمْ مَوْضِعٌ ، فَتَقَرَّرَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مَوْضِعَهُ بِنَافَسٍ ، فَقَالُوا لَهُ مَا تَصْنَعُ ؟ قَالَ هُوَ مَكَانِي
أُصْنَعُ فِيهِ مَا شِئْتُ ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ نَجَا وَنَجَوْا ، وَإِنْ تَرَكُوهُ هَلَكَ وَهَلَكَوْا

النثر

لغة التخاطب — الخطابة — الكتابة

لغة التخاطب

كَانَتْ لُغَةُ التَّخَاطُبِ فِي مَبْدِئِ الْإِسْلَامِ بَيْنَ الْعَرَبِ الْخُلُصِ وَالْمَوَالِي النَّابِتِينَ فِيهِمْ
هِيَ الْعَرَبِيَّةُ الْفَصِيحَةُ الْمَعْرُوبَةُ ، وَكَانَتْ لُغَةُ الْمَوَالِي الطَّارِئِينَ عَلَيْهِمْ تَقَرُّبٌ مِنَ الْفَصِيحَةِ
أَوْ تَبْتَعْدُ عَنْهَا عَلَى حَسَبِ طَوْلِ لُبُّهُمْ فِيهِمْ أَوْ قَصَرِ مَقَامِهِمْ عِنْدَهُمْ ؛ وَلِذَلِكَ أُثِرَ عَنْ
دُخُولِ فِي الْإِسْلَامِ حِينَئِذٍ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ (وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ بَيْنَهُمْ غَيْرَ كَافِيَةٍ لِنَسْخِ عَجَمَتِهِ
جُمْلَةً) أَنَّهُمْ كَانُوا يَمِيلُونَ فِي كَلَامِهِمُ الْعَرَبِيَّ إِلَى أَسْلُوبِ لُغَتِهِمُ الْأُولَى وَمَخَارِجِ حُرُوفِهَا
وَإِنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ اللَّحْنُ ، أَوْ وَقَعَ قَلِيلًا ؛ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ بِلَالًا^(٥) كَانَ يَرْتَضِخُ^(٦)
لُكْنَةً حَبَشِيَّةً ، وَسَلَامَانَ^(٧) لُكْنَةً فَارْسِيَّةً ، وَصُهَيْبًا^(٨) لُكْنَةً رُومِيَّةً ؛ وَأَنَّ رَجُلًا
لَحْنُ أَمَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أُرْشِدُوا أَخَاكُمْ فَقَدْ ضَلَّ

أثر
الفتوح
في لغة
التخاطب

ولما فتح المسلمون الأمصار، وكثر عندهم سبي الأعاجم وأسرى الحروب، ودخل

(١) الممهدة جوانبهم أى السهلة أخلاقهم

(٢) الثرثار المهدار والصياح (٣) المتشدد الذى يلوى شدة له للنصح (٤) المتنطع
فى كلامه المتنوع فيه كأنه يلا به فيه (٥) هو بلال بن رباح الحبشى مؤذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم (٦) ينزع الى المعجم فى الفاظ من العاظم (٧) هو سلمان ابن الاسلام فارسى
أسلم وصحب رسول الله ومحبى المسلمين للنصح (٨) صهيب بن سنان عربى الاصل سباه الروم
وهو صهيب ثم عاد الى العرب وأسلم وصحب رسول الله وبقيت فى لسانه لكنة رومية

في الاسلام منهم ألوف الألوف ، وأصبحوا لهم اخواناً وشركاء في الدين ، وتم بينهم
التزاوج والتناسل ، نشأ للعرب ذرية من فتياتهم الأعجميات اختلطت عليهم ملكة
العربية ، لتلقينهم عن آبائهم عربية فصيحة وعن أمهاتهم خليطاً منها ومن الأعجمية .
وكذلك كان الشأن في المتعربين من الأعاجم ؛ إذ أصبحت لهم لغة تخاطب عربية
مشوبة بشيء من اللحن والكلمات الدخيلة وغير ذلك من أنواع التغير والتبديل
والتصحيف والتحريف . أما العرب أنفسهم بعد الفتوح فكانت لغتهم في جزيرتهم
مثل ما كانت عليه في جاهليتهم ، وأما سُكَّان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر ،
فالعامية منهم المخالطون للأعاجم كثيراً بالمعاملة والتسوق^(١) لم تخلُ لغتهم من لحن
أو هجنة ، والخاصة منهم تشددوا في المحافظة على سلاتتهم وتجاهوا الزواج بالأعجميات
وبالفوا في تربية أبنائهم على ألف الملكة العربية ، فكانوا يرسلونهم إلى البادية ليروضوهم
على الفصاحة ، وينشئوا نشأة الأعراب الفصحاء ، أو يُحضرون لهم المؤدِّبين والمعلمين
من أفصح الناس وأعلمهم : ليخرجوهم في الإعراب واللسن ؛ كذلك كان يفعل
خلفاء بني أمية وأمرؤهم اقتداءً بكبيرهم معاوية بن أبي سفيان في تربية ابنه يزيد .
ومن لحن من خلفاء بني أمية وأمرائهم وأشرف العرب في زمانهم ولو مرةً عدواً
ذلك عليه عاراً لا يمحي ، وسبباً لا تزول ؛ ومن هؤلاء اللحنين عبيد الله^(٢) بن
زيد ، والوليد^(٣) بن عبد الملك وخالد القسري^(٤) مع أن بعضهم كان من أبلغ
الناس وأبينهم

ومن هنا تعلم السر في تسرع القوم إلى وضع النحو وتدوينه والشكل والاعجام

(١) تسوق القوم إذا باهوا واشتروا في السوق

(٢) كان والياً على العراق في مدة معاوية ويزيد ابنه وكانت أمه فارسية

(٣) هو الخليفة الاموي أشفق عليه أبوه أن يرسله الى البادية فترى في المعر وتعلم العربية
بالصناعة فمرض لكلامه بعض اللحن (٤) هو خالد بن عبد الله القسري والى العراق من قبل
الخليفة هشام ، وكانت أمه نصرانية وكان من أبلغ الناس وأخطبهم وعدة عليه بعض اللحن

الخطابة في هذا العصر

لما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أية أمة : إما دعوة دينية وإما دعوة سياسية ، وكانت تلك الدعوة تستدعي السنة قوالة من أهلها لتأييدها ونشرها ، والسنة من أعدائها وخصومها لإدحاضها والصدّ عنها ، وذلك لا يكون إلا بخطابة الجماعات وأصحاب النجيدات في الحافل والمنشآت ، والحج والمواسم والأسواق ، ومواطن الزحف ومقدّم الوفود ونحو ذلك — كان ظهور الاسلام بلائاً من الجلال والشأن الخطير والدعوة العظمى التي لم يُعهد لها من قبل في العالم مثيل من أهم الحوادث التي أنشطت اللسان من عقولها وأثارت الخطابة من مكنها ، وأغرّت العقول بحكامها والافتنان فيها ، واختلاب النفوس بسحر بيانها ، فوق ما كانت عليه في جاهليتها . فكان العمل الأكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بادیء أمره — غير تبليغ القرآن — وارداً من طريق الخطابة . ولأمر ما جعلها الشارع شعار كل إمام في حقل ديني أو سياسي كالجمعة والعیدین وموسم الحج الأكبر ، ويوم الصف وكل أمر جامع لنشر فضيلة ، أو نهى عن رذيلة أو اعلان نصر ، أو تأكيد وصية ، إلى غير ذلك من الأمور ذوات البال ؛ ولذلك كان دُعاة النبي صلى الله عليه وسلم ورسوله إلى الملوك وأمراء جيوشه وسراياه ، ثم خلفاؤه من بعد وعملهم كلهم خطباء مصاقع^(١) ، وألسنا^(٢) مقال^(٣) أعانهم على ذلك أنهم كانوا يخطبون عرباً مثلهم ، أسباب لفصاحة عندهم هزة^(٤) في النفس وروعة في الفؤاد ؛ وأن الشرع صرفهم عن اللهو الخطابة

(١) جمع مصقع كقبر البليغ أو العالي الصوت أو من لا يرنج عليه في كلامه ولا يستمتع

(٢) جمع لسان البليغ المنكلم عن القوم (٣) جمع مقول كقبر مثل سابقه

(٤) الهزة النشاط والارتياح

بالحجج العقلية والوجدانية ، وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقاب ؛ وخلقها عن قيود الوزن والقافية ؛ ولأنها تقال بعبارات تفهمها الخاصة والعامة : من الجندي الصغير إلى القائد الكبير ؛ وكان لهم من القرآن وأدلته وحججه والاقتباس منه مددًا دائمًا مدد . ولما حدثت الفتنة بين المسمين (أو الحرب الأهلية كما يقولون) بعد مقتل عثمان ، وأقبرقوا إلى عراقيين بزعامة علي ، وشاميين بزعامة معاوية ، ولكل منهم دعوة يؤيدها ، ورغبة يناضل عنها في تلك الحرب الشعواء التي لم يُسكب الإسلام بمثلها ، ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم ، ولا يُشَقَّ غُبارهم ؛ وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء وفحلُ البلغاء علي بن أبي طالب ، وعلى رأس الشاميين معاوية بن أبي سفيان . وما انتهت هذه الحرب حتى تشعبت الفتن والآراء والمذاهب والتحزلات ، وتفرق المسلمون إلى شيعة ^(١) وخوارج ^(٢) وجماعية ^(٣) وتفرع من هؤلاء الطوائف فروع شتى ، كل يبذل وسعه في نشر مذهبه ، ويدفع عنه بقائم سيفه ، ولم يعدم كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أوتوا من البلاغة في الخطابة والنصاحة والبيان

وتمتاز الخطابة في صدر الإسلام منها في الجاهلية بأشياء :

الأول — سلوكها طريقاً دينياً في مثل خطب الجمع والعيد والحبج والارشاد والتعليم ونحو ذلك مما يستدعيه نشر الدعوة الدينية

الثاني — اتباعها خطة سياسية في مثل تأليف الجماعات والأحزاب وتأييل الملوك والسلطان ؛ وما وقع للعرب في الجاهلية من هذا القبيل في بعض منازعاتهم فليس بندي شأن كبير ، إذا قيس بنظيره في الإسلام ^(٤)

الثالث — قوة تأثيرها ووصولها إلى قرارة النفوس وامتلاكها للوجدان

(١) الشيعة هم شيعة علي رضي الله عنه وأنصاره وأهل بيته ، وتعالى بعضهم في حبه وتفضيله إلى حد ممقوت دينا (٢) هم قوم خرجوا في أول أمرهم على أمير المؤمنين علي واستحلوا قتاله لرضاه بأمر التحكيم في الخلافة بينه وبين معاوية ثم خرجوا بعده على بني أمية وبني العباس (٣) هم الجمهور الأعظم المستجيبون لدعوة بني أمية والخلفاء المعقودة لهم البيعة العامة من أكثر المسلمين

(٤) انظر خطبة أبي بكر يوم السقيفة

والشعور بوعظها الزاجر ، ونصحها البالغ ، مما رقت القلوب القاسية ، وأسأل الاعين الجامدة (١)

الرابع — صفاء ألفاظها ، وسهولة عباراتها ، ومثانة أساليبها ، وتجنبها سجع الكهان وقلة القصد فيها الى سرد الحِكَم القصيرة الدقيقة بمناسبة وغير مناسبة ، كما كانت تفعل خطباء الجاهلية

الخامس — بداءتها بحمد الله والثناء عليه

السادس — محاسنها أسلوب القراءان في الاقتناع ، واستمدادها من آياته ، حتى اشترط بعض أئمة المسلمين وجوب اشتغال خطبة الجمعة على شيء منه

السابع — تنوعها بين الإيجاز والاسهاب حتى 'حكي' أن منها ما استغرق نصف نهار (٢) ، ومنها ما لم يزد على فقرات معدودات (٣) . وقصارى الكلام أن الخطابة وصلت في هذا العصر الى أرقى ما وصلت اليه في اللسان العربي حتى ممن يعدُّ عليهم اللحن . ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة خطب مثل ما ساعدت به في هذا الصدر الأول ، اذ كان القوم ورؤسائهم عرباً خلصاً ، يسمعون القول فيتبعون أحسنه ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم : من اعتجار (٤) العِمامة والاشتغال (٥) بالرداء واختصار المختصرة (٦) والخطبة من قيام ، الا ما روى عن الوليد بن عبد الملك : من أنه كان يخطب جالساً ، وربما كان له عذر من طبيعته ، أو أنه كان يرى أن الغرض من الوقوف هو الاشراف على السامعين ، وذلك قد حصل بتعليق بني أمية درجات المنابر ، وتبعه في ذلك بعض خلفاء بني أمية وعمالهم

مادات
العرب في
الخطابة

(١) انظر خطبة رسول الله وخطبة سحبان

(٢) كخطبة سحبان وائل التي خطبها بحضرة معاوية يوم أن حضر وفد خراسان

(٣) مثل خطبة خطيب الازد حين بثت الحجاج خطباء من الاحماس الى عبد الملك وهي : قد علمت العرب أناحي فعال . ولنا بحى مقال وانا نجزي بفعلنا ، عند أحسن قولهم ، ان السيوف لتعرف أكفنا ، وان الموت ليستمذب أرواحنا . وقد علمت الحرب الزبون انا نقرع جاحها ، ونحلب صراها (٤) لف العمامة دون التاجي (٥) اشتغل بالثوب اداره على جسده كله (٦) كما كنيسة ما يتوكأ عليها وما يأخذه الملك يشير به اذا خاطب ، والخطيب اذا خطب ، واختصر المختصرة أخذها

نماذج من الخطب والوصايا

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس فقال ^(١) : أيها الناس إن لكم معاًلم ^(٢) فانتهوا إلى معالكم ، وإن لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين : أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه ، وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ومن الشيبه قبل الكبر ، ومن الحياة قبل المات ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مُسْتَعْتَب ^(٣) ، ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار

وخطب معاوية رضى الله عنه (وهى آخر خطبة خطبها) فبعد أن صعد المنبر حمد الله وأثنى عليه ، ثم قبض على لحيته وقال :

أيها الناس إني من زرع قد استحصد ، وقد طالت عليكم إمرتي حتى مللتكم ومللتموني ، وتمنيت فراقكم وتمنيت فراقى ، وإنه لا يأتاكم بعدى إلا من هو شر منى ، كما لم يأتكم قبلى إلا من كان خيراً منى . وإنه من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، اللهم انى أحببت لقاءك فأحبب لقاءى . ثم نزل فما صعد المنبر حتى مات

وخطب عمرو بن سعيد ^(٤) عند عقد البيعة ليزيد

لما عقد البيعة معاوية رحمه الله لابن يزيد قام الناس يخطبون ، فقال معاوية لعمرو بن سعيد : قم يا أبا أمية ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإن يزيد بن معاوية أمل تأملونه ، وأجل تأمنونه . إن استضعفتم إلى حمله وسيعكم . وإن احتججتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم . جدع ^(٥) قارح ^(٦) سوبق فسبق ، وموجد فوجد . وقورع ففاز سهفه ، فهو خلف أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال معاوية أو سعت يا أبا أمية فاجلس

(١) رواية الكامل للمبرد (٢) معلم الشيء كتمد ما يستدل به عليه (٣) استرضاء

(٤) هو عمرو بن سعيد بن العاص المشهور بالاشدق الاموى جيله مروان ولى عهده في الخلافة ثم جيله ولى عهد ابنه عبد الملك فخرج على عبد الملك فاعتل عليه فقتله سنة ٧٠ هـ .
(٥) الشاب الحدث (٦) أى شديد مجرب

وخطب عمر بن عبد العزيز وهي أول خطبة له :
أيها الناس أصلحوا سرائركم ، تصلح لكم علانيتكم ؛ وأصلحوا آخرتكم ،
تصلح دُنياكم ، وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أب حى لمُعْرِق فى الموت
وأوصى قيس بن عاصم المُنْقَرى^(١) بنيه عند احتضاره فقال :

يا بُنَيَّ احفظوا عني ثلاثاً فلا أحد أنصح لكم منى ، إذا أنا مُتْ فَسَوَدُوا كِبَارَكُمْ
ولا تَسَوَدُوا صِغَارَكُمْ ، فَيَحْتَرِ النَّاسُ كِبَارَكُمْ ، وَتَهُونُوا عَلَيْهِمْ ؛ وَعَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الْمَالِ ،
فَإِنَّهُ مَنبَهَةٌ لِلْكَرِيمِ ، وَيُسْتَفْنَى بِهِ عَنِ اللَّئِيمِ ؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهَا آخِرُ^(٢) كَسْبِ الرَّجُلِ
وأوصى عمر بن الخطاب الناس فقال : علموا أولادكم العَومَ ، وَالرِّمَايَةَ ، وَمَرْوَمَ
فَلْيُثْبِتُوا عَلَى الْخَيْلِ وَثْبًا وَرَوْوَهُمْ مَا يَجْمَلُ مِنَ الشَّعْرِ

وروى المبرد فى الكامل : أن عبد الله بن عباس قال : قال لى أبى : يا بُنَيَّ إِنِّى
أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اخْتَصَّكَ دُونَ مَنْ تَرَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَاحْفَظْ عَنِ
ثَلَاثًا : لَا يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذِبًا ، وَلَا تَقْتَبْ عِنْدَهُ مُسْلِمًا ، وَلَا تُفْشِنْ لَهُ سِرًّا — قَالَ
قَهَلْتُ لَهُ يَا أَبَتُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ
عَشْرَةِ آلَافٍ

الخطباء

ليس فى عصور أدب اللغة عصرٌ أحفل بالخطباء المعروفين نسباً وقولاً وعملاً
من هذا العصر ؛ إِذْ كَانَتْ الْخُطَابَةُ فِيهِ سَاسَةَ الْقِيَادِ عَلَى خُلَفَائِهِ وَزُعَمَائِهِ : لَفْطَتِهِمُ
الْعَرَبِيَّةَ وَمَحَلِّهِمُ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ ، وَانْطِبَاعِهِمْ عَلَى أُسَالِيبِ الْقُرْآنِ ، وَاتِّسَاعِ
مَدَارِكِهِمْ . وَلِهَذَا نَكْتَفِ بِذِكْرِ الْخُطَبَاءِ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَبَعْضِ وُلَاةِ الْمُسْلِمِينَ
وَفَصَحَاءِ النَّاسِ : لِأَنَّ الْخُطَابَةَ إِذْ ذَاكَ كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ أَعْمَالِ الْإِمَامَةِ وَالْوَلَايَةِ

(١) منقر بطن من سمد من تميم . وفد على رسول الله سنة تسع فأسلم وقال فيه النبي صلى
الله عليه وسلم « هذا سيد أهل الدير » وكان من أحلم الناس
(٢) بقصر الهمة أدنى وأرذل — من الكامل للمبرد

١ - أبو بكر الصديق - رضى الله عنه

هو أبو بكر عبد الله عتيق^(١) بن أبي قُحافة عثمان صاحب رسول الله ، وأول خليفة له في الاسلام ، وخطيب يوم السقيفة

ويجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُرَّة بن كعب . ولد بعد مولد رسول الله بسنتين وبضعة أشهر ، ونشأ من اكرم قريش خاتماً ، وأرجحهم حِلماً ، وأسماء يداً وأشدَّهم عِفَّةً . وكان أعلمهم بالانساب وأيام العرب ومفاخرها . صحب رسول الله قبل النبوة . وكان أوَّل من آمن به من الرجال وصدقه في كل ما جاء به : ولذلك سمي الصديق ، وأنفق أمواله في تأييد دعوته ، وهاجر معه الى المدينة . ووثراً صحبته على كل أهله وولده ، وشهد معه اكثر الغزوات ، وما زال ينفق ماله وقوته في معاضدة رسول الله حتى انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، واختلفت العرب وارتدت عن الاسلام ومنعت الزكاة إلا أهل المدينة ومكة وثقيف بالطائف ، فجرد عليهم الجيوش حتى قمعهم ، وجمع العرب على الاسلام وساقهم تَوّاً الى فتح ممالك كسرى وقيصر ، وماتت إلا وجيوشه تهزم جيوش الفرس والروم ، وتستولى على مدائنهم وحصونهم . وكانت وفاته سنة ١٣ هـ

وكان رحمه الله فصيحاً بليغاً ، خطيباً مفوهاً حاضراً البديهة ، قوى الحجّة ، شديد التأثير ، يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة . وذلك انه لما مات رسول الله اختلفت الصحابة فيمن يبايعونه خليفة له عليهم : فأبى الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم ، وأبى المهاجرون من قريش إلا أن يكون منهم ، واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة ، فخطبهم خطبة^(٢) لم يلبث الجميع بعدها أن بايعوه خليفةً

(١) هو لقب لأبي بكر لقب به لجماله ، أو لان النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أنت عتيق من النار

(٢) ويظن أنها خطبة طويلة لم يبق في حفظ الرواة منها الا اليسير ، ومن وصفها ما قاله عمر رضى الله عنه : وقد كنت زوّرت في نفسى مقالة أقدمها بين يدي أبي بكر ، وقد كنت ادارى منه بعض المد وكان هو أدقر منى وأحلم ، فلما أردت ان أتكم قال على رسلك فكرهت ان أعصيه فقام فحمد الله واثني عليه فماتك شيئاً كنت زوّرت في نفسى أن أتكم به لو تكلمت الا وقد جاء به أو بأحسن منه

خطبته يوم السقيفة

حميد الله وأنبي عليه ثم قال : أيها الناس نحن المهاجرون وأوّل الناس إسلاماً ،
واكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ، واكثر الناس ولادةً
في العرب وأمسهم رجماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا
في القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار : اخواننا في الدين ،
وشركاؤنا في الفئ (١) ، وأنصارنا على العدو ، آويناكم وواسيتم فجزاكم الله خيراً ،
فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لاتدين العرب إلّا لهذا الحى من قريش فلا تنفّسوا (٢)
على اخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله

٢ - عمر بن الخطاب - رضى الله عنه

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب القرشى ، ثانى خليفة لرسول الله
وأوّل من تسمى من الخلفاء بأمر المؤمنين ، وأوّل من أرخ بالتاريخ الهجرى ، ومصر
الأمصار ، ودوّن الدواوين

ولد رضى الله عنه بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة ،
وكان في الجاهلية من كبار قريش وزعمائها ، فكان يسفر بينها وبين قبائل العرب
في الحروب والمفاخرات ونحوها ، وكان شجاعاً صنديداً ، وحازماً أيّداً ، وكان
في مبداء الدعوة الى الاسلام من أكبر أعداء الرسول ، ثم هداه الله فأسلم ، وأعز الله
به دينه وحضر مع رسول الله الغزوات كلها ، ثم لما قبض أغان أبابكر على توليه
الخلافة . ولما أحس أبو بكر بالموت عهد بها اليه ، فقام باعبائها خير قيام ، وأتم

(١) الغنيمة والحراج (٢) نفس عليه خيراً حسده عليه ، ولم يره له أهلاً (أساس)

يُجزمه وعزمه وسياسته وكياسته وزهده وعفته وحرصه على مصلحة المسلمين جميع
ما شرع فيه أبو بكر : من فتح ممالك كسرى وقيصر
وقتل غيلة غلام مجوسى هو الشقى أبو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة : لأنه لم
ينصفه على زعمه فى تخفيض ما يدفعه لسيده من أجره عمله . وكان قتله سنة ٢٣ هـ
وكان رحمه الله من أبين الناس منطقاً ، وأبلغهم عبارة ، وأكثرهم صواباً وحكمة
وأرواحاً للشعر وأنقدم له

ومن خطبه خطبته إذ ولى الخلافة (١)

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس ؟ انى داع فأمّنوا ، اللهم انى
غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى
الغلظة والشدة على اعدائك وأهل الدّعة (٢) والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء
عليهم ، اللهم انى شحيح فسخى فى نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير
ولا رياء ولا سمعة ، واجلمنى أبتغى بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم ارزقنى
خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمنى
ذكرك على كل حال وذكر الموت فى كل حين ، اللهم انى ضعيف عن العمل بطاعتك
فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها : بالنية الحسنة التى لا تكون الا بعزتك وتوفيقك ،
اللهم نبتهى باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك ، والحياء منك ، وارزقنى
الخشوع فيما يرضيك غنى والمحاسبة لنفسى ، واصلاح الساعات ، والحذر من
الشبهات ، اللهم ارزقنى التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ،
والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه والعمل بذلك ما بقيت ، انك على كل
شئ قدير

٣ - عثمان بن عفان - رضى الله عنه

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشى الأموى ، ثالث الخلفاء الراشدين ، وموجد نسخ القرآن المبين . ولد فى السنة السادسة من مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وآمن فى السابقين الاولين ، وبذل ماله الكثير فى تأييد الاسلام ومعوثة المجاهدين ، وشهد مغازى رسول الله كلها إلا بدرأ . وقد كان عمر قبل وفاته عبيد بالخلافة إلى ستة هو منهم تنتخب الأمة أحدهم خليفة ، فانتخبوا عثمان ، فأكمل مغازى عمر . ومضت على خلافته ست سنين لم يحدث عليه فيها شغب ، ثم نار عليه بعض الاعراب النازلين بمصر والعراق ، بحجة أنه يؤثر أقرباءه بولاية الاقاليم ، غير ناظرين إلى كفايتهم ، ولا إلى وثوق الخليفة بهم ، ونصحهم له . فحاصروه فى داره بالمدينة وتسوروها عليه وقتلوه وهو يتلو القرآن فى المصحف سنة ٣٥ هـ فكان قتله سبب الفرقة بين المسلمين واجترأهم على مقام الخلافة وقتل الخلفاء والخروج عليهم .

وكان رحمه الله من بلغاء الخلفاء وأوجزهم لفظاً وأجزلهم معنى وأسهلهم عبارة ، ومن خطبه خطبته بعد أن بويع ، وهى بعد الحمد والثناء :

أما بعد فإني قد حُمِلت وقد قُبِلت ، ألا وإني متَّبِعٌ ولست بمبتدِع ، ألا وإن لكم على بعد كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة نبيِّه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : اتباع من كان قبلي فيما اجتمع عليه وسكنتم ، وسنَّ سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ ، والكفَّ الآ فيما استوجبتم . ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم ، فلا تركنوا إلى الدنيا ، ولا تثقوا بها ، فإنها ليست بثقة . واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها

٤ — علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه

هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب . وابن عم رسول الله ، وزوج ابنته ورابع الخلفاء الراشدين ، وأمام الخطباء من المسلمين ولد رحمه الله بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة ، وهو أول من آمن من الصبيان . وكان شجاعاً لا يشق له غبار ، أيد الجليدا ، شهد الغزوات كلها مع النبي إلا غزوة تبوك ، وأبلى في نصرة رسول الله ما لم يُبَلِّه أحد . ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز وامتنع عن بيعته معاوية وأهل الشام شيعة بني أمية غضباً منهم لمقتل عثمان وقلة عنايته بالبحث عن معرفة القتلة على حسب اعتقادهم . فحدث من جرّاء ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم الى طائفتين . فتحاربوا مدة من غير أن يستتب الأمر لعلي أو معاوية حتى قتل أحد الخوارج علياً غيلةً بمسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ

وكان رحمه الله أفصح الناس بعد رسول الله ، وأكثرهم علماً وزهداً وشدة في الحق ، وهو امام الخطباء من العرب على الاطلاق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه كثيرة — منها خطبته كرم الله وجهه بعد التحكيم وهي :

الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح ^(١) ، والحديث الجلل ^(٢) ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله . أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحيرة وتُعقب الندامة ، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة ^(٣) أمرى ، ونخلت أسكم مخزون رأيي ، لو كان يطاع لقصير ^(٤) أمر ، فأيتيم على إباء المخالفين الجفأة ،

(١) من فدحه الذين أنقله (٢) العظيم

(٣) أي حكومة الحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري (٤) هو مولى جذيمة البرش ، وكان حاذياً ، وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها اجبة لدعوتها الى زواجه فقتلته فقال قصير (لا يطاع لقصير أمر) فذهبت مثلاً

والمنايذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضن الزند بقده ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوزان^(١) :

أمرتهم أمرى ينزعج الأولى فلم يستبينوا النصيح إلا ضحى الفد

٥ - سحبان وائل

هو سحبان بن زفر بن إيراد الوائلى ، الخطيب المصقع ، المضروب به المثل فى البلاغة والبيان . نشأ فى الجاهلية بين قبيلة وائل إحدى قبائل ربيعة . ولما ظهر الإسلام أسلم وتقلبت به الأحوال حتى التحق بمعاوية رضى الله عنه ، فكان يعبده للعلماء ، ويتوكأ عليه عند المفاخرة : لقوة عارضته وسرعة خاطره

قدم على معاوية وفد من خراسان وفيهم سعيد بن عثمان بن عفان ، فطلب سحبان فلم يجد فى منزله ، فاقتضب من ناحية اقتضاباً وادخل عليه . فقال له معاوية تكلم فقال : أحضر والى عصاً — قلوا وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ — قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه — فضحك معاوية وأمر له بإحضارها ؛ فلما وصات إليه ركاكها^(٢) فلم ترق فى نظره فطلب عصاه فأخذها ، ثم خطب من صلاة الظهر الى أن حانت صلاة العصر ، ما تنحنج ، ولا سعل ، ولا توقف ، ولا تلاكأ ، ولا ابتداء فى معنى وخرج منه وقد بقى منه شئ ، فما زالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون ، فأشار اليه معاوية بيده ، فأشار اليه سحبان لا تقطع على كلامى — فقال معاوية : الصلاة ، قال هى أمامك ، نحن فى صلاة وتحميد ، ووعد ووعد فقال معاوية : أنت أخطب العرب — قال سحبان : والعجم والجن والانس وكان سحبان اذا خطب يسيل عرقاً ، ومات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ ومما يؤثر من خطبه قوله^(٣) :

(١) هو دريد بن الصمة (٢) ركل الشئ برجله رفسه والمراد هنا خبرها ليعرف صلابتها (٣) ونسبها القالى فى الامالى لبعض الاعراب فى صدر بنى العباس . ولعل السر فى عدم تدوين خطبه أنه كان يميل الى الاطالة التى يعجز الرواة عنها عن الحافظ ، على انها لم تكن سياسية والقوم فى هذا العصر مغرمون بالسياسة

إن الدنيا دار بَلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس فخذوا من دار مَرَمَرٍ كم
لدار مَقَرٍّ كم ، ولا تهتكوا أَسْتابَكُمْ عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من
الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حَيَاتُكُمْ ، ولغيرها خُلُقُكُمْ . إن الرجل
إذا هلك ، قال الناس : ما ترك ؟ وقال الملائكة : ما قَدَّمَ ؟ قَدِّمُوا بعضاً يكون لكم
ولا تُخَلَّفُوا كُلاًّ يكون عليكم

٦ - زياد بن أبيه

هو أحد دهاة العرب وساستها ، وخطبائها وقادتها

منشؤه - كان للحارث بن كَلْدَةَ الثَّقَفِيُّ طبيب العرب ، أمة تسمى سُمَيَّةَ
قَدَّ قرنُها بعبد له رومي يدعى عبيداً ، فولدت له زياداً هذا في السنة الأولى من
الهجرة فنشأ غلاماً فصيحاً ، شجاعاً داهياً ، قارئاً كاتباً ، فما افتتحت العرب الممالك
والامصار حتى عرف منه ذلك ، فاستكتبه أبو موسى الأشعري والى البصرة من قبل
عمر (رضى الله عنه) ، فأظهر من الحِذْقِ وحِدَّةِ الذكاء وبُعْدِ الغور ما جعل أمير
المؤمنين يقول عندما عزله عن عمله « إنه لم يعزله لعجز ولا لخيانة ، وإنما كره أن
يحمل على الناس فضل عقله » غير أن ذلك لم يكن ليصدّه عن استكفائه بعض مهام
أُمُورِهِ ، فكان في جميعها مرضى المقام ، محمود الأثر ، حتى قال فيه عمرو بن العاص
« لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق الناس بعصاه ! »

ولما رأى أبو سفيان بن حرب بعد إسلامه حصافة عقل زياد ، وحسن بلائه
وفصاحة لسانه ، أسرَّ إلى بعض قريش ومنهم على (كَرَّمَ اللهُ وجهه) بأن زياداً
ابنُه ، اشتملت عليه سُمَيَّةُ منه وهو مشرك ، ولكنه لم يستلجعه علانية أنفةً من
العار ، وخشية من عُمر

ولما ولى أمير المؤمنين على الخلافة اضطربت عليه فارس ، فاستشار الناس فيمن
يكفيه أمرها ، فأشار بعضهم بزياد ، فسار إلى فارس بجمع كثير ، فتمكن بخداعه

وردهائه من ايقاع النفور والشقاق بين رؤساء المشاغبين ، وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت نائرتهم ، ولم يلق منهم حرباً ولا كيداً . وبقي يتولى لعل الاعمال حتى قتل على ، فخافه معاوية واهتم له كثيراً ، فأرسل اليه المغيرة بن شعبه يُلطف له ويستقدمه ، فقدم عليه فدّاه أخاه له ، واستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان بشهادة شهود في محضر من الناس ، وصار يسمى زياد بن أبي سفيان بدل زياد بن عبيد ، والمتورعون يسمونه (ابن سمية أو ابن أبيه)

وولاه معاوية البصرة وخراسان وسجستان ، ثم جمع له السند والبحرين وعمان ، ثم ضم اليه الكوفة ، فأصبح بذلك والياً على العراقيين ، وهو أول من جمع له بينهما ، فسار في الناس سيرة لم بها الشعث ، وأقام المعوج ، وكبح الفتنة ، واشتط في العقوبة ، وأخذ بالظنة . وعاقب على الشبهة ، حتى أكد الملك لمعاوية ، وحتى شمل خوفه جميع الناس ، فأمن بعضهم بعضاً

وكان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد ، حتى يأتي صاحبه فيأخذه ، بل كان لا يُفلق أحد بابه . وكان زياد يقول : « لو ضاع جبل بيني وبين خراسان لعرفت أخذه » وكان مكتوباً في مجلسه عنوان سياسته وهي الشدة في غير عُنْف ، واللين في غير ضعف ، الحسن يجازي بإحسانه والمسيء يعاقب بأسائه

أما فصاحته فيكفيك في وصفها مارواه الجاحظ عن الشعبي قال : « ماسمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسىء إلا زياداً ، فانه كلما أكثر كان أجود كلاماً » وتوفي بالكوفة في رمضان سنة ٥٣ هـ

ومن خطبه البليغة خطبته حين قدم الى البصرة وهي (١) :
أما بعدُ فإن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء ، والغى المؤني بأهله على النار مافيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماءكم : من الأمور التي ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب

(١) كما في صبح الاعشى وتروى في البيان والتبيين والطبري والمقد الفريد بروايات مختلفة

الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السرمدي الذي لا يزول . انه ليس منكم إلا من طرقت عينه الدنيا وسدّت مسامعه الشهوات ، واختار الغاية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه : من ترّككم الضعيف يُقهر ، والضعيفة المسلوقة في النهار لا تُنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق . ألم يكن منكم نهاية يمنعون الغواة عن دَلج الليل وغارة النهار ! قرّبتهم القراية ! وباعدتم الدين ؛ تعتذرون بغير العذر ، وتُعضون على النُكر . كل امرئ منكم يرد عن سفيهه ، صُبّع من لا يخاف عقاباً ، ولا يرجو معاداً . فلم يزل بهم ما ترّون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرّم الاسلام ثم أطارقوا وراءكم كنوساً^(١) في مكائس اريب . حرام على الطعام والشراب حتى أضع هذه المواخير بالأرض هدماً واحراقاً ؛ انى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح الا بما صلح به أوله : لين في غير ضعف وشدة في غير عنف ؛ وانى لأقسم بالله لا خدّن الولي بالمولى ، والمقيم بالطاعن ، والمطيع بالعاصي ، حتى يلقي الرجل أخاه فيقول « انج سعد فقد هلك سعيد »^(٢) أو تستقيم لي قنائكم . ان كذبة الأمير بَلقاء^(٣) مشهورة ، فاذا اعلقم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي . وقد كان بيني وبين قوم إحن^(٤) فجعلت ذلك دبر^(٥) أذنى وتحت قدّمي . انى لو علمت أن أحدكم قد قتله السِّلُّ من بغضى لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له سترأ ، حتى يُبدى لى صنّحته ، فاذا فعل ذلك لم أناظره . فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم ؛ فربّ مبتئس بقدمنا سيسر ، ومسرور بقدمنا سيبتئس ؛ أيها الناس انا قد أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة^(٦) ؛ نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ؛ ونندود عنكم بنى ، الله الذي خولنا ؛ فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما وكلنا ، فامتوجبوا عدلنا وفيتنا بمناصحتكم لنا

(١) جمع كانس أى مستتر - ومكائس الريب مكانها المستترة

(٢) مثل يضرب في تنازع الشر (٣) أى كالدابة البازاء لأن شيتها تشبهها (٤) أحقاد

(٥) خلف (٦) مدافعين

٧ - الحجاج

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي ، رجل ثقيف ، وأحد جبابرة العرب وساستها وقادتها وحكامها ، ومؤيد ملك بني أمية ، وأحد البلغاء والخطباء المصاقع ولد سنة ٤١ هـ وكان هو وأبوه يعملان الصبيان بالطائف موطن ثقيف ، ثم لحق بـروح بن زنباع الجذامي أحد أعوان عبد الملك بن مروان فكان في شرطته ثم صار رئيسها^(١)

وأول ما اشتهر من أمره قيادته الجيش الذي وجه لقتال عبد الله بن الزبير . فسار اليه وحاصره بمكة ثم قتله وأزال ملكه ، فولد عبد الملك العراق وكان كله ناراً ملتهبة بفتنة الشيعة والخوارج ، فاستعمل من الشدة والقسوة وسفك الدماء وارهاب الأمة ما لم يُسمع بمثله ، وجدّد الملك لبني أمية ، وكان عاقبة أمره أمرين عظيمين : أولهما يُمدح عليه : وهو جمع أشتات المسلمين تحت راية واحدة هي راية الخليفة العربي الأموي ، ثانيهما يُدّم به : وهو اذلال الأمة العربية اذلالاً لم تعهده منذ خلقت : بما قتل من نخوتها ، وسلب من حريتها ، وأخرس من

(١) وأول ما عرف من كفايته أن عبد الملك بن مروان شكاً ما رأى من انحلال المسكروان الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله حين توجه الى الجزيرة لقتال زفر بن الحارث عندما عصى عليه — فقال له روح بن زنباع يا أمير المؤمنين ان في شرطتي رجلاً لو قلده أمير المؤمنين أمر عكركم لارادهم برحيله وأنزلهم بنزوله . يقال له الحجاج بن يوسف — قال فانا قد قلدناه ذلك فكان لا يقدر أحد أن يتخلف عن الرحيل والنزول الا أعوان روح بن زنباع فوقف عليهم يوماً وقد رحل الناس وهم على طعام يأكلون — فقال لهم ما منعكم ان ترحلوا برحيل أمير المؤمنين — فقالوا له انزل يا ابن . . . فكل معنا — فقال هيهات ذهب ما هنالك ، ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في المسكر وأمر بفساطيط روح بن زنباع فاحرقت بالنار فدخل روح بن زنباع على عبد الملك بن مروان باكياً فقال له مالك فقال يا أمير المؤمنين الحجاج بن يوسف الذي كان في عديد شرطتي ضرب عبيدي وأحرق فساطيطي — قال عليّ به ! فلما دخل عليه قال ما حلك على ما فعلت قال ما أنا فعلته يا أمير المؤمنين — قل ومن فعله قال أنت والله فعلت ، انما يدي يدك وسوطي سوطك وما على أمير المؤمنين ان يخلف على روح بن زنباع للفساطط فسطاطين وللغلام غلامين ولا يكسرنى فيما قدمنى له . فأخلف لروح بن زنباع ما ذهب له وتقدم الحجاج في منزله وكان ذلك أول ما اعجب عبد الملك منه

أُستنمها ، فدخلت بعده في طور خضوع وامتنال للحكام المستبدين أكل بقيته
نصرأ الدولة العباسية من الأعاجم

وخدم الحجاج بولايته عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، حتى كان ملكه
ما بين الشام والصين . ومات سنة ٩٥ هـ في مدينة واسط ^(١) التي بناها بالعراق

وكان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحججة . قال الاصمعي : —
أربعة لم يَلَحَظُوا في جِدِّ ولا هزل : الشَّعْبِي ، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج بن
يوسف ^(٢) ، وابن القُرَيْبِ ^(٣) ، والحجاج أفصحهم . وقال مالك بن دينار ما رأيت
أحدًا أبين من الحجاج : إنه كان ليرقى المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق
وصفحه عنهم وإساءتهم إليه ، حتى أتى لأحسبه صادقًا وأظنهم كاذبين

ومن مآثره ما يأتي لك من اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره ، ونسخه
عدة مصاحف من مصاحف عثمان : وأرسالها إلى بقية الأمصار

ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميراً على العراق ، فانه دخل المسجد مُعْتَمِئاً
بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه مُتَقَلِّداً سيفاً ، متنكباً ^(٤) قوساً يؤم المنبر ، فقام
الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض قبح
الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق : حتى قال عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيَةَ الْبُرْجِي :
ألا أحصيه لكم — فقالوا أمهل حتى ننظر ، فلما رأى عيون الناس إليه حَسَرَ النَّوْءَ
عن فيه ونهض ثم قال :

(١) بلد بالعراق (٢) زعم بعضهم ان الحجاج قد اخطأ ونسب له ما أتى : قال الحجاج
الشعبي كم عطاءك في السنة قال الفين — قال وبمك كم عطاؤك قال الفان — قال وكيف لحنت أولاً —
قال لحن الأمير المحنت فلما اعرب اعربت ، ولم أكن ابلغن الأمير فاعرب انا عليه فأكون كالفرع
له والمستطيل عليه بفضل القول . وروى أيضا ان الحجاج قال ليحي بن يميز أنسمعي ألحن قال
في حرف واحد قال في أي قال في القرآن قال ذلك اشنع . ثم قال له ما هو قال : تقول « قل ان
كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وحشيتركتم وأموال اقرباؤكم ونجاؤكم كسادها .
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله » فتقرأ احب بالرفع قال الحجاج لاجرم انك لا تسمع
لي لحنا بعد هذا ثم الحقه بخراسان (٣) هو ايوب بن يزيد والقرية امه
(٤) تنكب القوس القيتها على منكبي

أنا ابنُ جلا وظلاعُ الشيا ^١ متى أضع العِمامة تعرفوني
ثم قل : يأهل الكوفة إني لأرى رءوساً قد أَيْسَعَتْ وُحانَ قِطافها ، وإني
لصاحبها ، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمام واللحي ، ثم قل :

هذا أوانُ الشَّدِّ فشتدي زيم ^(١) قد ألقها ^(٢) الليل بسوَّاقِ حطَم ^(٣)
ليس براعى إبل ولا غنم ^(٤) ولا بجزَّار على ظهرٍ وضم ^(٥)

قد ألقها الليل بصلبي ^(٥) أروغ ^(٦) خراج من الدَّوى ^(٧)
مهاجر ليس بأعرابي

قد شمَّرت عن ساقها فشُدُّوا ^(٨) وجدَّت الحربُ بكم فجِدُّوا
والقوسُ فيها وترٌ عُرْدٌ ^(٩) مثلُ ذراعِ البَكْرِ ^(١٠) أو أشدَّ
لأبدٍ مما ليس منه بدٌ

إني والله يأهل العراق ما يُقَعِّقُ لي بالشَّنان ^(١١) ولا يُغْمِزُ جانبي كَتَمَازِ التين
ولقد فُرِرت ^(١٢) عن ذكاء ، وفَتَّشْتَ عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين اطلال الله
بقائه نثر كِنَانته ^(١٣) بين يديه فَمَجَمَ ^(١٤) عِيدَانَهَا فوجدني أمرها ^(١٥) عوداً وأصلبها
مَكْثِيراً فر ما كَمْ بي : لانكم طالما أَوْضَعْتُمْ ^(١٦) في الفِتْنَةِ واضطجعتُمْ في مرأقِ
الضلال ، والله لأَحْزَمَنَّكُمْ حَزْمَ السِّلْمَةِ ^(١٧) ولا ضَرْبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ ^(١٨) الإبل

(١) اسم فرس أو ناقة (٢) جمعها

(٣) لا يبقى من السير شيئاً (٤) كل ما قطع عليه اللحم (٥) شديد (٦) ذكر

(٧) الدوا الصحراء أي خراج من كل غما. شديدة ، والدابة الصحراء التسعة التي تسمع
لها دوي بالليل (٨) شديد (٩) الفتي من الإبل (١٠) الشنان جمع شن وهو الجلد اليابس
فاذا قطع به أي ضرب نفرت الإبل منه ، يضرب ذلك مثلاً لنفسه (١١) فر الدابة كشف عن
استنائها لينظر ما سنها ، وعن الأمر بحث عنه

(١٢) الكنانة جملة السهام من حلد (١٣) ضمها لينظر أيتها أصاب (١٤) اقوامها

(١٥) الإيضاع حمل الدابة على الإسراع . والمراد : أسرعت في الشر

(١٦) نوع من الشجر ، وذلك لأن الأشجار تعصب أغصانها ثم تخبط بالدهي لسقوط الورق

وهشيم الميدان (١٧) وهي تفرب عند الحرب وعند الملاقاة وعند الخوض أشد الضرب

(الوسيط م — ١٦)

فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . واني والله ما أقول إلا وقيت ، ولا أهتم إلا أمضيت ، ولا أخلق^(١) إلا فريت^(٢) وأن أمير المؤمنين أمرني باعطائكم اعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب^(٣) بن أبي صفرة . واني أقسم بالله لا أجد رجلاً نخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه

الكتابة

للكتابة كما أسلطنا معنيين : خطية وانشائية

الكتابة الخطية

كان الخط الذي يكتب به العرب في مبدأ ظهور الاسلام هو الخط الأنباري الحبري ، المسمى بعد انتقاله الى الحجاز بالحجازي ، وهو أصل النسخ . وكان يكتب به النزر اليسير من العرب عامة وبضعة عشر من قريش خاصة ، وبعض أفراد من أهل المدينة ومجاوريهم من اليهود . فلما انتصر النبي صلى الله عليه وسلم على قريش في يوم بدر وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب ، فقبل الفداء من أميهم وفادى الكاتب منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة ، فانتشرت الكتابة بين المسلمين ، وحض النبي على تعلمها ، وتمكن أمرها بعد فتح مكة واجتماع شمل المهاجرين منها والأنصار . فمات نزول القرآن حتى كان لرسول الله أكثر من أربعين كاتباً

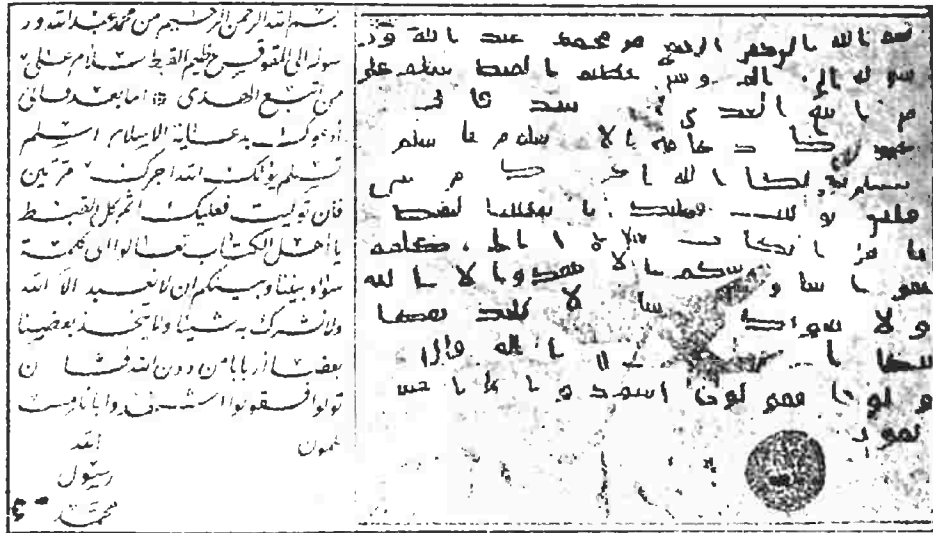
(١) أقدّر (٢) قطمت (٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري قائد فواد الأمويين ومبيد الخوارج ومبتدع الركب الحديدية . ولد بالبصرة ونشأ بها وظهر أمره في مقاومة الخوارج مدة الحجاج وقد أبلى في مقاتلتهم هو وأولاده اعظم بلاء حتى أخلى البصرة منهم فنسبت اليه قبيل بصرة المهلب . وولاه الحجاج خراسان فأقام بها حتى مات سنة ٨٢ هـ على مارواه الطبري . وله كلمات مأثورة منها : الحياة خير من الموت ، والثناء الحسن خير من الحياة — لو أعطيت مالم يعطه أحد لأحببت ان تكون لي أذن اسمع بها ما يقال في غدا اذا مات — يا بني احسن ثيابكم ما كان على غيركم

ومن أشهر كتّاب الصحابة النفر الأربعة الذين كتبوا المصاحف لعثمان : وهم زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام . ولما فتح المسلمون الممالك ومصر و الامصار ونزلت جمهرة الكتاب منهم الكوفة ، غنوا بتجويد الخط العربي وهندسة أشكاله وتمطيط عراقيته (كالمساته) ، حتى صار خط أهل الكوفة ممتازاً بشكائه من الخط الحجازي ، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفي) وبه كانت تُكتب المصاحف الجيدة الخط ، وحلى القصور والمساجد ، وسكك النقود . وبقي الحجازي مستعملاً في المكاتب العادية . ثم حدث في الكوفي أنواع بعد هذا العصر نذكرها بعد

وكان الصحابة وتابعوهم من بني أمية يكتبون بلا إعجام^(١) ولا شكل إلا قليلاً ، اعتماداً منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة واكتفائهم بالرمز القليل في قراءة اللفظ . فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم ، وظهر اللحن والتحريف في الألسنة وفي قراءة القرآن ، اشفق المسلمون على تحريف كلام الكتاب الكريم ، فوضع أبو الأسود الدؤلي^(٢) علامات في المصاحف بصيغ مخالف ، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة أسفله ، والضمة نقطة من الجهة اليسرى ، وجعل التنوين نقطتين . وكان ذلك في خلافة معاوية

ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر الحجاج نقط الإعجام بنفس المداد الذي كان يكتب به الكلام حتى لا يختلط بنقط استاذها أبي الأسود . وكان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان . ثم شاع في الناس بعد ، كما ترى ذلك واضحاً في النماذج الآتية :

(١) لعل الإعجام بالنقط لتمييز الحروف سابق هذا العهد إلا أنه لم يكن ملتزماً وربما لم يكن شاملاً لجميع ما أعجمه نصر ويحيى
(٢) هو ظالم بن عمرو الدؤلي من سادات التابعين وأعيانهم كان من أكمل الرجال رأياً وأسدّهم حقلاً ، وهو أول من وضع النحر و اخترع الشكل بالنقط توفي بالبصرة سنة ٦٩ هـ عن خمسة وثمانين عاماً

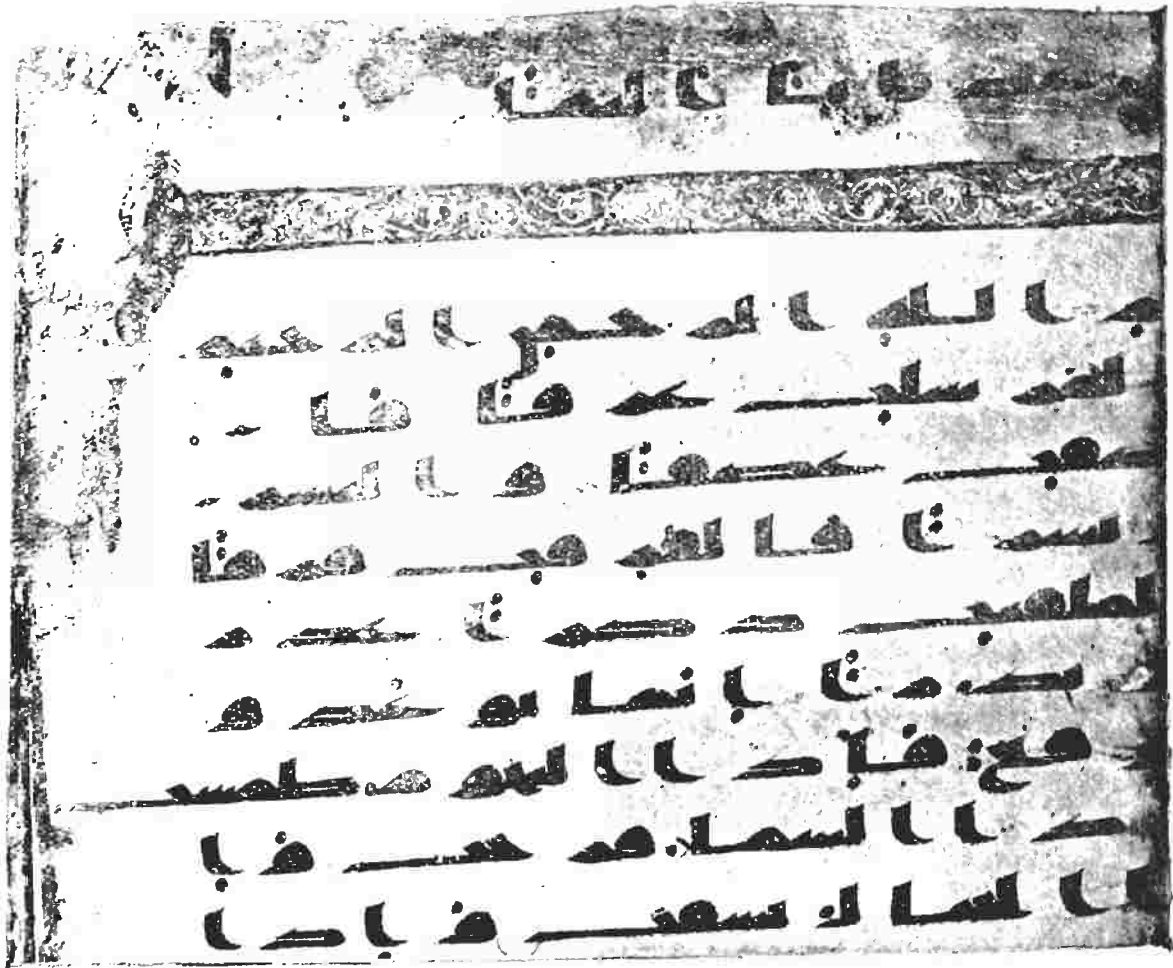


صورة كتاب النبي عليه الصلاة والسلام الى المتوقس عظيم القبط
والصورة الآتية كتاب توضيح ما يقرأ منه هكذا :

فادفع اليه ما كان له بأرضك من جاليته ولا أعرفن ما رددت رسله أو كتب الى يشتهكيك والسلام على من اتبع الهدى وكتب يزيد في جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين	أما بعد فان هشام بن عمر كتب الى يذكر جالية له بأرضك وقد تقدمت الى العمال وكتبت اليهم الآيؤوا جاليا فاذا جاءك كتابي هذا
---	---

والنموذج الآتي منحرف عن الهيئة الكوفية الى الهيئة التي نكتب عليها نحن
الآن واخل من النقط الأ قليلا

اما بعد فان هذا امر عظيم
كثيرا ما كان في كنف
الملك له في هذا الامر
و قد ورد في كتاب
الملك في هذا الامر
ولا يورثه الا من كان
في كنفه من قبله
ما ذكر في كتاب
له في هذا الامر
و قد ورد في كتاب
و ما ذكر في كتاب
و قد ورد في كتاب
و قد ورد في كتاب
و قد ورد في كتاب



عذاباً أليماً (نموذج مضبوط بالقط على طريقة ابن الأسود)

بسم الله الرحمن الرحيم
والمرساة عرفاً فا
أعصفت عصفاً فلشرت
نشراً فلفرقت فرقاً
فالملقى ذكر أذراً
أو نذراً إنما توعدون
لوقع فإذا النجوم طرست
وإذا السمة فرجت وإ
ذا الجبال نسفت وإذا

الكتابة الإنشائية

وهي قسمان : كتابة رسائل ودواوين^(١) ، وكتابة تدوين وتصنيف

كتابة الرسائل والدواوين

كان زعماء العرب وفصحائهم كلهم كتاباً ينشئون بملكتهم ولولم يخطوا بيمينهم ؛ فكان النبي وأصحابه و خلفاؤه يملكون كتبهم على كتابهم بعبارتهم ، وبعضهم يكتبها بيده ، وكان من ذلك أيام ظهور الاسلام وأزمان الفتوح والمغازي مئات الرسائل والعهود ولما اتسعت موارد الخلافة ووفرت الغنائم وأعطيات الجنود منها ، أصبحت الخلافة الاسلامية في حاجة الى انشاء الدواوين لضبط ذلك ، فكان عمرُ أوّل من دوّن الدواوين في الاسلام وكانت مقصورة على الضرورى منها لمكان البداوة من الامة وكان كتاب الرسائل للخلفاء وعالمهم إمّا عرباً وإمّا موالى يُجيدون العربية أما كتاب الخراج ونحوه فكانوا في كل اقليم من أهله يكتبون بلغتهم فيكتبون في فارس والعراق بالفارسية ، وفي الشام بالرومية ، وفي مصر بالقبطية . ولما نبغ من العرب من يحسن عملهم حوّلت هذه الدواوين الى العربية زمن عبد الملك بن مروان والوليد ابنه ، وجرى خلفاء بني أمية في كتابة الرسائل على ما كان عليه الامر زمن الخلفاء الراشدين

ثم لما اتسعت رقعة المملكة وقرّت أمور الدولة وازدادت الأعمال وشغل الخلفاء عن أن يملوا الكتابة بأنفسهم أو بخاصة عشيرتهم ، عهدوا بها الى كبار كتابهم فتوفروا عليها حتى أوشكت في أواخر دولتهم أن تصير صناعة عتيقة^(٢) متحيدة الأصول متشعبة الفروع بما أدخله فيها الناشئون من أبناء الكتاب والموالى بعد نقل الدواوين الى العربية

(١) الديوان الكتاب يكتب فيه أهل المعطية ، وأول من وضعه عمر رضى الله عنه ، ثم صار يطلق على المكان الذي يجتمع فيه الكتاب (٢) مهياة محكمة

وكان كثير منهم يعرف اللغة الرومية أو الفارسية أو اليونانية أو السريانية وهى لغات أمم ذات حضارة وعلم ، ونظام ورسوم ، ومن هؤلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك أحد الواضعين لنظام الرسائل ، وأستاذ عبد الحميد الكاتب الذى آلت اليه زعامة الكتابة آخر الدولة الاموية . ومع كل ذلك لم تصل درجة الكاتب العظيم فى هذا العصر الى ماوصلت اليه بعد من ارتقاء مرتبة الوزارة

مميزات الكتابة الانشائية

وتتماز الكتابة فى هذا العصر بالميزات الآتية :

(١) الاختصار فى أغراضها على القدر الضرورى لدولة عربية : لقلة تجزئة الأعمال وضبط الأمور والصنائع ، ولشمول العدالة والثقة أكثر عمال الأمة وانصاف الناس بعضهم بعضاً

(٢) الاختصار فى معناها على الامام بلحقائق وتوضيحها بلا مبالغة ولا تهويل

(٣) استعمال الألفاظ الفحمة ، والعبارات الجزلة . والأساليب البليغة ؛ اذ كان الكاتب والمكتوب اليه عرباً فصحاء ، وكان البيان غاية النبيل منهم ؛ فقد كانوا يتوخون ملاءمتها لحال المكتوب اليه : فتارة تكون موجزة سهلة وذلك اذا كانت لغیر العرب ليسهل على من له إلمام باللغة ترجمتها كما ترى ذلك فى كتبه صلى الله عليه وسلم الى كسرى أبرويز ملك فارس^(١) أو هرقل قيصر الروم ، وتارة تكون عالية العبارة متينة الاسلوب اذا كان المخاطب عربياً فصيحاً كما كان ذلك

(١) وهو : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وأدعوك بدعاية الله عز وجل ، فإني انا رسول الله الى الناس كافة ، لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وأسلم تسلم ، فان نوابت فان اثم المجوس عليك

في كتبه صلى الله عليه وسلم الى بنى نهد^(*) ، والى وائل بن حُجْر وأهل حَضْرَمَوْت
(٤) مراعاة الايجاز غالباً الا حيث يستدعى الحال الإسهاب . وبقي الأمر على
ذلك حتى جاء عبد الحميد الكاتب آخر الدولة الاموية ، فأسهب في الرسائل ،
وأطال التحميدات في أولها ، وسلك طريقه من أتى بعده

(٥) قلةُ التفنن في أنواع البدء واختتام ، فقد كانت الجاهلية تكتب في أول
كتبتها باسمك اللهم ، وبعدها تكتب من فلان الى فلان ويمضون في الغرض .
وكان صلى الله عليه وسلم يفتح كتبه بالبسملة ، وبعدها من محمد رسول الله الى
فلان ، ويبتدئ غالباً صدورها بالسلام عليكم أو السلام على من اتبع الهدى ، ويثني
بالتحميد بعد السلام فيقول : انى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ ويتخلص من
صدر الكتاب الى المقصود تارة بآما بعد ، وأخرى بغيرها ؛ وكان يختتمها في الاكثر
بالسلام عليكم ورحمة الله ، أو السلام على من اتبع الهدى

(٦) التعبير غالباً عن النفس بلفظ الإفراد مثل (أنا ، ولى ، وجاءنى ، ووفد على) ،
ومخاطبة المكتوب إليه بكاف الخطاب وتائه ، وعند التثنية بلفظها مثل (أنتم ولكم)
وعند الجمع بلفظه أيضاً مثل (أنتم ولكم) . وبقي الأمر متبعاً في خلفائه وخلفاء بنى أمية
الى أن ولى الوليد بن عبد الملك فجود القراطيس ، وجلل الخطوط ، وفخم المكاتبات ،

(*) قبيلة باليمن ونص الخطاب كما في صبح الاعشى : من محمد رسول الله الى
بنى نهد . السلام على من آمن بالله ورسوله ، لكم يا بنى نهد في الوظيفة الفريضة ،
ولكم الفارض والفريش وذو العنان الرّكوب ، والفُلُو الضيّس ، لا يُمنع سرحكم ،
ولا يُعصد طمّحكم ، ولا يُحبس درّكم ، ما لم تُضمروا الإِماق ، وتأكلوا الرّباق . من
أقر فله الوفاء بالعهد والذمة ، ومن أبى فعليه الرّبوة

الوظيفة النصاب في الزكاة . الفريضة الهرمة . الفريش الفرس اذا حمل عليه بمد التاج .
ذو العنان الركوب الفرس الدلول . الفلوات الصغير . الضيّس ، الذى لم يذل . السرح - المواشى .
الدرالين والمراد ذوات الدر . الاماق - الحنق والمراد الغدر ، الرباق عروة في الحبل تكون في عنق
البهمة والمراد نقض العهد . الربوة - الزيادة في الفريضة الواجبة عليه كالمقوبة له

وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك الا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد فانهما جريا في ذلك على طريقة السلف . ثم رجع الأمر الى مروان بن محمد آخر خلفائهم وكتب له عبد الحميد بن يحيى ، وكان من اللسن والبلاغة على ما اشتهر ذكره ، فأطال الكتب وأطرب فيها حيث اقتضى الحال تطويلها والإطناب فيها كما تقدم

نماذج من الرسائل والأمثال والحكم

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد بن الوليد :
من محمد رسول الله الى خالد بن الوليد

سلام عليك ، فاني أحمدك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسالتك ، يخبرني أن بني الحارث قد أسلموا قبل أن تُقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم اليه من الاسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته !

وكتب أبو بكر الى المسلمين يعود إلى عمر بالخلافة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر . اتى استعمات عليكم عمر بن الخطاب ، فان برّ وعدك فذلك على به ورأى فيه ، وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب .
(وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

وكتب سيدنا عثمان اسيدنا على يستنجده :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد بلغ السبيل الزبني ^(١) ، وجاوز الحزام الطبيين ^(٢) ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه ، ولم يغالبك مثل مغائب ^(٣) فأقبل إلى صديقا كنت أو عدوا

(١) جمع زينة وهي حفرة تحفر في اعلى الجبل لاسد اذا أرادوا صيده

(٢) العابي حلة الفرس لذوات الاربع (أي اشتد الامر) (٣) المقلوب مرارا

قَدْ كُنْتُ مَا كُولا فَكُنْ خَيْرَ كُلِّ وَلاَ قُدْرَكُنِي وَلَمَّا امْرُؤٌ
وَكُتِبَ بِشْرِي إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ يَعْتَذِرُ عَنْ كِتَابِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَوْلا الْهَفْوَةُ لَمْ أَحْتَجِ إِلَى الْعَذْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِي قَبُولِهِ مِنِّي الْفَضْلُ ، وَلَوْ احْتَمَلْتُ
الْكِتَابَ أَكْثَرَ مِمَّا ضَمِنْتَهُ لَزِدْتُ فِيهِ
وَبُقِيَا الْأَكْبَرُ عَلَى الْأَصَاغَرِ ، مِنْ شَيْمِ الْأَكْرَمِ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مُسْكِنُ الدَّارِمِيِّ
حِينَ يَقُولُ :

أَخُكَ أَخُكَ أَنْ مِنْ لَا أَخَالَهُ كَسَاعَ إِلَى الْهَيْجَا بَغِيرِ سِلَاحٍ
وَإِنْ ابْنُ عَمِّ الْمَرْءِ (فَاعْلَمْ) جَنَاحُهُ وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَارِزُ بَغِيرِ جَنَاحِهِ
وَقَالَ كُتِبَ الْعَبْدِيُّ لِعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ : قَدْ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
وَلَيْسَ يُزِيلُ غَضَبَهُ شَيْءٌ فَكَتَبَ لِي إِلَيْهِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :
لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكُمُ الْكَعْبُ مِنْ قَدِيمِ حَرَمَتِهِ مَا يَغْفِرُ لَهُ عَظِيمَ جَرِيرَتِهِ لَوْ جَبَّ إِلَّا تَحَرَّمَ التَّفْيُوءُ
بِظَالِ عَفْوِكَ الَّذِي تَأْمَلُهُ الْقُلُوبُ ، وَلَا تَعْلُقُ بِهِ الذُّنُوبُ . وَقَدْ اسْتَشْفَعُ بِي إِلَيْكَ ، فَوَثِّقْتُ
لَهُ مِنْكَ بِعَفْوٍ لَا يَخَالُطُهُ سُخْطٌ . فَحَقِّقْ أَمْلَهُ وَصِدِّقْ تَقَاتِي بِكَ ، تَجِدَ الشُّكْرَ وَافِيًا بِالنِّعْمَةِ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ :

قَدْ شَكَرْتُ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ، وَعَفَوْتُ عَنْهُ لِمَعْوَلِهِ عَلَيْكَ ، وَلَهُ عِنْدِي مَا يَحِبُّ ، فَلَا
تَقْطَعْ كِتَابَكَ عَنِّي فِي أَمْثَالِهِ وَفِي سَائِرِ أُمُورِكَ
وَهَاكَ طَرَفًا مِنَ الْأَمْثَالِ :

إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لِسِحْرًا ^(١) — إِنْ الْمُنْتَبَتِ ^(٢) لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا ^(٣) أَبْقَى ^(٤) —
إِنْ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا ^(٥) أَوْ يَلْمُ ^(٦) — إِنْ لِلَّهِ جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَلُ ^(٧) —

(١) مثل قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب في استعجال المنطق وإيراد الحجج البالغة
(٢) المنقطع عن أصحابه في السفر (٣) دابة (٤) قتله رسول الله ويضرب لمن يبالغ في طلب
النهي ويفرط حتى ربما ياتوته على نفسه (٥) انقفاخ يترى الأبل من كثرة الأكل
(٦) يفارب : قتله رسول الله ، يضرب في النهي عن الإفراط (٧) قتله معاوية رضي الله عنه :
ويضرب عند الثمالة بما يصيب المدو

ان البلاء موكل بالمنطق^(١) - انما ايكات يوم اكل الثور الأبيض^(٢) - أنا جدي لها^(٣) المحكك^(٤)، وعديقها^(٥) المرجب^(٦) - إياكم وخضراء الدمن^(٧) - خرك لها حوارها نحن^(٨) - عند الصباح يحمد القوم السرى^(٩) - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق في خبايا الأرض - رب مبلغ أوعى من سامع - وقال أبو بكر رضى الله عنه : ليست مع العزاء مصيبة - الموت أهون مما بعده ، وأشد مما قبله . أصلح نفسك يصلح لك الناس ، اذا فانت خير فادركه ، وان أدركك شر فاسبقه - وقال عمر رضى الله عنه : من كنتم سره كان الخيار في يده . أعتل الناس أعذرهم للناس . لا تؤخر عمل يومك لعدك . لا ينفع تكلم بحق لا نفاد له - وقال عثمان رضى الله عنه : ما يزعم الله بالسلطان أكثر مما يزعم بالقرآن . الهدية من العامل اذا عزل مثلها منه اذا عمل . يكفيك من الحاسد أن يغم وقت سرورك - وقال علي رضى الله عنه : من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه . من صارع الحق صرعه . العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة الغنى . الخرق المعالجة قبل الامكان ، والأناة بعد الفرصة . الأمانى تعمى أعين البصائر . قيمة كل امرئ ما يحسنه . الولايات مضامير الرجال - ومن كلام ابن عباس رضى الله عنه : الحرمان خير من الامتنان . صاحب المعروف لا يقع فان وقع وجد متكأ - وقال عمر بن عبد العزيز : من يزرع خيراً يوشك أن يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يوشك أن يحصد ندامة

-
- (١) قاله أبو بكر رضى الله عنه : يضرب في الاعتراض من عثرات اللسان
(٢) قاله علي رضى الله عنه : يضرب للرجل برزاً بأخيه (٣) تصغير الجذل وهو اصل الشجرة
(٤) الذى تتحكك به الابل الجربى من عود ينصب في مبارك الابل أو اصل شجرة
(٥) تصغير المنق وهو النخلة (٦) الذى جعل له رجة وهى دعاة تبنى حول النخلة الكريمة من الحجارة لئلا تقع : قاله الحباب بن المنذر الانصارى يوم المدينة ويضرب الرجل بسيفه فى رأيه وعقله
(٧) خضراء الدمن البقلة الحسنة تنبت فى الدمن وهى منبت خبيث ، ويضرب فى الحسن الظاهر والحيث الاصل وقاله الرسول الكريم (٨) الحوار ولد الناقة الرضيع قاله عمرو بن العاص ، ويضرب فى تذكير المرء بما يهيج (٩) السرى السير ليلاً ، قاله خالد بن الوليد . ويضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة

الكتاب

كتاب هذا العصر كثيرون ، فقد كان الخلفاء والامراء والقواد كلهم كتابا بلفاء . وانك ترى كثيراً من رسائلهم وعهودهم في تاريخ الطبرى وغيره من كتب المفازي والفتوح . ولما صارت الكتابة صناعة تداولها كثير من الاعاجم وغيرهم ، واشتهر من بين هؤلاء عبد الحميد الكاتب ، وهاك ترجمته :

عبد الحميد بن يحيى الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامريّ ولأب الشاميّ داراً ، شيخ الكتاب الأوائل ، وأول من أطال الرسائل

كان عبد الحميد من اهل الشام من موالى بنى عامر ، وتخرّج في البلاغة والكتابة على ختنه ^(١) أبى الملاء سالم مولى هشام بن عبد الملك وكاتب دولته وأحد بلفاء عصره والنقلة من اليونانية . وكان عبد الحميد في أول أمره معلّم صبيان يتنقل في البلدان حتى فطّن له مروان بن محمد أيلم توليه أرمينية وانتدابه لتسكين فتنها ، فكتب له مدة ولايته حتى اذا بلغه مبايعة أهل الشام له بالخلافة ، سجد مروان لله شكراً وسجد أصحابه إلا عبد الحميد . فقل له مروان لم لا تسجد ؟ فقال ولم أسجد ؟ أدلى أن كنت معنا فطرت عنا ؟ قل اذا تطير معي — قل الآن طاب لى السجود وسجد ، فتمخذه مروان كاتب دولته . فصدر عنه من الرسائل ما صار نُدُوجاً يحاكيه من بعده

ولما دهمّت مروان جيوش خراسان أنصار الدعوة العباسية وتوالت عليه المزامم كن عبد الحميد يلزمه في كل هذه الشدة — فقال له مروان : قد احتجت أن تصير مع عدوى وتظهر النذر بى ، فن إعجابهم بأدبك ، وحاجتهم الى كتابتك

(١) الحتن هنا كل من كان من قبل المرأة كالأب والابن

فحوجهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفعني في حياتي ، والألم تعجز عن
حفظ حرّمي بعد وفاتي - فقال له : ان الذي أشرت به على أنزع الأمرين لك وأقبحهما
بي ، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك . وأنشد :

اسِرْ وفاءً تم أظهر غدره ! فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره ؟

وبقي معه حتى قتل مروان سنة ١٣٢ هـ ، ففرّ واختبأ عند صديقه ابن المقفع
ففاجأه الطلب وهو في بيته - فقال الذين دخلوا عليهما : أيكما عبد الحميد ؟ - فقال
كل منهما : أنا ، خوفاً على صاحبه . وخاف عبد الحميد أن يُسرعوا الى ابن المقفع
فقال : ترفقوا بنا فان كلاً منّا له علامات ، فوكلوا بنا بعضكم وبعض آخر
ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم ففعلوا ، وأخذ عبد الحميد الى السمّاح فقتله
سنة ١٣٢ هـ

آثاره في الكتابة - منزلته في الكتابة - انتقلت كلمة البلغاء وأهل الأدب على أن عبد الحميد
هو الاستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل ، وذلك أنه أوّل من مهّد سبيلها ،
وَمَيّزَ فصولها ، وأطالها في بعض الشؤون ، وقصرها في بعضها الآخر ، وأطال
التحميدات في صدرها ، وجعل لها صوراً خاصةً ببدئها وختمها ، على حسب
الأغراض التي تكتب فيها ، بل هو الذي رقى هذه الصناعة التي كانت من مهن
الموالي ، حتى صارت بعده سلماً يعرج فيه الكتاب الى مرتبة ليس فوقها إلا
الخلافة : وهي مرتبة الوزارة

بلاغة عبد الحميد - وكان لبلاغة عبد الحميد عمل يعجز عنه السحر في خائب الافئدة وجذب
النفوس ، فيقال إنه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كذب اليه عن
مروان كتاباً يستجابه به ، وضمّنه ما لو قرئ لأدّى الى وقوع الخلاف والنشل -
وقال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره فإن يك ذلك وإلا فلهلاك .

وكان الكتاب لكبر حجمه يحمل على حمل . فلما وصل الكتاب الى داهية خراسان ابي مسلم ، أمر باحراقه قبل أن يقرأه وكذب على جُذاعة ^(١) منه الى مروان

محا السيفُ أسطارَ البلاغةِ وانتَحى عليك ليوث الغاب من كل جانب
نموذج من كتابته :

ومما كتبه عبد الحميد موصياً بشخص :
حقُّ موصل كتابي عليك ، كحقِّه عليّ ؛ إذ جعلك موضعاً لأمله ، ورآني
أهلاً لحاجته ، وقد أنجزت حاجته . فصدِّقْ أمله

وكتب الى أهله وهو منهزم مع مروان :

أما بعد فإن الله جعل الدنيا مخوفةً بالكاره والشرور ، فمن ساعده
الحظ فيها ، سكن اليها ، ومن عضَّته بنابها ، ذمها ساخطاً عليها ، وشكها مستزيداً
لها ، وقد كانت أذاقتنا أفويق ^(٢) استحليناها ، ثم جمحت ^(٣) بنا نافرة ، ورمحتنا ^(٤)
مؤلية ، فملَّحَ عذِّبها ، وخسَّنَ لِيَّنها فأبعدتنا عن الاوطان ، وفرَّقتنا عن الاخوان ،
فالدار نازحة ^(٥) والطير بارحة ^(٦) ، وقد كتبتُ والايام تزيدنا منكم بعداً ، واليكم
وَجَدّاً ، فإن تتمَّ البلية الى اقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا ، وان يلحقنا ظُفْرُ
جارج من أظفار مَنْ يليكم نرجع اليكم بذل الإِسار ، والذل شرٌّ جار . نسأل الله
تعالى الذي يُعز من يشاء ويذل من يشاء أن يَهَبَ لنا ولكم أُلَّةً جامعةً ؛ في دار
آمنة ، تجمع سلامة الابدان والاديان ، فانه رب العالمين ؛ وأرحم الراحمين

(١) قطعة (٢) الفيقة بالكسر اسم اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين والجم فبق وفي
وفيقات وافواق وجمع الجمع افاريق (٣) جمعت الفرس غلبت راكبها
(٤) رمحته الفرس كمنع رنسته (٥) بعيدة (٦) البارح من الطير ماسر من ميامنك الي
مياسرك وهو يتشام منه

موازنة بين النثر الجاهلي ونثر صدر الاسلام

أسبقنا الكلام في نثر الجاهلية أنهم كانوا لا يحفلون بانتقاء الالفاظ والتعمق في المعاني وترتيبها ، ولا يؤامون بالتأنق في صوغ العبارات وسجع الكلام ، ولا يبعدون الشقة بين طرْفَي الجملة وبخاصة الحكمة والمثل ، على قصد منهم إلى الإيجاز في الالفاظ ، وتعتمد إلى استيفاء المعنى من غير إخلال ، اعتماداً على سليقة المتفهم لكلامهم ودقيق كنياتهم

وبرى القارئ بعد تلاوة ما كتب في أحوال النثر في صدر الاسلام :
ان أهل هذا العصر لما طرأ عليهم من الحوادث الاجتماعية والسياسية والدينية قد خالفوا طريقة سابقهم بما يمكن اجماله فيما يأتي : —

١ — اتساع وجوه الكلام ومقاصده لاتساع الملك ودواعي السياسة وشعائر الدين

٢ — عناية أهل هذا العصر بعض العناية بتهذيب ألفاظهم ، فهجروا بعضاً وحرصوا على آخر ، وسعد من بين هذه الالفاظ بالاستعمال والرواج مادار في عبارات القرآن والسنة ، مع حقلهم بتوليد الحديث من القديم

٣ — تأقنهم في صوغ عباراتهم ومحاكاتهم فيها لأساليب الكتاب والسنة ، واقتباسهم منها واستشهادهم بهما ، وقلة اقتصارهم على الجمل القصيرة والمسجوعة ، وبقائهم على اتباع خطة الإيجاز أول هذا العصر ، وميلهم إلى الاطناب وأخره ، وغلبة استعمالهم في مبادئ الرسائل والخطب التحميدات والصلاة على الرسول الكريم والثناء على الله ونحو ذلك

٤ — ترتيبهم للمعاني والأفكار بدون تغفل فيها ، ويظهر ذلك جليا في الخطب التي كانوا يمدونها قبل القول ، وفي الرسائل التي كانت تدور بين الخلفاء والأمراء. أخريات هذا العصر

وقصارى القول أن هذه الحوادث الطارئة في هذه المدة قد صبغت اللغة بصبغة دينية سياسية اجتماعية ، وشملت من الأغراض ما لم تكن تتسع له من قبل ، وإن لم تصل هذه الدرجة إلى حد الكمال إلا في صدر العصر العباسي

التدوين والتصنيف

انقضى زمن الخلفاء الراشدين ولم يدون فيه كتاب إلا ما كان من أمر كتابة المصحف . وكان مرجع الناس في أمر دينهم ودنياهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، فإذا اشتبه عليهم أمر من أمور الدين رجعوا إلى الخلفاء وفقهاء الصحابة أو استخاروا الله فيه واستظهروا بجهادهم رأياً عملوا به . وقد كانوا لا يكتبون أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وفتاوى الصحابة خشية أن يجرهم ذلك إلى الاعتماد على الكتب وإهمال حفظ القرآن الكريم والسنة ، ولأن الكتاب عرضة للضياع والتصحيف والتحريف ، ولو عرض للكتاب عارض فأت معه علم الدين

ثم لما انتشر الاسلام زمن بنى أمية في مشارق الأرض ومغاربها واختلطت العرب بالأمم المختلفة من الأعاجم ، ففسدت فيهم ملكة اللسان العربي ، وفشا اللحن وأشفقوا على القرآن من التحريف وعلى اللغة من الفساد — دونوا النحو بعد إجماع وإقدام وأخذ ورد ، وكان أول من كتب فيه أبو الأسود الدؤلي ، وقد تلقى مبادئه عن الامام علي ، وأخذ عنه فتيان البصرة وخصوصاً الموالى ، اذ كانوا أحوج الناس إلى النحو . واشتغل أهل الكوفة به بعد أن فشا بالبصرة ، ولم ينقض هذا العصر حتى اشتغل به طبقتان من البصريين وطبقة من الكوفيين

ثم لما حدثت الفتن وتعددت المذاهب والنحل وكثرت الأقوال والفتاوى والرجوع فيها إلى الرجل والرؤساء ومات أكثر الصحابة ، خافوا أن يعتمد الناس على رؤسائهم ويتركوا سنة رسول الله ، فأذن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (الوسيط م — ١٨)

سبب عدم التدوين

تدوين النحو

تدوين الحديث

لأبي بكر محمد^(١) بن عمر بن حزم في تدوين الحديث بعد أن استخار الله أربعين يوماً ، فدوّن ما يحفظ من حديث رسول الله في كتاب بعث به عمر الى الأمصار ولم يعرف له بعد ذلك خبر

وبقي كثير من التابعين منجماً عن التدوين والتصنيف تورعاً منهم ، وبعضهم كتب أو سمح لمن يكتب عنه في الحديث ورواية أقوال الصحابة في التفسير ، واتقضى هذا العصر ولم يدون فيه من علوم اللغة والدين غير النحو وبعض الحديث تدوين وبعض التفسير . أما العلوم الأخرى فيروى أن خالد بن يزيد بن معاوية حبّ الطب والكيمياء اليه مطالعة كتب الاوائل من اليونان فترجمت له ونسبغ فيها ووضع كتباً في الطب والكيمياء . وأن معاوية استقدم عبيد بن شريّة^(٢) من صُعاء ، فكتب له كتاب تدوين (الملوك وأخبار الماضين) . وأن وهب بن مُنبّه الزُّهري^(٣) وموسى بن عقبة كتباً في ذلك أيضاً كتباً ، وأن زياد بن أبيه وضع لابنه كتاباً في مثالب قبائل العرب . الترجمة وأن ماسرجويه^(٤) متطبّب البصرة تولى في الدولة المروانية ترجمة كتاب أهرُون^(٥) الى العربية وتدوين ابن أعين من السريانية الى العربية وأن يونس^(٦) الكاتب ابن سليمان ألف كتاباً في الأغاني ونسبتها الى من غنى فيها

ولكن ذلك لم يُقنع الباحثين في تاريخ العلوم وتصنيفها أن يعتبروا هذا العصر عصر تصنيف وتدوين اذ لم تم فيه كتب جامعة حافلة ، وانما كان كل ذلك مجموعات تدون على حسب ورودها واتفاق روايتها

(١) هو نائب عمر بن عبد العزيز في القضاء والولاية على المدينة وتوفي سنة ١٢٠ هـ
(٢) أدرك النبي ولم يسم منه وكان يروى عن الكيس النخعي وعاش الى أيام عبد الملك بن مروان (٣) هو أبو عبد الله صاحب القصص والاخبار وسير الملوك واحوال الانبياء وتوفي بصنعاء سنة ١١٦ هـ (٤) يهودى عاش الى صدر بني العباس وزاد على كتاب اهرُون مقالتين عند ترجمته (٥) هو قس متطبّب تباغ كفاشته في الطب ٣٠ مقالة عاش في مبدأ الاسلام (٦) نشأ بالمدينة وكان من الكتاب واخذ الفناء عن معبد وابن سريج وابن محرر والغريش واستقدمه الوليد بن يزيد فلأزمه حتى قتل

الشعر والشعراء

(*) الشعر

جاء النبي الكريم ، والشعر ديوان العرب ، ومَجْمَعُ مكارمهم ، ومَسْبِغُ مفاخرهم ،
ومَعْرِضُ فصاحتهم ، ومُظَاهِرُ نبأتهم ، وموضع الرغبة من نفوسهم ، فأنابهم بالأمر العظيم
والحادث الخطير ، حاملاً بأحدى يديه القرآن يدعو الناس إلى توحيد الله والتمسك
بالفضيلة وشاهراً بالأخرى سيف الحق لحماية هذه الدعوة ، وما كان أشدّ ذهولهم
خطبهما ! وانزعاجهم من وقعها ! فهَبُوا يَتَحَسَّسُوا الأول وَيَتَمَرَّسُوا بالناظر ومعانيه ،
وَيَتَفَرَّسُوا في أساليبه ومغازيه : من بين معانيد يتلمس مطعناً فيه ، ومؤمن يستبينه
ويستهديه ، وتأهبوا للثاني : من بين ضائّ يناوئه ، ومهتدٍ يعاضده ، فصار ذلك صارفاً
لهم عن التشاغل بالشعر والتلّهي به والتنافس فيه ، محرّلاً بحجى أوفكار المؤمنين
منهم عن أكثر فنونه وأغراضه المنحرفة عن سنن الشرف والحق : كالتشبيب ،
والمغازلة ، والمدح الباطل ، والاستجداء والهجاء . وبغض اليهم تلك الفنون المردولة
إزراء القرآن على الشعر الذي يقال فيها ويُقَصَّرُ عليها بقوله (والشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ
أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ وأنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَنَّمُوا) ولهذا لم يكن في
شعراء المسلمين عن قوله فيما يُطابق روح القرآن : كالحث على العمل الصالح ، والموعظة
الحسنة ، ومدح الرسول وأنصاره ، والانتصاف للإسلام ممن ظلمه واعتدى عليه
بهجاء أهله وذم نبيهم ، فقابلوا هجوهم بهجو كان أشدّ عليهم من وقع السهام في
غَبَشِ الظلام

ولبت الحال على ذلك مدّة حياة النبي الكريم ، حتى إذا ما ثاروا لاسكان فتن

أهل الرذة ونجح الملاك والامصار ، أضافوا الى ما ألفوه من أغراض الشعر ،
الاكتثار من التباهى بالنصر ، ووصف الممالك وأحوال المصار وآلات القتال ،
وما استعمل فيها من الادوات المحيية ، وما شاهدوه من الحيوانات الغريبة ، وفتح
الغنم ، ومقاساة أحوال الحر والبرد ، مما امتلأت به كتب الفتوح والمغازي ^(١)
وأخبار على ومعاوية

ولما آل الأمر الى بنى أمية وشغب عليهم ^(٢) كثير من فرق المسلمين :
كالشيعة والخوارج وأتباع عبد الله بن الزبير ^(٣) ، والختار ^(٤) وغيرهم ، أصبح
الشعر لساناً يعبر عن مناصد كل حزب ، والقوم عرب : الشعر أسير الأقوال
عندهم ، وأيسر الوسائل لإغلاء شأنهم ، وإعلان أمرهم
وكان خلفاء بنى أمية في اجتذاب الشعراء اليهم وتحليلهم فيهم همّة لا تني ،
وعزيمة لا تقل ، فآخذوا عليهم جزيل البطايا ، وفرضوا لهم الارزاق في بيوت الاموال ،
وأكرموا وفادتهم وقبوا شفاعتهم ، وبشوا فيهم روح التسابق الى أبوابهم والتنافس
في جاب مرضاتهم ، وتضرأشعارهم عليهم دون غيرهم ، بل دون ولايتهم ورؤساء
شيعتهم ، وتبعهم في ذلك عمالهم وولاتهم ^(٥)
ولم يقف خلفاء بنى أمية عند هذا الحد ، بل بالغوا في اكرام بعض الشعراء دون
بعض : ليقع الشقاق بينهم ، ويتبعهم في ذلك قبائلهم ، فيلهوهم بذلك عن مناوأتهم
ومراقبة أعمالهم ، ويستتبع ذلك اشتغال طلبة المتعلمين والمتأدبين بالآخذ عنهم ،
والبحث في أقوالهم ، والتعصب لشاعر دون شاعر ، ونحو ذلك مما يُبعدهم عن الخوض
في السياسة وأمور الملك . وبذلك عاد الشعر الى ما كان عليه ، ونبغ فيه الشعراء من

(١) راجع تاريخ ابن جرير الطبري

(٢) شغبهم وبهم وعليهم كمنع وفرح هيج النصر عليهم (٣) أول من ولد من المهاجرين بعد
الهجرة ، وبويج له بالخلافة بمكة سنة ٦٤ بعد وفاة يزيد بن معاوية واستمر تسع سنين واجتهدت له
العراق واليمن والحجاز ومصر وكاد يتم له الامر ثم قتله المحتاج في مكة سنة ٧٣ هـ
(٤) أحد الخوارج الذين خرجوا بالكوفة مطالبين بدم الحسين وتبته خاق كثير فقتل كثيراً
من قتله ثم قتله مصعب بن الزبير بالكوفة سنة ٦٧ هـ (٥) راجع المدة

كل القبائل حتى قريش التي لم يكن لها شأن فيه من قبل واستعمل في كل أغراضه السابقة اللهم إلا ما كان من وصف الخمر والترغيب الشعراء فيها فإن جمهور شعراء المسلمين نزهوا شعرهم عنها^(١) وإنما أول من وصفها منهم وجعلها ^{والخمر} كدّه وقصده هو أبو الهندي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية كما صرح بذلك صاحب الأغاني ؛ والأما كان من العصبية الذميمة ، فإن الشيعة ودعاة بني العباس أناروا عجاجها^(٢) وأشعلوا نيرانها أواخر الدولة الأموية على يد الكميت ومتابعيه

وقصارى القول أن الشعر أصبح حرفة عتيقة ، وصناعة جديدة ، ومورد ثروة لكثير من البيوت والعشائر ، وأصبحت دراسته ونقده وروايته دأب العلماء والأدباء حتى اخللنا وأولياء عهدهم ، إذ لم يكونوا أقل من هؤلاء عناية وحرصاً على تعلمه

ويمكن وصف ما كان عليه الشعر في هذا العصر من حيث أغراضه وفنونه ، ومعانيه وأخيلته ، وألفاظه وأساليبه ، وأوزانه وقوافيه ، بما يأتي :

أغراضه وفنونه

(١) نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه وخاصة زمن النبي وخلفائه الراشدين

(٢) التحريض على القتال والترغيب في نيل الشهادة اعلاء لكلمة الله وذلك في أزمان غزوات النبي وفتوح الأمصار

(٣) الهجاء - وكان أولاً في سبيل الدفاع عن الاسلام بهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حد المروءة ، وبما رضىه النبي من حسان شاعره في هجاء قريش وعشيرة النبي من بني عبد مناف . وكان يتخرج عنه المسامون ولو بالتعريض زمن النبي

(١) أكثر شعراء النصارى كانوا يصفون الخمر في هذا العصر وجاراهم قليل من الخلفاء والمنزعين على خشبة ورقية وندرة قول (٢) غبارها

وخلفائه : ولذلك عاقب عمر أمير المؤمنين الخليفة وهدد بقطع لسانه لنيله من بعض المسلمين . ثم صار يتساهل في خطبه حتى أصبح الشعراء يهجون أنفسهم ^(١) ويسب بعضهم قبائل بعض أمام خلفاء بني أمية بل برضاهم وباغرائهم للأسباب السياسية التي ذكرناها قبل ؛ حتى كان ادعاء غاية براعة الشاعر ^(٢) وان لم يصل في الإقذاع ^(٣) والفحش الى الحد الذي وصل اليه في العصر الآتي — ومن ذلك التهاجي المشهور بين جرير والفرزدق والأخطل

(٤) وصف القتال وحصار المدن وفتحها وغير ذلك مما سبق ذكره آنفاً
(٥) المدح — وقلما كان مبدأ الاسلام في غير النبي من حيث الاهتداء بهديه ونشر الحق على يديه . وكان خلفاؤه يأنفون مدحهم بما تُزهى به نفوسهم تورعاً وتواضعاً ، ثم استرسل الشعراء فيه وقبل ذلك منهم الخلفاء الى أن كان المدح من أهم الدعائم لتوطيد أركان الدولة ، وتفخيم مقام الخلفاء والولاء والإشادة ^(٤) بعظمتهم ، فكان إذ ذاك بمثابة الصحف العظمى المشايمة لأهل الدولة أولاً ثم زعماء الأحزاب في زماننا

(٦) استعمله في النسب والفضل العفيف بما يخاف مسلك أهل الجاهلية فيه ، وأكثر ما كان ذلك في أهل البدو وبين العشاق منهم

معانيه وأخيلاته

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصوّرهم وتخيلهم عما ألفوه زمن الجاهلية ، وإن فقههم كثيراً في ترتيب الفكر وتقريب المعنى الى الأذهان والوجدان ، بما هذب نفوسهم ، ورقق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسوله ، وهما من المعاني

(١) ممن هجأ الله الخطيئة بقوله :

(أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فقيح من وجه وقبح حامله)

(٢) قال الأصمعي إنما وضع من ذي الرمة انه لا يحسن أن يهجو ولا أن يمدح

(٣) قدعه ككلمة رماء بالفحش وسوء القول كقدعه (٤) أشاد بذكره شهره ومدحه

والحكمة ما هما ، وبها نوع خيالهم وأنتى معارفهم : من مشاهد الحضارة و بدائع
الصناعات ؛ غير أننا لا نجد في شعرهم من المبالغة والتحويل والتعمق فى المعانى العقلية
العسرة الادراك ما يجده لأهل العصر التالى : لاشتغال القوم بلفتوح والمغازى
وتأسيس الحضارة والعمران

الفاظه وأساليبه

وكذلك لم يخرجوا جملةً فى هيئة تأليف اللفظ ونسجه ومثانة أسلوبه عن نظائرهم
فى الجاهلية وإنما آثروا جزالة اللفظ ولخامته وحسن جرسه وأقمتة . ومؤلفته لسابقه
ولاحقه دون غرابته وحوشيته وتنافره مع قرينه ، كما آثروا جودة الاسلوب ومثانته
وروعة تأثيره ، ولا سيما أهل النسيب (١)

وربما انطبق كل هذا الوصف على القصيد دون الرجز إذ كانت الغرابة كأنها
من أزم طبائعه ، ولا شك أن جل التأثير فى ترقيق حاشية عبارة الشعر العربى يرجع
الى حفظ القرآن والحديث ودراستهما كما قدمنا

أوزانه وقوافيه

لم يطرأ على أوزان الشعر العربى حدثٌ غير ما عُرِف عنه فى الجاهلية ، وإنما
شاع فى هذا العصر نظم الارجيز والتطويل فيها واستعمالها فى جميع أغراض القصيد
حتى فى افتتاحها بالنسيب والتخلص منه الى المدح والذم ونحو ذلك

نماذج من الشعر فى الأغراض الآتية

١ - الحماسة — قل قطرى بن الفُجاءة

أقول لها وقد طارت شماعا من الأبطال ويحك لن تُراعى (٢)

(١) مثل عمر بن أبى ربيعة وجعل بثينة وكثير عزة

(٢) الشماع المنفرق — وتراعى من الروع وهو الفرع

فإنك لو سألت بقاء يوم
فصبراً في مجال الموت صبراً
ولا ثوب البقاء بثوب عز
سبيل الموت غاية كل حي
ومن لا يعتبط^(٣) يسأم ويهرم
وما للمرء خير في حياة
وقال ربيعة بن مقروم الضبي :

ولقد شهدت الخليل يوم طرادها^(٥)
فدعوا نزال فكننت أول نازل
والد^(٨) ذي حنق^(٩) على كأنما
أوجبته^(١١) عني فأبصر قصده
بسليم أوظفة^(٦) القوام هيكل^(٧)
وعلام أركبته إذا لم أنزل
تفلى عداوة صدره في مرجل^(١٠)
وكوته فوق النواظر من عل

٢ - المدح - قال أبو ذؤيب الجمحي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :
إن البيوت معادن فيجاره^(١٢)
عقم النساء فما يابن شبيهه^(١٣)
متهم^(١٤) بنعم بلا متباعد
نزر الكلام من الحياء تخاله
وقال الخطيئة يمدح بغيض بن لأي :

تزور^(١٦) امرأ يؤتي على الحمد ماله
يرى البخل لا يبقى على المرء ماله
ومن يؤت ثمان الحامد يحمده
ويلم أن البخل غير مخلد

(١) الذل (٢) الجبان (٣) يمت من غير علة (٤) سقط المتاع رديته (٥) طراد الفرسان حمل بعضهم على بعض (٦) جمع وظيف وهو ما فرق الحافر من الفرس (٧) ضخم (٨) شديد الخصومة (٩) غيظ شديد (١٠) قدر من حجارة أو نحاس (١١) قهرته وأذلته (١٢) أصله (١٣) ممنوع عن أن يأتين بمثله (١٤) أي يحجب وهو مستبشر لفظ (نعم) عند ما يسأل ويعتمد عن لفظ (لا) كناية عن كرمه (١٥) سقيماً (١٦) الضمير يعود على الناقة

كُؤُب ومِثْلَاف اذَا مَاسَأَلْتَهُ تَهْلَلْ فَاهْتَزْ اهْتَزَّازَ الْمَهْنَدُ
مَتَى تَأْتِي تَعْشُو (١) اِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ

ومن جيد مدح الأخطل في بني أمية :

حُشْدُ (٢) عَلَى الْحَقِّ عُيْفُ الْخَنَاءِ أَنْفُ (٣) إِذَا أَلَمْتُ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
شَمْسُ (٤) الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ (٥) لَهُمْ وَأَعْظَمَ النَّاسُ احْلَامًا إِذَا قَذَرُوا

٣ — الرثاء — قَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ يَرْنِي قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ الْمُنْقَرَى :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
نَحْيَةً مِنْ غَادِرَتِهِ غَرَضُ (٦) الرَّدَى إِذَا زَارَ عَنْ شَحَطِ (٧) بِلَادِكَ سَلَمَا
فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هَلَاكٌ وَاحِدٌ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا

وَقَالَ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرٍ الْغَدَانِي يَرْنِي زِيَادَ بْنَ أَبِيهِ :

صَلَّى الْأَلَهُ عَلَى قَبْرِ وَطَهَّرَهُ عِنْدَ الثَّوْبَةِ يُسْفَى فَوْقَهُ الْمَوْرُ (٨)
زَقَّتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ نَعَشَ سَيِّدَهَا فَشَمَّ كُلُّ التَّقَى وَالْبِرِّ مَقْبُورُ
أَبَا الْمُغِيرَةِ (وَالدُّنْيَا مَفْجَعَةٌ) وَإِنْ مَنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لَمَغْرُورُ
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ وَكَانَ عِنْدَكَ لِلنَّكَرَاءِ تَنْكِيرُ
وَكُنْتَ تَعْشَى وَتُعْطَى الْمَالُ مِنْ سَعَةٍ إِنْ كَانَ بَيْتُكَ أَضْحَى وَهُوَ مَهْجُورُ
وَلَا تَلَيْنُ إِذَا عَوَسِرْتَ مَعْسِرَةً وَكُلُّ أَمْرِكَ مَا يُوَسِّرُ مَيْسُورُ
فَالْحَمْدُ زَادُكَ لَمْ تُلْحَقْكَ بَائِرَةٌ وَأَنْتَ فِي صَالِحِ الْأَقْوَامِ مَذْكُورُ
لَوْ خَلَدَ الْخَيْرُ وَالْإِسْلَامُ ذَا قَدِيمٍ إِذَا خَلَّدَكَ الْإِسْلَامُ وَالْخَيْرُ

(١) تقصد (٢) اذا دعوا أجابوا مسرعين (٣) جمع أنوف مبالغة من أنف بمعنى استنكف

(٤) جمع شمس وهو الرجل الصعب الحاقى وشمس الفرس منع ظهيره (٥) استندت الامير من القتال فاقتدى منه أى قتله (٦) تركته هدفا للهلاك وبروى عرض بالعين المهملة (٧) أى بعدونائى

(٨) الثوبية مكان بالكوفة والمور التراب

لم يعرف الناس منذ كُفِّت سيدهم ولم يُحَلَّ ظلاما عندهم نور
الناس بعدك قد خفت حلومهم كأنما نفخت فيها الأعاصير

٤ - الهجاء - قال قعنب بن ضمرة :

إن يسمعوا ربيّةً طاروا بها فرحا منى وما سمعوا من صالح دفنوا
صمّ إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بشرّ عندهم أذنوا
جهلاً علينا وجبنا عن عدوهم لبست الخلتان الجهل والجهن

وقال عبد الرحمن بن الحكم :

لما الله قيساً قيس عيلان إنها أضاءت ثغور المسلمين وولت
فشاول^(١) بقيس في الطامان ولا تكن أخاها إذا ما المشرفية^(٢) سلت

وقال جواس بن القعطل السكبي :

صبغت أمية بالدماء رماحنا وطوت أمية دوننا دنياها
أُمّي رُبّ كتيبة مجهولة صيد^(٣) الكمة عليكم دعواها
كنا ولالة طمانها وضراها حتى تجلت عنكم غمّاها
فلله يجرى لا أمية سعيها وعلاً شددنا بالرماح عراها
جئتم من الحجز البعيد نياطه والشام تنكر كهلها وفتاها
أذ أقبلت قيس كأن عيونها حلق الكلاب وأظهرت سبها

٥ - الاعتذار :

وقال الخطيئة يعتذر الى عمر بن الخطاب من ذمه الزبرقان بن بدر :

أتنى لسان فكدبتها وما كنت أرهاها أن تقالا

(١) شال به وشاول رفعه أى ارفعها من عداد الطاعنين لجنبها

(٢) المشرفية السيوف تنسب الى مشارف الشام أى القرى التى تشرف عليه من بلاد العرب

(٣) أى ان كانها صيد جمع أصيد وهو الاسد أو الرفع رأسه كبرا

بَانَ الوُشَاةَ بلا حُرْمَةٍ أَتَوَكَ فَرَامُوا لَدَيْكَ الْيُحْلَا
فَجِئْتُكَ مَعْتَدِرًا رَاجِيًا لَعْفُوكَ أَرْهَبُ مِنْكَ النَّكَلَا
فَلَا تَسْمَعَنَّ بِي مَقَالَ الْعِدَا وَلَا تُؤَكِّلْنِي (هُدَيْتَ) الرِّجَالَا
فَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنَ الزَّبْرَقَانِ أَشَدُّ نَكَلًا وَخَيْرٌ نَوَالَا

وقال الكُمَيْتُ يعتذر الى هشام بن عبد الملك :

كَمْ قَالَ قَائِلَكُمْ لَمَّا^(١) لَكَ عِنْدَ عَثْرَتِهِ لَعَاثُ
وَعَفَرْتُمْ لَذَوَى الذَّنْوِ بَمِنْ الْأَكْبَرِ وَالْأَصَاغِرِ
أَبْنِي أُمِّيَّةَ إِنْكُمْ أَهْلُ الْوَسَائِلِ وَالْأَوَامِرِ
يَقْنَى لِكُلِّ مُلِدَّةٍ وَعَشِيرَتِي دُونَ الْعِشَائِرِ
أَنْتُمْ مَعَادِنُ لِلْخَلَا فَمَنْ كَابَرَا مِنْ بَعْدِ كَابِرِ
بِالْتَّسَعَةِ الْمُتَتَابِعَةِ مِنْ خَلَائِفًا وَبِخَيْرِ عَاشِرِ
وَالِي الْقِيَامَةِ لَا تَزَالُ لَشَافِعٍ مِنْكُمْ وَوَاتِرِ^(٢)

٦ - الوصف - قال أبو عثمان الهذلي يصف المسلمين وبلاءهم في فتح مكة
وقد لامته امرأته على المزيمة التي كانت منهم عند ما دخلها عليهم خالد بن الوليد
من جبل الخندمة :

إِذَا فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَةُ^(٣) إِذَاكَ لَوْ شَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ^(٤)
وَلَحَقْنَا بِالسِّيَوفِ الْمُسْلِمَةِ يَفْأَقُنْ كُلٌّ سَاعِدًا وَجُمُجْمَةً
ضَرْبًا وَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةً^(٥) لَمْ نَهَيْتْ^(٦) حَوْلَنَا وَجَمَجَةً^(٧)
لَمْ تَنْطَقِي فِي اللَّوَمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

(١) لما لك كلمة دواء يقال للعائر بمعنى أقال الله عثرتك

(٢) أي لا تزال الخلافة فيكم

(٣) الخندمة جبل بمكة (٤) الغمغمة اصوات الابطال عند القتال

(٥) النهيت الزمير والزمير (٦) الجمجمة خفاء الكلام وعدم بيانه

وقال النابغة الجعدي يصف ذئباً افترس جُوذَرا :

فبات يُذَكِّيه ^(١) بغير حديدٍ أخو قَصْ يُمسي وَيُصبح مفطرا
إذا ما رأى منه كُراعاً نحرَّكت أصاب مكان القلب منه وفرَّ ^(٢) فرأى

وقال أبو زبيد الطائي يصف حال الحيوان عند اشتداد الهجير :

ليت شعري وأين مني ليت أن ليتاً وان لوأ عنه
أي ساعٍ سعى ليقطع شُرْبِي حين لاحت للصباح الجوزاء ^(٣)
واستظل العصفور كرهامع الضب م وأذكت نيرانها المعزاء ^(٤)
ونفى الجُنْدَب الحصى بكراعيه — وأوفى في عوده الحرباء ^(٥)

وقال حصين بن معاوية الراعي يصف بيضة نعام حضنها ظليم بالليل وتركها عند

طلوع الشمس ينتفض :

وما بيضة بات الظليم يحفُّها بوعساء أعلى تُربها قد تلبدا ^(٦)
فلما علته الشمس في يوم طُلُقَةٍ وأشرف مكاء الضحى فتفردا ^(٧)
أراد قياماً فازبأر عفاؤه وحرَّك أعلى جيده فتأودا ^(٨)
وهز جناحيه فساقت جيده فراشا وهي عن متنه فتبددا
فغادر في الأدحى صفراء تركة هجانا إذا ما الشرق فيها توقدا ^(٩)
بألين مساً من سعاد للامس وأحسن منها حين تبدي مجرّدا

٧ — الحكم والامثال — قال سيدنا كعب بن زهير :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

(١) يذبحه (٢) قطع ومزق (٣) تطلع الجوزاء في الصيف

(٤) المعزاء الارض ذات الحصى والحجارة من الصوان ونحوه (٥) الجندب نوع من الجراد والحرباء دويبة من الهوام لا تزال تستقبل الشمس برأسها (٦) الوعساء الارض ذات الرمل اللين (٧) اليلة الطلقة التي لا حر فيها ولا برد — أي يوم ليلة طلقة — والمكاء طائر فوق العصفور

كثير الصنير (٨) الفناء ما كثر من ريش النعام — وازبأر تنش

(٩) الادحى الاغوص الذي يبيض فيه النعام — والتركة بيضة النعام — والمجان البيضاء

يسمى الفتي لأمر ليس يُدرَكها والنفس واجدة والهمُّ منتشر
فالمرء ما عاش ممدودٌ له أملٌ لا ينتهي العمر^(١) حتى ينتهي الأثر^(٢)

وقال ابو الاسود الدؤلى :

لا تنحى بعد اكرامك لى فشديدٌ عادة مُنترعة
لا يكن برقك برقًا خائبًا ان خير البرق ما الغيثُ معه

وقال مسكين الدارمي :

اصحب الأخيار وارغب فيهمُ ربُّ من صاحبتة مثل الجربُ
واصدق الناس اذا حدثتهم ودع الكذب ان شاء كذب
رب مهزول سدين عرضه وسدين الجسم مهزولُ الحسب

٨ - الاجتماع والسياسة - قال مسكين الدارمي وقد أوعز اليه معاوية

حينما عزم على البيعة ايزيد ولكنه تهيب ذلك لكثرة المرشحين ، وكان قد بلغ
معاوية ما كرهه من سعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر فلما
اجتمعوا عنده قال مسكين قصيدة طويلة منها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامرٍ ومروان أم ماذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلاً فاقماً يبوئها الرحمن حيث يريد
اذا المنبر الغربى خلاه ربه فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجدُّ صاعد لكل اناس طائر وجدود
فلازلت أعلى الناس كعباً ولا تنزل وفود تساميهـا اليك وفود
ولا زال يدت الملك فونك عالياً تُشيدُ أطناب له وعمود
قدور ابن حرب كالجوابى ونحتها أنافٍ كأمثال الرئال ركود

فلما انتهى منها قال معاوية ننظر فيما قلت يامسكين ونستخير الله . فلم يتكلم أحد
بغير الموافقة

وقال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام وتمثل به معاوية في ردّه على كتاب لعل

أرى الشام تكرر مملكت العراق وأهل العراق له كارهينا
وكلاً لصاحبه مبعضاً يرى كل ما كان من ذاك دينا
إذا ما رمينا رميناهم ودناهم مثل ما يُقرضونا
فقالوا علىّ امام لنا فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا له فقلنا ألا لا نرى أن نديننا
ومن دون ذلك خرط القتاد وضرب وطعن يفض الشونا

وفي رد عليّ عليه ذكر شعراً للنجاشي أحد بني الحارث بن كعب من شعراء
أهل العراق ، منه :

دعاً يا معاوى ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا
أناكم علىّ بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا

الشعراء

شعراء هذا العصر ممن خلصت عربيتهم واستقامت ألسنتهم ، ولم يمتد اليهم
اللحن . ولقد زادتهم مدارس القرآن الكريم فصاحة وبلاغة ، وإحكاماً وإتقاناً ،
حتى فضلهم بعض الرواة على سابقينهم من الجاهليين ، ولذلك لم ير العلماء بدءاً من
الاحتجاج بشعرهم ، بل بشعر بعض الخضرمين ممن أدرك الدولتين الأموية
والعباسية كابن هرمة^(١) وبشار

ومن أشهر شعراء هذا العصر كعب بن زهير ، والخنساء ، والحطيئة ،

(١) هو أبو أسحق إبراهيم آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم وكان مولماً بالشراب منقطعا
لطلابين ، توفي في خلافة الرشيد حوالى سنة ١٥٠

وحسان بن ثابت ، والنايفة الجُمَيْدِي ، وعمرو بن معد يكرب من المخضرمين ^(١) وعُمَر بن أبي ربيعة ، والأخطال ، والفرزدق ، وجريز ، والكميت ، وجميل ، وكثير ونُصَيْب ، والراعي ، وذو الرُّمة من الاسلاميين

تكسب الشعراء بالشعر

كانت غاية المادحين من قداماء الشعراء في الجاهلية إما شكر الممدوح على حسن صنيعه ، وإما التباهي بمناقبه والافتخار بالانتماء اليه ، وإما التذرع الى الاستنجاد به ونحو ذلك لاطمأناً في قنص ماله واستجداءً لمعروفه ، حتى نشأ فيهم من قبل الثواب على المدح بلا مسألة له : كزُهَيْر ، ثم من قبله من الملوك خاصة بعد التمرض لهم أو التعريض لسؤالهم كالنابغة وأمية ثم من قبله من الملوك والسوقة والعرب والمعجم بعد مسألتهم : كالأعشى ؛ ثم من أكلف في السؤال وضرع ، وتوعد بالهجاء من منَعَ ، كالخطيب ، فأصبح الشعر مهنة كسب يمتثلها الاشراف ويؤثرون عليها الخطابة في بيان مقاصدهم

وجاء الاسلام وقد ألفت الناس المدح والاثابة عليه فأثاب النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير وغيره . ولم يعدل الخلفاء الراشدون عن سننه فيها ؛ وإنما كان ذلك منهم بمثابة اهداء ، أو تكريم ، أو أداء حق لابن سبيل ، لا اغراء منهم بكسل أو اذلال نفس ، أو اسقاط مروءة ؛ قال عمر بن الخطاب « نعم ما تعلمته العرب : الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته »

فلما قامت الدولة الأموية بسياسة القهر والحيلة لم تجد بداً من اشتراء السنة الشعراء بالمال تنقي به هجاءهم ، وتستأثر بمدحهم ، وتتخذ منهم أبواباً تستنفر بها الناس للذود عنها ، وتحشد على دعوتها ، وتحرش بعضهم ببعض ليلها عن التعرض لسياستها والنهي على استبدادها وأثرتها ، كما تفعله أرباب الدولة والأحزاب من شراء الصحف الكبرى في زماننا ؛ فكان من شعر جريز والفرزدق والأخطال

(١) من معاني المخضرم الاسود الذي أبوه أبيض ولعل تسمية الشاعر الذي أدرك الجاهلية والاسلام أخذ من هذا

والكميت وغيرهم معرضٌ لتهاوش الشعراء ، ومظهرٌ لدهاء الخلفاء مع ما يستتبعه ذلك من نشر اللغة ، وترفيه الأدب وهما من أقوى عدد العرب السياسية . ولذلك صار الشعر في هذا العصر متجراً رائجاً ، وزاحم الشعراء العلماء والقواد في مجالس الخلفاء وأصبحوا يعطاهم في عداد الاغنياء ، وسارت صناعة الشعر على هذا الدرب هذا العصر وعصر الدولة العباسية

على أن الشعر لم يعدم في كل زمان ومكان من يربأ به عن السؤال ويقوله في تأييد مذهب ، أو ترويح خاطر ، أو شكوى غرام ، كجميل بن عبد الله بن معمر وعمر بن أبي ربيعة من شعراء هذا العصر

١ - كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين وصاحب « بانث سعاد » في مدح النبي الأمين

وهو ابن زهير صاحب المعلمة . قال الشعر في حدائته فكان والده ينهاه عنه مخافة أن يقول مالاخير فيه فيروى عنه فيلزمه عاره الدهر فلم ينته ، فأذاه فلم يرتدع ، فامتنع امتحاناً شديداً فكان يقول على البديهة ما يجب زهير ، فأجازه له فمضى ونبع فيه حتى كان من فحول عصره

ولما ظهر الاسلام ذهب أخوه بجير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ، فنضب كعب للإسلامه ، ونهاه عن الاسلام وهجاه وهجا رسول الله وأصحابه ، فتوعده النبي صلى الله عليه وسلم وأهدر دمه ، فحذر أخوه العاقبة إلا أن يجيء الى النبي مسلماً نائباً ، فهام كعب يترامى على القبائل أن تحجيره فلم يجره أحد ، وأرجف الناس أنه مقتول لا محالة . فلما ضاقت الأرض في وجهه جاء أبا بكر رضى الله عنه بالمدينة وتوسل به الى الرسول فأقبل به عليه فعاذ به وآمن ، وأنشده قصيدته المشهورة بمدحه بها وهي من جيد شعره ، ومطلعها :

بانث^(١) سعاد^(٢) فقلبي اليوم متبول^(٣) منيم^(٤) إثرها لم يقد مكبول^(٥)

(١) فرقت (٢) تله الحب أسقم، وأضناه (٣) مبد ومذال (٤) مقيد

فخلع عليه النبي بردته فبقيت في أهل بيته حتى باعوها لمعاوية بعشرين ألف درهم ،
ثم بيعت للمنصور العباسي بأربعين ألفاً

* *

شعره : كان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وعلو الكعب
في الشعر ، وكان خلف الأحمر أحد علماء الشعر يقول لولا قصائد زهير ما فضلت
على ابنه كعب ، وكفاه فضلاً أن الخطيئة مع ذائع شهرته رجاء أن ينوء به في
شعره فقال :

فن للقوافي شائها من يحو كُها (١) إذا ماضى كعب وفوز جرول (٢)
وكان يكثر من غريب الألفاظ على جودة في الوصف وسهولة في العبارة في
بعض المواضع وصعوبة في بعضها الآخر

ومن شعره قوله في قصيدته بانت سعاد :

وقال كل خليل كنت آمله	لا أهينك انى عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي « لا أبلكم »	فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته	يوماً على آلة حديد (٣) محمول
أنبت أن رسول الله أوعدنى	والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذى أعطاك نافلة (٤)	قرأ أن فيها مواعظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم	أذنب وقد كثرت فى الأقاويل

ومن قوله أيضاً :

ان كنت لا ترهب ذنبى لما	تعرف من صفحى عن الجاهل
فالخش سكونى اذ أنا منصت	فيك لمسموع خنا (٥) القائل
فالسامع الذم شريك له	ومطعم المأكول كالا كل

(١) شان ضد زان ، وحاك الثوب نسجه والقصيدة نظمها (٢) فوز مات ، وجرول اسم

الخطيئة الشاعر (٣) يريد النش ، وقيل الآلة الحاملة ، والهدباء الصعبة الشديدة

(٤) كل عطية تبرع بها مطيها (٥) فحش

مقالة السوء الى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس الى ذمة ذمّوه بالحق وبالباطل

٢ - عمرو بن معد يكرب الزبيدي

هو أبو نؤر عمرو بن معد يكرب الزبيدي المذحجيّ ، فارس اليماني ، وأحد
الشعراء المعمرين ، والخطباء الموقدين

منشؤه وصفاته - نشأ عمرو بين قومه مُحَقَّقًا أَكْوَلًا لَا يُؤْمَلُ مِنْهُ خَيْرٌ ، وَلَا
تَلَحُّظٌ فِيهِ سِيَادَةٌ ، عَلَى ضَخَامَةٍ فِي جُثَّةٍ ، وَجَهَارَةٍ فِي صَوْتٍ ، حَتَّى بَلَغَ زُبَيْدًا أَنْ
خَتَمَ سِتْنِ الْغَارَةِ عَلَيْهِمْ ، فَتَاهَبُوا ، وَدَخَلَ عَمْرُو عَلَى أُخْتِهِ ، فَقَالَ أَشْبِعِينِي ، إِنْ
غَدًا الْكَتَيْبَةُ ، فَأَخْبَرَتْ أَبَاهُ ، فَقَالَ : سَلِي هَذَا الْمَائِقَ مَا يَشْبِعُهُ ، فَأَكَلَ عَنَزًا بِثَلَاثَةِ
أَصْعَ ذَرَّةٍ ، وَأَتَاهُمْ خَتَمٌ فَتَبَلَّدَ حَتَّى رَأَى لَوَاءَ أَبِيهِ مَالٍ وَانْهَزَمَتْ زُبَيْدٌ ، فَتَارَ وَكَرَّ
عَلَى خَتَمٍ . وَتَرَا جَعِ إِلَيْهِ قَوْمُهُ فَهَزَمُوا الْأَعْدَاءَ ، فَأَصْبَحَ يَسْتَلِي فَارِسَ زُبَيْدٍ ، بَعْدَ أَنْ
كَانَ يَسْمَى مَائِقَ زُبَيْدٍ . وَاشْتَهَرَ بِالشَّجَاعَةِ حَتَّى هَابَتْهُ أَبْطَالُ الْعَرَبِ ، وَضَرَبَ بِهِ
الْمِثْلَ فِي الشَّجَاعَةِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو تَمَامٍ :

إقدام عمرو ، في ساحة حاتم ، في حلم أحنف ، في ذكاه إياس

ومع ذلك قد يصدق عن نفسه بأنها ربما حدثته بالخوف والفرار ، فيأخذها
بصدق العزيمة والألفة من العار ، فيثبت فيكون له الفوز والغلب ، وهذا معنى قولهم
(الشجاعة ، صبر ساعة) وفي شجاعته يقول عن نفسه : لو سرت بظمينة وحدي
على مياه معدّ كلها ما خفت أن أغلبَ عليها ما لم يلقني حرّاها أو عبداها ، فأما
الحران : فعامر بن الطفيل ، وعيينة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان : فأسود
بن عبس (يعني عنزة) والسُّلَيْك بن السُّلَيْكَة ، وكاهنهم قد لقيت . على أنه مع
طول تعميره في الجاهلية والاسلام وحضوره الوقائع الكثيرة أخلفه الظفر في عدة
مواطن نقهره ربيعة بن مكدّم في الجاهلية وخالد بن سعيد بن العاص في الاسلام
ولما فشا الاسلام في قبائل العرب وفد مع بعض قومه على رسول الله مُنْصَرَفَةً

من وقعة نبوك سنة تسع من الهجرة ، فأسلم ثم رجع الى قومه ، فلما ارتدت العرب كان ممن ارتد فصار اليه خالد بن سميد بن العاص فقاتله فانهزم وأخذ خالد صمصامته . ولما رأى أمداد أبي بكر تنوالى على المسلمين دخل على المهاجر (أحد قواد جيش المسلمين) بغير أمان فاونقه وبعث به الى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : أما تستحي نجيء كل يوم مهزوماً أو مأسوراً ، لو عززت هذا الدين لرفعك الله . قال لاجرم لأقبلن ولا أعود . فأطلقه وعاد الى قومه ثم عاد الى المدينة . فبعثه أبو بكر الى الشام ، فشهد يوم اليرموك وأبلى فيه بلاءً حسناً وذهبت فيه إحدى عينيه ، ثم بعث به عمر رضى الله عنه الى العراق فشهد القادسية وهو الذى ضرب خرطوم الفيل بالسيف وكان ذلك من أسباب الفتح . ثم لما مضت الكوفة أقام بها حتى كانت وقعة نهاوند فحضرها تحت لواء النعمان بن مُتمر بن . ومات بها سنة إحدى وعشرين على خلاف فى ذلك

ويُعدّ عمرو من الشعراء المخضرمين ، ويأتى شعره فى الطبقة الثانية من الجودة ويغلب عليه وصف الوقائع والتحدث عن نفسه بالشجاعة ، وله ديوان شعر شرحه بعض أئمة اللغة ، وهو أحد الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى

ومن شعره قوله فى صدقه عن نفسه فى الحرب :

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها جد أول زرع أرسيت فاسبطرت
فجاشت إلى النفس أول مرة فردت على مكروهاها فاستقرت
علام تقول الرمح يُثقل عاتق إذا انا لم اطعن إذا الخيل كرت
ومن قوله أيضاً :

أمن ربحانة الداعي السميع يُورقي وأصحابي هجوع
أشاب الرأس أيام طوال وهم ما تضمّنه الضلوع
وسوق كتيبة دأفت لأخرى كان نهارها رأس صليع
إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
وصيله بالزمام (١) فكل امر ساء لك أو سموت له ولوع

(١) لواء فى الأمر والعزوم عليه

وقوله :

كم من أخٍ لي صالح بؤأته بيدَيَّ لَحْدًا
ما إن جَزَعْتُ ولا هَلَعْتُ ولا يَرُدُّ بكأى رُشدا
ذهبَ الذين أَحَبُّهُمْ وبَقِيَتْ مُنْثَلِ السِّيفِ فَرْدًا

ومن خطبه خطبته التي قالها أمام كسرى وهي على ما في العقد الفريد :

إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق السداد ، وملاك النجعة الارتياح ،
وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الخبرة .
فلجتبذ طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بجملك ، وألن لنا كنزك يلبس لك قيادنا ،
فانا اناس لم يُوقَسْ^(١) صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضاءً ، ولكن منعنا حمانا من
كل من رام لنا هضماً

٣ - الخنساء

هي السيدة ثُمَاضِرُ الخنساء بنت عمرو بن الشريد السُلَمِيَّة ، أرقى شواعر العرب
وأحزن من بكى وندب

كان أبوها عمرو وأخوها : معاوية وصخر سادات بني سليم من مضر ، وكانت
هي من أجل نساء زمانها ، فخطبها دُرَيْدُ بن الصِّمَّة فارس جشم ، فرغبت عنه ،
وآثرت الزوج في قومها فتزوجت منهم

وكانت تقول المقطعات من الشعر . فلما قُتِلَ شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها
صخر ، جزعت عليهما جَزَعًا شديدًا وبكتهما بكاءً مرًا ، وكان أشدَّ وجدها على
صخر : لأنه شاطرهما هي وزوجها أمواله مرارًا ، فهاج حزنها الشعر في نفسها ، فقالت
المراثي المطوَّلَات ، وفقت النساء والرجل فيها ، وأطالت عليهما البكاء والعويل
حتى تقرحت مآقيها ، وحتى ضرب بها المثل في الحزن والبكاء وكثرة الرثاء . وجاء
الاسلام فوندت مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت . وكان يُعْجِبُهُ
شعرها ويستنشدوها ، ويقول هيه يا خنساء ، ويومئ بيده

(١) من أوقست الابل : أصيبت بالجرب . والصفاء الصخرة اللساء أي لم يضرنا اعداؤنا

وما فِتَتْ تَبْكِي صَخْرًا قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ حَتَّى عَمِيَتْ . وَبَقِيَتْ إِلَى أَنْ شَهِدَتْ
حَرْبَ الْقَادِسِيَّةِ ^(١) مَعَ أَوْلَادِهَا الْأَرْبَعَةِ ، فَأَوْصَتْهُمْ وَصِيَّتِهَا الْمَشْهُورَةَ ، وَحَضَّتْهُمْ عَلَى
الصَّبْرِ عِنْدَ الزَّحْفِ فَقَتَلُوا جَمِيعًا . فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَلَمْ يَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ حَزْنُهَا عَلَى أَخَوَيْهَا ، وَتُوفِيَتْ بِالْبَادِيَةِ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ

شعرها — أَغْلَبَ عِلْمَاءُ الشَّعْرِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ امْرَأَةً قَبْلَ الْخِنْسَاءِ وَلَا بَعْدَهَا
أَشْعَرَ مِنْهَا ، وَمَنْ فَضَّلَ لَيْلِي الْأَخِيلِيَّةَ عَلَيْهَا لَمْ يَنْكُرْ أَنَّهَا أَرْنَى النِّسَاءِ . وَكَانَ بَشَارٌ
يَقُولُ لَمْ تَقُلْ امْرَأَةً شَعْرًا إِلَّا ظَهَرَ الضَّمْفُ فِيهِ ، فَقِيلَ لَهُ وَكَذَلِكَ الْخِنْسَاءُ ، فَقَالَ
تِلْكَ غَلَبَتْ الْفَحُولُ

وَلَمْ يَكُنْ شَأْنُهَا عِنْدَ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ أَقَلَّ مِنْهُ عِنْدَ شُعْرَاءِ الْإِسْلَامِ فَذَلِكَ النَّابِغَةُ
الذِّبْيَانِيَّةُ يَقُولُ لَهَا وَقَدْ أَنْشَدْتَهُ بِسُوقِ عُكَاظٍ قَصِيدَتَهَا الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

قَدَّيْ بَعِينِيكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ ^(٢) أُمُّ ذَرَّوَتْ ^(٣) إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ (يَعْنِي الْأَعْشَى) أَنْشَدَنِي قَبْلَكَ لَقُلْتُ إِنَّكَ أَشْعَرُ مِنَ السُّوقِ
وَلِشَعْرِ الْخِنْسَاءِ رَنِينَ فِي السَّمْعِ ، وَهَزَّةً فِي الْقَلْبِ ، وَوَقَعَ فِي النَّفْسِ : لِأَنَّهُ صَادِرٌ
عَنْ فُؤَادٍ مُحْزُونٍ ، وَمَا خَرَجَ مِنَ الْقَلْبِ حُلٌّ فِي الْقَلْبِ ، وَكَانَ فَوْقَ ذَلِكَ لَبَيِّنَ اللَّفْظِ ،
سَهْلَ الْإِسْلَوبِ ، حَسَنَ الدِّيْبَاجَةِ

وَسُئِلَ جَرِيرٌ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ قَالَ أَنَا لَوْلَا الْخِنْسَاءُ ، قِيلَ فَبِمَ فَضَلْتِكَ قَالَ
بِقَوْلِهَا :

إِنَّ الزَّمَانَ (وَمَا يَفْنَى لَهُ عَجَبٌ) أَبْقَى لَنَا ذَنْبًا وَاسْتَوْصَلَ الرَّاسَ
إِنَّ الْجَدِيدِينَ ^(٤) فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

^(١) واقعة عظيمة كانت بين العرب والفرس في السنة الخامسة عشرة من الهجرة ، انتصر
فيها المسلمون بقيادة سواد بن أنى وقاص انتصاراً باهراً

^(٢) مرض ^(٣) قطرت ^(٤) الليل والنهار

ومن جيد شعرها ترثي أخاها صخرًا :

يذِرُ كَرْنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وأذكره لسكل غروب شمس^(١)
فلولا كثرة الباكين حَوَّلِي على اخوانهم لقتلت نفسي
ولكن لا أزال أرى عَجُولًا^(٢) ونائحةً تنوح ليوم نحس
هما ككلاهما تبكي أخاها عشية رُزْئِهِ أو غَيْبِ أُمس
وما يبكين مثل أخي ولكن أسأل النفس عنه بالناسي^(٣)
قد ودعت يوم فراق صخر أبي حسان^(٤) لذاتي وأنسي
فيالهي عليه ولطف أُمي أيصبح في الضريح وفيه يُسي
ومن قصيدتها التي تقدم مطلعها :

وإن صخرًا لكافينا وسيدنا وإن صخرًا إذا نشئوا لنحار
أغر^(٥) أبلج^(٦) ناتم الهداة به^(٦) كأنه علم^(٧) في رأسه نار
حمال ألوية ، هبَّاط أودية ، شهاد أندية ، للجيش جرَّار
ومن قولها ترثيه أيضًا :

ألا يصخر إن أبكيت عيني فقد أضحكنتي زمنًا طويلًا
دفت بك الخطوب وأنت حي فمن ذا يدفع الخطب^(٨) الجليلًا
إذا قبَّح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلًا

٤ - حسان بن ثابت

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري شاعرُ رسول الله وأشعر أهل المدراء
وفحل شعراء المخضرمين ، وهو من بني النجار من أهل المدينة
نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها إذ أدرك فحولها فلم يُقصر عن اللحاق بهم .

(١) يعني أنها تذكره أول النهار لغارة وآخره للأنبياف (٢) الجول المرأة الشكلى
(٣) الافتداء (٤) كنية صخر (٥) مشهور (٦) واضح (٧) جبل (٨) الأسم
الشديد ينزل

بل بذ^(١) الكثير منهم . وكان يمدح الملوك والمناذرة والفساسة في الجاهلية ، ويرحل اليهم فينال منهم جزيل العطايا . وأكثر من كان يمدحهم ويكثر انتجاعهم آل جفنة من ملوك غسان لما بين أهل يثرب^(٢) والفساسة من صلة النسب وقرب الجوار ، فكان له من جوائزهم مدد لا ينقطع ، حتى ناله منهم شيء بعد أن أسلم وتنصروا . ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأسلم الانصار ، أسلم معهم ودافع عنه بلسانه كما دافع عنه قومه الانصار بسيوفهم ، فكان لقوله من النكايه في قريش وأعداء النبي أحسن بلاء وأحمد أثر

وعاش حسان بعد رسول الله محبباً إلى خلفائه مرضياً عنه ، يُفرض له العطاء الكافي من بيت المال . وعمر قريباً من ١٢٠ سنة . وبقي أكثر حياته ممتعاً بحواسه وعقله ، ووهن في أواخر عمره وكف بصره ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ

شعره — كان حسان شاعر أهل المدر في الجاهلية ، وشاعر البائية في الاسلام . ولم يكن في أصحاب رسول الله ولا في أعدائه عند دعوته إلى الله أشعر منه ، ولذلك رمى مشركي قريش من لسانه بالداهية التي لم يكن لهم قبل بها ، فأوجعهم وأخرسهم من غير فحش ولا هجر . ولما أذن له النبي في هجائهم ، قال له : كيف تهجوهم وأنا منهم قال : أسألك منهم كما أسأل الشعرة من العجين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب له منبراً بالمسجد ويسمى هجاءه في أعدائه ويقول (أجب عني اللهم أيده بروح القدس) وكان في شعر حسان زمن الجاهلية شدة وغرابة لفظ ووعورة مسلك ، فلما أسلم وسمع القرآن ووعاه وكثر ارتجاله الشعر لكثرة الحوادث التي تستدعي ذلك لأن شعره وسهل أسلوبه ، ودُمشت معانيه حتى ظن بعض أئمة الشعر أن شعره في الإسلام أضعف منه في الجاهلية ، محتجاً بأن الشعر لا يقوى إلا في باب الشر الذي يحظره الإسلام ، وربما كان لتعليقه هذا وكبر سن حسان وكثرة ارتجاله أثر في بعض شعره

ويغلب على شعره بعد المدح والهجاء ^(١) الفخر بنفسه وبقومه
ومن شعره في الجاهلية :

ولقد تَقَلَّدْنَا العشيَّرة أمرها ونسود يوم النَّائبات ونعتلى
وبسودُ سيدنا ججاج ^(٢) سادةً ويصيب قائلنا سواءَ المَفْصِلِ ^(٣)
ونحاول الأمر المهمَّ خطابةً فيهم ونفصل كل أمرٍ مُعْضِلٍ
وتزور ابواب الملوك ركابنا ومتى نُحَكِّمُ في البرية نعدِّلُ
ومن شعره في الاسلام يفاخر وفد تميم بقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إن الذوائب ^(٤) من فُهِرٍ ^(٥) واخوتهم قد بينوا سُنَنًا للناس تُتَّبَعُ
يرضى بها كلُّ من كانت سريره تتوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوهم أوحاولوا النفع في أشياعهم ^(٦) نفَعُوا
سجيةً تلك فيهم غيرُ مُجَدَّنةٍ أن الخلائق ^(٧) (فاعلم) شرُّها البدع ^(٨)
لا يَرَقِّعُ الناسُ ما أوْهتْ اكفهم ^(٩) عند الدِّفاع ولا يُوهون ما رَقَّعُوا
أن كان في الناس سبّاقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقتهم تبعُ

وقال يهجو :

أبوك أب حرٍّ وأملك حرّة وقد يلد الحرّان غيرَ نجيب
فلا يعجبنيّ الناس منك ومنها فما خبث من فضة بعجيب

(١) طاب الحارث بن عوف من النبي أن يبيت معه من يدعوهم للدين على أن يكون جارا له
فكان ذلك ، ثم غدر بالحارث عشيرته فقدم إلى الرسول فقال عليه السلام أين حسان فما رأى
الحارث قال :

يا حار من يقدر بذمة جاره منكم فإن محمداً لم يقدر
وأمانة المرى حيث أقيته مثل الزجاجة صدعها لم يجبر
أن تغدروا فالقدر منكم شيمة والغدر يثبت في أصول السخبر

فقال الحارث أنا عائد بك يا محمد من شره ، اكفنه عني على أن أؤدى لك دية الحنارة ، فأداها
وكانت سبعين ناقة عشراء

(٢) سيد ججاج مسارع في المكارم (٣) سواء وسط ، والمفصل كمسجد كل ملحق عظيمين
من الجسد ، أى يصب شاكلة الصواب (٤) السادة (٥) قبيلة من قريش
(٦) اتباعهم وأنصارهم (٧) جمع خالقة وهي الطبيعة (٨) المستحدث من الاخلاق لا ما
هو متاصل في النفوس (٩) يرفع يصلح . أوهت : افسدت وأضعفت

ومن أبياته السائرة قوله :

وإنَّ امرأً يُمَسَّى وَيُصْبِحُ سالماً من الناس إلا ما جنى لسميد^(١)
رُبَّ حلمٍ أضاعه عدم الما ل وجهٍ غطَّى عليه النعيم
فلو كان مجد يُخلد الدهرَ واحداً من الناس أبقي مجده الدهرَ مطعماً^(٢)

٥ - الحطيئة

هو أبو مليكة جرول الحطيئة العبسي الشاعر المشهور ، أحد كبار الهجائين والملاحين المجيدين . وكانت أمه في بيت رجل من عبس فجاءت منه بالحطيئة ، ولكن نسبه لم يثبت صريحاً منه . ولذلك نشأ معلول النسب ، وضع الشرف ، حاقداً على أمه وأبيه ، متبرماً بالناس^(٣) فلم يشف علته من الجميع إلا بتعلمه الشعر وهجائهم جميعاً ؛ فهجا أمه^(٤) وأباه وذوى قرابته وقومه^(٥) وزوجه^(٦) ، بل هجا نفسه^(٧) ؛ ونشأ كما قال الأصمعي جشعاً ، سئولاً ، ملحقاً ، ذئب النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلاً ، قبيح المنظر ، رث الهيئة ، مغموز النسب ، فاسد الدين . وعاش الحطيئة مدة في الجاهلية وجاء الإسلام فأسلم . ولم يكن له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم عاش منتقلاً في القبائل يمدح هذه تارة ويندم تلك أخرى ، وينتسب إلى عبس طوراً وطوراً إلى ذهل ، ويهجو اليوم من يمدحه بالأمس ، وكل قبيلة تخطب ودّه وتتقى شر لسانه وقد هجا الزبرقان بن بدر صاحب رسول الله وعامل عمر بن الخطاب على الصدقات ، وكان قد أنزل الحطيئة بجواره وأحسن إليه ؛ فاستماله بغيض أحد بني أنف

(١) أي ان السميد من الناس من سلم من ألسنتهم وتقولاتهم ولم يذكره إلا بما فيه
(٢) مطعم بن عدي أحد من قام في نقض الصحيفة ، مات ولم يسلم وكان قد أجاز النبي حين
قدم من الطائف إلى مكة بعد أن دعا تقيماً إلى الإسلام (٣) أي لتعديدهم الشرف بحدود وضوها

(٤) كقوله : جزاك الله شراً من حجوز ولناك العقوق من البنيينا

(٥) كقوله : لحاك الله ثم لحاك حقاً أبا ولحاك من عم وخال

(٦) كقوله : أطرف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قميدته لكاع

(٧) كقوله : أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فبيع من وجه وقبح حامله

(الوسيط — م ٢١)

الناقة وأنزله عنده ، فمدحه وقومه بالشعر الكثير ، ورفع عنهم عار أسمهم ببئته المشهور وهو :
 قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
 وحمله بغض على ذم الزبرقان فذمه . فاستعدي عليه الزبرقان أمير المؤمنين عمر
 ابن الخطاب فحبس الخطيئة . فما زال يستشفع اليه بالناس وقول الشعر حتى أطلقه
 وهدده بقطع لسانه ان هجا أحداً ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف
 درهم ولكنه نكث وأوغل في الهجاء بعد موت عمر . وبقي كذلك حتى مات سنة ٥٩هـ

* * *

شعره — لولا ما وصم به الخطيئة من خسة النفس ودناءة الخلق وجهالة النسب
 ورقة الدين والغدر والبخل الشديد والاساءة الى من أحسن اليه وسؤاله الرعاع
 والسوقة طمعاً في جمع المال من أى سبيل ، لكان باجاده في كل ضرب من ضروب
 الشعر شاعر المحضرين على الاطلاق ، الا أنه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفاً لله
 ولا للشرف ، ولا للفتوة والمروءة — ومن الغريب أنه تخرج علي زهير في الفصاحة
 والى جادة في المدح وتعلم الشعر والمبالغة في تجويده وإحكامه بملازمته إياه وروايته
 عنه ، ولم يقتبس عنه حكمته وعفته وحسن خلقه ، وقد لا يوجد في كلام الخطيئة مظنة
 ضعف أو معرّة لئلا من : من رككة لفظ ، أو غضاضة معنى ، أو اضطراب قافية

ومن مدحه الذي لا يلحق له فيه غبار قوله :

يسوسون أحلاماً^(١) بعيداً أناها^(٢) وإن غضبوا جاء الحفيظة^(٣) والجد
 أقبلوا عليهم (لا أبا لأبيكم) من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
 أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا^(٤)
 وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا^(٥)
 مطاءين في الهيجا مكاشيف للدجى بنى لهم آباؤهم وبني الجد
 ويعدنلى أبناء سعد عليهم وما قلت الا بالذى علمت سعد

طائفة
من
شعره

(١) عتولا (٢) حلها أى بعيدة عن الغضب (٣) الغضب (٤) وثقوا (٥) اتبعوا من
 اعطاهم بالبن والاذى

ومن أبياته التي استعطف بها أمير المؤمنين عمر ، وهو في سجنه قوله :
 ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ ^(١) زُغِبٍ ^(٢) الخواصل لأماء ولا شجرُ
 ألقيتَ كاسبهم في قعر مُظْلَمَةٍ فاعفر عليك سلام الله يا عمر
 أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليدَ النهي البشر
 لم يُوثِرْوك بها إذ قدّموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الخير
 ومن أبياته التي يعرض فيها بهجو الزبرقان قوله :

أزمت يأساً مُبيناً من نوالكم ولا يرى طارداً للحر كالياس
 دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
 من يفعل الخير لا يعدم جواريه ^(٣) لا يذهب العرف بين الله والناس

٦ - النابغة الجعدي

هو أبو ليلى حسان بن قيس بن عبد الله الجعدي العامري ، أحد القدماء
 المعربين ، والشعراء المخضرمين ووصاف الخيل المشهورين
 هو أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة . عاش زمناً في الجاهلية ، وحضر كثيراً ^{منشؤه}
 من أيامها ووقائعها . وقال الشعر في الجاهلية ثم أجبل ^(٤) دهرأ ، ثم نبغ في الشعر
 عند ظهور الاسلام وبعده : ولذلك سُمي النابغة . وهو ممن فكر في الجاهلية ،
 وأنكر الخمر لما تفعل بالعقل ، وهجر الأزلام والأوثان ، وذكر دين إبراهيم ، وصام
 واستغفر . ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشده قصيدته المشهورة التي
 يمدحها بها ويقول في أولها :

خَلِيلِي عَوْجاً سَاعَةً وَتَهَجُّراً وَنُوحاً عَلَى مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا

(١) واد بالحجاز (٢) الزغب أول ما يبدو من الشر والريش (٣) جمع جازية أو جزاء
 (٤) أجبل الشاعر صعب عليه القول

فأعجب بها رسول الله ودعاه . وعاش طويلاً في الاسلام ، فاقام زمناً مهاجراً حتى أيام عثمان رضى الله عنه فأحس بضعف في نفسه ، فاستأذن عثمان في الرجوع الى البادية فأذن له . ثم لما كانت خلافة عليّ (رضى الله عنه) شهد معه وقائع صفين ، وظاهره بيده ولسانه ، ونال من معاوية وبنى أمية

وعند ما آلت الخلافة الى معاوية كتب الى مروان أن يأخذ أهل النابغة وما له ، فدخل النابغة علي معاوية وعنده مروان فأنشدها أبياتاً منها :

فإن تأخذوا أهلي ومالي بظنة فاني أحرّاب الرجال مُحَرَّب
صبور على ما يكره المرء كله سوى الظلم إني ان ظلمت سأغضب
فالتفت معاوية الى مروان ، فقال ما ترى ؟ - قال أرى ألا تردّ عليه شيئاً - قال ما أهون والله عليك أن ينجح هذا في غار ثم يُقَطع عرضي علىّ ثم تأخذه العرب فترويه ، أما والله ان كنت ليمن برويه . ارددّ عليه كل شيء أخذته . ثم كان في شيعة عبد الله بن الزبير حين خروجه على يزيد ومروان وعبد الملك ، وجاء ابن الزبير ومدحه فأجزل له العطاء على بخل فيه . وبعد سكون الثمن خرج مهاجراً الى الامصار المفتحة فمات بأصبهان بعد أن عمر على ما قيل مائة وثمانين سنة



شعره — كان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والاسلام . وهو أول من سبق الى الكناية في الشعر عن اسم من يعنى الى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال أكنى بغير اسمها وقد علّم الله خفيات كلّ مُكْتَمَم
وكان ممن يصفون الخيل فلا يلحق لهم في ذلك غبار ، حتى ضرب به المثل ، قال الاصمعي : ثلاثة يصفون الخيل فلا يقاربهم أحد : طُمَيْلُ الغنوى وأبو دُوادِ الايادي ، والنابغة الجعدي . وما كان ينتجى طريقة زهير والخطيئة وأشباههما ممن يبالغون في تهذيب الألفاظ وتنقيح المعاني ، بل كان يلقي القول على عواهنه وكما تهديه اليه بديهته ، فتارة يأتي جيداً متيناً ، وتارة يجي ضعيفاً رديئاً ، وأحياناً يسلك

بين ذلك سبيلاً ، حتى قال عنه الأصمعي : عنده مِطْرَفٌ ^(١) بآلاف ، وخِمارٌ ^(٢) بواف ^(٣) ومع ذلك كله كان مغتلباً ، ما هاجى أحداً إلا غلبه : هاجى أوس بن مفرء ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه في الشعر فغلبه ، وهاجى كعب بن جعيل فغلبه أيضاً ، وهاجى ليلي الأخيلية فغلبته . وله في الفخر والهجاء والمديح والرثاء شعر كثير ، ومن أثره قصيدته التي مدح بها الرسول الكريم وهي :

نقى من
شعره

خليلي عوجاً ^(٤) ساعةً وتهجراً ^(٥) ونوحاً على ما أحدث الدهر أودرا
ولا تجزعا ، إن الحياة ذميمة فخفاً لروعات الحوادث أوقرا ^(٦)
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعا قليلٌ ، إذا ما الشيء ولّى وأدبرا
تهيج البكاء والندامة ثم لا تغير شيئاً غير ما كان قدرا
أنت رسول الله اذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرة ^(٧) نيرا
اقم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المحوفة أحذرا

ومنها في الفخر :

وانا لقوم ما تعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتفر
ونكر يوم الروع ^(٨) ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا ^(٩)
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لترجو فوق ذلك مظهرا
ولما سمع رسول الله (بلغنا السماء البيت) قال له فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ قال الجنة
قال له إن شاء الله ! ولما أتم قصيدته ، قال له الرسول أجبت لا يفضض الله فاك
فأنت عليه مائة سنة أو نحوها وما انقضت من فيه سن

(١) رداء من خزم مريع ذو أعلام (٢) ثوب نطى به المرأة رأسها

(٣) الوافي درهم واربعة دوانق (٤) قفا (٥) سيرا في الهجرة (شدة الشمس)

(٦) وقر كوعد رزل أو جلس بوقار (٧) نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر وإنما ينتشر

ضوءها فيرى كأنه جده يضاء (٨) النزاع والمراد الحرب (٩) الجون من الخيل الادمم ، والاشقر منها الاحمر

ومن قوله يرثي ابنه محارباً وأخاه وخوفاً :
 بَدَتْ فَعَلَ ذِي وَدَّ فَلَمَّا تَبِعْتَهَا تَوَاتَّ وَأَبْقَتْ حَاجَتِي فِي فُؤَادِيَا
 وَحَلَّتْ سَوَادَ الْقَلْبِ لَا أَنَا بَاغِيَا سَوَاهَا وَلَا عَنْ جِبْهَاتِهَا مَتَقَالِيَا
 انبَحَتْ لَهُ وَالْهَمُّ يَخْتَضِرُ ^(١) الْفَتَى وَمِنْ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ مَا لَيْسَ لَاقِيَا
 ومنها :

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي رُزِئْتُ مُحَارِبَا فَمَا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا
 وَمَنْ قَبْلَهُ مَا قَدْ رُزِئْتُ بِوُحُوح وَكَانَ ابْنُ أُمِّي وَالْخَلِيلُ الْمَصَافِيَا
 قَتَى كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
 قَتَى كَمَلْتُ خَيْرَاتِهِ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

٦ - عمر بن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي ، أشعر قریش وأرق أصحاب الغزل ، وأوصف الشعراء لآحوال النساء ولد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب رضوان الله عليه . وكانت امه نصرانية ، وكان أبوه تاجراً موسراً وعاملاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الثلاثة من بعده ، فشب في نعيم وترف . وقال الشعر صغيراً ، وسلك فيه طريق الغزل ، ووصف أحوال النساء وتزاوَرهن ومُدَاعَبَةً بعضهن لبعض ، وما يعتدّن قوله من الكلام ، مما يتوقّر الشعراء الفحول عن الخوض فيه ، ولذلك لم يحفلوا بشعره وعدّوه من هذيان خُلَعَاء المدينة ، فما زال يعالج الشعر والشعر ينقاد له ، حتى ملك ناصيته وقبض على زمامه وبزّ الشعراء ، وقال رائيته المشهورة على طريقته المبكرة ، وهي التي أولها :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَبِكْرُ غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمُهَجَّرُ

والتي قال فيها جرير حين سمعها : مازال يهذي هذا القرشي حتى قال الشعر . ثم استطار شره في التشبيب بالنساء : من يعرفها ومن لا يعرفها ، وتعرض للمحصّات

(١) اختضر النبات اخذ طرياً غضاً ، والشاب مات فتياً

المتعففات من نساء قومه ومن غيرهن ، فوقعن منه في بلاء عظيم ، وصرن يخفن الخروج الى الحج لأنه كان يتلقاهن بمكة ، ويتربح خروجهن للطواف والسعي ويصفهن وهن محرمات . وحكمت عليه رجالات قريش لمكانة نسبه منهم ولترقب توبته وإقلاعه . فلما تمادى في أمره وشبب بينات السادات والخلفاء ، غضب عمر بن عبد العزيز ونفاه الى دهلك^(١) . ثم رأى ابن أبي ربيعة أن يكفر عن سيئاته بالتوبة والجهاد فغزا في البحر فاحترقت السفينة التي كان فيها واحترق هو أيضاً سنة ٩٣ هـ

*

* *

شعره — كانت العرب تقرأ لقريش بالتقدم عليها في كل شيء إلا في الشعر حتى شعره . كان عمر بن أبي ربيعة فأقرت لها الشعراء به أيضاً ، وكان أكثر الشعراء الاسلاميين يُحجَمُونَ عن التشبيب بالنساء امتثالاً لأمر الدين ومحافظة على الآداب العربية الاسلامية ، وكان أكثر تشبيبهم في بكاء الاطلال ومنازل الاحباب ، فلما ظهر عمر سلك في الغزل طريقاً لم يسلكوه : فوصف أحوال النساء في منازلهن وتزاورهن ومحادثتهن ومداعبة بعضهن لبعض وتلاومهن وما يعتدن قوله من الكلام والعبارات في أسلوب يغلب عليه القصص ، وحكاية ما شاهده في شعر رقيق ، ولفظ رشيق ، ومعنى أنيق ، وبهر الشعراء بهذه الطريقة حتى قال فيه جرير وهو من شعراء الغزل : هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته وتعلت بوصف الديار ، وكذلك قال الفرزدق . ولسهولة شعر عمر وقرب فهمه من جميع الطبقات وشدة تأثيره في قلوب الخلفاء وأهل اللهو أولع به المغنون والمغنيات من القيان والموالى انشاداً وتلحيناً ، ولذلك قال فيه بعض متورعي الانصار : ما عُصِيَ الله بشيء كما عُصِيَ بشعر ابن أبي ربيعة^(٢) ومن قوله :

التنقي
بشعره

(١) جزيرة أمام مدينة مصوع (٢) قالت ظبية لمولاتها فاطمة بنت عمر بن مصعب : مررت بمجدك عبد الله وأنا داخلة منزله وهو بفناءه ومعى دقتر فقال ما هذا معك ، ودعاني فجئت وقلت شعر عمر بن أبي ربيعة فقال ويحك تدخلين على النساء بشعر عمر ، ان لشعره لموقعا من القلوب ، ومدخلا لطيفاً ، لو كان شعر يسعر لكان هو ، فأرجعي به ، ففعلت

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد
ولقد قالت لجارات لها ذات يوم وتعت تبتد
أكما ينعتني تبصرني (عمر كن الله) ام لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها : حسن في كل عين من تود
حسداً حملنه من أجلها وقدما كان في الناس الحسد

ومن قوله وقد كتب به إلى الثريا :

كتبت اليك من بلدي كتاب مؤلّه كهد
كثيب واكف العينين بين بالحسرات منفرد
يؤرقه (١) لهيب الشوق ق بين السحر والكبد
فيمسك قلبه بيد ويمسح عينه بيد

وقال يصف أثر السفر في شخصه :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى (٢) وأما بالعشي فيخصر (٣)
أخاسفر جواً أبأرض تقاذفت به فلوأت فهو أشعث أغبر
قليلاً على ظهر المطية ظله سوى ما نفى عنه الرداء المجبر

٨ - الاخطل

هو أبو مالك غياث الاخطل بن غوث التغلبي النصراني ، شاعر الأمويين ، وأمدح ثلاثة شعرائهم المقدمين والمتفرد بالتعمق في وصف الحُر دون الاسلاميين نشأ بين قومه بني تغلب النازلين بسقي الفرات من ارض الجزيرة ، وقال الشعر وهو صبي ، وما لبث أن زاحم شاعر تغلب وقتئذ كعب بن جعيل ، وهاجاه وظهر عليه وأخمله . ولما طلب يزيد بن معاوية قبل أن يلي الخلافة من كعب هجاء

(١) أرقه أسهره والسحر الرقة (٢) تعبيه الشمس (٣) يبرد

الأَنْصار لتعرض عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأَنْصاري لأخته في شعره ، أبي عليه ذلك كعب ، وقال ارادى أنت في الشرك ؟ أأهجو قوماً نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ؟ ولكنى أدُّك على غلام منا نصرانى كأنَّ لسانه لسانُ ثور ، لا يبالي أن يهجوهم ، فدله على الأخطل . وكأنه كان يريد به الشر لتوقُّه أن يفتك به الأَنْصار ، فكان ذلك سببَ جدِّه ، وظهور شأنه ، فإن يزيد بعث إليه وأمره بهجائهم ، فهجأهم بقصيدة منها : —

ذهبت قريش بالسَّحابة والندى واللؤم تحت عمام الأَنْصار
فدعوا المكارم لستم من أهلها وخدوا مساحيكم^(١) بنى النجَّار
وبلغ الشعرُ كبارَ الأَنْصار فغضبوا وشكَّوه الى معاوية فوعدهم بقطع لسانه ، فاستجار يزيد ، فما زال يزيد بأبيه حتى عفا عنه . ولما ولى يزيدُ الخلافة قرَّبه اليه ، وتابعه في ذلك خلفاء بنى أمية ، وبخاصة عبد الملك اذ كان يستعين به على مضر وشعرائها لانحيازهم الى أعدائه في السياسة من آل الزبير وغيرهم ، فمدحه بمدائح جليلة قلما قال نظيرها فيه شاعرٌ من شعراء زمانه ، فقرَّبه اليه وأدناه ، وسمح له بالدخول عليه بلا إذن وأجزل له العطايا ، وسمَّاه شاعرَ الخليفة

ولما حدثت المهاجاة بين جرير والفرزدق ، وحكم فيهما أيهما أشعر عرض سبب دخوله بتفضيل الفرزدق ، فوجاه جرير ، فردَّ عليه الأخطل وكانت الشيخوخة قد بلغت في المهاجاة منه فلم يلحق جريراً . وكان الأخطل يقيم أزماناً بدمشق ، وأحياناً ببلاده من أرض والفرزدق الجزيرة . ومات في أول خلافة الوليد وقد نيف على السبعين

شعره — كان الأخطل أحدَ الشعراء الثلاثة السابقين سواهم من فحول الاسلاميين وكان مطبوعاً على الشعر ، بعيداً عن التكلف والتعقُّق فيه ، وامتاز شعره.

(١) سعا الطين قشره والمسحاة أداة السحى

باجادة المديح والابداع في معانيه والتنوع في ضروبه والتريث فيه ، حتى ربما لبث في بعض مدحاته سنة كاملة ، وربما نظمها تسعين ثم يَكُرُّ عليها بالتمحيص والاختيار حتى يحذف منها ستين ويبقى الثلاثين ؛ كما امتاز لنصرانيته بوصف الخمر والترغيب فيها ؛ ولم يقصّر في الهجاء عن صاحبيه كثيراً . وفضلهما بقلة التعرض للفحش والبذاءة ولكنه كان دونهما في بقية فنون الشعر ؛ فكان بكيناً في الرثاء ^(١) : مات يزيد وهو سبب نعمته ، فلم يستطع رثاءه بأكثر من أربعة أبيات وليس للأخطل سوى سبع مطوّلات فاقهما بها . ولذلك لم ير قدماهما أهل العلم والرواة نسويته بهما لتقصيره عنهما في التصرف في سائر أبواب الشعر

قال يمدح بنى أمية ويخص بشر بن مروان :

طائفة
من
شعره

إن يحملوا عنك فالأحلام ^(٢) شيمتهم والموت ساعة يحتمى منهم الغضب
كانهم عند ذاكم ليس يذهم وبين من حاربوا قرّبي ولا نسب
كانوا موالى حق يطلبون به فأدركوه وما ملّوا ولا لغّبوا ^(٣)
إن يك للحق أسباب ^(٤) يمدّ بها ففي أكتفهم الأرسان ^(٥) والسبب
هم سعوأ بابن عفان الامام وهم بعد الشّمس مَرَوْها نُمّت احتلبوا ^(٦)

ومنها :

إذا أتيت أبا مروان تسأله وجدته حاضراً الجود والحسب
ترى اليه رفاقي ^(٧) الناس سائلة من كل أوب ^(٨) على أبوابه عصب
يحتضرون سجالاً ^(٩) من فواضله والخير مختصر الأبواب منتهب ^(١٠)

(١) ناقة بكى وبكىة قليلة والمراد قليل الرثاء (٢) جمع حلم وهو الاناة (٣) اللفب اشد الايحاء (٤) حبال (٥) جمع رسن وهو الحبل وما كان من زمام على انف (٦) الشمس الحران — مرى الناقة مسح على ضرعها لتدري أى هم سموا للخلافة بسبب الاخذ بشار عثمان وبعد أن امتنعت طيهم انقادت لهم وذلك (٧) جمع رفقة (٨) فج (٩) السجل الدلو العظيمة المملوءة والجمع سجال (١٠) يتهافت الناس على أبواب الكرام ليصيبوا من كرمهم وعطاياهم

والمطعم الكوم^(١) لا ينفك يعقرها
إذا تلاقى رواق البيت واللح^(٢)
كأن حيراتها في كل منزلة
قتلى مجردة الأوصال تستلب^(٣)
وقال يرثي يزيد بن معاوية :

لعمري لقد دلى إلى اللحد خالد^(٤)
مقيم بمجوارين^(٥) ليس بريمها
تصبح الموالي أن رأت أم خالد
مُسَلَّبة^(٦) تبكي على المساجد الغمر
إذا جاء سرب من نساء يعقدنها
تعرين إلا من جلايب أو خمر
وقال يهجو :

وكننت إذا لقيت عبيد تيم
وتبا قلت أيهم العبيد
لئيم العالمين يسود تبا
وسيدهم - وإن كرهوا - حسود
وقال يصف سكران :

صريع مدام يرفع الشرب رأسه
لتحيا ، وقد ماتت عظام ومفصل
تهاديه أحياناً ، وحيناً تجره ،
وما كان إلا بالحشاشة يعقل
إذا رفعوا عظما تحامل صدره
وآخر مما نال منها مخبل
ومن أمثاله السائرة قوله :
وان امرأ لا يثنني عن غواية^(٧) إذا ما اشتتها نفسه لجهول

٩ - الفرزدق <

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي أفر^(١) ثلاثة الشعراء الأمويين ،
وأجزل المقدمين في الفخر والمدح والهجاء

(١) جمع كرماء وهي الناقة الضخمة السنام (٢) أى علت نيران القرى حتى اتصت بالرواق وهو ما بين يدي البيت وذلك كناية عن كرمهم في وقت الشتاء وقت اشتداد الحبل والازل (٣) الحيران جمع حوار والأوصال المفاصل والمعنى أن منامها وعظامها خالية من اللحم كأنها قتلى قد سلب ما عليها (٤) هو ابن يزيد وكان يكنى به (٥) مات يزيد ودفن بمجوارين من بلاد حمص (٦) لابسة ثياب الحداد (٧) الغواية الضلالة والافساد

ولد سنة ١٩ هـ ونشأ بالبصرة بين فصحاء آباءه وقومه منذُ أولِ تمصيرها ، وهي يومئذٍ حاضرةُ العرب فلم تشب لمجته عجمةٌ ولا لحن ، فأخذهُ أبود برواية الشعر ونظمه فرواد ونظمه ونبغ فيه . وأتى به أبوه يوماً الى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه فسأله عنه — فقال هذا ابني يُوشك أن يكون شاعراً مجيداً — فقال أقرئه القرآن فهو خيرٌ له ، فما زالت كلماته في نفس الفرزدق حتى قيّد نفسه بقيد وآلى أن لا يفكّه حتى يحفظ القرآن ، فما فكّه حتى حفظه بالرغم من كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب . ولنشأة الفرزدق بالمصر والبوادي القريبة منه كان قريب التعرّف بولايا البصرة والكوفة وعالمهم ، يمدّحهم نارة ويهجّوهم أخرى ، ويحبسه هذا حيناً ، ويفرّج من وجهه ذلك طوراً ، وفي أثناء ذلك يرحل الى خلفاء بني أمية بالشام يمدحهم وينال جوائزهم ، وأخص من كان يمدحه منهم عبد الملك بن مروان ثم أولاده من بعده . وامتحن بمنافسة جرير له في الشعر ومهاجاته

والسبب في تهاجيها أن جريراً كان يهاجي شاعراً اسمه البعيث لانه ظاهراً عليه شاعراً آخر يسمى غسان فمصر الفرزدق البعيث على جرير لمنافسته له في الصناعة تلك المنافسة التي أنضت بهما الى التهاجي والنسب طول عمرهما وسهل على الفرزدق هجاء جرير الترفع عليه في شرف حسبه وكرم محمّده ، وسـيادة آباءه في الجاهلية والاسلام ، وضمة آباء جرير وخول ذكركم مما جعل الفرزدق يغري بجرير أكثر من ثمانين شاعراً يهجوونه

وكان الفرزدق فوق إقداغه في الهجو وفحشه في السباب وقذف المحصنات يُرمى بالفجور وقلة التمسك بشعائر الدين ثم تاب في أواخر شيخوخته على يد الحسن البصري ، ورجع عن قذف المحصنات ونهش الاعراض ، ونسك وحسانت خاتمته . وكان فيه تشيع الفرزدق تشيع يسـتره أيام اختلافه الى بني أمية ، ثم كاشف به . آخر حياته حتى أمام هشام ولي عهد الخلافة عند مارأى الناس تفسح طريق الطواف بالكعبة مهابة واجلالاً لعل بن الحسين ، فسأل عنه كالمتهامل لأمره ، فشق ذلك على الفرزدق وأنشد

قصيدته الميمية الآتية يُعرِّفُ بعلَى وَيُنْكَرُ على هشام تجاهله. فحبسه هشام ثم أطلقه.
وعاش الفرزدق قريباً من مائة سنة ومات بالبصرة سنة ١١٠ هـ

* * *

شعره - يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته ، وجزالة لفظه ، وكثرة غريبة ،
ومداخلة بعض ألفاظه في بعض^(١) : من حيث التقديم والتأخير ، والفصل والوصل ،
وكثرة تنوع التراكيب والأساليب ، والاشتغال على المعاني الدقيقة ، وكان يجري
فيه على أسلوب الجاهلية في شعرهم ، ولذلك يُعْجَبُ به أهل اللغة والنحو ، ويُفسَحُ
لهم مجال القول فيه وقياس مسائله عليه ، فكان يقال لولا شعر الفرزدق لذهب
ثلث اللغة

ويعتبر الفرزدق من أفرشعراء العرب وأشدِّهم ولوعاً بتعداد ماثر آبائه وأجداده
وتحدّي منافسيه بكارمهم حتى في مدحِهِ للخلفاء ، وحتى كان ذلك سبباً في حرمان
بعضهم له العطاء واحالته على آبائه^(٢) ، فكان بذلك شعره مشتملاً على كثير من
أيام العرب ومفاخرها ومثالبها وفروع انسابها مما استخرج منه العلم الجَمُّ من أنساب
العرب وأحوالها

ومن كلامه قوله يصف ذنباً صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده :
وأطلس^(٣) عَسَّال^(٤) وما كان صاحباً دعوتُ لنارى مَوْهِنًا^(٥) فأتانى
فلما أتى قلت : ادنْ ، دونك ، اننى وإياك فى زادى لمُشتركان
فبتُ أَقْدُ^(٦) الزادَ بينى وبينه على ضوء نار مرّة ودخان
وقلت له لما تكشَّرَ ضاحكاً وقائمُ سبى من يدى بمكان

نموذج
من
شعره

(١) كقوله : وما مثله فى الناس الا مملكا ابو امه حى ابوه يفاربه

وكقوله : وكل رفيق كل رحل ، وازما تماطى القنا قوماهما ، اخوان

(٢) استنشد سليمان بن عبد الملك الفرزدق فانشد مفتخرا عليه قطعة منها :

إذا استوضحوا نارا يقولون ليتها وقد خضرت ايديهم نار ظالم

يريد اباه فنضب. ثم انشده نصيب فقال سليمان يا غلام اعط نصيبا خمسمائة دينار والحق الفرزدق

بنار ابيه (٣) أغبر اللون (٤) مضطرب فى مشيه (٥) نحواً من نصف الليل (٦) اقطع

تَعَشَّ ، فَانْ عَاهِدْتَنِي لَا نَخُونِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ (يَاذُئِبْ) يَصْطَحِبَانِ
وَأَنْتَ أَمْرُؤُ (يَاذُئِبْ) وَالْعَدْرُ كُنْتُمَا أَخِيَيْنِ كَانَا أَرْضِعَا بِلَبَانِ
وَلَوْ غَيْرَنَا نَبِهْتَ تَلْتَمِسُ الْقَرَى رِمَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شَبَاةٍ ^(١) سِنَانِ
وَكُلَّ رَفِيقِي كُلِّ رَحْلٍ ، وَإِنْ هُمَا تَعَاطَى الْقَنَا قَوْمَاهُمَا ، أَخْوَانِ
وَمِنْ أَيْبَاتِهِ السَّائِرَةُ :

فِيَا عَجِبَا حَتَّى كَلِيبٌ تَسْبُحُ كَأَنَّ أَبَاهَا نَهَشَلُ وَمَجَاشِعُ ^(٢)
وَكُنَّا إِذَا الْجَبَارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ^(٣) ضَرْبِنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الْإِخَادِعُ ^(٤)
قَوَارِصُ ^(٥) تَأْتِينِي وَتَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطَرُ الْإِنَاءَ فَيُفْغِمُ ^(٦)
إِذَا مَا وَزِنًا بِالْجِبَالِ رَأَيْنَا نَمِيلُ بِأَطْوَادِ الْجِبَالِ الْأَضَاخِمِ
أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رِزَانَةً وَتَخَالِنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ
تَرَى النَّاسَ مَاسِرْنَا يَسِيرُونَ حَوْلَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
وَقَالَ يَهْجُو :

وَلَوْ تُرْمَى بِلُؤْمٍ بَنَى كَلِيبُ نَجُومُ اللَّيْلِ مَا وَفَّحَتْ لِسَارِ
وَلَوْ يُرْمَى بِلُؤْمِهِمْ نَهَارٌ لَدَنَسَ لُؤْمُهُمْ وَضَحَّ النَّهَارُ
وَمَا يَغْدُو عَزِيزُ بَنَى كَلِيبُ لِيَطْلُبَ حَاجَةً إِلَّا بِجَارِ
وَمِنْ جَيِّدِ شَعْرِهِ قَوْلُهُ يَمْدَحُ عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ (وَتَرَوِي أَيْبَاتٍ مِنْهَا لغيره) :
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ ^(٧) وَطَائِهِ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحُلُّ وَالْحَرَمُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كَلِّمَ هَذَا التَّقِيُّ التَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
وَلَيْسَ قَوْلَاكَ : مَنْ هَذَا ؟ بِضَائِرِهِ الْعَرَبُ تَعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتِ وَالْعَجَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قَرِيشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهَى الْكَرَمُ

(١) طرف (٢) ابنا دارم التميمي ، من أجداده

(٣) أماله عن الناس امراضا وتكبرا (٤) جمع أخذع وهو شعبة من الوريد (٥) القارصة

الكلمة للؤلؤة (٦) ضم الاناء ملاء كافمه (٧) مسيل واسع فيه دقاق الحصى

يُنْفِى حَيَاءً وَيُفْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ ^(١) فلا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
بِكَفِّهِ خَيْرَانٌ رِيحُهَا عَبِقُ من كَفَّ أَرْوَعَ ^(٢) فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ ^(٣)
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عَرْفَانٌ رَاحَتُهُ رَكْنُ الْخَطِيمِ ^(٤) إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
يَنْشَقُّ ثَوْبُ الدُّجَى عَنْ نَوْرِ غُرَّتِهِ كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلْمُ
مِنْ مَعَشَرِ حَبِثِهِمْ دِينَ وَبِفَضْلِهِمْ كَفَرُوا وَقَرَّبَهُمْ مَنْجَى وَمَعْتَصِمُ
إِنْ عَدَّ أَهْلَ النَّقَى كَانُوا أَيْتَهُمْ أَوْ قِلَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ

١٠ - جرير

هو أبو حَزْرَةَ جرير بن عطية بن الخطافى التميمي البُريوي، أحدُ فحول الشعراء الاسلاميين ، وبلغاء المداحين المجائين ، وأنسب ثلاثهم المُفلقين . وهو من بني يربوع أحد أحياء تميم . وُلِدَ باليمامة من بيت اشتهر بالشعر ، ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ فيه . وكان يَخْتَلِفُ الى البصرة في طلب الميرة ومدح الكبراء ، وينزل على من يسكن البصرة من قومه ، فرأى الفرزدقَ وما كسبه الشعرُ من المنزلة عند الامراء والولاة وهو تميمي مثله ، وودَّ لو يسبقه الى ما ناله ، وأغراه قومه به للتبويه بشأنهم وتفخيم أمرهم ، إذ كان الشعر في ذلك العصر هو وسيلة الاعلان عن الشرف وكريم الخصال ، ف وقعت بينهما المهاجاة والملاحاة عشرَ سنين ، كان أكثر اقامة جرير أثناءها في البادية ، وكان الفرزدقُ مقيماً بالبصرة ، مصر العرب يملأ عليه الدنيا هجاء وسباً ، فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه البصرة فكان يُقيم بها كثيراً . واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده ، فعظم أمره وشرق شعره وغرب ، حتى بلغ الخليفة عبد الملك ، فحسد الحجاج عليه ، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد الى الخليفة بدمشق ليصل بذلك الى مدحه . فلما دخل عليه مع الوفد استأذنه

(١) لاجل مهابته (٢) الاروع من يعجبك لحسنه وجهارة منظره أول شجاعته كالرائع
(٣) العرنين الانف والشمم الارتناع أى سيد شريف (٤) الخطيم حجر الكعبة ، أوجدارها ،
أو ما بين الركن وزمزم والمقام

في إنشاده فأبى ، وقال له إنما أنت للحجاج . فما برح يتوسل اليه حتى قبل مدحه وأجازه عليه جائزة سنية . ومن ذلك الحين عدَّ من مداح خلفاء بني أمية ، ودخل في غمار المتزاحمين على أبوابهم والمتنافسين في نيل جوائزهم ، وجره ذلك الى مُعاداة مهاجاة منافسيه ومهاجاتهم ، وحرَّش الفرزدق بينه وبينهم وأغراهم عليه بالمال ، ونصب له جرير الشعراء منهم نحو ثمانين شاعراً أغلبهم كلهم وأخرسهم ، وثبت له من دونهم الفرزدق والأخطل للفرزدق فبقيت حرب المهاجاة بينهم سجالاً ، حتى مات الاخطل ، وغبر الفرزدق وجرير يتسابان بقية حياتهما إلا مدَّة قليلة تنسكَّ فيها الفرزدق وتاب . ثم مات ولم يطل عمر جرير بعده إلا نحو ستة أشهر ومات باليمامة سنة ١١٠ هـ

* * *

موازنة . وكان في جرير على هجائه للناس وخوضه في أعراضهم عفةً ودين وحسن خلق بين جرير ورقة طبع ظهر أثرها في شعره

شعره - اتفق علماء الأدب وأئمة نقد الشعر على أنه لم يوجد في الشعراء الذين نشئوا في ملك الاسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل ، وإنما اختلفوا في أيهم أشعر ولكلٍ هوى وميل في تقديم صاحبه : فمن كان هواه في رقة النسيب ، وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال اللفظ ولين الأسلوب ، والتصرف في أغراض شتى ، فضل جريراً ؛ ومن مال إلى إجادة الفخر ، وفخامة اللفظ ، ودقة المسلك ، وصلابة الشعر وقوة أسنره ، فضل الفرزدق ؛ ومن نظر بعد بلاغة اللفظ ، وحسن الصوغ ، إلى إجادة المدح والامعان في الهجاء ، واستهواء وصف الخمر واجتماع الندمان عليها ، حكم للأخطل ؛ وهناك فريق يُدخل في الموازنة بينهم ما ليس من موضوع الأدب ، فأهل الحسب والنسب يقدِّمون الفرزدق ، وأهل الدين والعفة يقدِّمون جريراً ، وأدباء المسيحيين يُقدِّمون الاخطل ، ولا عبرة بذلك في باب صناعة الشعر ؛ على أن طائفة من أهل النقد المعتقد بهم يرون جريراً أشعر الثلاثة : لأنه طرق جميع أبواب الشعر ولم يُقصر في باب ، وأن الفرزدق امتاز بالفخر ، والأخطل بالمدح والهجاء

ووصف الخمر، ويحتجون بأنه لما ماتت امرأة الفرزدق لم تندبها النوادر إلا بشعر جرير في رثاء امرأته، وأن الفرزدق كان يحسده على رقة شعره ويقول: ما أحوج جريراً مع عفافه إلى صلابة شعري! وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره، وإن له في كل باب من الشعر أبياتاً سائرة هي الغاية التي يُضرب بها المثل؛ فيقال إن أغزل شعر قالته العرب هو قوله:

إنَّ العيون التي في طرفها حور^(١) قتلنا نَمَّ لم يُحِين قَتَلَنَا
يَصْرَعَنَّ ذَا اللب حتى لا حراك به وهن أضعفُ خلق الله انسانا
وإن أمدح بيت قوله:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بطونَ راح
وإن أفخر بيت قوله:

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَيْمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا
وإن أهجى بيت مع التصون عن الفحش قوله:

فُضُّ^(٢) الطَّرْفَ انْكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَعْبًا بَلْغَتْ وَلَا كَلَابَا
وإن أصدق بيت قوله:

إِنِّي لِأَرْجُو مِنْكَ خَيْرًا عاجلاً والنفس مؤلعة بحب العاجل
وإن أشد بيت تهكماً قوله:

زَعِمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ سَيَقْتُلُ مَرَبَعًا^(٣) أَبْشِرْ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرَبَعُ
ونحو ذلك كثير في شعره. قيل وقد لعب جرير وجدّ في قصيدة يهجو بها
الأخطل التغلبي بما لو أرادته غيره لامتنع عليه، ففي لعبه يقول:

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بَلْبُكَ غَادَرُوا وَشَلًّا^(٤) بَعِينِكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا^(٥)

(١) الحور شدة سواد العين مع شدة بياضها (٢) اخفض (٣) هو راوية جرير
(٤) الوشل الماء القليل (٥) جارياً

غَيْضُنَ^(١) مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ^(٢) وَقَلْنِي

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

وَفِي جِدِّهِ يَقُولُ :

أَنْ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِيًّا

جَعَلَ الْخِلَافَةَ وَالنَّبُوَّةَ فِينَا

مَضْرُؤُ أَبِي وَأَبُو الْمَلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ

يَا خَزَرَ^(٣) تَغْلِبُ مِنْ أَبِ كَأَيْنَا

هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دِمَشْقَ خَلِيفَةً

لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمْ إِلَى قَطِينَا^(٤)

فَلَمَّا بَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ هَذَا الشَّعْرَ قَالَ مَا زَادَ ابْنُ الْمَرَاغَةِ^(٥) أَنْ جَعَلَنِي شُرْطِيًّا^(٦)

أَمَّا لَوْ أَنَّهُ قَالَ : لَوْ شَاءَ سَاقَكُمْ إِلَى قَطِينَا ، لَسَقْتَهُمْ إِلَيْهِ كَمَا قَالَ

وَمِنْ جِدِّ شَعْرِهِ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ يَرْنِي بِهَا امْرَأَتُهُ وَهِيَ الَّتِي نُدِبَتْ بِهَا نَوَازِ

امْرَأَةِ الْفَرَزْدَقِ :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَا جَنَى اسْتِعْبَارُ^(٧)

وَلَزَرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبَ يَزَارُ

وَلَهَتْ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ^(٨)

وَذَوُّو التَّمَاثُمِ مِنْ بَنِيكَ صِفَارُ

لَا يُلْبِثُ الْقِرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا

لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ

صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخْبِرُوا

وَالطَّيِّبُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ

فَلَقَدْ أَرَاكَ كُسَيْتٍ أَحْسَنَ مَنَظَرٍ

وَمَعَ الْجَمَالَ سَكِينَةً وَوَقَارُ

وَقَالَ يَهْجُو تَغْلِبَ قَبِيلَةَ الْإِخْطَلِ :

فَلَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَعَتْ أَحْلَاءَهَا

يَوْمَ التَّفَاضُلِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالًا

تَلْقَاهُمْ حُلَمَاءُ عَنْ أَعْدَائِهِمْ

وَعَلَى الصَّدِيقِ تَرَاهُمْ جَهَالًا

لَا تَطْلُبِينَ خَوْوَةً فِي تَغْلِبِ

فَالزَّيْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ إِخْوَالًا

١١ - الْكُمَيْتُ

هُوَ الشَّاعِرُ الْخَطِيبُ الرَّائِيَةُ النَّسَّابُ أَبُو الْمُسْتَهْلِ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ ، أَشْعَرُ شُعْرَاءِ الشَّيْخَةِ الْهَاشِمِيَّةِ ، وَثَمِيرُ عَصَبِيَّةِ الْعَدْنَانِيَّةِ عَلَى الْقَحْطَانِيَّةِ

(١) غَاضُ الْمَاءِ ذَهَبٌ وَغَيْضُنُ أَذْهَبُنِ (٢) جَمْعُ عِبْرَةٍ وَهِيَ الدَّمْعَةُ قَبْلَ أَنْ تَقْبِضَ
(٣) الْخَزَرُ ضَيْقُ الْعَيُونِ وَصَفَرُهَا (٤) خِدْمًا (٥) كَلِمَةٌ نَقَبَ بِهَا الْفَرَزْدَقُ أُمَّ جَرِيرٍ وَالْمَرَاغَةَ
الْإِتَانُ (٦) كَثُرَتْ وَجْهِي أَعْوَانُ الْمَلِكِ (٧) اسْتَعْبَرْتُ عِبْرَتَهُ جَرَتْ دَمُوعُهُ (٨) الْكِبَرُ وَالضَّمْفُ

ولد سنة ٦٠ هـ ونشأ بالكوفة بين قومه بني أسد إحدى قبائل العرب الفصحاء من مضر ، فلقن العربية ، وعرف الأدب والرواية ، وعلم أنساب العرب وأيامها ومثالبها بعمارة العلم والاخذ عن الأعراب ، وكان له جدّان أدركتا الجاهلية تَقْصَّان عليه أخبارها وأشعار أهلها ، فخرج أعلم أهل زمانه في ذلك ، وأقر له حماد الراوية بالسبق عليه . وقال الكميّ الشعر وهو صغير ، وكان لا يُدْرِعه ولا يتكسب به ، ويكتفى بحرفته تعلّم صبيان الكوفة بالمسجد . ولما حَصَفَ شعره وقوى أثره ، ولاسيما قصائده التي أعلن فيها تَشْيِعه لبني هاشم وآل عليّ أنشد الفرزدق مستنصحا له في أمر إذاعته إذا أعجبه ، فأمره بإذاعته ^(١) ، فقال قصائده البليغة المطوّلة المسماة بالهاشميات ، ثم تكسب بالشعر ومدح الامراء والولاة وسادات أهل البيت من أبناء علي رضي الله عنه ، واحتجّ لهم بشعره ودافع عنهم ، وعرض نفسه من أجلهم

(١) كان أول ما قال الكميّ من الشعر الهاشميات فسترها ثم أتى الفرزدق فقال له يا أبا فراس انك شيخ مضر وشاعرها وأنا ابن أخيك الكميّ بن زيد الاسدي قال له صدقت أنت ابن أخى فما حاجتك قال نفث على لسانى فقلت شعرا فاجبت ان اعرضه عليك فان كان حسنا امرتني بإذاعته وان كان قبيحا امرتني بستره وكنت أولى من ستره على قال الفرزدق اما عقلك فحسن واني لارجو ان يكون شمر على قدر عقلك فأنشدني ما نلت قال : طربت وما شوقا الى البيض اطرب . قال الفرزدق فبم تطرب يا بن أخى فقال : ولا لبنا منى وذو الشبب بلب . قال العب يا بن أخى فانك في اوان اللب . فقال :

ولم يلحنى دار ولا رسم منزل ولم يتطربنى بئان مخضب
قال ما يطربك يا بن أخى فقال :

ولا السامحات البارحات عشية امر سلبم القرن أم مر أعضب
قال اجل لا تنطير فقال :

ولكن الى اهل الفضائل والتقى وخير بنى حواء والخير يطلب
قال ومن هؤلاء ويمحك قال :

الى النفر البيض الذين يحبهم الى الله فيما نابى اتقرب
قال ارحنى ويمحك من هؤلاء قال :

بني هاشم رهط النبي فاني بهم ولهم ارضى مرارا واغضب
خففت لهم منى الجناح مودة الى كنف عطفاء اهل ومرحب
وكنيت لهم من هؤلاء وهؤلاء محبا على انى أذم وأنصب
وارمى وارمى بالمداد اهلها واني لا أؤذى فيهم وأؤنب

فقال له الفرزدق يا بن أخى اذع ثم اذع فانت والله اشعر من مضى واشعر من بقى

سبب
هجاء
اليمانية

الى الموت مراراً ، وبقيَ هذا شأنه حتى هجا حكيماً الكلبي من اليمانية وأهل الشام
آل علي وشيعته وسأر مضر ، فردّ عليه شعراء المضرية فلم يفلحوا فأغروا به
الكميّ فاعتذر ، فأسعوه هجاءه في بنات عمّه وخاله ، فحوى الكميّ لعشيرته
وهجا الكلبي واليمانية جمعاء . وكان خالد بن عبد الله القسري والى العراق بالكوفة
يمانياً فغضب وسعى به الى هشام بن عبد الملك ، واحتال حتى أبلغه شعره في ذم
بنى أمية ومدح بنى هاشم ، فأمره بقتله ، فقبض عليه وسجنه ، فاحتال الكميّ
وفرّ من سجنه ، ورحل الى الشام ، واستجار بقبر معاوية بن هشام فآمنه ،
وخطب بحضرته خطبة بليغة ، وارتجل قصيدته التي يعتذر فيها ويتوب من تشيعه ،
ويعمد بنى أمية ويقول :

اليوم صرت الى أمية والأمر لها مصار

فغفاه عنه وأجازه ، وكتب لخالد ألاّ يتعرض له . وبقي الكميّ على شأنه
في هجاء اليمانية ، حتى كان شعره من أشدّ الأمور التي أثارت العداوة بين الأميين
وبقيت نارها تتأجج حتى أواسط الدولة العباسية ، واذ ذاك استولى الاعاجم على
الملك وأخفتوا صوت العرب جميعاً عدنانيتها وقحطانيتها ومات الكميّ سنة ١٢٦ هـ
شعره - كان الكميّ من فحول شعراء الامصار ، كثير الشعر والارتجال ،
على إجادة واحسان ، وكان لكثرة حفظه لاشعار العرب يأتي في شعره ببعض جمل
أو أبيات من كلامهم ، فيتندرّع بذلك متعصبو اليمانية الى اتّهامه بسرقة الشعر ،
ومن هؤلاء خلف الأحمر أحد رواة الشعر ^(١) . وكان لشعره من التأثير السياسي
والمذهبي أثر سيّئ بين تلك الآثار التي شتّتت شمل الوحدة العربية وعادت عليها
بالنكال بما أحياه من العصبية الذميمة وأغرى الشيعة بمناظرة خصومهم اذ يقول
الجاحظ : ما فتح للشيعة الحجاج بالشعر إلا الكميّ بقوله :

فان هي ^(٢) لم تصلح لحي سواهم فانّ ذوى القربى أحقّ وأوجب

يقولون لم يُورث^(١) ولولا ثرائه لقد شَرِكت فيه بكيل وأرحب^(٢)

ومن هاشميانه :

ألا هل عِم في رأيه متأملٌ وهل أمّة مستيقظون لرشدهم
وهل مدبرٌ بعد الاساءة مقبلٌ^(٣) فيكشف عنه النعسة المتزمل^(٤)
فقد طال هذا النوم واستخرج الكرى مساويهم لو كان ذا الميل يُعدّل
وعطّلت الأيام حتى كأننا على ملةٍ غير التي نتحلّ
كلامُ النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نفعل
رضينا بدنيا لا نريد فراقها على أننا فيها نموت ونقتل
ونحن بها مُستمسكون كأنها لنا جنة^(٥) مما نخاف ومَعْقِل^(٦)
أرانا على حبّ الحياة وطولها يُجَدِّد بنا في كل يوم ونهزّل

وقال الكميّ يمدح خالد بن عبد الله القسري^(٧) :

لو قيل للجود من حليفك^(٨) ما إن كان إلّا اليك ينتسب
أنت أخوه وأنت صورته والرأس منه وغيرك الذنب
أحرزت فضل النضال^(٩) في مهل فكلّ يوم بكفك القصب^(١٠)
لو أن كعباً^(١١) وحائماً^(١٢) نُشِرا كانا جميعاً من بعض مانهب
لا تُخلف الوعد ان وعدت ولا أنت عن المعتفين^(١٣) تحتجب
مادونك اليوم من نوالٍ ولا خائفك للراغبين منقلب

(١) نائب الفاعل الرسول (٢) حيان من همدان (٣) أما آن للماقل ان ينتبه وللنّام ان يستيقظ (٤) اللثف (٥) وقاية (٦) ملجأ

(٧) هو أمير العراق المفتول سنة ١٢٦ هـ (٨) حليفك هو الذي يماهـدك على ان يكون امـكاً واحداً في الصـرة والحـاية (٩) المـارة في الرمي (١٠) القصب كل نبات ذي انايب الواحدة قصبـة واحرز القصب أو قصب السبق غلب (١١) هو كعب بن مامة من اباد احد اجواد العرب المـررب بهم المـثل في الكرم (١٢) هو حاتم بن عبد الله الطائي الجواد الطائر الصيت والشاعر المجيد ، مات قبيل الاسلام (١٣) طلاب المعروف والرزق

وقال بهجو :

قتل لبنى أمية حيث حلوا - وان خفت المنهد والقطيعا -
أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركم أجياعا
بمريض السياسة هاشمي يكون حياً لامته ربيعا

الرواية والرواة

ظهر الإسلام وعمدة العرب في ضبط علومهم وآدابهم الحفظ والرواية ،
فجاءهم من كتاب الله وسنة رسوله بالأمر الخطير ، والعلم الكثير ، فكانت عنايتهم
بمحفظهما في الصدور أكثر من كتابتهما في السطور . ولما اتسع علم المسلمين بما أضيف
اليهما من تفسير الصحابة والتابعين ومن أقوالهم في الدين ، تعددت طوائف الرواة
للقرآن والحديث وفنون الأدب

واذ كان الانسان عرضة للنسيان ، وأحوال الناس تختلف في الصدق والكذب
تشدد الصحابة والمتأهلون ^(١) من التابعين وتابعيهم في تصحيح الرواية وشدة التوثيق
من صدق الرواة تخرجاً منهم أن يدخل في الدين ما ليس منه

ولما خاف عمر بن عبد العزيز أن تموت السنة الصحيحة بموت رواةها وبما وضعه
الزنادقة والشيعية والخوارج وفسد فيها ، أمر العلماء بتدوين الحديث

وبقي الأمر في الشعر والأدب كما كان في الجاهلية : لكل شاعر راوٍ أو عدة
رواة . ومن أشهر هؤلاء هُدْبَةُ ^(٢) بن خَشْرَم راوية الخطيئة ، وجميل ^(٣) راوية هُدْبَةُ ،
وكثير ^(٤) راوية جميل ، وأبو شَقْل وعبيد أخو ربيعة بن حنظلة راوية الفرزدق ،
ومربع راوية جرير والفرزدق معاً ، ومحمد بن سهل راوية الكميت ، وصالح بن سليمان
راوية ذى الرُّمَّة ^(٥) وذو الرمة راوية الراعي ^(٦)

(١) المتسكون المتبدون (٢) قتل قوداً بالمدينة وعليها سميد بن العاص من قبل معاوية

(٣) هو ابن عبد الله بن معمر المذري الشاعر الفزل المتوفى سنة ٨٢ هـ (٤) هو تلميذ جميل
ورأوته وأحد شعراء الذئب المشهورين المتوفى سنة ١٠٥ هـ (٥) هو غيلان بن عقبة صاحب
مية المتوفى سنة ١١٧ هـ

(٦) هو حصين بن معاوية وسمى بالراعي لانه كان يكثر وصف الرعاء في شعره

وبقى الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر فاشتغل العلماء بالرواية ، وصار
الراوى منهم يروى لمئات من الشعراء والشواعر وان لم يكن هو شاعراً ، وأكثر
هؤلاء العلماء من الرواة أدرك عصر بني العباس فيذكر فيه
ومع تشدد الناس في تصحيح الرواية سنةً وأدباً حدث في الشعر والخطب
كثير من التصحيف والتحريف والنقص والزيادة ونحو ذلك

العصر الثالث

عصر الدولة العباسية ^(١) من ١٣٢ - ٦٥٦ هـ

أثر الحضارة العباسية في أحوال اللغة وآدابها

نقصد بأحوال اللغة العربية في ذلك العصر أحوالها بين أهل البلاد الإسلامية
في آسيا وإفريقية والاندلس وجزائر بحر الروم من أوربة ، ولو لم يكونوا تابعين
للدولة العباسية في الملك والسياسة

كان بنو أمية شديدي التعصب للعرب والعربية ، فكان كل شيء في دولتهم تأثر
عربي الصبغة . وكانت جمهرة العرب ^(٢) منتشرة في كل مكان امتدت إليه سلطانتها
فلما قامت الدولة العباسية بدعوتها لم تجد لها من العرب أنصاراً وأعواناً مثل من
وجدت من الفرس وأمم الأعاجم ، فاكتمست بهم دولة بني أمية ، وأسست دولةً والأدب

(١) خلفاء بني العباس الى سنة ٣٣٣ :

أبو العباس عبدالله السفاح (١٣٦ - ١٣٢)	محمد المنتصر (٢٤٨ - ٢٤٧)
أبو جعفر المنصور (١٥٨ - ١٣٦)	أبو العباس أحمد المستعين (٢٥٢ - ٢٤٨)
محمد المهدي (١٦٩ - ١٥٨)	أبو عبدالله المعتز (٢٥٥ - ٢٥٢)
موسى الهادي (١٧٠ - ١٦٩)	محمد المهدي بالله (٢٥٦ - ٢٥٥)
هارون الرشيد (١٩٣ - ١٧٠)	أحمد المعتمد على الله (٢٧٩ - ٢٥٦)
محمد الأمين (١٩٨ - ١٩٣)	أحمد المعتضد بالله (٢٨٩ - ٢٧٩)
عبدالله المأمون (٢١٨ - ١٩٨)	علي المكتفي بالله (٢٩٥ - ٢٨٩)
أبو اسحاق محمد المعتصم (٢٢٧ - ٢١٨)	جعفر المقتدر بالله (٣٢٠ - ٢٩٥)
أبو جعفر هارون الوائلي (٢٣٢ - ٢٢٧)	أبو منصور محمد القاهر (٣٢٢ - ٣٢٠)
جعفر المتوكل على الله (٢٤٧ - ٢٣٢)	أبو العباس أحمد الرازي (٣٢٩ - ٣٢٢)
	إبراهيم الملقب بالله (٣٣٣ - ٣٢٩)

(٢) جمهرة الناس والأشياء كلها وممظما بالجمهور . والجمهرة أصلها مصدر استعمل اسم ذات

قوية كان أكثر النفوذ فيها للموالى ؛ فاستخدمهم الخلفاء والأمراء في كل شيء من ستمائة المائ إلى قيادة الجيوش والوزارة . وابتدأ شأن العرب السياسي يتضاءل^(١) من ذلك الحين شيئاً فشيئاً حتى ضعفت النعرة العربية^(٢) فيهم ، وخذت جذوة^(٣) التباهي بكرم الأصل والزيجار^(٤) بينهم ؛ بحيث لم يمض قريب من قرن على تكوين الدولة العباسية حتى لم يكن لعرب المشرق في السياسة شأن يذكر ، وقطعت أرزاقهم من ديوان الجند^(٥) ، واندمجوا في غمار العامة ، واشتغلوا بالصناعة والفلاحة والحرف المختلفة ، واختلطوا بالأعاجم بالتصاهر والتجاور ، وانغمروا في مدنية الفرس وحضارتها أيما انغمار ؛ فكان من المجموع شعب ممتزج لغة وعادة وخلقاً واعتقاداً وفكراً وخيالاً ؛ فآثر ذلك كله تأثيراً يديناً في اللغة لفظاً ومعنى ، وشعراً ونثراً ، وكتابة وتأليفاً . ولم يظهر ذلك بالطبع في جميع الممالك بنسبة واحدة ؛ بل كان في أواسط آسيا أظهر منه في مصر والشام . أما حال ممالك الغرب والأندلس صدر هذا العصر فلم تبتعد كثيراً عما كانت عليه في العصر الماضي ؛ ثم سرت إليها عدوى تقليدها للمشاركة في أكثر الأمور . ويمكن تقريب ذلك بأن كل تغيير في لغة أو اختراع لفن أو علم في المشرق كان أثره يظهر في الأندلس بعد نصف قرن أو يزيد قليلاً ، إلا أن الصبغة العربية كانت رعية بالأندلس في الجملة . وكذلك كانت في إفريقية^(٥) من ممالك البربر معظم هذا العصر

ويمكن ارجاع جميع هذه التغيرات إلى ثلاثة أمور : الأول — ما يتعلق بالأغراض التي تؤديها اللغة . الثاني — ما يتعلق بالمعاني والأفكار . الثالث — ما يتعلق بالألفاظ والأساليب

أغراض اللغة

كانت أحوال الدولة العربية في العصر السابق تقرب من الغضاضة والبدواة

(١) تضائل الشيء خفي وتضاغر شخصه (٢) النعرة الحيلة والكبر (٣) الجذوة مثلثة الجرمة من النار (٤) الأصل (٦) فعل ذلك المتعصم بن الرشيد ومن بعده (٥) إفريقية هنا هي المسماة الآن ببلاد تونس

لاستقلالها بالأدب العربية الإسلامية ؛ فلم تكن اللغة تتناول من المقاصد والأغراض غير ما يتعلق بالدين ومعيشة الجِدِّ القليلة الترف . فلما قامت الدولة العباسية بما علمت ، وتشبه الخلفاء والأمراء والولاة والرؤساء بملوك الفرس ودهاقينهم ^(١) في أكثر أمور السياسة والمعيشة ، وحاكَّتْهم العامة في ذلك بتقليد أمثالهم من طبقات الأعاجم ، تناولت اللغة في المشرق أغراضاً لم تُعْهَد فيها من قبلُ بنقل علوم تلك الأمم وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها . ثم تناولت هذه الأغراض في المغرب بعدئذ بفرق يسير ؛ على أن المسلمين من العرب وغيرهم كانوا قد ارتاحت عقولهم ونضج استعدادهم لوضع الأنظمة والقوانين ، واستنباط أحكام الشريعة من أصولها ، وتدوين العربية لحفظ اللسان والدين ، فكان من تلك الأغراض ما يأتي :

- (١) تدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية ولم يكن دُونَ من ذلك في صدر الإسلام إلا نَزْرُ يسير لا يذكر بجانب ما دُونَ في هذا العصر
- (٢) الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية . ولم يُترجم في العصر الماضي إلى العربية بعد حساب الدفاتر الديوانية إلا بعض من الرسائل العلمية قلما يُعرف له خبرٌ . واختص المشاركة بالترجمة دون المغاربة لعراقة دولهم في الملك وعتاده ، ولأنهم ورثوا ممالك ذات علوم وحضارة عظيمة
- (٣) تادية مقاصد الصناعات المختلفة ، وخاصة بعد دخول العرب في غمار ^(٢) الصناعات وبعد تعرُّب الأعاجم
- (٤) تادية مقاصد أنواع الخلاعة والسُّخْرية والمجانة ^(٣) مما قلَّ نظيره في صدر الإسلام

- (٥) المحاضرة والمناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم
- (٦) تادية المقاصد التي استدعاها الانغماس في الترف والتنعيم بلذائذ الحضارة التي

(١) جمع دهمان (بكسر الدال) وهو من المعجم تاجرهم أو زعيم فلاحهم أو رئيس اقليمهم
 (٢) غمار الناس جماعتهم ولغيتهم (٣) مجن (من باب قعد) مجونا ومجانة لم يبال قولاً وفعلًا
 (الوسيط م — ٢٤)

جرت فيها الامم الاسلامية عصر الدولة العباسية الى امد^(١) بعيد ، أو اقتضتها أساليب نظام الملك والدفاع عنه : كالأمعان في وصف الأشياء النفيسة من القصور وما فيها من الفراش والرياش والآنية والحلي والجواري والقيان^(٢) ، والبساتين وما فيها من أنواع الرياحين والأزهار والثمار والخضر ، وما يتبع ذلك من مجالس الشرب والمنادمة ومسايد الطير والسمك وأشكال الملاعب ، مما لم يُعرف للعرب في صدر الإسلام أو يُعرف وكان قليلاً ممقوتاً ، وكوصف البحر والأساطيل الحربية والمعارك البحرية ، وامتاز بأكثر ذلك المغرب والأندلس ، كما امتازت الأندلس بالاجادة في وصف مناظر الطبيعة ومحاسن الوجود لملاءمة بيئتها لذلك ، وكادت تلحق بها في الوصف صقلية وافريقية إبان ازدهائهما

المعاني والأفكار

إنَّ ما حدث في مشارق الممالك الإسلامية ومغاربها أثناء العصر العباسي من الانقلابات السياسية والاجتماعية كان له نتيجة ظاهرة في الحركة الفكرية للمتكلمين بالعربية . ظهر ذلك في نثرهم وشعرهم بصور مختلفة ، فمنها :

١ - شُيُوعُ المعاني الدقيقة ، والأفكار الجميلة ، والأخيلة البديعة فوق ما كان عليه الأمر في صدر الإسلام

٢ - التهويل والغلو في التفخيم المتنبس في المشرق من اللغة الفارسية ، والساري بعضه بالعدوى الى أهل المغرب والأندلس في أخريات زمانهم

٣ - كثرة التعويل على القياس والتعليل في الأحكام الفكرية : بالإكثار من الحجج والبراهين العقلية ، وانتحاء^(٣) مذاهب الفلاسفة في الشعر والكتابة والتدريس ولا سيما بعد عصر الترجمة ، وأكثر ما كان ذلك بالمشرق . وقلما عني به أهل المغرب

(١) الامد الغاية (٢) جمع فينة (بالفتح) وهي الأئمة المنيّة (٣) مصدر انتحى بمعنى قصد

الألفاظ والاساليب

غلب على عبارة اللغة العربية في هذه المدة أمران عظيمان : السهولة ، والمحسّنات البديعية . ويشمل ذلك ما يأتي :

(١) انتقاء الألفاظ الرشيقة السهلة ^(١) والتأنق في صوغ العبارات وتوثق الربط بينها ، والاكتثار من استعمال ألفاظ القرآن الكريم وعبارته ^(٢) والاقتباس منه والاستشهاد به : لاستعمال الرويّة ، وقلة الحاجة الى الارتجال ، وضيق نطاق المحفوظ على المتكلم بالعربية بالدرس والصناعة لاعلى المتكلم بالطبيعة والمنظرة كما كان الأمر في العصرين الماضيين وزاد في ذلك المشاركة على المغاربة

(٢) تفاقم الخطب في استعمال الكلمات الأعجمية في كثير من الاشياء ، ولا سيما ألوان الأطعمة وأنواع الآنية والفرش وأدوات الصناعات والعقاقير ^(٣) الطبية وأسماء الأمراض

(٣) التوسع والاكتثار من ألفاظ المجاز والتشبيه والتمثيل والكناية والمحسّنات البديعية كالجناس والطباق والتورية ونحو ذلك ، وخاصة أواخر هذا العصر . وكانت عناية المغاربة بالمجاز والتشبيه أكثر من عنايتهم بالتورية والجناس

(٤) التوسع في ادخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والامراء وأرباب المناصب العالية . وكان ذلك في الأندلس آخر حياتهم

(٥) الميل الى استعمال السجع ، وازداد أمره في النصف الثاني من هذا العصر

(٦) التطرف الى غاية حدّي الاطناب والإيجاز ولكل منهما مقام . وكان الأندلسيون إلى الاطناب أميل

(١) نقصد بالسهل هنا ما كان خفيفاً في النطق وعلى السمع ، مألوف المعنى والاستعمال عند وسطاء البلغاء في عصره فقد يكون السهل في زمان صعباً في آخر

(٢) واطرد ذلك في كل شيء حتى شارات الدولة من البنود (الاعلام) والطراز (علم الثوب أي ما يكون في حاشيته من النقش والكتابة) والسكة أي الاداة التي يضرب عليها الدرهم والدينار (٣) جمع عقار ككتان : ما يتداوى به من النبات أو أصوله

(٧) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وادارة الحكومة وأسماء آلات الحرب وغيرها، واحداث لغة تأليفية لتعليم العلوم تقاسُ بمقيار المنطق لا بمقيار البلاغة واذ كانت اللغة إما نثراً وإما شعراً ، والنثر محادثة ، وخطابة وكتابة ، ناسب أن نُلِمَ بمجمل كلِّ منها فنقول :

النثر

المحادثة (أو لغة التخاطب)

قدمنا لك أن لغة التخاطب بين الخاصة من العرب في أواخر العصر الماضي كانت العربية الفصيحة الخالية من اللحن إلا من آحاد استهجن منهم ، وعيبوا به ، وأن لغة العامة والسوقة من العرب المختلطين بالعجم هي العربية المشوبة بشيء من اللحن ، ولغة المتعربين من العجم تقلّ عن هذه في الفصاحة ، وتزيد عليها في اللحن بمراتب مختلفة

فلما تمّ امتزاج العرب بالعجم عصر الدولة العباسية ، تكونت بين العامة في البلاد التي تكثرت فيها جمهرة العرب لغات تخاطب عامية مؤلفة من العربية المحرّفة وشيء من السخيل الأعجمي إلا بين أهل جزيرة العرب ، فلم يزل تخاطبهم باللسان العربي الفصيح الى أواسط القرن الرابع . وبقيت لغات التخاطب في البلاد التي تقل فيها جاليتهم هي اللغات الوطنية الاعجمية ممزوجة ببعض الألفاظ العربية التي أدخلها عليها الاسلام وخاف الخلفاء والخاصة من هؤل تأب العامة على أبنائهم ، وأشفقوا أن تستطيل على الفصيحة ، فيستغلق على المسلمين فهم الكتاب والسنة وهما كل الدين ، فخرّضوا العلماء على تدوين اللغة والإكثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة وعلوم الدين ، وكافئوهم ببدر^(١) الأموال ، وحشدوا في قصورهم أئمة اللسان يؤدّبون أولادهم وخاصتهم ، فكانوا أمراء الكلام وفحول البلاغة ، كما كانوا أمراء الملك وسادة

(١) جمع بدرة (بالفتح فالسكون) كبس المال ، قيل : ألف ، وقيل عشرة آلاف من الدراهم . وقيل سبعة آلاف من الدينار

الدولة . ولكن ذلك كله لم يوقف تيار العامية الزاخر ، واستمر في طفيانه الى أن غلب في النصف الأخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات التخاطب ، حتى لغة الخلفاء وعلماء العربية أنفسهم ، وأصبح لكل بلاد عربية لغة تخاطب عامية خاصة بها ولم يدون أسلافنا اللغات العامية خشية أن تزاحم العربية الفصيحة وهي اللسان العام بين جميع ممالك الإسلام فتنسخها ، فبرز باب الدين ، وتتقاطع الامم الاسلامية ؛ فتقتصر كل أمة على كتبها ولغتها ، وفي ذلك من انحلال الروابط السياسية والعلمية والدينية ما لا يخفى . ونعم إن الاندلسيين والمغاربة في أواسط هذا العصر وأواخره قد رفّوها العامية قليلاً بما نظموا بها كثيراً من الموشح ، وأنواع الزجل . والشعر العامي ، وعروض البلد^(١) ، وما دونوه منها إلا أن ذلك والحمد لله لم يكن طويل الأمد ، ولم نعم به البلى ؛ فلم تصبح العامية به لغة علم وأدب

الخطابة

لما كان قيام الدولة العباسية في المشرق والادريسية^(٢) في المغرب الأقصى ، والأموية الثانية في الاندلس^(٣) ، من الامور التي ينشأ عنها كثير من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية ، وكان ذلك يستدعي تأليف العصابات ودعوة الناس الى التشيع لزعماء الاحزاب ، وكان التغاهم بالعربية الفصيحة والانجذاب بالبلاغة لا يزال مستحكماً صدر هذا العصر - بقيت دواعي الخطابة متوافرة لتوافر أسبابها ؛ فكان بين قواد هذه الدول ودعاتها وخلفائها وولاتها ورؤساء وفودها خطباء مصاقع ، وبلغاء فطاحل^(٤) ثم لما قترت هذه الدواعي باستقرار الدول ، واشتد اختلاط العرب بالأعجم ، وتولى كثير من الموالي قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم - ضعف شأن الخطابة لضعف قدرتهم عليها ، وقلة المستجيبين لها : لتناقص العناصر العربية في الجند وأهل

(١) ذكرنا أمثلة ذلك في العصر التالي لكثرة شيوعه فيه (٢) اسمها ادريس بن عبد الله حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب بالمغرب الأقصى سنة ١٧٢ هـ وبقيت الى سنة ٣١٩ (٣) اسمها عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك سنة ١٢٩ هـ - وبقيت الى سنة ٤٢٧ هـ (٤) جمع فطحل كمزبر وهو في الاصل الضخم من الابل

النجدة . فلم يمض قرن ونصف من قيام تلك الدول حتى بطل شأن الخطابة السياسية والمذهبية ، إلا قليلاً في المغرب أيام الحفل وقدم الوفود ، وبقيت الخطابة مقصورة على خطب الجمعة والعيدين والمواسم وخطب الزواج ونحو ذلك ، وقلّ فيها الارتجال . أو عدمُ جملةً ، وحل محل الخطابة في الأمور السياسية نشرُ المنشورات ، وفي الأمور الدينية مجالس الوعظ والتزهد ، والتدريس في المساجد والمدارس

نماذج من الخطب

حج المنصور بعد بناء بغداد فقام خطيباً بمكة فكان مما حفظ من كلامه (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) أمرهم بوقول عدل ، وقضاء فصل ، والحمد لله الذي أفلج حجته ^(١) ، وبعداً للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضاً ، والقيء إرثاً ، وجعلوا القرآن عِصِينَ ^(٢) لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فكم ترى من بثر معطلة ، وقصر مشيد ، أمهلهم الله حتى بدّلوا السنة ، واضطهدوا العترة ، وعندوا واعتدوا واستكبروا ، وخاب كل جبار عنيد ، ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ^(٣)

وخطب المأمون بمرو ^(٤) وقد ورد عليه كتاب الأمين يُعزّيه بالرشيد ويحثه على أخذ البيعة فقال : ان ثمرة الصبر الأجر ، وثمره الجزع الوزر ، والتسليم لأمر الله عز وجل فائدة جليلة ، وتجارة مُربحة ، فالمت حوض مورود ، وكأس مشروب . وقد أتى على خليفتم ما أتى على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإننا لله وأنا اليه راجعون . فما كان إلا عبداً دُعي فأجاب ، وأمر فأطاع . وقد سدّ أمير المؤمنين نعله ، وقام مقامه ، وفي أعناقكم من العهد ما قد عرقتم . فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضي ، واعتبوا بالنعماء والوفاء في خليفتم الباقي . يا أهل الدنيا الموت نازلٌ . والأجل طالبٌ . وأمسر واعظ . واليوم مغتتم . وغداً منتظر . ثم نزل

(١) أفلج حجته اظهرها (٢) العضة القطعة وجمعها عضون وجعلوا القرآن عِصِينَ أى فرقا لملوه كذباً وسحراً وكماته وشعراً (٣) صونا خفياً (٤) بلدة بفارس وهى قاعدة بلاد خراسان

وخطب عبد الله بن طاهر الناس وقد تهباً لقتال الخوارج فقال — انكم فئة الله المجاهدون عن حقه ، الذابون عن دينه ، الذائدون ^(١) عن محارمه ، الداعون الى ما أمر به من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاة أمره ، الذين جعلهم رعاة الدين ، ونظام المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره بمجاهدة عدوة وأهل معصيته الذين أشيروا ^(٢) ، وتمردوا ، وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومرقوا من الدين ، وسعوا في الارض فساداً ، فانه يقول تبارك وتعالى ، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، فليكن الصبر معقلكم ^(٣) الذي اليه تلجئون ، وعدتكم التي بها تستظهرون ، فانه الوزر ^(٤) المنيع الذي ذلكم الله عليه ، والجنة ^(٥) الحصينة التي أمركم الله بلباسها ، غصوا أبصاركم وأخفئوا أصواتكم في مصافكم ، وامضوا قدماً على بصائرهم ، فارغبوا الى ذكر الله والاستعانة به كما أمركم الله ، فانه يقول (اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) أيدكم الله بعز الصبر ، ووليككم بالحيطة والنصر

الخطباء

اشتهر في صدر الدولة العباسية جملة من الخطباء جلهم من بني هاشم عباسيين. وعلويين ثم من الخوارج ، ومن بعض خطباء الأمصار من بني منقر وآل الرقاشي. وآل خاقان بالبصرة وبعض زعماء بني امية وفقهائهم بالأندلس ^(٦) ، وآل الأغلب في إفريقية . ومن أشهرهم داود بن علي ، وشيب بن شيبه ، وهاك ترجمتهما

داود بن علي

هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس خطيب بني العباس ، وأحد مؤسسي دولتهم ، نشأ هو واخوته وكانوا اثنين وعشرين رجلاً في قرية الحميمة من أعمال

(١) الذود المنع والطرود (٢) بطروا (٣) اجأكم (٤) الوزر بفتحين اللجأ

(٥) الجنة بالضم كل ماوق (٦) وأشهرهم المنذر بن سعيد البلوطي

عَمَّان^(١) وكان الوليد بن عبد الملك أجليّ على بن عبد الله بن عباس وأهل بيته اليها غضباً عليه

وأخذ هو واخوته علمهم وأديهم عن أبيهم علىّ خبر قريش وابن حبرها وبلغها ووارث علم أبيه عبد الله بن عباس وعابد أهل زمانه ، كما أخذوا الفصاحة من البدو النازلين فيهم من قبائل لَحْمٍ وجُدَامٍ وتَنُوحٍ وغَسَّانٍ وقيس ، فانطبعت فيهم صفات البدو من الشجاعة والبصر بالقتال وإباء الضيم والاستقلال وفصاحة اللسان والبطش وحب الانتقام ، وجانببتهم صفات الحضرة من الانغماس في الترف والملذات والعكوف على الملاهي

وكان داود أحد النابغين من اخوته في هذه الصفات ويزيد عليهم أنه كان بليغهم ولسانهم وأخطبهم في وقته . وعاجلته منيته قبل أن يستطير سلطانه في الدولة . ولأه أبو العباس — عقب بيعته بالكوفة — ولاية الكوفة وسوادها ، ثم ولأه إمارة الحاج في هذه السنة ، وولأه معها ولاية الحجاز واليمن واليمامة ، فقتل من ظفر بهم من بني أمية في مكة والمدينة في هذا العام أي سنة ١٣٢ هـ وهو أول موسم ملكه بنو العباس ، وخطبهم الخطبة الآتية بعد . ثم ذهب عقب الموسم الى المدينة فتوفي بها بعد شهرين من قدومه اليها في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ

ولداود خطبة عظيمة^(٢) خطبها يوم بيعة أبي العباس على منبر الكوفة ، أما خطبته في موسم مكة فهي مختصرة من خطبة الكوفة وهي « شُكْرًا شُكْرًا إِنَّا وَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا لِنُحْفَرَ فِيكُمْ نَهْرًا ، وَلَا لِنَبْنِي فِيكُمْ قَصْرًا ، أَظُنُّ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ أَنْ رُوخِي لَهُ مِنْ خِطَامِهِ حَتَّى عَثَرَ فِي فَضْلِ زِمَامِهِ ؟ فَالآن^(٣) حَيْثُ أَخَذَ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، وَعَادَتِ الْقَوْسُ إِلَى النَّزْعَةِ^(٤) ، وَرَجَعَ الْمَلِكُ فِي نَصَابِهِ فِي أَهْلِ بَيْتِ النَّبِوَّةِ وَالرَّحْمَةِ ، (وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَتَوَجَّعُ لَكُمْ وَنَمُنُّ فِي فُرْشِنَا) ، أَمِنْ الْأَسْوَدِ

(١) بلدة على خط سكة الحديد الحجازية هي الآن مقر إمارة شرق الأردن
(٢) راجع تاريخ أدب اللغة في العصر العباسي (٣) ظرف لأمن الأسود (٤) جمع نازع وهو الرامي يشد الوتر إليه ليضع فيه السهم

والأحر، لكم ذمة الله، لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكم ذمة العباس، لا ورب هذه البنية - وأوماً بيده الى الكعبة - لا نهيج منكم أحداً»

شبيب بن شيبه

هو شبيب بن شيبه بن عبد الله المنقرى^(١) التميمي خطيب البصرة في زمانه. نشأ في البصرة وامتاز بنبالة نفس، وسخاء كف، وحسن تواضع، ونزاهة لسان، كما امتاز بخطبه القصيرة البليغة القريبة من حد الإعجاز. وهو ابن عم خالد بن صفوان^(٢) الخطيب المشهور. وسمعه خالد هذا يتكلم في رهطه، فقال يا بني لقد نعى الى نفسي لسانك في كلامك، فإننا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب إلا مات من قبله. فقال له شبيب بل يبقيك الله، ويجعلني فداءك

وقال الجاحظ: يقال إنهم لم يروا خطيباً بلدياً^(٣) إلا وهو في أول تكلفه بتلك المقامات كان مستثقالاً مستصفاً^(٤) أيام رياضته كلها الى أن يتوقح^(٥) وتستجيب له المعاني ويتمكن من الألفاظ الا شبيب بن شيبه، فانه ابتداءً بحلاوة ورشاقة وسهولة وعدوبة، فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصارع بكثيره. وقد يطول حتى يقول فيه الراجز:

إذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس الى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

وعرف شبيب أبا جعفر المنصور^(٦) قبل خلافته ثم انصل به بعدها. فجعله في حاشية ولي عهده المهدي^(٧) وبقى كذلك حتى ولي المهدي الخلافة فصار من

(١) بنو منقر بطن من تميم (٢) كان خطيب بن تميم في زمنه واشتهر في بني أمية وأدرك عصر بني العباس وسمر السفاح (٣) أي من أهل الامصار لا من البادية

(٤) من الصاف وهو تجارز الحد في اظهار الظرف مع العجب والكبر (٥) يقل حياؤه ويمجرؤ

(٦) هو أمير المؤمنين أبو جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

(٧) هو أمير المؤمنين محمد المهدي بن المنصور

خيرة سُمّاره وجلسائه الى أن مات في حدود سنة ١٧٠

ومن خطبه القِصَار ما عَزَى به المهدى يوم ماتت ابنته البانوقة وجزع عليها جزعاً شديداً . ويقال إنها كانت أبغى تعزية قيلت في هذا اليوم وهي :
أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رُزئتَ (١) أجراً . وأعقبك صبراً . ولا
أجهد الله بلاءك بنِقمه . ولا نزع منك نِعمه . ثواب الله خيرٌ لك منها ، ورحمة الله
خيرٌ لها منك . واحقُّ ما صبر عليه مالا سبيل الى ردّه !

الكتابة

الكتابة خطية وإنشائية

الكتابة الخطية

تنوّع في هذا العصر الخط الكوفي الى أنواع أربت على خمسين نوعاً . من أشهرها الحرّز والمشجّر والمربّع والمدوّر والمتداخل ، وبقي مستعملاً في المباني والسكة الى حدود الالف ، ثم نسي جملة . وقد جدّدت منه أنواعٌ في عصرنا
أما تاريخ خطنا المستعمل الآن فحدث في آخر الدولة الأموية أن استنبط قطبة الحرّز من الخط الكوفي والحجازي خطأً هو أساس الخط الذي يكتب به الآن ، واخترع القلم الجليل الذي يكتب به على المباني ونحوها ، وقلم الطومار (الورقة الكبيرة) وهو أصغر أنواع الجليل ، وعرض قطته ٢٤ شعرة من شعر ذنب البرذون ، وحسن عمله غيره من كتاب صدر الدولة العباسية ، حتى ظهر ابراهيم الشّحري وأخوه يوسف من كتاب أواخر القرن الثاني ؛ فولّد ابراهيم من الجليل قلم الثلثين (أى ثلثي الطومار) وعرض قطته ١٦ شعرة ، وقلم الثلث وعرض قطته ٨ شعرات . وولّد يوسف من

(١) أى أصبت

الجليل القلم الریاسی^(١) وهو قلم التوقيع

وعن ابراهيم أخذ الاحول المحرر (من صنائع البرامكة) ، واخترع قلم النصف وعرضه ١٢ شعرة ، وخفيف الثلث والسلسل (هو المشتبك الحروف) وغبار الحلبة^(٢) والرقاع وغيرها . هذه هي أشهر الخطوط . وقد تولد منها نحو من ٢٠ خطا يختص كل منها بغرض خاص . وانفقوا على أن طول الالف يُعتبر معياراً لارتفاع بقية الحروف ، وأن يكون طول الالف مربع مقدار قطة القلم

وعن الأحول أخذ مهندس الخط الأعظم الوزير أبو علي محمد بن مقله وأخوه أبو عبد الله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ وهما اللذان تم على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه على الأشكال التي نعرفها الآن ، وأنما العمل الذي بدأ به قطبة ، فهندس الحروف وقدرها مقاييسها وأبعادها ، وضبطها ضبطاً محكماً ، واخترعها له القواعد . وعن الوزير ابن مقله أخذ أبو عبد الله بن أسد القارئ المتوفى سنة ٤١٠ هـ وعنه أخذ أبو الحسن علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ هـ وهو الذي أكمل قواعد الخط واخترع عدة أقلام ، واليه انتهت الغاية . وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته : كأمين الدين ياقوت الملكي المتوفى سنة ٦١٨ هـ كاتب السلطان ملكشاه السلجوقي

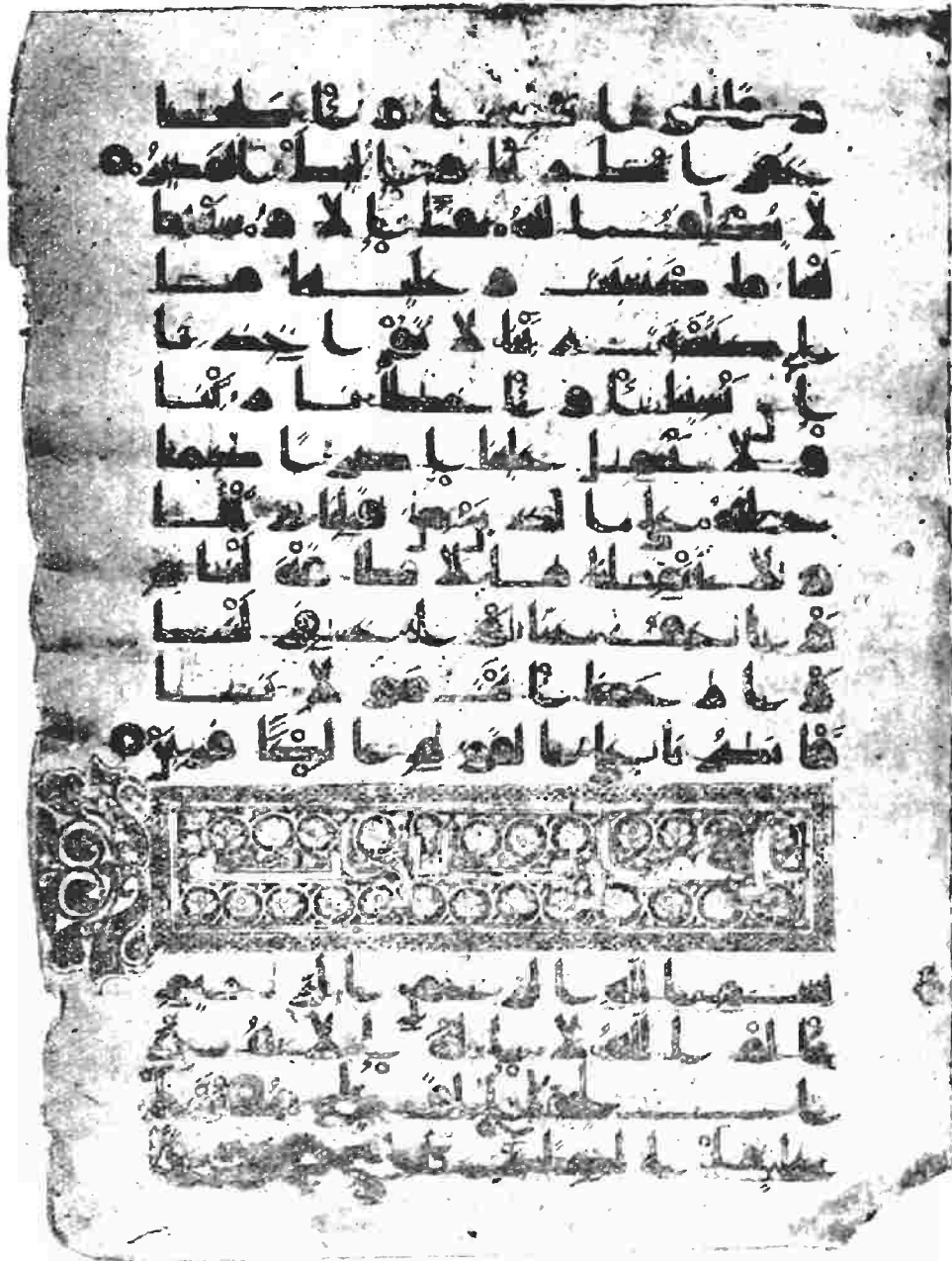
أما الأندلسيون والمغاربة فلم يعبثوا بهذا الإصلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط الحجازي الى الآن بنوع من التعديل

ضبط الحروف بالشكل — قد ذكرنا فيما تقدم طريقة أبي الأسود التي اتبعت في زمن بني أمية وصدر بني العباس ، وبقيت مستعملة في الأندلس الى أواسط القرن الرابع . ولما استكثر الناس من إعجام الحروف لتسهيل التعليم ، اشتبهت نقط الإعجام بنقط الشكل ، مع أن هذه كانت تُنَوَّن بمداد مخالف ، فكان من الصعب وضياح الزمن كتابتها بمدادين . فاخترع الخليل الشكل المستعمل

(١) نسبة الى الفضل ذي الرياستين وزير المأمون (٢) شبه لدقته بنبار حلبة الخيل ويكتب به

في بدائي حرام الزاجل

الآن بأن كتب الضمة واوا صغيرة تكتب فوق الحرف والفتحة ألغا، والكسرة ياء،
والشدة رأس شين (١)، والسكون رأس خاء (٢)، وهمزة القطع رأس عين (٣). ثم
اختزل شكلها وزيد عليها حتى آلت إلى الشكل المعروف الآن. وهالك نموذجاً من
الخط الكوفي المصحفي مضبوطاً بضبط الخليل وأبي الأسود معاً مرسوماً فيه نقطة
الشكل دائرة مفرغة



(١) مخزلة من لفظ (تشديد) (٢) مخزلة من لفظ (تخفيف) (٣) مخزلة من لفظ (قطع)

وَلَا تَحْمِلْنَا مَالًا طَاقَةَ لَنَابِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا	وَقَتْلُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكَتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا
--	--

ابن مقلة

هو الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مقلة، امام الخطاطين ، وأحد كبار الكتاب البارعين . أخذ الخط عن الأحوال المحرر صنيعة البرامكة ، ونم على يديه ويدي أخيه الحسن نقل الخط من الكوفي الى الشكل المعروف في زماننا وكان ابن مقلة يتولى في أول أمره بعض أعمال فارس ويحج خراجها وتنقلت به الأحوال الى أن استوزره الامام المقتدر بالله سنة ٣١٦ هـ ، ثم كاد له أعداؤه عنده قبض عليه سنة ٣١٨ هـ وصادر أمواله ونفاه الى فارس — ثم وزر للراضى فوشى به أعداؤه عنده قبض عليه وعزل وبقي معتزلاً الوزارة . ثم أطمعه نحسه أن يكيد لابن رائق أمير الأمراء ببغداد عند هذا الخليفة المستضعف ، فلم يستطع الخليفة كتمان سره وأفشاه الى ابن رائق ، قبض عليه وقطع يده اليمنى . ثم ندم الراضى على ذلك وأمر الأطباء بملازمته الى أن برأ . وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به . ثم كاد له ابن رائق لما أحس منه مطالبته للوزارة ، وكان عاقبة ذلك أن قطع لسانه أيضاً ، وأقام في الحبس مدة طويلة قاسى فيها عناء شديداً ولم يزل به حتى مات سنة ٣٢٨ هـ

ومن قوله في تلك الحوادث :
إذا مامات بعضك فابك بعضاً فان البعض من بعض قريب
وقوله :

ما سئمت الحياة لكن توثقتُ بأيمانهم فبانت يميني
بعت ديني لهم بدني أي حتى حرموني دنياهمو بعد ديني
واقدرحت ما استطعت بمجدي حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذّة عيش يا حياتي بانت يميني فبيني

الكتابة الانشائية

كتابة الرسائل الديوانية والاخوانية^(١)

كانت كتابة الرسائل في أوائل حكم بني العباس جاريةً على نظام كتابتها
في أواخر عهد بني أمية ، سالكةً الطريق التي سلكها عبد الحميد وابن المقفع
والقاسم بن صبيح^(٢) وعمارة بن حمزة^(٣) ونظراؤهم : من العناية بجعل عبارتها
جزلةً بليغةً متناسبةً الوضع والأسلوب ، لا يُقصد بها إلا إيفاء المعنى الجيد بوضوح
وبلاغة وقوة حجة ، غير منظور فيها الى زخرف اللفظ ومحسناته . وبقيت كذلك
بل زادت حسناً وجمالاً ومراعاةً لمقتضى الحال الى أوائل القرن الرابع . ثم
أخذت الصناعات اللفظية تغلب عليها تدريجاً بتضاؤل ملكة البلاغة في الكتاب
وتقاصر همهم عن استيفاء أداتها : لتغلب الأعاجم من الديلم البويهيين^(٤) والترك

(١) نسبت الى الجمع من قديم وان كان القياس نسبتها الى المفرد وباب النسب واسع
(٢) أصله من القبط أسلم أبوه صبيح زمن بني أمية وكتب ابنه القاسم لاسرائهم ثم كتب
للمنصور ، وهو جده احمد بن يوسف وزير المأمون المشهور (٣) من موالى العباسيين ويضرب
به المثل في البلاغة والكبر . كتب وعمل للمنصور والمهدي
(٤) الدولة الدليمية البويهية من ٣٢٢ — ٤٨٨

أصل أبيهم بويه صياد ورزق السعادة في أبنائه الثلاثة الذين اقتسموا ملك المراقين المجمع
والعربي وفارس والجزيرة ، (واكبرهم) عماد الدولة أبو الحسن علي (صاحب بلاد فارس) توفي
سنة ٣٣٨ بغير عتب ، ونزل عن ملكه لعفد الدولة ابن أخيه ركن الدولة — (وأوسطهم)

السُّلْجُوقِيَّينَ^(١) على سلطان الخلفاء في الشرق وأقلب البربر على شمالي إفريقيا والأندلس في الغرب ، فلم يَعُدْ في الملوك والأمراء من بينهم أمر العربية وبلاغتها . وما زالت كذلك حتى سقطت الدولة العباسية على أيدي الأعاجم من التتار^(٢) ، فكان ذلك عصرَ ابتداء اضمحلال الكتابة وضمحلال اللغة في الجملة ويمكن التنويهُ ببعض التغيرات التي طرأت على كتابة الرسائل أو غلبت عليها في عصر الدولة العباسية بذكر الأمور الآتية :

- (١) تعدد أغراض الكتابة وموضوعاتها بتعدد أعمال الدواوين الكثيرة والرسوم الوفيرة التي استُحدثت في الدولة وتضاعفت مراراً عما كانت عليه في العصر الماضي ، وبما زاد على الرسائل الإخوانية : من استعمالها أو اسط هذا العصر في بعض أغراض الشعر : من الهجاء والمفاخرة كما حدث بين البديع والخوارزمي وغيرها
- (٢) دقة المعاني واستقصاء جميع جزئياتها وترتيب الأفكار ترتيباً منطقيّاً أو نسبيّاً^(٣)
- (٣) الغلو في طرفي الإطناب والإيجاز بحسب مقتضيات الأحوال ؛ فقد كانت الكتب التي تُقرأ على العامة من بيعة أو منشور ، أو أخذ بسياسة ، أو احتجاج للذهب ، أو تفصيل انتصار جيش ، أو نحو ذلك تكتب بغاية الاسهاب والتبيين

ركن الدولة أبو دلي الحسن (صاحب عراق العجم) توفي سنة ٣٦٦ وقسم أملاكه على أولاده الثلاثة عضد الدولة فناخسرو ، ومؤيد الدولة بويه ، وفخر الدولة علي . فبات مؤيد الدولة قبل فخر الدولة فانضمت الى هذا مملكة أخيه ، ثم مات فخر الدولة وخلفه ابنه مجد الدولة — (واصفرهم) معز الدولة أبو الحسين احمد (صاحب العراق والاهواز المستولى على بغداد) توفي سنة ٣٥٦ وتولى بعده عز الدولة بختيار فاغتصب ملكه منه ابن صه عضد الدولة وضم اليه اكثر املاك آل بويه والجزيرة فأصبح اكبر ملك فيهم وتوفي سنة ٣٧٢ وملك بعده ابنه صهصام الدولة ثم شرف الدولة ، ثم ابن الاخير بهاء الدولة ، ثم ابن هذا سلطان الدولة ، ثم اخوه مشرف الدولة ، ثم جلال الدولة بن بهاء الدولة ، ثم اضطرب أمرهم وزالت دولتهم

(١) ينسبون الى جدهم سلجوق وأصلهم من الترك خرجوا على العباسيين في أواخر دولتهم واستولوا على ممالكهم واستقلوا بها استقلالاً داخلياً

(٢) هم الغزاة الجبارة الذين خرجوا من صحراء الغول وأغاروا على اكثر ممالك آسيا من الصين وما وراء النهر وخراسان وبلاد العراق وفارس والشام وأزالوا الدولة العباسية سنة ٦٥٦ بقيادة زعيمهم الاكبر هولاكو خان

(٣) كالترتيب بين الالهم والمهم والكل والجزء والمجمل والمفصل

والإيضاح تقريراً لما في أذهان العامة ، وتفخيماً لشأن السلطان وتعظيماً لنِعَمِ الله عليه وعلى أهل بيته

وعلى عكس ذلك كانت الكتبُ التي تصدرُ عن الخليفة أو الوزير أو الرئيس إلى الوُلاة والمرءوسين في أمر أو نهى أو سؤال عن حدث ؛ فقد كان غُلوهم في الإيجاز فيها يصل إلى درجة الإشارة والرمز ، بل قد يخل بشروط الفصاحة . ومن ذلك التوقيعات ^(١) التي كان يوقعها الخلفاء والوزراء والرؤساء على الكتب التي تُقدّم بقصة حال . ومن أمثله الإيجاز كتاب عمرو بن مسعدة ^(٢) في توصية (كتابي إليك كتابٌ معنيّ بمن كتب له ، واثق بمن كتب إليه ، وإن يضيع حامله بين الثقة والعناية) (٤) سهولة العبارة وانتقاء ألفاظها وجودة رصفها ، فوق ما اتبعه المتأخرون من كتاب العصر الماضي

(٥) شيوع السجع القصير الفقرات غالباً . والولوع بالمحسنات اللفظية كالجناس والطباق والتلميح وحل الأبيات السائرة وضرب المثل ، والتلميح إليه ، وتضمين الأحاديث النبوية ، والحكم المأثورة أو الإشارة إليها ، والاقتباس من كلام البلغاء وتضمين الأنداد من أبيات الشعر ، إلا أن كل ذلك لم يكن ملتزماً في القرنين الأولين من عمر الدولة ، وإنما كاد يأتزم بقية أزمانها وخاصة وقت هزمها ، فغلب السجع على كل الرسائل حتى كتب الفنون . ثم طالت فقراته ، وتنوعت أقسامه ، وأصبحت التورية محك البراعة بين الأدباء والكتاب . ولم ينل أهل الأندلس وشمال إفريقيا في ذلك غلو أهل المشرق

(٦) زيادة أنواع البدء والختام في الرسائل ، فزاد العباسيون في الصورة العامة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صيغة الصلاة والسلام عليه بعد التحميد وتلقّب خليفتهم فيها بالامام ، وتكني بأبي فلان . واتبعوا أيضاً صورة ابتداء عبد الحميد . وهي بعد البسلة :

(١) جمع توقيع وهو أن يلقى ذو الامر اسفل كتاب رفع اليه بما يراه ، بعبارة موجزة تؤثر

هذه (٢) هو أحد وزراء المأمون ومن أبلغ كتاب الإيجاز

(أما بعد فالحمد لله) ويكرر الحمد أو يفرد ، وقد يحذفون (أما بعد) ويتبدئون بصيغة (الحمد لله الخ)

ومن الصيغ التي يُعزَى اختراعها أو مبدأ شيوعها للعصر العباسي البداءةُ بالدعاء . إما بتقديم (أما بعد) أو بغيرها ، وأكثر ما يكون ذلك في الرسائل الإخوانية . ومن أمثلة الدعاء (أدام الله نعمته عليك . وأيدك بروح من عنده . وأطال الله بقاء المولى أو الشيخ ^(١) أو الاستاذ الخ)

ومن الصور التي كانت تستعمل أيضاً :

(كتابي اليك) ويردونه بما يناسب من دعاء أو ثناء أو وصف . ثم صاروا مخاطبون الخلفاء والولاة بالدعاء لهم أو لديوانهم ^(٢) أو لحضرتهم أو لمجلسهم أو لمقرهم . وكانت صور الاختتام لا تقل عن صور الافتتاح ، فقد كان بلفظ (والسلام) أو (والسلام عليك ورحمة الله وبركاته) ثم استعمل في الختام (إن شاء الله) بعد الدعاء أو غيره . وقد يكون بحمدلة وصلاة وسلام . وذلك في الكتب السلطانية ، وقد يزداد عليها الحسبة

(٧) زيادة الرسوم في الألقاب والدعاء وتخصيص كل ذي مرتبة بلقب أو دعاء بما يشعر بتعظيم الملوك والأمراء وتفخيمهم والتهويل بشأنهم . وذاع ذلك أواخر هذا العصر

(٨) اختراع المقدمات في أوائل الرسائل المطولة والعهود والمنشورات

وجملة القول أن الكتابة في هذا العصر عامة ، وفي صدره خاصة ، كانت أرقى ما وصل اليه الانشاء العربي

(١) شاع استعمال لفظ « الشيخ » أو « الاستاذ » أو « الرئيس » في النصف الثاني من حياة الدولة لرؤساء الكتاب والوزراء في الدولتين السامانية والبويهية

(٢) شاع الدعاء للديوان العزيز (أي ديوان الانشاء) وللحضرة والمقر والمجلس أواخر الدولة (الوسيط م — ٢٦)

نماذج من الرسائل والتوقيعات والمقامات^(١)

كتب أحمد بن يوسف وزير المأمون يهني بولود :
أما بعدُ فليس من أمرٍ يجعلُ اللهُ لك فيه سروراً إلا كنتُ به بهجاً ، أعتدُ
فيه بالنعمة من الله الذي أوجب عليّ من حَقِّكَ ، وعرفني من جميل رأيك ، فزادكَ
اللهُ خيراً ، وأدام إحسانه اليك . وقد بلغني أن الله وهب لك غلاماً سريّاً ، أجملَ
صورته ، وأتمَّ خلقه ، وأحسنَ فيه البلاءَ عندك ، فاشتدَّ سروري بذلك ، وأكثرتُ
حمد الله عليه ، فبارك الله فيه ، وجعله باراً تقيّاً ، يشدَّ عضدَكَ ، ويكثر عددَكَ ،
وَيُقِرَّ عينَكَ

وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون في رجل يستشفع له بالزيادة في منزلته
عنده وجعل كتابه تعريضاً لنفسه :

أما بعدُ فقد استشفع بي فلان (يا أمير المؤمنين) لِتَطَوُّلِكَ عليّ في إلحاقه
بُنُطرائه من الخاصة فيما يرتزقون ، وأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب
المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدّي طاعته والسلام — فوق المأمون :

قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك وأجبنك اليهما ، ووقفناك عليهما
ووقع أيضاً الى رجل من أوليائه في أمر تظلم فيه : من علامات الشريف أن
يظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه ، فأى الرجلين أنت

ومن توقيعات جعفر بن يحيى البرمكي في قصة مُتَنَصِّح : بعض الصديق قبيح
(أي في الوشاية) . ووقع أيضاً في قصة مُسْتَمْنَحٍ قد كان وصله مراراً : دَعِ الضَّرْعَ
يَدُرَّ لغيرك كما درَّ لك

ومن مقامات بديع الزمان الهمداني المقامة العلمية وهي :

حدثنا عيسى بن هشام قال كنت في بعض مطارح الغربة مجتازاً ، فإذا أنا برجل
يقول لآخر : بم أدركت العلم ؟ — وهو يجيبه — قال : طلبته فوجدته بعيد المرام ،

(١) جمع مقامات وهي قصة خيالية ذات مغزى أدبي تكتب بعبارة يكثر فيه الغريب والسجع
والحسنات البديعية لتعبد حفظ اللغة وأساليبها

لا يُصطاد بالسهم ، ولا يُقسَمُ بالأُزلام^(١) ، ولا يرى في المنام ، ولا يُضبط باللباس ، ولا يورث عن الاعمام ، ولا يُستعار من الكرام ، فتوصلت اليه بافتراش المندر^(٢) ، واستناد الحجر ، ورد الضجر ، وركوب الخطر ، وإدمان السهر ، واصطحاب السفر ، وكثرة النظر ، وإعمال الفكر ، فوجدته شيئاً لا يصلح الألفرس ، ولا يُفرس الأفي النفس ، وصيداً لا يقع الأفي الندر^(٣) ، ولا ينشَب الأفي الصدر ، وطائراً لا ينجده الأفي قنص اللفظ ، ولا يعلّقه الا شرك الحفظ ، فحملته على الروح ، وجبسته على العين وأنفقت من العيش ، وخزنت في القلب ، وحررت بالدرس واسترحت من النظر الى التحقيق ، ومن التحقيق إلى التعليق ، واستعنت في ذلك بالتوفيق . فسمعت من الكلام ما فتق السمع ، ووصل الى القلب ، وتغلغل في الصدر . قلت يافى ومن أين مطلع هذه الشمس ؟ فجعل يقول :

اسكندرية دارى لو قرّ فيها قرارى
لكن بالشام ليلي وبالعراق نهارى

وكتب أبو محمد القاسم بن على الحريرى فصلاً من المقامة البغدادية على لسان عجوز نستمنح :

اعلموا يا مآل الآمل ، ونمال^(٤) الأرامل^(٥) ، أنى من سرّوات^(٦) القبائل ، وسرّيات^(٧) العقائل^(٨) . لم يزل أهلى وبعلى يملّون الصّدّر ، ويسرون القلب ، ويملّون الظهر ، ويولّون اليد . فلما أرذى الدهر الأعضاد^(٩) وفجع بالجوارح^(١٠) الأكبّاد ، وانقلب ظهراً لبطن ، نبأ الناظر ، وجفا الحاجب ، وذَهبتِ العين ، وفقدت الراحة ، وصلّد^(١١) الزّند ، ووهنتِ اليمين ، وضاع اليسار ، وبانت المرافق ، ولم يبق لنا ثنية^(١٢) ولا ناب^(١٣) فمد اغبر العيش الأخضر ، وازور^(١٤) المحبوب الأصفر^(١٥)

(١) جمع زلم كجبل : سهام كانوا يستقسمون بها فى الجاهلية (٢) الطين اليابس (٣) النادر (٤) من يعول عليه (٥) المساكين من رجال ونساء (٦) مادات (٧) رفيفات القدر (٨) الكرائم (٩) يريد الاعوان (١٠) الاعضاء والمراد الاولاد والخدم (١١) لم يور ناراً . (١٢) فتية من النوق (١٣) الجمل المسن (١٤) مال وانقبض (١٥) أى الدينار

اسودّ بومي الأبيض ، وابيض قودى ^(١) الأسود ، حتى رنى لى العدو الأزرق ،
فحبذا الموت الأحمر

الكتاب

كان أكثر كتاب المشرق فى هذا العصر من سلاسل فارسية أو سوادية ^(٢) وقد بلغوا بحذقهم سياسة الملك ونبوغهم فى البلاغة أن ارتقوا عند خلفاء العباسيين الى مرتبة الوزارة التى لم تكن معروفة قبلهم فى الاسلام ، وأول كاتب منهم ارتقى اليها هو أبو سلمة الخلال . وأشهر من بلغ نفوذ وسلطانه مبلغاً زاحماً فيه الخليفة وأصبح الملك فى قبضته يحيى بن خالد بن برمك ^(٣) وابناه جعفر والفضل ، ثم محمد ابن الزيت فى زمن المعتصم والواثق . وكان كتاب الاندلس والمغرب أكثرهم من سلاسل عربية . وكانت الحجابة فى الاندلس أرقى من رتبة الوزارة . والوزير عندهم يطلق على قرين الخليفة ومستشاره الخاص ، فإذا تولى مرتبة الكتابة والادارة للدولة سمى ذا وزارتين

ومن أشهر كتاب هذا العصر فى المشرق ابن المقفع ، ويحيى بن خالد بن برمك وابناه : جعفر والفضل ، واسماعيل بن صبيح ^(٤) ، وعمر بن مسعدة ، واحمد بن يوسف وابن الزيت ^(٥) ، والحسن بن وهب ^(٦) ، وعلي بن الفرات ^(٧) ، وابن مقلة ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وأبو بكر الخوارزمي ، والبديع ، والصابي ^(٨) والعماد الكاتب ^(٩) والقاضى الفاضل

(١) الفود جانب الرأس (٢) أهل السواد عندهم سكان الفرات من سلاسل البابليين والاشوريين وربما سموهم نبطاً

(٣) كان من اكبر بطانة المهدي ومهرياً لولده الرشيد ثم صار وزيراً ومديراً لدولة الرشيد ثم وزير الرشيد ابنه الفضل جعفر فأما جعفر فعنله الرشيد سنة ١٨٧ وأما يحيى وابنه الفضل فننا فى سجن الرشيد (٤) كان وزيراً لرشيد بعد جعفر (٥) هو محمد بن عبد الملك الزيت كان كاتباً شاعراً داهياً جباراً وزيراً للمعتصم والواثق والمتوكل وقتله المتوكل سنة ٢٣٣

(٦) كان صاحب ديوان الرسائل للمتوكل (٧) كان وزيراً للمقتدر (٨) كان صاحب ديوان الرسائل ببغداد زمن عز الدولة بن بويه وهو من كتاب الاطبا (٩) كان كاتباً لنور الدين بن زنكى صاحب الجزيرة وطلب ثم صار من رؤساء الكتاب عند صلاح الدين الأيوبي

ومن أشهر كتابه في الاندلس ابن شهيد^(١) ، وأبو المطرف بن عميرة^(٢) ،
وابن زيدون ، ولسان الدين بن الخطيب

ابن المقفع

هو محمد بن عبد الله بن المقفع أحد فحول البلاغة وثاني اثنين مهديا للناس طريق
الترسل ، ورفعا لهم معالم صناعة الانشاء ، أولهما عبد الحميد
منشؤه وعمله — كان ابن المقفع من أبناء الفرس الناشئين بين أحياء
العرب . فكان أبوه داذويه المقفع يعمل في جباية الخراج لولاية العراق من قبل
بنى أمية ، وهو على دين المجوسية وولد له ابنه هذا حوالي سنة ١٠٦ هـ وسماه
(رَوْزَبَة) فنشأ بالبصرة ، وهي يومئذ حلبة العرب^(٣) ومجمع الفقهاء والرواة والمحدثين
وأصحاب اللغة ، وحاضرة البر والبحر ، وقرارة المربد^(٤) مُتَدَيِّ البلقاء والخطباء
والشعراء ، فكان لكل ذلك فوق ذكائه المفرط وتأديب أبيه وأخذه له بتعليم
الفارسية وصناعة الكتابة أعظم أثر في تربيته وتهيئته لأن يصير من أكبر كتاب
العربية وعلمائها وأدبائها والمترجمين إليها

ولما ذاع فضله استكتبه في عصر بنى أمية داود^(٥) بن يوسف بن عمر بن هيرة .
ثم كتب في عصر بنى العباس لعيسى بن علي عم الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي
أيام ولايته على كرمان . وعلى يديه أسلم بمحضر من الناس وتسمى (عبد الله)
وتكنى بأبي محمد بدل أبي عمرو . ثم ألزمه أخوه اسماعيل بن علي بعض بنيه ليؤدبه ،
ثم كان آخر أمره في خدمة أخيهما سليمان بن علي أيام ولايته على البصرة . ويظهر
أنه اتصل أثناء ذلك بأبي جعفر المنصور اتصال معرفة لا اتصال خدمة ، فترجم له
كثيراً من الكتب الفارسية واليونانية المنقولة قديماً الى الفارسية . وبقي في خدمة

(١) كان وزيراً للخليفة الناصر الأموي الاندلسي (٢) كان من كتاب ملوك الطوائف والبربر

بالاندلس (٣) الحلبة جماعة الخيل للسباق ، وتستعمل مجازاً في الطائفة من عظماء الرجال

(٤) مكان كان بطرف البصرة على طريق القادم من البادية يجتمع فيه فصحاء عرب البصرة
ويخطبون ويتناشدون وهو الذي خلف عكاظ في الجاهلية (٥) أحد ولاية بنى أمية على العراق

أعمام الخليفة بقية عمره حتى قُتل بالبصرة سنة ١٤٢ قتل سفيان بن معاوية والى البصرة بعد عزل سليمان لضغينة عليه ولائهامه بالزندقة والكيد للإسلام بترجمة كتب الزنادقة الى العربية . وكانت هذه التهمة مما جعل الخليفة يُهمل تحقيق مقتل عند ماشكا عماء عيسى وسليمان والى القاتل اليه ، لا كما يقال من أن الخليفة أمر الوالى بقتله انتقاماً منه لكتابته صورة أمان يؤخذ على الخليفة لاحد أعمامه الخارجين ^(١) وإحراجة فيه بالايان المغلظة اذ أن ذلك مما يجلب عنه مقام أبي جعفر

أخلاقه وبلاغته — كان نادرة في الذكاء غاية في جمع علوم اللغة والحكمة وتاريخ الفرس ، متادباً متغفلاً قليل الاختلاط الأبن على شاكلته ، كثير الوفاء لأصحابه وكان أمةً في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني الى بيان غرض ، وسهولة لفظ ، ورشاقة أسلوب . ولا توصف بلاغته بأحسن مما وصف هو البلاغة حيث يقول « البلاغة هي التي اذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها » وكان يرى أن التتبع لغريب الكلام طمعاً في نيل البلاغة هو العيُّ الأكبر ، وينصح للكتّاب باتباع ما سهل من الألفاظ مع تجنب لالفاظ السقطة . وقد ذاعت طريقة ابن المقفع وعبد الحميد في توخي السهولة وسلامة التعبير مع العناية بإجادة المعنى بين الكتّاب من أهل زمانها ومن بعدهما ، وإنما صعبت عبارة ابن المقفع في الأدب الصغير والكبير ونحوهما لأنه ساقها مساق الفلسفة ويقلب على أساليبه فيها القياس المنطقي وأفكار الفلاسفة الدقيقة التي قلما تظهر للقارئ إلا بعد الكد . ويمتاز عبد الحميد — وإن لم يكن ابن المقفع دونه في البلاغة — بما تسنى له من وضع الأنظمة للرسائل الديوانية

(١) هو عبد الله بن علي خرج على المنصور بالاشام والجزيرة فسير عليه أبا مسلم الحراساني فهزم جموعه وفر عبد الله الى البصرة محتجماً بأخويه اسماعيل وسليمان فطلبه المنصور منهما فلم يجيباه الا بأمان لعبد الله ببيان شروطه فقبل ذلك المنصور فأمر ابن المقفع فاتبهما أن يحررا أماناً يتصعب في شروطه فكان مما كتب (رمى غدر أمير المؤمنين به عبد الله فتساووه طوالق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون في حل من ييمته) فاشتد ذلك عليه وخاصة أمر البيعة ، وحقدتها على ابن المقفع فيقال انه أرغز الى سفيان والى البصرة بقتله خفية . فزاره ابن المقفع يوماً لأمر فقتله وأحرقه وذرى رماده

وتنسيق صور لها ، لانه أُتيح لعبد الحميد ما لم يُتَح لابن المقفع من رياسة الكتابة في دواوين الخلافة ويمتاز ابن المقفع بعلمه وترجمته لكثير من الكتب الفلسفية والأدبية

فقد ترجم ابنُ المقفع كتباً عدّة من الفارسية الى العربية من أشهرها كتاب كَلِيلَة وَدِمْنَة ^(١) . وله في الأدب كتابُ الأدب الصغير والأدب الكبير وكتابُ الدرّة البَيّنة وهي لا تزال مكنونة في طيّ الخفاء ، وإنما طبع الأدب الكبير معنوئاً باسمها خطأ ثم طبع في مصر مسمى باسمه الحقيقي . وهالك نموذجاً من قصار رسائله

قال في السلامة — (أما بعد) فقد أتاني كتابك فيها أخبرتنا عنه من صلاحك وصلاح من قبلك . وفي الذي ذكرت من ذلك نعمةٌ بحالة عظيمة ، يُحمد عليها وليها المنعم المتفضل المحمود . ونسأله أن يلمنّا وإياك من شكره وذكره ما به مزيدها وتأديّة حقها

وسألت أن أكتب اليك بنخبرنا ، ونحن من عافية الله وكفايته ودفاعه على حال لو أظنبتُ في ذكرها لم يكن في ذلك إحصاءٌ للنعمة ولا اعترافٌ بكنه الحق . فترغب للذي تزدادُ نِعْمُهُ علينا في كل يوم وليلة تظاهراً ألا يجعل شكرنا منقوصاً ولا مدخولاً ^(٢) ، وأن يرزقنا من كل نعمة كفاءها ^(٣) من المعرفة بفضله فيها والعمل في أداء حقّها انه وليّ قدير

(١) المشهور أن ابن المقفع ترجم هذا الكتاب من الترجمة الفارسية الفهلوية عن الهندية وبرى بعض أهل الادب من المتقدمين وكثير من ادباء الافرنج المستعربين أنه من وضعه وأنه نقله الهند القدماء لترغيب قراء زمانه في مطالعة كتب الحكمة والفلسفة التي لم يكونوا يأبهون لها الا اذا اسندت الى القدماء ونحن نتابع اصحاب هذا الرأي ولنا ولهم في ذلك ادلة كثيرة يضيّق المقام عن ذكرها

(٢) أي دخله شيء من الرياء ونحوه (٣) أي جزاءها

ابراهيم الصولي

هو أبو اسحاق ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول^(١) كاتب العراق وأشعر أصحاب المقطعات . نشأ ببغداد في بيت كتابة وبلاغة ، فتلقى العلم والأدب عن أهله وأئمة زمانه ، واشتغل بالشعر في حداثة ، فبرع فيه ، وتكسب به . ورحل الى العمال والأمرء يمدحهم ويستميح جدواهم . ثم قصد الفضل بن سهل وزير المأمون أيام مقامه معه بخراسان^(٢) ومدحه ومدح علي بن موسى الرضا العلوي الذي جعله المأمون بمساعي الفضل ولي عهده ، فوهب له على عشرة آلاف درهم . وجعله الفضل كاتباً لأحد قواده . وبعد أن قُتل الفضل وشي به الى المأمون ، فوجد عليه ثم عفاه عنه وبقي يتنقل في أعمال النواحي والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الاهواز^(٣) فتحامل عليه وزيره ابن الزيات (وكان قبل صديقاً له) فعزله وسجنه بها . فكتب اليه كتباً بليغة وقصائد كثيرة يستعطفه بها ، فلم يزد ذلك إلا جفاء وغلظة . ثم اطلع الواثق على ذلك فأطلقه . وتولى ديوان الضياع والنققات في خلافة المتوكل . وكانت بلاغته وظرفه يستران ضعفه في عمله لقله بضاعته في الحساب . ولم يعقه عن تقلد الوزارة إلا اشتهاؤه بالخلاعة . ومات بسر من رأى سنة ٢٤٣ هـ وعمره سبعون سنة

كتابه

وكان ابراهيم أحد كتاب الدنيا في زمانه ويُلقبُ بكتاب العراق وكانت معانيه التي يستخدمها في كتابته كلها مبتكرة . وباعتماده على نفسه واختراعه للمعاني صار كلامه قدوة لغيره ، حتى ضارع الامثال في الشهرة نثراً ونظماً . وهو أحد الذين راعوا الازدواج في فقرات الكتابة ، فاقتدى بهم غيرهم ، وأحد الذين اشتهروا في التعازي

(١) كان صول هذا وأخوه فيروز ملكي جرجان وهما من الترك فنجسا ونشبا بالفرس ثم اسما على يد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة فاتح جرجان زمن بني امية ، فلما قتل يزيد دخل ابنا صول محمد وسعيد في الدعوة العباسية وتعلم أولاد سعيد الكتابة (٢) أقام المأمون بخراسان مدة ولايته عليها زمن الامين كله ومدة محاربه له ، ثم بعد قتله واول الخلافة اليه بقي بها حتى خلعه أهل بغداد وولوا ابراهيم بن المهدي خليفة فرجع الى بغداد وفر ابراهيم (٣) اقليم شرقي البصرة

ومن رسائله تعزية على لسان المنتصر بالله الى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين (أما بعد) تولى الله توفيقك وحياطتك . وما يرتضيه منك ويرضاه عنك . إن أفضل النعم نعمة تُلْقِيَتْ بحق الله فيها من الشكر . وأوفر حادثة ثواباً حادثة أدّى حق الله فيها من الرضا والتسليم والصبر . ومثلك من قدّم ما يجب لله عليه في نعمة فشكرها ، وفي مصيبة فأتاعه فيها . وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد ابن اسحاق مولى أمير المؤمنين (عفا الله عنه) قضاءه السابق والموقع . وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين (أدام الله عزه) وتقديم ما يقدّم مثله أهل الحجا والفهم ما اعتاضه معتاضاً وقدمه موفق . فليكن الله (عز وجل) وما أطمعته به وقدّمت حقه فيه أولى بك في الأمور كلها ؛ فانك إن تقرب اليه في المكروه بطاعته يحسن ولايتك في توفيقك لشكر نعمه عندك

ومن رسائله القصار على لسان المتوكل لاهل حمص الخارجين عليه . وهى من الرسائل التى أغنت عن الجيوش :

أما بعد فان أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه ممّا قوم به من أودّ ، وعدل به من زبغ ، ولم به من مُنتَشِر ، استعمال ثلاث يُقدّمُ بعضهن على بعض ، أولاهن ما يتقدّم به من تنبيه وتوقيف ، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف ، ثم التى لا يقع يحسم الداء غيرها

أناة فان لم تُغن عَقَبَ بعدها وعيداً فان لم يُغن أغنت عزائمه

ابن العميد

هو الاستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ، بوعمداء ملك آل بويه وصدر وزراءهم وهو فارسى الأصل من أهل مدينة (قُم) ^(١) كان أبوه كاتباً مترسلاً بليغاً

(١) بلد بفارس

من كبار كُتّاب الدولة السامانية ^(١) فنشأ ابنه مؤلفاً بمعرفة العلوم العقلية واللسانية؛ فبرّع في علوم الحكمة والنجوم، ونبغ في الأدب والكتابة حتى قيل فيه: (بُدئت الكتابة بعبد الحميد وخُتِمتُ بابن العميد) ثم رحل عن أبيه إلى آل بويه، وتقلد شريف الاعمال في دولتهم إلى أن تولى وزارة ركن الدولة ^(٢) سنة ٣٢٨ فساس دولته ووطد أركانها، وتشبه بالبرامكة ففتح باباً للعلماء والفلاسفة والشعراء والادباء وكان يشاركهم في كل ما يعلمون إلا الفقه. وما زال في وزارته محطّ الرّحال وكعبة الآمال، حتى توفاه الله سنة ٣٣٠ هـ.

وكان ابن العميد أوّل من فتح باب الوكّوع بالرسائل البديعية، متوخياً فيها السجع القصير الفقرات، مقتبساً من القرآن الكريم بعض الآيات، ومن السنة بعض الأحاديث المأثورة، مشيراً إلى الحوادث المشهورة، ناثراً فيها الآيات الحكيمة، موثراً بعض الحلية اللفظية: كالجناس والمطابقة، مضمناً الأمثال السائرة. وحاكاه في طريقته هذه فحول معاصريه، فأصبح عميد رُفقتهم وضليع حليبتهم؛ وكلهم كارع

كتابه

(١) هي من الدول التي استقلت في أواسط الدولة العباسية استقلالاً داخلياً وكانت تملك أواسط آسيا، ومقرها بخارى وماروا النهر، وهم من سلالة الأكرسة
أمراء الدولة السامانية

(٣٥٠ - ٣٤٣)	عبد الملك بن نوح	(٢٧٩ - ٢٦١)	نصر بن احمد الساماني
(٣٦٦ - ٣٥٠)	منصور بن نوح	(٢٩٥ - ٢٧٩)	اسماعيل بن احمد الساماني
(٣٨٧ - ٣٦٦)	نوح بن منصور	(٣٠١ - ٢٩٥)	احمد بن اسمعيل
(٣٨٩ - ٣٨٧)	منصور بن نوح	(٣٣١ - ٣٠١)	نصر بن احمد
ثمانية اشهر	عبد الملك بن نوح	(٣٤٣ - ٣٣١)	نوح بن نصر

بقية خدام العباسيين

(٥٣٠ - ٥٢٩)	المنصور الراشد بالله	(٣٣٤ - ٣٣٣)	عبدالله المستكفي بالله
(٥٥٥ - ٥٣٠)	محمد المفتي لامر الله	(٣٦٣ - ٣٣٤)	القاسم المطيع لله
(٥٦٦ - ٥٥٥)	يوسف المستنجد بالله	(٣٨١ - ٣٦٣)	أبو بكر الطائع لله
(٥٧٥ - ٥٦٦)	حسن المستفيء بأمر الله	(٤٣٢ - ٣٨١)	احمد القادر بالله
(٦٢٢ - ٥٧٥)	احمد الناصر لدين الله	(٤٦٧ - ٤٣٢)	عبدالله القائم بأمر الله
(٦٢٣ - ٦٢٢)	محمد الظاهر بأمر الله	(٤٨٧ - ٤٦٧)	عبدالله المقتدى بأمر الله
(٦٤٠ - ٦٢٣)	منصور المستنصر بالله	(٥١٢ - ٤٨٧)	احمد المستظهر بالله
(٦٥٦ - ٦٤٠)	عبدالله المستنصر بالله	(٥٢٩ - ٥١٢)	فضل المسترشد بالله

(٢) ركن الدولة هو أبو علي بن بويه والد عضد الدولة المشهور

من حياضه ، قاطف من رياضه ، ان لم يكن بالاعتباس منه فبالمشاكهة له ، وان كان هو أقلهم التزاماً للمسجوع ، وأقربهم الى المطبوع ومن رسائله إلى عبد الله الطبرى :

كتابي إليك وأنا بحال لولم يُنغصصها الشوقُ إليك ، ولم يُرَنَّقْ^(١) صفوها التزوع فحوك ، لعدتها من الاحوال الجميلة . وأعددت حظي منها في النعم الجميلة . فقد جمعتُ فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها في جسعي بصلاح ، وفي سعيي بنجاح . لكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بعدى عنك ، ويخلو ذرعى^(٢) مع خلوي منك ، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادى دونك ، وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء من نفسي ، وناظم لشمل أنسى ، وقد حرمت رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك وهل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام^(٣) وينفع أنس بيت بلا نظام^(٤) . وقد قرأت كتابك جعلني الله فداءك فامتلات سروراً بملاحظة خطك ، وتأمل تصرفك في لفظك . وما أقرظهما ؛ فكل خصالك مقرظ عندي ، وما أمدحهما ؛ فكل أمرك ممدوح في ضميري وعقدي^(٥) . وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديرى فيك ، فان كان كذلك^(٦) وإلا فقد غطى هواك وما ألقى على بصرى

المصاحب بن عباد

هو كافي الكفاة أبو القاسم اسمعيل المصاحب بن عباد وزير آل بُويه وكانهم وأحدُ المذيعين للسجع والجناس

ولد سنة ٣٢٦ هـ بطالقان قرزوين . وكان أبوه من خيرة كتّاب دولة بني بُويه ووزرائهم . تعلّم العلم والأدب والكتابة من أبيه ، ثم اتصل بابن العميد ، فلزم صحبته وأخذ عنه الأدب ، وتولّى له كتابة خاصته . ثم تنقلت به الأحوال في خدمة

(١) يكدر (٢) الذرع : الحلق — أى لا يتسع خلق وصدرى مع خلوى منك (٣) أى شطرها عندي وشطرها عندك (٤) أى انك أنت نظامه وقد غبت عنه نفاذه النظام (٥) أى امتنّادى (٦) أى فهو ما أرجوه — وكثيراً ما يحذفون الجواب في مثل هذا المقام

ملوك بني بويه ، فكان وزيراً لمؤيد الدولة ، ثم لأخيه فخر الدولة ، وله في ملكهما اليد المطلقّة والامر النافذ حتى مات سنة ٣٨٥ هـ . وكان مجلسه على يديه وعجبه بنفسه آخر مجلس لوزير جمع بين العلماء والقراء والكتاب والمصنفين والمتكلمين والشيعة ، ولهم منه حظ موفور ، وله منهم لسان شكور

ويعدّ ابن عباد في الكتابة ثانياً ابن العميد في حلّيته وأبلغ من سلك طريقته كتابته غير أنه أولع بالسجع والجناس ، ولا يُعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والأدب مبلغهما ولا حلّ من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما وهو في العلم من كبار المصنفين . ومن أعظم مصنفاته الكثيرة كتابه (المحيط) في اللغة في سبع مجلدات أو عشر

ومن رسائله ما كتب به الى بعض السادة وقد أهدى الى ابن عباد مُصْحَفًا : البرُّ « أدام الله الشيخ » أنواع ، تَطُولُ به أبواع^(١) وتقصّر عنه أبواع ، فإن يكنّ فيها ما هو أكرم منصباً ، وأشرف منسباً فتحفة الشيخ ، إذ أهدى مالا تشا كله النعم ، ولا تعادله القيم : كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفُرْقانه ، ووحيه وتنزيله ، وهداه وسبيله ، ومعجز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليله ، طبع^(٢) دون معارضته على الشفاء . وختم على الخواطر والأفواه ، فقصر عنه الثقلان ، وبقي ما بقى الملوّان . لا تخُجّ سراجهُ ، واضح منهاجهُ ، منيرٌ دليلهُ ، عميقٌ تأويلهُ ، يقصمُ كلّ شيطان مريد ، ويُذِلُّ كلّ جبار عنيد ، وفُضائلُ القرآن ، لا تحصى في ألف قرآن^(٣) ، فأصف الخط الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الاقسام^(٤) ، وزاد في نخوة الاقلام ، بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره ، وعينه فراره^(٥) ، وحقاً أقولُ انى لا أحسبُ أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت ، وابتدع

(١) جمع باع (٢) ختم بالطابع أى لا يمارس (٣) القراءان الثانية بمعنى الجمع أى ان فضائله لا تحصى في ألف كتاب جامع (٤) أى الاجزاء أى لمسة أجزاء الحروف (٥) مصدر فر من الامر بحث عنه و (عينه فراره) مثل يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه

في استكتابها ما ابتدعت ، وان هذا المصحف لزائد عن جميعها زيادة الفرع على الفرعة ، بل زيادة الحج على العمرة

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر اللغوي الأديب الرحالة فخر خوارزم وصاحب الرسائل المشهورة
 'ولد بخوارزم^(١) ونشأ بها ، وكان ضليعاً في كل فن من فنون العربية وخاصة الكتابة والشعر . جاب الاقطار ، ودخل الامصار ، من الشام الى أقصى خراسان ، في استفادة العلم والادب وافادتهما . وكان كثير الحفظ للشعر غزير مادة اللغة . قيل انه قصد حضرة صاحب بن عبّاد وهو بارتجان فلما وصل الى بابه قال لأحد حجابيه قل للصاحب على الباب أحد الادباء وهو يستأذن في الدخول . فدخل الحاجب وأعلمه ، فقال الصاحب : قل له قد أُلزمت نفسي ألا يدخل عليّ من الادباء الا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك : فقال له أبو بكر ارجع اليه وقل له هذا القدر من شعر الرجال أم شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قل ، فقال الصاحب هذا يكون أبا بكر الخوارزمي ، فأذن له في الدخول فدخل عليه فعرّفه وانبسط له

(١) أقليم على بحر خوارزم المسمى الآن بحيرة أرال . وما رواه ياقوت عن بعض متأخري أدبائها وعن مستجمعي أهلها من أنهم ينطقونها بضم الحاء ضمة مختلصة الى الفتحة وأنه لا تحقّق للواو ولا للآف أي أنه ينطق بهما كحرف () الفرنسي مدول عن التعريب الصحيح المطابق لقواعد النطق العربي ، ولذلك لم يقع في شعر فصحاء الادباء ، من أمثال الصاحب بن جاد في قوله :

أقول لركب من خراسان قافل أمانت خوارزميكم قيل لي نعم
 فقلت اكتبوا بالجلس من فوق قبره ألا لمن الرحمن من كفر النعم

فلو نطقت في هذا الشعر كما ينطقها مستجمعو أهلها لاختل الوزن . والذي يدل على أن تحقّق اللواو والالف هو أصل العربية ما رواه ياقوت نفسه عن شاعر عربي من بني أسد في أبيات :

وخافت من جبال السند نفسي وخافت من جبال خوارزم

لجري الشاعر على أنها مركبة من كلمتين خوار بمعنى (الحم) ورزم بمعنى (حظ) في قصة مروية عن قدماء أهلها . فانهم ذلك وارفض كل تعريب لا يطابق لهجاء العربي

وتقلب الخوارزمي في خدمة كثير من الملوك والامراء والوزراء ، في الدول المتفرجة عن الخلافة ، وجلهم يومئذ من الشيعة ؛ فاصطبغ بصبغة التشيع أيضاً ، حتى ألقى عصا التسيار بمدينة نيسابور^(١) وطاب عيشه بها الى ان مُني في آخر أيامه بمساجلة بديع الزمان الهمذاني ومناظرته ومنازلته ، وأعانه عليه قوم من أعيان البلدة ووجوهها ، فانخذل انخذالاً شديداً ، وكسف باله . ولم يحل عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ هـ .

وكان الخوارزمي ممن يجري على طريقة ابن العميد في الكتابة متوخياً جزالة كتابه
الالفاظ مختلفا بصحة المعاني مع ميل فيه الى الغريب
ومن قصار رسائله ما كتبه الى تلميذه له :

ان كنت (أعزك الله) لا ترانا موضعاً للزيارة ، فنحن في موضع الاسئزارة ،
وان كنت تعتقد أنك قد استوفيت ما كان لدينا ؛ فسقط حقنا عنك وبقي حقك
علينا ، فقد يزور الصحيح الطبيب بعد خروجه من دائه ، واستغنائه عن دوائه ،
وقد تجتاز الرعية على باب الامير المعزول ، فتتجمل له ولا تعيره عزله ، ولو لم
تزرنا إلا لترينا رجحانك ، كما طالما رأينا نقصانك ، لكان ذلك فعلا صائباً ،
وفي القياس واجباً

بديع الزمان الهمذاني

هو أبو الفضل أحمد بن الحسن الكاتب المترسل والشاعر المبدع ؛ حافظ عصره وأذكي دهره ، وقدة الحريري في انشاء المقامات ، وقريع الخوارزمي في المباديات والمكائبات

نشأ بهمدان^(٢) ، ودرس العربية والأدب ونبع فيهما ، وضرب في الأرض
يتكسب بأذبه ، ثم أقام بنيسابور مدة أملى بها أربعمئة مقامة^(٣) بلفظ رشيق ، وسجع

(١) كانت مدينة شهيرة من مدن خراسان دمرها التتار عند اجتياحهم الممالك الاسلامية
فخربت ولم تدر بعد (٢) مدينة شمالي فارس (٣) اطاعت المقامة في ذلك العصر على كل قصة
خيالية انشئت بمباراة مسجوعة غالباً ، محلاة بأنواع البديع ، مشتملة على كثير من الغريب

رقيق ؛ وعلى منوالها نسج الحريرى . ثم شجر بينه وبين الخوارزمى ما كان سبباً
فى هبوب ريحه وبعد صيته ؛ إذ لم يكن فى الحسبان أن أحداً يجترئ على الخوارزمى
وبموت الخوارزمى خلا له الجوُّ عند الملوك والامراء ، فجول فى حواضرهم ، ثم
استوطن هراة^(١) وصاهر أحد أعيانها العلماء ، فحسنت حاله ، ونعم بالله ، ولكن
المنية عاجلته وهو فى سن الأربعين سنة ٣٩٨ هـ

وكان البديعُ أسرع أهل زمانه بديهةً . وأكثرت كتابته وشعره مرتجل . كتابته
وكانت عبارته لينةً سهلةً قصيرة السجع ، تشهد بأن صاحبها لم يكدر فيها خاطره .
ولم يتعمّل فى صنعتها . وكان لحيّة ذهنه ، وغزارة مادّته ، وتمكنه من صناعته ، نلّقى
عليه القصيدة الفارسية فيترجمها فى الحال الى العربية شعراً ، ويُقترح عليه الكتابُ
فيبتدئ بآخر سطره وينتهى بأوله ويُخرجه كأحسن ما يكون

(ومن كتابته : ما كتبه موصياً وارث مال) :

وصلت رُفعتك يا سيدى والمصابُ لعمر الله كبير ، وأنت بالجزع جدير ،
ولكنك بالصبر أجدر ، والعزاء عن الاعزة رشيد كأنه الفنى ، وقد مات الميت
فليحي الحى ، فاشدّد على مالك بالخمس ، فأنت اليوم غيرك بالأمس ، قد كان ذلك
الشيخ (رحمه الله) وكيلا ، أضحك ويبكى لك ، وقد موّلك بما ألف بين سُرّاه
وسيره ، وخلفك فقيراً الى الله غنياً عن غيره ، وسيمعجم الشيطانُ عودك ، فان
استلانه رماك بقوم يقولون : خير المال ما أُتلف بين الشراب والشباب ، وأنفق بين
الحباب والأحباب ، والعيش بين الأقداح والقُداح ، ولولا الاستعمال ، لما أريد
المال ، فان أطعمهم فالיום فى الشراب ، وغداً فى الخراب ، واليوم واطربا للـكاس ،
وغداً واحربا من الافلاس . يا مولاي ذلك الخارج من العود بسميه العاقل فقرا ،
والجاهل نقرأ ، وذلك المسموع من الناي هو اليوم فى الآذان زمر ، وغداً فى الأبواب
ممر ، والعمر مع هذه الآلات ساعة ، والقنطار فى هذا العمل بضاعة ؛ وان لم يجد

(١) هى مدينة عظيمة ببلاد الافغان قيل أن الاسكندر المقدونى هو الذى بناها

الشیطان مغرّاً فی عودك من هذا الوجه ، رماك بأخرین یمنلون لك الفقر حذاء
 حینك ، فتجاهد قلبك ، وتماسب بطنك ، وتناقش عرسك ، وتمنع نفسك ، وتبوء
 فی دنیاك بوزرك ، وتراه فی الآخرة فی میزان غیرك ، لا ؛ ولكن قصداً بین
 الطریقتین ، ومیلاً عن الفریقین ، لا تمنع ولا إسراف ؛ والبخل فقر حاضر ، وضیر
 عاجل ، وإنما یبخل المرء خیفَةً ما هو فیهِ ، فلیكن لله فی مالك قسط ، وللرؤءة قسم ،
 فصل الرحم ما استطعت ، وقدر اذا قطعت ، فلأن تكون فی جانب التقدير ، خیرٌ
 لك من أن تكون فی جانب التبذیر

ابن زیدون

هو الكاتبُ الشاعرُ ذو الوزارتین أبو الولید أحمدُ بنُ عبد الله المشهور بابن
 زیدون الخزومی الاندلسی . ولد سنة ٣٥٤ ، ونشأ فی مدينة قرطبة^(١) حیث كان أبوه
 من أعیان فقهاها ، وتادب علی كبار أئمتها ؛ وقال الشعر وأجاده ، وحفظ من مشهور
 شعر القدماء والمحدثین ماجری مجرّی الأمثال ، ومن أخبار العرب وأیامها وأمثالها
 وحكمها شیئاً كثيراً

ولما نزلت عليه شاة من شعراء قرطبة وكتبها وأدبها ، اتصل بابن الولید بن جهور
 أحد ملوك الطوائف ، فحظى عنده ؛ ودمعه بقصائد الطائفة وصدرت عنه فی دولته
 الرسائل البديعة حتى أصبح لسان دولته الناطق ؛ وحسنتها الملوك تحسناً عذواً
 وأفسدوا ما یبینه وین ملک ، وأحس منه ابن جهور دالة علیه ظنّها عمالة لأعدائه
 فحفظه . ومكث فی محبته مدة استشفع فیها الیه بقصائد أبدعها ورسائل استغند
 فیها حبه ، فما ألانت له قلباً ، ولا ننت له عطفاً ، فأعمل الحيلة فی قراره من سجنه
 وخلّص الی المعتضد بن قباد ملك إشبيلية^(٢) اذ كان أشدّ ملوك الطوائف رغبةً

(١) مدينة قرطبة علی نهر الوادی الکبیر بالاندلس . وكانت قاعدة الدولة الأموية وآل جهور
 من ملوك الطوائف بعدهم (٢) مدينة عظيمة علی نهر الوادی الکبیر أيضاً بالقرب الجنوبي من
 الاندلس ولا تزال الی الآن من أمر مدنها

فيه وأكثرهم تمسكاً بالأدب كما كان أبسطهم رُقعة مُلْكٍ ، فألقى اليه مقاليد وزارته ،
وأصبح صاحبَ أمره ونَهْيِهِ ، وشريكه في مجلس جِدِّه وأُنسِه

ولمات المعتضدُ وخلفه ابنه المعتيدُ كان له كما كان أبوه وأغدق عليه بَره ونعمه .

ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بأشبيلية سنة ٤٦٣ هـ

ولما كان ابنُ زيدون منذ نشأته مطبوعاً على الشعر غلبت ملكته عليه
في كثير من كتابته إذ كانت مجموعة أبياتٍ منشورة ، وتلميحاتٍ الى حوادث
مشهورة وأمثال وحكمٍ في فِقارٍ غير مسجوعة غالباً ، سالكاً فيها طريقَ التهويل
والمبالغة في فُرُوضه وأقيسته ونشبهاته . وجرى على ذلك في رسالتيه الهزلية التي
كتبها على لسان ولادة بنت المستكفي يتهم فيها بالوزير أبي عامر بن عبدوس ،
والجدية التي استعطف بها ابن جهور

وقد شرحهما الأديب وعُذُو ابتفصيل ما فيهما من الأخبار والأشعار والحكم وتراجم
الشعراء ، وأشهر تلك الشروح شرح ابن نُباتة للهزلية والصفدى للجدية . ولولا جمع
هاتين الرسالتين لكثيرٍ من فنون اللغة والأدب والتاريخ ما نسخت شهرته
بالكتابة عند المتأخرين شهرته بالشعر عند المتقدمين حتى كان يلقب عندهم بـ *بُحْتَرِيّ*
المغرب . ولا يقدح ذلك في بلاغته ، وفصاحة عبارته ، ف مقام الرجل في سعة اطلاعه
وسرعة خاطره أشهرُ من أن يُنَوَّه به ، فقد قيل انه دفن بنائاً له ، ووقف لي شكر
الناس لتشييع جنازتها فما أعاد في ذلك الوقت عبارة قلها لأحد ، وتلك غاية لا تدرك
في القدرة على صناعة الكلام

ومن فصوله في الرسالة الجدية :

هذا العُتْبُ محمودٌ عواقبه وهذه النبوة ^(١) غمرة ^(٢) ثم تنجلي ، وسحابة .

(١) الجفوة (٢) أصلها من غمرة الماء تستعمل في كل كربة نعتري المرء

حسيف عن قليل تقشع^(١) ، ولن يريني^(٢) من سيدى أن أبطأ سببه^(٣) ، أو تأخر
- غير ضنين - غناؤه^(٤) فأبطأ الدلاء^(٥) فيضاً أملوها ، وأثقل السحائب مشياً
أحفلها^(٦) ، وأنفع الحيا^(٧) ما صادف جدباً ، وألذ الشراب ما أصاب غليلاً^(٨) ،
ومع اليوم غدٌ ، ولكل أجل كتابٌ . له الحمد على اهتباله^(٩) ولا عتب عليه
في اغتفاله^(١٠)

فإن يكن الفعل الذى ساء واحداً فأفعاله اللاتى سررن ألوف^(١١)

القاضى الفاضل

هو أبو على عبد الرحيم البيسانى^(١٢) اللخمي^(١٣) ، كاتب الديار المصرية ،
وصاحب الطريقة الفاضلية ، والكتابة البديعية . ولد بمدينة عسقلان^(١٤) سنة ٥٢٩
وتعلم على أبيه^(١٥) وغيره . ولما شدا من العربية شيئاً قدم مصر وهو شابٌ وأخّر
الدولة الفاطمية لتعلم الكتابة والخدمة فى الديوان وتوجه الى ثغر الاسكندرية .
وتعلم فى ديوان ابن حديد قاضيا وكاتبها . وظهر فضله فيما كان يرسله الى القاهرة
من الرسائل ، فاستقدم أيام الظاهر اليها ، وكان من كتاب ديوانه . ولأزم خدمة
أكابر القضاة والكتاب فى الديوان وأخذ عنهم وحاكهم

ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى وزارة صلاح الدين بن أيوب ، وكان يتردد
بين مصر والشام فى الحروب الصليبية ، ودبر المملكة أحسن تدبير . وبقى
فى الوزارة حتى مات صلاح الدين فوزر لابنه العزيز على مصر ، ثم وزر من بعده
لأخيه ، ومات سنة ٥٩٦ هـ

(١) نزول (٢) يوقفى فى الريب وسوء الظن (٣) عطاؤه وعرفه ، والمراد به هنا الرضا والمغو
(٤) نعمه ومعروفه (٥) جمع دلو (٦) أملاؤها (٧) المطر (٨) شدة عطش (٩) الاهتبال
الاغتنام — أى على اغتنام منه نعمته السابقة (١٠) أى اعمله لى (١١) البيت لامتني وواحد أ
خبر يكن (١٢) نسبة الى بلدة بفلسطين (١٣) نسبة الى قبيلة لحم الجمانية (١٤) بلدة على
ساحل فلسطين شمال غزة وهى خربة الآن (١٥) هو قاضى عسقلان بهاء الدين على البيسانى

وكان خيراً ديناً ، مُحسناً ، وفياً ، مفرماً بجمع الكتب . وبلغ عدد ما جمعه من أقطار الأرض منها نحو مائة ألف مجلد . ومهر القاضى الفاضل فى الكتابة ، كتابته وطوّح به استقلاله فيها الى توليد طريقة غريبة أخذ اصولها عن بعض كُتّاب الشام والعراق ومصر فجعل اصولها السجع الطويل غالباً والاستعارة والطباق ومراعاة النظير والتلميح . وغالى جداً فى التورية والجناس فأصبحت الكتابة بهذه الطريقة صناعية محضة تجري مع مناسبات الألفاظ أكثر من جرياتها مع إصابة الغرض والبلاغة . وكانت كتابة القاضى الفاضل مع كل هذه القيود بليغة فى ذاتها اسعة اطلاعه وغزارة مادته ، وسرعة بديهته ، وصفاء خاطره ؛ إلا أن طريقته خدعت بعده كُتّاب مصر والشام وغرّبت الى الأندلس ، فتكلف الجرى عليها كل قليل البضاعة من الأدب مُتمدداً على تمّёл البديع الذى لا يكلف صاحبه أكثر من معرفة خمسين أو ستين نوعاً منه . فظهرت سيئات هذه الطريقة فى العصور التى تلت عصره

كتب من رسالة يصف قلمة فتحت : هى نجم فى سحاب ، وعُقاب فى عقاب^(١) ، وهامة ، لها العمامة عمامة ، وأنملة اذا خَضَبَها الأصيل كان الهلال لها قَلَامَة^(٢) عاقدة حُبوة^(٣) صالحها الدهر ألا يحلُّها بقرعه^(٤) بادية عصمة صاحبها الزمن على أن يروعا بخُلْمِه^(٥) فاكتنفت بها عقارب منجنقات لم تطبع طبع حمص فى العقارب ، وضربت بها بحجارة أظهرت فيها العداوة المعلومة فى الأقارب^(٦) ؛ فلم يكن غير ثلاثة إلا وقد أثرت فيها الحجارة جُدرِيّاً بضربها ، ولم يصل الى السابعة إلا والبحر مؤذن بنقها ؛ فاتسع الخرق على الراقع ، وسقط سعده عن الطالع ، الى مولد من هو اليها طالع ، وفتحت الابراج فكانت أبوابا ، وسيرت الجبال فكانت سرابا

(١) جم عقبة (٢) ما يقص من الظفر (٣) أن يجمع الإعرابى بين ظهره وساقه فى جلوسه جنوب أو عمامة وهى جاسة مريجة (٤) بمحاذته (٥) الخلع نوع من الطلاق (٦) أى أن حجارة بالمنجنقات تضرب بحجارة القامة

التدوين والتصنيف

كانت الحاجة الى التدوين قد اشتدت في مبداء الدولة العباسية لاتساع ممالك الاسلام ، ولدخول كثير من الأمم المتحضرة فيه . ولتعدد الوقائع والحوادث التي لم يكن لها نظير فيما سبق من السنة . فهب العلماء الى تهذيب ما كتبت في الصحف المنفرقة ، وما حفظوه في الصدور . ورتبوه وبوؤوه وصنفوه كتباً . وكان من أقوى الأسباب لإقبال العلماء على التصنيف حث الخليفة أبي جعفر المنصور عليه ، وحثه الأئمة والفقهاء على جمع الحديث والفقه ، وبذله في سبيل ذلك الاموال الجزيلة . ولم يقتصر على معاضدة العلوم الاسلامية ، بل أوعز الى العلماء والمترجمين من السريان والفارس أن ينقلوا الى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب والسياسة والحكمة والفلك والنجوم والآداب . وتابعه في ذلك أولاده وأحفاده ، حتى زخرت بحور العلم واخترعت الفنون وتفرعت المسائل ودونت الكتب في كل فن وانقسمت بذلك العلوم قسمين عظيمين :

(١) العلوم الإسلامية من شرعية ولسانية (ب) العلوم الكونية المنقولة ولكل من هذين في نشأته طريق محدود ، ورجال معدودة . ويعتبرون أن سنة ١٤٣ هـ هي مبداء النهضة العلمية العربية ^(١)

كتابة التصنيف والتدوين

وكانت كتابة التصنيف والتدوين في القرن الأول وبعض الثاني من النهضة عبارة عن سلسلة من الروايات المسندة الى روايتها : من أحاديث نبوية ، أو أقاويل صحابة ، أو فتاوى فقهاء ، أو أشعار أعراب ، أو أخبار فتوح ، أو نوادر أو غير ذلك . وبعضها يروى بلفظ أصحابها غالباً : كما في الشعر والخطب والرسائل ، وبعضها

(١) وهي السنة التي حجج فيها المنصور والتي في المدينة بمالك بن أنس وأمره بتأليف كتاب الموطأ في الفقه والحديث ، وعند رجوعه الى الامصار أوعز بنفسه وبولائه الى العلماء بتدوين الكتب في كل فن ، وكان أكثرهم يحجم عن التأليف تورطاً وخوفاً من الزلل ومن أن عملهم قد يفضي على طول الزمان الى تحريف الدين وخطئه بأراء الناس

بلفظ الراوى ، كما فى أخبار الفتوح والتاريخ و المقصص . ثم ظهرت بعد ذلك فى العلوم الشرعية واللسانية طبقات الاستنباط والتعليل والتفريع والشرح والاختصار وجمع الفروع تحت كليات عامة ، فلم يكن للمؤلفين بدٌّ من حذف أسانيد الروايات وترك المحافظة على نقلها بلفظها الا فى الحديث ونحوه

أما كتب العلوم المترجمة فكانت عبارتها هى تفسير الفاظها الأعجمية بالعربية . ولم تكن ترجمتها جيدة فى عهد المنصور . ثم صُحِّحت ترجمتها فى زمن الرشيد والمأمون . ثم لما اتقن كثير من فلاسفة المسلمين هذه العلوم كتبوا فيها بعبارتهم . وكانت أول أمرها بليغة مفهومة ثم عموها على بعض الفقهاء المكفرين لهم والمغربين الأمراء والسلاطين بقتلهم ، حتى أصبحت عبارة كتب الفلسفة والتوحيد أصعب ما يُقرأ باللسان العربى

العلوم اللسانية ونشأتها

العلوم اللسانية هى الأدب ، والتاريخ ، والعروض ، والنحو ، واللغة ، والبلاغة

الأدب

علم الادب بالمعنى الذى ذكرناه فى أول الكتاب يمتاز من بقية العلوم الصناعية ذوات القواعد كالنحو والبلاغة ، ومن التاريخ وفروعه ، وإن كان يتوقف على الإلمام بها . وكانت كتبه أول هذا العصر رسائل يَبْحَثُ كلُّ منها فى ضرب خاص من ضروبه ، كرسائل ابن المقفع ورسائل سهل بن هرون^(١) فى الاخلاق ، وكتاب النوادر وكتاب الاراجيز ، وكتاب الشعر للاصمعي ، وكتاب الشعر والشعراء لأبي عبيدة^(٢) وإذا تابعنا من يقول إن ابن المقفع هو الذى ابتدع كتاب كلیلة ودمنة ونحلة الهند والفرس كان هذا الكتاب أول كتاب ظهر فى الادب العربى الخاص بموضوع واحد

(١) هو أحد الكتاب والمؤلفين من أبناء الفرس وكان شعورياً يتفلسف ويفضل البخل على الجود ، وخدم فى دولة المأمون بالترجمة والتأليف والقيام على الكتب (٢) هو معمر بن النخعي أحد أئمة العربية وقرين الاصمعي فى المنزلة والتلمذة للخليل . وكان شعورياً أيضاً توفى سنة ٢٠٩

وأول كتاب ظهر فيه جامع لفنون كثيرة منه كتاب البيان والتبيين ،
 وكتاب الحيوان للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ ، واقتنى أثره أحمد بن طيفور^(١) في كتابه
 العظيم المنظوم والمنثور في أربعة عشر جزءاً ، ثم أبو العباس محمد المبرّد^(٢)
 في الكامل والروضة ، ثم أبو حنيفة الدينوري^(٣) ، وأبو بكر محمد الصولي^(٤)
 وابن قتيبة^(٥) صاحب أدب الكاتب ، وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ،
 وأبو علي القالي^(٦) صاحب الامالي ، وأبو الفرج الاصبهاني^(٧) صاحب الاغانى وغيرهم
 ومن أشهر المؤلفين في الأدب الجاحظ واحد بن عبد ربه والحريرى . وهاهى
 ذى تراجمهم :

الجاحظ^(٨)

هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكينانى
 البصرى صاحب التصانيف الممتعة والرسائل المبدعة
 ولد حوالى سنة ١٦٠ بمدينة البصرة ، ونشأ بها ، فتناول كل فن ، ومارس كل
 علم عرف فى زمانه ، مما وضع فى الاسلام ، أو نقل عن الامم الاوائل ، فأصبح له
 مشاركة فى علم كل ما يقع عليه الحس أو يخطر بالبال ، فهو راوية ، متكلم ،
 فيلسوف ، كاتب ، مصنف ، مترسل ، شاعر ، مؤرخ ، عالم بالحيوان والنبات

(١) هو من تلاميذ الجاحظ توفى سنة ٢٨٠ ويوجد من كتابه هذا ثلاثة أجزاء فى دار الكتب
 السلطانية (٢) أخذ العلم من تلاميذ الاصمعى وكان امام البصريين فى زمانه وكتاب الكامل من خيرة
 كتب الادب المطبوعة وتوفى سنة ٢٨٥ (٣) هو أعلم علماء النبات وكتاب النبات له من أمهات
 كتب هذا الفن وله غيره تأليفات كثيرة فى الادب وتوفى سنة ٢٨٢ (٤) من كبار مؤانى
 الادب وظرفاء الندمان وألب أهل زمانه بالشرنج وتوفى سنة ٣٣٥ (٥) هو أبو محمد عبد الله
 ابن مسلم من كبار كتاب الادب واثمة القفا والنحو توفى سنة ٢٧٦

(٦) كان من كبار أدباء المشرق رحل الى خلفاء بنى أمية بالاندلس وحظى عندهم وأصله من
 قالى فلا بآرمينية توفى سنة ٣٥٦ (٧) هو هلى بن الحسين من سلالة بنى أمية — وكتاب
 الاغانى أشهر من أن يذكر توفى سنة ٣٥٦ (٨) يسمى الجاحظ والحدق أيضا لبحر الجحوظ حدقنى
 صلبه وكان دميم الوجه

والموت ، وصَّافٌ لأحوال الناس ووجوه معاشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحيلهم
الأنَّ انه غلب عليه أمران : الكلام على طريقة المعتزلة ، فهو بذلك امام الطائفة
الجاحظية من المعتزلة ، والأدب المزوج بالفلسفة والفكاهة ؛ فهو أول من ألف
الكتب الجامعة لفنونه ككتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وغيرها

وكان غايةً في الذكاء ودقة الحسّ وحسن الفراسة ؛ الى دُعابةٍ فُشِيهِ ، وقلة
اعتداده بما يأخذ به الناس أنفسهم وينتحلونه من الرسوم والعادات وأنواع العصبية
المذهبية ، وعدم مبالاةٍ بوقوع المتورعين فيه . وكان سمحاً جواداً كثير المواساة
لاخوانه . وكان على دمامة خاتمه وتناقض خلقه خفيف الروح ، فكِه المجلس ،
غايةً في الظرف وطيب الفكاهة وحلاوة الكلام . وهو على الجملة أحد أقداد
العالم ، وإحدى حجج اللسان العربيّ

فصاحته وكتابه

قرأ الجاحظ أكثر الكتب المعروفة في زمنه اسلاميةً ومنقولةً ، فاستخلص
بذكائه العجيب من كل ذلك علوماً جمّة فألف أشتاتها على تنافرها ، ونسق ضروبها
مع تضاربها ، فتطامن له بلطفه شائخها وانقاد له بحسن رياضته حرونها قهيا لملكته
منها جملة مطاوعة لأرادته يستنبط منها ماشاء ويصرفها أنى شاء ، وانتحل لنفسه من
طرق البلغاء والمصنّفين طريقة كان أبا عذرتها وابن بجندتها^(١) وهى طريقته التى
تحبب القراء فى القراءة : بتوخى التصنيف فى الموضوعات الشهية اللذيذة ، أو التى لم
يسبق اليها كاتب ، أو الامور الحقيرة التى لا يخطر على البال أن يؤلف فيها كلام ،
مع سهولة عبارة وجزالة لفظ وإطناب غير ممل : باستعمال كثير من مترادف
الألفاظ والجل العذبة واستطراد مروح على النفس : بإيراد طريف الاخبار والنوادر
ومزج للجد بالهزل ، واستقصاء وتفصيل فى وصف ما يعنى بشرحه أو الاحتجاج له ،
وتأنطف لتعظيم الصغير حتى يعظم وتصغير العظيم حتى يصغر

(١) يقال فلان ابو عذرة هذا الامر أى أول من سبق اليه ، والبجدة العلم وباطن الامر
وداخله وابن بجدة هذا الامر أى العالم به

وأقام الجاحظ أكثر عمره بالبصرة يعيش معيشة الأدباء والعلماء محبوباً لولائها وأعيانها محبوباً منهم بالعطايا والمنح بما يصنفه لهم من الكتب المتفقة مع أهوائهم المختلفة ونكسب قليلاً بالكتابة في ديوان السلطان زمن وزارة ابن الزيت وكان كثير الانتجاع للخلفاء والوزراء ورجال الدولة ببغداد وسراً من رأى حتى فلج بالبصرة وبقي مفلوجاً بها مدةً إلى أن انتقل إلى بغداد فمات بها ودفن بمقبرة الخيزران^(١) سنة ٢٥٥ هـ وله أكثر من مائتي كتاب طبع منها في مصر كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وكتاب البخلاء وكتاب التاج (في أخلاق الملوك) ومجموع لبعض رسائله

أحمد بن عبد ربه

هو أديب الأندلس وشاعرها أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي صاحب العقد الفريد

ولد رحمه الله تعالى سنة ٢٤٦ هـ ، ونشأ بمدينة قرطبة ، ودرس علوم العربية من الشعر والأخبار والملح والنوادر والتاريخ واللغة والنحو ، فنبغ في جميعها ، وحفظ منها ما لم يحفظه أحد من علماء زمانه ، وقرأ رسائل المحدثين من المشاركة وما ترجم من كتب الأوائل في أكثر العلوم وأودع زُبْدَ ذلك كتابه العقد الفريد

وكان رحمه الله يشتغل في حدائته بالشعر ويجري في مضمار اللهو والطرب ونظم في ذلك من القصائد والمقطعات الرقيقة الجميلة ما جعل المتنبي — علي صلفه وكبره — حين سمع شعره يسميه (مليح الأندلس) . ثم أقلع في كبره عن صبوته وأخلص لله في توبته فاعتدَّ أشعاره التي قالها في الغزل واللهو عملاً باطلاً وعمل على أغاريضها وقوافيها قصائد في الزُّهد يعارضها بها وسماها المحصّات . ونال من خلفاء بني أمية بالأندلس دنيا عريضةً وحلَّ عندهم في المكان الأسمى

وبقي بقرطبة رئيساً مسوداً حتى فلج . وعاش كذلك عدّة سنين ثم مات بها

سنة ٣٢٨ هـ

(١) الخيزران هي أم الرشيد

كتاب العقد الفريد

لا يختلف اثنان في أن كتاب العقد الفريد من أجل كتب الادب العربي وأربابها فائدة وأصدقها خبراً وأحسنها تبويباً وتفصيلاً اقتصره وألفه في أكثره على جمع أخبار المشرق ، وأخبار كتابه وأدبائه ليتحف بها أهل وطنه ؛ إلا أن اشتهاره وجزالة فائدته لم يقف به عند هذا الحد ، بل رجع الى أهل المشرق وعد من أركان الأدب بين كتبهم ، فأقبلوا على دراسته والاقتناس منه ولا سيما متأخريهم . وأما منزلة الكتاب بيننا الآن فهو استاذ كل متأدب في عصرنا هذا ، ولبت الناس في نصف القرن الماضي وقلما كانت لهم في الادب والكتابة مادةٌ سواه وسوى مقدمة ابن خلدون لسبقهما في الطبع والنشر أكثر الكتب ؛ ولولا أنهما وقعا مُحَرَّرَيْنِ في جميع مرار طبعهما لما فضلهما أيُّ كتاب طبع إلى الآن

وللعقد الفريد فوق هذا مزيةٌ لا يعدله فيها سواه ، وهي جمعه لكثير من الرسائل والخطب والقصص والفوائد التاريخية التي بادت الأصول المأخوذة هي عنها وبقيت مخلدةً فيه مثل مشاورة المهدي لأهل بيته ، وخطب الوفود وغير ذلك . ويؤخذ عليه بعض هفوات صغيرة في نقله بعض أخبار المشرق بلا تحقيق ، ويعذره في ذلك مقبول

الحريري

هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري الكاتب الشاعر اللغوي النحوي صاحب البدائع المأثورة في مقاماته المشهورة وهو عربي الأصل ينتسب في ربيعة الفرس . ولد سنة ٤٤٦ بمشأن البصرة ، وسكن تحلة بني حرام بمدينة البصرة فنُسب اليها ، وانقطع لتعلم اللغة والنحو والأدب حتى صار نادرة زمانه فيها ، وامتاز بصناعة الانشاء البديعي . فحاكي بديع الزمان الهمداني في عمل المقامات ، وأنشأ خمسين مقامةً ، أتى فيها على كثير (الوسيط م - ٢٩)

من موادّ اللغة وفنون الأدب ، وأمثال العرب وحِكَمها ، وبعض مسائل العلوم الدقيقة — بعبارة مُسجَّعة مزينة بأنواع البديع ، ولا سيما الجناس ترغيباً للطلاب في حفظ اللغة وأدبها وتفكيرها لهم بقراءتها . ونحلّ وقائعها أبا زيد السَّروُجِيّ ، وهو أعرابي فصيحٌ من سَروُج^(١) كان قد قديم البصرة وأعجب به علماؤها ، وسمى راويها عنه الحارث بن همام (يُريدُ نفسه) وأهداها الى الوزير جمال الدين بن صدقة وزير المسترشد العباسي ، فأصبحت هذه المقامات أمثل مثالٍ يُحتذى في الكتابة البديعية التي غلبت على الكتاب أو آخر العصر العباسي وتوارثها من بعدهم إلى قبيل عصرنا الحاضر وان لم يستطيعوا الإبداع فيها . وقد شُرِحت المقامات عدّة شروح ، وترجمت إلى عدة لغات . وغاية ما أخذه كتاب الإفريج عليها وحدة مغزاها وأن أكثرها لا يخرج عن اكتساب المال بطرق خسيصة كالشحاذاة والاستجداء والحريري العذر في ذلك لأن فرض روايتها عن الاعراب (وهم كانوا لا يقدّرون المدن إلا منتجبين مستجدين) يجعل خياله مقبولا .

وله غير المقامات شعرٌ كثير ورسائل بديعة وكتب في النجوم واللغة ، منها كتابه درّة الفواص في أوهام الخواص ، ومُلحة الاعراب في النحو ، وتوفي بالبصرة سنة ٥١٥

فن التاريخ

قدمنا أن أوّل ما وضع في التاريخ باللغة العربية هو الكتاب الذي وضعه عبيد ابن شَرِيّة لُمعاوية رضوان الله عليه ، وفي صدر الدولة العباسية وضع كثير من العلماء كتباً في التاريخ بأقسامه التي من أشهرها :

- (١) فن السير والمغازي — وأشهر من ألف فيه من الأوائل محمد بن اسحاق^(٢)
- (٢) فن الفتوح — وأشهر من ألف فيه منهم الواقدي^(٣) والمدائني^(٤) وأبو مخنف^(٥)

(١) بلدة كانت بالجزيرة الفراتية (٢) توفي سنة ١٥١ (٣) هو ابو عبد الله محمد بن عمر ابن واند ، دولى بن هاشم توفي وهو قاض ببغداد سنة ٢٠٧ (٤) هو المؤرخ الثقة ابو الحسن هلى بن عبد الله المدائني توفي سنة ٢٢٥ (٥) هو لوط بن يحيى المؤرخ الاخبارى توفي سنة ١٥٧

(٣) فن طبقات الرجال — وأشهر علمائه القدماء ابن سعد^(١) كاتب الواقدي والبخاري

(٤) فن النسب — وأشهر قدماء علمائه الكلبي^(٢) وابنه

(٥) فن أخبار العرب وأيامها — وأشهر علمائه أبو عبيدة والأصمعي

(٦) قصص الأنبياء وكتب فيه كثيرون

(٧) تاريخ الملوك ومن أقدم من كتب فيه ابن قتيبة والهيثم بن عدي^(٣) وابن

واضح اليعقوبي^(٤) ثم شيخ المؤرخين وعمدتهم محمد بن جرير الطبري^(٥) الجامع كتابه

هذه الفنون السابقة مرتباً على حسب السنين الهجرية وحاكاه بعده ابن الأثير^(٦)

على في تاريخه الكامل

العروض والقافية

أول من اخترع علم العروض الخليل بن أحمد من غير سابقة تعلم على أستاذ أوتدرج في وضعه، بل ابتدعه جملة واحدة وحصر فيه أوزان العرب في خمسة عشر بجزاً وزاد عليه تلميذ تلميذه الأخفش بجزاً آخر ثم لم يزد عليها أحد ممن تأخر عنها شيئاً يُعَدُّ به

أما القافية فقد كان العلماء قبل الخليل يتكلمون فيها ولكن الخليل هو أول من فصل الكلام فيها وجعلها علماً مدوناً

النحو

جاءت الدولة العباسية والنحو علم يدرس في المساجد بالبصرة والكوفة ولكن البصريين سبقوا الكوفيين في الاشتغال به كما سبقهم الكوفيون في الاشتغال بالشعر وعلم الصرف

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن أبي نعيم الزهري توفي سنة ٢٤٠ (٢) هو أبو نصر محمد بن السائب النسابة المفسر توفي سنة ١٤٦ هـ . وابنه هو النسابة أبو المنذر هشام بن محمد توفي سنة ٢٠٤ (٣) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الراوية المؤرخ توفي سنة ٢٠٦ (٤) هو أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الرحالة توفي سنة ٢٤٨ (٥) توفي سنة ٣١٠ (٦) توفي سنة ٦٣٠

ومن أكبر الأئمة الذين اشتغلوا بالنحو وهذبوه وفصلوه من البصريين أبو عمرو ابن العلاء ^(١) وتلميذه الخليل وتلميذ الخليل سيبويه صاحب أول كتاب عظيم جامع وضع في النحو ، ثم بعده الأخفش ^(٢) تلميذ سيبويه وشارح كتابه . ومن الكوفيين معاذ الهراء ^(٣) والرؤاسي ^(٤) وتلميذهما الكسائي وتلميذه الفراء ^(٥)

ثم لما زحرت بغداد بالعلوم وكثرت الفتن بالبصرة والكوفة ، هاجر منها إليها كثير من العلماء امتزجت مذاهبهم وتكون منها مذهب بغدادى جديد . وكذلك اختار الاندلسيون لأنفسهم مذهباً رابعاً ^(٦) . وكل هذه المذاهب مقبسة إما من مشافهة الأعراب الفصحاء أو من مدارس دواوين شعرهم ، أو من مدارس القرآن الكريم . وفي النحو والصرف ما لا يحصى من الكتب : مطولات ومختصرات وهو من العلوم التى نضجت وأينعت

علم اللغة

ويسمى متن اللغة ونعنى به معرفة معانى ألفاظها المفردة وأول ما وضع الأئمة فيه رسائل وكتب صغيرة فى موضوعات خاصة : كالألفاظ المتعلقة بخلق الانسان أو الجمل أو الفرس أو النخلة أو السيف . فلما ظهر الخليل أحصى ألفاظ اللغة بطريقة حسائية فى كتاب ، ورتبه على حروف المعجم ، مقدماً حروف الخلق ومبتدئاً منها بالعين ،

(١) هو الحجة الثبت القزوينى النحوى الراوية واسمه كنيته . توفى سنة ١٥٤ (٢) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط تولى سنة ٢١٥

(٣) هو أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء واضع علم العرف وأقدم نحاة الكوفة ، توفى سنة ١٨٧
(٤) هو أبو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي شيخ الكسائي والفراء وأول من ألف فى نحو الكوفيين
(٥) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء امام النحاة الكوفيين والبغداديين توفى سنة ٢٠٧
(٦) لم يتكون مذهب الاندلسيين الا بعد ان قلت رحلاتهم الى المشرق فى القرن الرابع وما بعده لكثرة الفتن فيه وللكساد سوق العلم عند ملوكه من الاطام وفساد السليقة فى الجزيرة . وكان الاندلسيون قد نقلوا من السنة وكلام العرب الكثير الجمل فكفوا عليه واستدركوا على المشاركة ما قاتهم من قواصده ، وعدلوا عن بعض آرائهم فيه . وحفظوا تراثه لاهل العربية زمناً كاد يصفر الشرق من أهله أو اخر مصر العباسى والمصر الذى بعده . ومن اشهرهم فى هذا المصر ابن سيده وابن خروف وابن عصفور والاعلم الشنفرى وابن الضائع

ولذلك سقى مُعْجَمُهُ « كتاب العين ». ثم ألف أبو بكر بن دُرَيْدٌ ^(١) معْجَمَهُ الْعَظِيمَ الَّذِي سَمَاهُ الْجُمْهُرَةَ رَتَّباً لَهُ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ بِتَرْتِيبِهَا الْمَعْرُوفِ الْآنَ . وَأَدْرَكَ عَصْرَهُ الْأَزْهَرِيُّ ^(٢) فَأَلَفَ كِتَابَ التَّهْدِيبِ عَلَى تَرْتِيبِ الْخَلِيلِ . ثُمَّ وَضَعَ الْجَوْهَرِيُّ ^(٣) كِتَابَهُ الْمُسَمَّى بِالصَّحَاحِ عَلَى تَرْتِيبِ الْجُمْهُرَةِ ، وَابْنُ سَيِّدِهِ ^(٤) الْأَنْدَلُسِيُّ كِتَابَهُ الْمَحْكَمَ عَلَى تَرْتِيبِ الْخَلِيلِ . وَابْنُ فَارَسٍ ^(٥) كِتَابَهُ الْمَجْمَلُ ، وَالصَّاحِبُ بْنُ عَبَادٍ كِتَابَهُ الْمَحِيطُ . وَهَذِهِ هِيَ أَصُولُ كُتُبِ اللُّغَةِ ، وَمَا بَعْدَهَا : مِنَ الْعُبابِ وَالتَّكْلَةِ وَمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ لِلصَّافِي ^(٦) وَالْأَنْهَاءِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ^(٧) ، وَلِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ مُكْرَمٍ ^(٨) ، وَالْمُصْبَاحُ لِلْفَيُومِيِّ ^(٩) ، وَالْقَامُوسُ لِلْفَيْرُوزِآبَادِيِّ ^(١٠) فَوُجِعَ لَهَا أَوْ اخْتَصِرَ مِنْهَا

علوم البلاغة

المعاني والبيان والبدع

لَمْ يَصْنَفِ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ فَرَّغُوا مِنْ تَدْوِينِ الْعُلُومِ الَّتِي تُحْفَظُ الْكَلَامَ الْعَرَبِيَّ مِنْ حَيْثُ أَعْرَابُهُ وَتَصْرِيفُهُ وَمَادَّتُهُ . فَلَمَّا أَتَمُّوا ذَلِكَ بَحَثُوا فِي بَلَاغَةِ الْكَلَامِ

وَيُظْهِرُ أَنَّ أَوَّلَ كِتَابٍ دُوِّنَ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ كَانَ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ وَهُوَ كِتَابُ مَجَازِ الْقُرْآنِ لِأَبِي عُبَيْدَةَ تَلْمِيزِ الْخَلِيلِ ، ثُمَّ تَبِعَهُ الْعُلَمَاءُ . وَلَا يَعْلَمُ أَوَّلَ مَنْ أَلَفَ فِي الْمَعَانِي بِالضَّبْطِ وَإِنَّمَا أُثِرَ فِيهَا كَلَامٌ عَنِ الْبَلْغَاءِ ، وَأَشْهَرُهُمُ الْجَاهِظُ فِي اعْجَازِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ . وَأَوَّلُ

(١) هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ تَوَفَّى سَنَةَ ٣٢١ هـ (٢) هُوَ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَزْهَرِ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٧٠ هـ (٣) هُوَ أَبُو نَصْرِ اسْمَعِيلُ بْنُ حَمَادٍ الْجَوْهَرِيُّ الْمَتَوَفَّى فِي حُدُودِ سَنَةِ ٤٠٠ هـ

(٤) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ هَلِي بْنُ اسْمَعِيلِ الْأَنْدَلُسِيِّ الْفَرِيرِ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٥٨ هـ

(٥) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ فَارَسٍ الرَّازِي الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٩٥ هـ

(٦) هُوَ أَبُو الْفَضْلِ رَضِيَ الدِّينُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّافِي الرَّحَالَةَ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٦٥٠ هـ

(٧) هُوَ أَبُو السَّمَادَاتِ مُحَمَّدُ الدِّينُ الْمُبَارَكُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَزْرِيُّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٦٠٦ هـ

(٨) هُوَ أَبُو الْفَضْلِ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُكْرَمٍ الْمَشْهُورُ بِابْنِ مَنْظُورٍ أَيْضاً تَوَفَّى سَنَةَ ٧١١ هـ

وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعَمْرِ الثَّلَاثِي

(٩) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْمَقْرِي الْفَيُومِيُّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٧٠ هـ مِنْ أَهْلِ الْعَمْرِ الثَّلَاثِي

(١٠) هُوَ أَبُو طَاهِرٍ مُحَمَّدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٨١٦ هـ مِنْ أَهْلِ الْعَمْرِ الثَّلَاثِي

من دون كتباً في علم البديع ابن المعتز وقدامة بن جعفر^(١) . وقبل ذلك كان البديع يُستعمل في الشعر عملاً . وبقيت هذه العلوم تتكامل ويزيد فيها العلماء حتى جاء فحلُ البلاغة عبدُ القاهر الجرجاني^(٢) فألف في المعاني كتابه دلائل الإعجاز . وفي البيان كتابه أسرار البلاغة . وجاء بعده السكاكي^(٣) فألف كتابه العظيم مفتاح العلوم : فبسط مسائل البلاغة بما لم يزد عليه غيره فيها شيئاً كبيراً من أصول الفن

الخليل بن أحمد

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي البصري نابغة العرب ، وسيد أهل الأدب ، ومخترع العروض ومبتكر المعجمات ، وصاحب الشكل العربي المستعمل الآن

ولد سنة ١٠٠ بالبصرة ونشأ بها ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه وأكثَرَ الخروجَ إلى البوادي ، وسمع الأعراب الفصحاء ، فنبح في العربية نبوغاً لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه ، وكان غاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه ، فبسطه وفرّغ على أصوله ، وجعله علماً مضبوطاً ولقن ذلك تلميذه سيبويه ، فكان كتابه الذي يعتبر أصل كل كتاب في النحو معقوداً أكثره بلفظ الخليل . والخليل هو الواضع للشكل المستعمل الآن في ضبط الحروف ومما يشهد له بجدّة الفكر وبُعد النظر اختراعه العروض علماً كاملاً لم يحتاج إلى تهذيب بعده ، وابتكاره طريقة تدوين المعجمات بتأليف كتاب العين ، وتدوينه كتاباً دقيقاً في الموسيقى على غير معرفة باغة أجنبية واشتغال بلهو . وزاد في الشطر نج قطعة سماها جملاً لعب بها الناس زمناً . وبقي الخليل مقبلاً بالبصرة طول حياته زاهداً متعقفاً متعقفاً مكباً على العلم والتعلم حتى مات سنة ١٧٠ هـ ويقال في سبب موته انه قال أريد أن أعمل نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البقال فلا يظلمها فدخل المسجد وهو يُعمل فكره فاصطدم في سارية صدمة شديدة ارتج منها دماغه واعتل من ذلك ومات رحمه الله تعالى

(١) هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣١٠ هـ

(٢) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ

(٣) هو أبو يعقوب سراج الدين يوسف السكاكي الحواري المتوفى سنة ٦٢٦ هـ

سيبويه

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر^(١) إمام البصريين وحجة النحويين وصاحب الكتاب شيخ الكتب^(١)

ولد بالبيضاء من سلالة فارسية ، ونشأ بالبصرة ، وكان يطلب أول أمره الحديث والفقه . فعينت عليه لجنة لحنها في مجلس شيخه فنجل وطلب النحو ولزم الخليل ، وأخذ عن غيره أيضاً . وكان الخليل يؤثره على أصحابه ، فدوّن جميع ما أخذه عنه ونقله عن غيره في كتابه الذي لم يجمع قبله مثله . ولو لا هذا الكتاب الذي رواه عنه وشرحه تلميذه الأخفش ما كان لسيبويه خبرٌ يشهر : لوفاته كهلا ولقلة من أخذ عنه هذا الكتاب ، ولأنه لا يعرف له كتابٌ غيره وبحسبك هو . ولما أحس فضل معرفته في النحو وأنه أصبح شيخ البصريين ، خرج إلى بغداد وافداً على البرامكة ، فجمعه يحيى بن خالد بالكسائي شيخ الكوفيين . فتناظرا في مجلس أعيد لذلك ، فكان من مسائل المناظرة أن سأل الكسائي : ما تقول في قول العرب : (كنت أظن أن العقب أشد لسةً من الزنبور فاذا هو هي ، أو فاذا هو اياها) فقال سيبويه : فاذا هو هي ، ولا يجوز نصب . فقال الكسائي : العرب ترفع ذلك وتنصبه . واشتد بينهما الخلاف ، وتحاكما إلى رواة الأعراب بباب يحيى فقصوا للكسائي ، فامتنان سيبويه ، فقال الكسائي ليحيى (أصلح الله الوزير) وقد عليك مؤملاً فإن رأيت أن لا تردّه خائباً . فأمر له بعشرة آلاف درهم

وما يروى في هذه الحكاية من غير هذا فمن زيادة متعصبي البصريين ، وليس في العلم كبير . وخرج سيبويه بعد هذه المناظرة إلى ناحية بلدته البيضاء بفارس . ومات بها سنة ١٨٠ هـ بعد نحو عشر سنين من المناظرة . وسنه نيف وأربعون سنة

(١) فإن إذا ذكر الكتاب عند النحويين والأدباء فأنما ينصرف إلى كتاب سيبويه فهو علم عليه بالغة ، وهو أصل كل كتاب في النحو ولهذا ولقد وضعه أطلقنا عليه (شيخ الكتب)

الكسائي

هو أبو الحسن علي بن حمزة أحد القراء السبعة وإمام الكوفيين في النحو واللغة نشأ بالكوفة وتعلم على الكبر بعد لحنه لحنها أمان جمع من طلبة العلم، ف لازم أمة الكوفة حتى أنفذ ما عندهم ، ثم خرج الى الخليل بالبصرة وجلس في حلقة ، وأعجبه علمه . فقال له : من أين علمك هذا ؟ قال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ؛ فخرج اليها وأنفذ خمس عشرة قتيبة خبير في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ عنهم . ولما رجع من البادية وجهه اليه المهدي فخرج الى بغداد فخطب عنده وضمة الى حاشية ابنه الرشيد ، ثم جعله الرشيد مؤدب ولده الأمين ، وبقي وجيهه عنده فكان يجلسه هو والقاضي محمد بن الحسن^(١) صاحب أبي حنيفة على كرسيين متميزين بحضرته ، ويأمرهما أن لا ينزعجا لقيامه ومجيئه . وما زال على هذه الكرامة حتى خرج الرشيد الى الري^(٢) وهما في صحبته ، فماتا في يوم واحد فبكاهما وقال : دفنت الفقه والعربية بالرأي ، وذلك سنة ١٨٩ هـ . وقد انتهت اليه إمامة القراءة والعربية بالكوفة وبغداد ، واختار لنفسه قراءة أقرأ بها الناس . وكان يروي الشعر وليس له فيه جيد نظر

العلوم الشرعية

التفسير

لم يدون علم التفسير في كتب جامعة تجمع سور القرآن الكريم كلها إلا في عصر الدولة العباسية . وكان التفسير عبارة عن نقل روايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبين المراد من آياته ، وأول طبقة من المفسرين أدركت الدولة العباسية أو نشأت في صدرها طبقة سفيان بن عيينة^(٣) ووکیع بن الجراح^(٤)

(١) هو أبو عبدالله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني وأحد صاحبي أبي حنيفة (٢) كانت من حواضر بلاد فارس وبالقرب من أطلالها انشئت مدينة طهران الحالية (٣) هو أبو محمد سفيان ابن عيينة بن عيمون مولى بني هلال المحدث الفقيه المفسر توفي سنة ١٩٨ بمكة (٤) هو أبو سفيان وکیع بن الجراح بن مليح صاحب أبي حنيفة وأحد المحدثين المفسرين المعبود توفي سنة ١٩٨ هـ

وشعبة بن الحجاج واسحق بن راهوييه^(١) ومقاتل بن سليمان^(٢) والفراء
ومن أشهر التفاسير التي رُوِيَتْ من طريقهم تفسيرُ ابن عباس^(٣) ، وقد رُوِيَ
من طرق مختلفة صحةً وضعفاً ، وطُبِعَ ببعض طرقه الضعيفة في مصر ، فهو بذلك
أقدمُ تفسير نعرفه . ثم جاءت بعد هذه الطبعة طبعة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري^(٤)
وتفسيره أوّل كتاب عظيم صحيح وضع في التفسير على مذهب السلف ، وتابعه
في ذلك الثعلبي^(٥) وتلميذه الواحدى^(٦) . ومنهم استمدّ كل ذى تفسير بعدهم .
ثم نشأت طائفةٌ أدخلت في التفسير بعض مباحث العلوم الأخرى كالنحو . والفقه ،
والأصول ، والكلام ، والبلاغة ، والقصص . ثم تجردت طائفة الى التفسير
بالرأى والقياس ، فانقسم التفسير قسمين ، سلفياً وفنياً . واستمر الأمر على ذلك
إلى وقتنا هذا

الحديث

أوّل كتابٍ جُمعَ في الحديث الكتابُ الذى أمرَ الخليفة الأموى عمر بن
عبد العزيز بتدوينه ، ولم يعرف له خبرٌ بعدُ . ثم أخذ العلماء يدوتون فيه بحض
الخليفة العباسى أبى جعفر وأولاده . فدوّن الإمام مالكٌ موطأه في الحديث والفقه .
ولما اشتدّت رغبة الناس في طلب الحديث ، وضع كثيرٌ من الزنادقة واليهود
المتظاهرين بالإسلام كثيراً من الأحاديث فتجرد لها الأئمةُ الأعلام وبيّنوا صحيحها
من فاسدها ، وكان من أفضل القائمين بذلك اسحق بن راهوييه وتلميذه محمد بن
اسماعيل البخارى الذى دوّن كتابه في الأحاديث الصّحاح فقط ، وتبعه تلميذه

(١) هو أبو يعقوب اسحق بن ابراهيم الملقب براهويه النخعي الحنظلى نسباً المفسر المحدث توفى
سنة ٢٣٨ هـ (٢) هو مقاتل بن ساجان الباهلي المفسر منهم يضاف الرواية توفى سنة ١٥٠ هـ
(٣) هو عبد الله بن العباس عم النبي (صلى الله عليه وسلم) بن عبد المطّاب بن هاشم حبيب
قريش وطالما توفى بالطائف سنة ٦٨ هـ (٤) هو أبو جعفر محمد بن جرير الفقيه المجتهد المفسر المؤرخ
توفى سنة ٣١٠ هـ (٥) هو أبو عبد الله احمد بن محمد بن ابراهيم الشافعى النيسابورى المفسر المشهور
توفى سنة ٤٢٧ هـ (٦) هو أبو الحسن دلى بن احمد بن محمد الواحدى المصنف المفسر توفى سنة ٤٦٨ هـ
(الوسيط م — ٣٠)

مسلم بن الحجاج^(١) والإمام أحمد بن حنبل وأصحاب كتب السنة الصحاح وهم الترمذى^(٢) — وأبوداود^(٣) — والنسائي^(٤) — وابن ماجه^(٥) . هذه هي أصول الكتب في الحديث . وبعضهم جمعها كلها ، وبعضهم اختصرها

الإمام البخارى

هو أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، إمام المسلمين ، وسيد الحديثين ، وصاحب الجامع الصحيح أجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله العزيز

ولد ببخارى من سلالة فارسية سنة ١٩٤ هـ ونشأ بها يتيماً فحفظ القرآن وألم بالعربية وهو صبي ، وحُبِبَ إليه سماع الحديث ، فكان أوّل سماعه من علماء بخارى ، وهو لم يناهز البلوغ ، حتى حفظ عشرات الألوف من الأحاديث ، وكان أهل الرغبة في الحديث يتعادون خلفه ويجلسونه في بعض الطريق ويكتبون عنه . وهو بعد شاب لم يطرّ شاربه^(٦) وخرج مع أمه وأخيه الى مكة فحجوا وتخلّف هو لطلب الحديث ، ودخل من أجله أكثر ممالك المشرق : من خراسان والجليل والعراق والشام ومصر ، وأخذ عنه علماءها وأئمتها ومنهم أحمد بن حنبل ، وتفقه على مذهب الشافعى ، ثم صار له مذهب خاص . ولما نضج علمه واجتمع له يقينه ، شرع في تمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها بعد أن عرّف عللها ووجوها معرفة لم تنم لأحد قبله ، فكان بذلك المقدّم على علماء الأرض . واستخرج كتابه (الجامع الصحيح) من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة جمع فيه تسعة آلاف

(١) هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابورى أحد الشيخين وصاحب ثانى الصحيحين ، ولد سنة ٢٠٦ وتوفى سنة ٢٦١ هـ (٢) هو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى الضرير المتوفى سنة ٢٧٩ (وترمز مدينة على جيحون) (٣) هو أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ « وسجستان الانليم الشمال من بلوستان » (٤) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ ونشأ بفتح النون وفتح السين وبمدها همزة مدينة بخراسان (٥) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه المتوفى سنة ٢١٣ هـ (٦) أى لم يبت شاربه

حديث مكرّر بعضها بتكرّر وجوها . وقال انى جعلته حجة بينى وبين الله . فأجهم علماء السنة على أنه لم يكن فيها أصح منه

وبقى طول حياته يتردد بين الأمصار حتى اشتاق الى بلاده فرجع اليها وابتلّى فيها بفتنة حاقّ القرآن ، فأثار عليه والى بخارى العامة فأخرجوه منها ، ومات فى (خرّ تنك) قرية من قرى سمرقند سنة ٢٥٦ هـ

علم الفقه

لما كان المروى عن رسول الله وظاهر نص القرآن لا يستوعبان كل أحكام الوقائع المختلفة المتجددة بتجدد الزمان والمكان . كان الاجتهاد ضرورياً فى الدين ، وجاءت الدولة العباسية وأهل الحجاز يرجحون جانب الأخذ بالحديث لكثرة روايته بينهم ، وامامهم فى مذهبهم مالك بن أنس ، وأهل العراق يرجحون الأخذ بالقياس ، وامامهم فى مذهبهم أبو حنيفة لكثرة ما وضعه متزندقة العراق فى الحديث . ثم لما دخل أهل الحجاز العراق وتساوى الفريقان فى معرفة الاحاديث عملوا بهما ، ونشأ من ذلك عدة مذاهب أشهرها مذهب الشافعى ومذهب أحمد بن حنبل ، وهذه المذاهب الاربعة هى التى ارتضاها معظم الأمة فى أمر دينها ودنياها

نم كان لكل مذهب أئمة مجتهدون فيه

الامام أبو حنيفة النعمان

هو الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت فقيه العراق وقدوة أهل الراى وصاحب المذهب المقضى به الآن فى أكثر الممالك الاسلامية

ولد سنة ٨٠ هجرية ، من سلالة فارسية ونشأ بالكوفة وعاصر بعض الصحابة ، واشتغل بالفقه ، وأخذ كل علمه عن شافى الصحابة ونقل عنهم ، واستنبط فقهه من القرآن الكريم وما صح عنده من الحديث على قلته مع استعمال الراى والقياس ، وتابعه فى ذلك أكثر أئمة العراق : لقلة رواة الحديث الصحيح بينهم ، وكثرتهم فى الحجاز وكان من أعبد الناس وأكثرهم تهجداً وقراءة للقرآن الكريم ، وأكثرهم

ورعاً وتوخيّاً للكسب من وجه حلّ . رَضِيَ أَنْ يَعِيشَ تاجِرَ خَزٍ وَرَغِبَ عَنْ
وظائف الملوك والخلفاء ، وعرض عليه القضاء من قِبَلِ أمراء بني أمية ثم المنصور فأبى ،
فسيجته وآذاه ، حتى قيل : انه مات في سجنه ، وكان يعتذر بأنه لا يأمن نفسه أن
تزلّ . وقرأ عليه علماء الكوفة وبغداد ، ونخرج عليه منها الأئمة من أصحابه
كمحمد بن الحسن وأبي يوسف ^(١) وزُفَر ^(٢) ومات رحمه الله ببغداد سنة ١٥٠ هـ

الامام مالك

هو أبو عبد الله مالك بن أنس امام دار الهجرة وسيد فقهاء الحجاز . وهو عربي
من سلالة أقيال حمير

ولد سنة ٩٥ بالمدينة المنورة ونشأ بها ، وأدرك خيار التابعين من الفقهاء والعباد
ورحل اليهم ، وأخذ عنهم ، وما زال يدأب في التحصيل وجَمَعَ السُنَّةَ حتى صار
حجةً من حُجَجِ الله في أرضه وُضِرَبَ به المثل فُقِيلَ (لا يفتي ومالك بالمدينة)
وعرّف الخلفاء قدره فأجأوه ، وحملوا اليه بدرهم . وسُئِلَ به الى عامل المنصور بالمدينة
فجرّده وضربه سبعين سوطاً . ولما بلغ ذلك المنصور غضب على عامله وعزله وأقدمه
الى بغداد على قتب ، واتي المنصور مالكا من قابل في موسم الحج فاعتذر اليه ،
واستسمحه وفاتحه في كثير من مسائل الدين ، وطلب منه أن يجمع ما ثبت لديه
ويُدَوِّنَهُ في كتاب وَيُوطِّئَهُ للناس ، فاعتذر ، فلم يقبل منه عذراً فألّف كتابه الموطأ
في الحديث والفقه ، فجاء وليُّ عهده المهدي من قابل حاجباً فسمعه منه وأمر له
بخمسة آلاف دينار وألّف لتلاميذه . ولم يلبث أن مات المنصور ، وزاحم فقهُ
أهل العراق فقهُه ، ولكن ذلك لم يمنع الرشيد أن يرّحلَ هو وأولاده اليه بالحجاز
ليسمع موطأه فسمعه وأغدق عليه . وكان مالك أول أمره فقيراً ، فلما كثرت منحه
الخلفاء له حسن حاله فأظهر نعمة الله عليه ، ووصل أهل العلم وأشركهم في ماله ومنهم

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصارى نسباً صاحب أبي حنيفة ومذهبه
وأول من تسمي بقاضي القضاء بمدينة السلام (بغداد) توفي سنة ١٨٢ هـ (٢) هو أبو الهذيل زفر
ابن الهذيل النخعي العبدي صاحب أبي حنيفة توفي سنة ١٥٨ هـ

الشافعي . أما أخلاقه : من الكرم والطلاقة والوقار والنبل والتواضع والحب لرسول الله عليه الصلاة والسلام فانها تجلّ عن الوصف ، حتى انه كان لا يركب دابةً في المدينة اجلالاً لأرض ضمت جسد رسول الله . وتوفي سنة ١٧٩ بالمدينة ودفن بالبقيع ^(١)

الامام الشافعي

هو أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع عالم قريش وفخرها ، وامام الشريعة وحبرها . وهو من ولد المطلب بن عبد مناف ، ولد بمدينة غزة ^(٢) سنة ١٥٠ وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين ونشأ بها فقيراً تربيه امه ويواسيه ذوو قرابته من قريش ، وما مئز حتى صار نادرة الدنيا ذكاء وحفظاً : حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وأولع بالنحو والشعر واللغة ورحل إلى البادية في تطلبها ولم يناهز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئاً كثيراً . ثم تفقه وحفظ موطأ مالك وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة ، ثم رحل في هذه السن الى مالك وقرأ عليه الموطأ من حفظه ، فقال مالك : ان يكن أحد يفلح فهذا الغلام ؛ وأضافه وخدمه بنفسه . ثم رجع الى مكة ، وعلم بها العربية والفقه ، وصحح عليه الاصمعي شعر الهذليين . ثم ان الرشيد ولي أحد أصدقاء الشافعي عملاً باليمن فخرج معه وولى بعض الأعمال فأحسن التصرف ، ثم وشي به الى الرشيد ، وقبض عليه ، فلم يتبين شيئاً في أمره ، فأطلقه . ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ فاجتمع عليه علماءؤها وأخذوا عنه ، وأملى بها مذهبه القديم . وفي سنة ١٩٩ أو سنة ٢٠٠ خرج الى مصر فالتقى بها عصاه وسكن القسطنطينية فكانت دار هجرته ، وبها أملى مذهبه الجديد ^(٣) بجامع عمرو . واستنبط الشافعي مذهبه من القرآن والحديث والقياس وبعض الرأي فكان مذهبه وسطاً بين أهل الرأي من أصحاب أبي حنيفة وبين أهل الحديث من أمثال مالك وأحمد ، وتوفي سنة ٢٠٤

(١) هي مقبرة المدينة المنورة (٢) من سراق الشام قريبة من حدود البلاد المصرية

(٣) لانه اثناء اقامته بالعراق واثناء مروره بالجزيرة والشام في رحلته الى مصر لى كثيراً من ثقات المحدثين وعلم منهم ما لم يعلم ورأى من عرف الناس في الحجاز واليمن والعراق والجزيرة والشام ما جعله يعدل عن بعض آرائه في جلب المصلحة ودرء المفسدة

وقبره بمصر معروف مشهور . وكان الشافعي أفضل من رأى الناس ذكاءً وعقلاً وحفظاً وفصاحة لسان وقوة حجة ، ولم ينظر أحداً إلا ظهر عليه واجمال القول انه كان إماماً في كل شيء حتى الرمي بالسهام فكان يصيب منه تسعة من عشرة

الامام أحمد بن حنبل

هو الامام الصابر المحتسب أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني نسباً ، حافظ السنة وقدة أهل الحديث وأعبداً أهل زمانه . ولد ببغداد من سلالة عربية سنة ١٦٤ فتعلم العلم وطلب الحديث وسمع من أئمة وقته ، وكان الحديث وقتئذ قد أئنع وكثرت رجاله وصنفت كتبه وتميز صحيحه من موضوعه ، فلقى من لا يحصى من رجاله ، فجاب البلاد وطوف الأمصار حتى حفظ مئات الألوف من الأحاديث ، واختار منها نيفاً وأربعين ألف حديث ضمنها كتابه المسند ، واستنبط مذهبه من السنة مشوباً بشيء من القياس والرأى ، وظهرت في مدته فتنة خلق القرآن^(١) فامتحن بها في مجالس المعتصم ليحببهم إلى القول بخلق القرآن فلم يفعل فضرب سبعة وعشرين سوطاً ضرباً موجعاً فسال منه الدم وأغمى عليه ، ولما خيف عليه التلف أطلق فبقى في منزله مدة مريضاً ثم عوفي واشتغل بالعلم والتعليم ببغداد حتى مات سنة ٢٤١ هـ

علم الكلام

كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يستدلون على عقائدهم بظاهر الكتاب والسنة . وما وقع فيهما من المتشابه أو أوهم التشبيه المنافي لتنزيه المعبود توقفوا فيه خوف أن يحيد بهم تغفلهم في التأويل عن القصد ، فيقعوا فيما وقع فيه الامم قبلهم فينفرق أمرهم ويكونون شيعاً ، ومن لم يتوقف منهم لم يبعد عنهم كثيراً ، غير أن

(١) كان الخليفة الأمامون يشكر على من يقول ان القرءان قديم لأن ذلك يقتضي تمدد القدماء اللفظ الى تمدد الآلهة بل يقول انه حادث مخلوق

ذلك لم يفتح من دخل في الاسلام من الطوائف التي امتلأت دياناتها بالشبه والأوهام ، فكثر جدلهم في شبههم بالأقيسة الصناعية والعقلية ، فاضطر العلماء أن يجاروهم ويعارضوهم بمثل ذلك ، وساعدتهم الخلفاء وأولهم المهدي الذي حرضهم على تدوين علم الكلام (التوحيد) . فافترق المرحضى عن مذهبهم من علماء الكلام فرقتين : فرقة اعتقدت ما يقرب من مذهب السلف وسُموا الجماعية وأصحاب الحديث ، وفرقة اعتزلت وأخالفتها في بعض المسائل ومقدمها واصل بن عطاء^(١) وسُموا المعتزلة أو أصحاب العدل . وجرى رجال الحكومة العباسية على هذا المذهب ونصروه ، حتى ظهر أبو الحسن الأشعري فآلف من مذهب المعتزلة ومذهب غيرهم مذهب الكلامي الذي سمي بعد بمذهب الأشاعرة وغلب على كل مذهب سواء الآ بعض مذاهب قليلة كذهاب الشيعة (وبقي كثير منها الى الآن) ومذاهب الخوارج وبقي منهم الى عصر نابقية في الجبل الأخضر من برقة وفي جزيرة جربة على ساحل تونس وفي جنوبي الجزائر وبلاد البحرين وعمان

أبو الحسن الأشعري

هو أبو الحسن علي بن اسماعيل شيخ طريقة أهل السنة والجماعة ، وامام المتكلمين وصاحب المذهب الكلامي ، المنتشر الآن في أكثر بقاع العالم الاسلامي وُلد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ ونشأ بها وأخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ، وتبعه في الاعتزال واحتج له حتى صار لسان المعتزلة أكثر من ثلاثين عالماً . ثم هداه البحث في السنة ومذاهب المتكلمين من الصفائية والفقهاء وأصحاب الحديث ، فرأى أن كلا الفريقين من هؤلاء ومن المعتزلة غال في نظره ، فتوسط ، وتغيب عن الناس مدة ألف فيها كتبته في نصرة أهل السنة والرد على أكثر عقائد

(١) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الخطيب المتكلم كان يجاس الى الحسن البصري يأخذ عنه العلم فلما قالت الخوارج بتكذيب مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وانفسوا بالكبائر فخرج واصل عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لاهو ومن ولا كافر ومنزلة بين المنزلتين فنضب منه الحسن واعتزل مجلسه وانضم اليه عمرو بن قبيد بن باب وتبعهما اقوام سبوا المعتزلة ومات سنة ١٨١

المعتزلة ، ثم خرج الى المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ورقى المنبر وعرف الناس بنفسه وبمذهبه القديم والجديد ودفع الكتب التي ألفها على مذهب أهل السنة للناس فنصب له المعتزلة بالرد والتزييف . فما زال يُدحض حججهم حتى انقطعوا

عن مناظراته ، وتبعه كثير منهم ومن غيرهم
وكان أبو الحسن من أروع الناس وأزهدهم مع دُعابة ومزاح ، وكان يعيش من غلة قرية وقفها جده بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله على ذريته . وكان شافعي المذهب . توفي سنة ٣٢٤ وممن نصر مذهب الفخر الرازي والغزالي ، وقاربه في مذهبه القاضي أبو منصور الماتريدي

الغزالي^(١)

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي حجة الاسلام وصاحب كتاب
أحياء علوم الدين

ولد سنة ٤٥٠ ونشأ بطوس^(٢) وتعلم بها مبادئ العلوم ثم رحل الى نيسابور ولازم
امام الحرمين الجويني^(٣) وهو يومئذ عالم الشافعية في الشرق فما زال يتلقى عنه العلم
حتى صار من أكابر متكلمي الأشاعرة وققهاء الشافعية . وحتى أصبح استاذه يفاخر به
العلماء ويتباهى بتعليمه وتخريجهم . ولما مات الجويني ذهب الى بغداد ولقي الوزير
نظام الملك^(٤) صاحب المدرسة النظامية الشهيرة ، وناظر بحضرته العلماء فظهر عليهم
واقر له فحول العراق بالفضل فتولى التدريس بالمدرسة النظامية أربع سنوات . ثم
طُرأت عليه حال زهادة في الدنيا فسلك طريق الصوفية باعتدال . ورغب عن

(١) الغزالي بقسديد الزاي نسبة الى الغزال قال ابن خلكان وذلك هو المشهور وقيل انها مخففة نسبة الى غزالة قرية من قرى طوس (٢) طوس مدينة عظيمة بخراسان دفن بها الرشيد وعلى بن موسى الرضا (٣) هو ابو المصطفى ضياء الدين جده الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الفقيه الشافعي توفي سنة ٤٧٨ و (الجوين) ناحية كبيرة من خراسان (٤) هو الوزير ابو علي الحسن بن اسحق بن العباس الملقب بنظام الملك ، قوام الدين العالم الصالح المتصوف محب العلم والعداء ، وزير للسلطان ألب ارسلان وولده السلطان ملك شاه السلجوقيين المتغلبين على خلفاء بغداد ، وبني مدرسته النظامية ببغداد وهي أول مدرسة بنيت خاصة بالتدريس ، وكان يكون قبل في المساجد الجامعة ، وجعل لها الرواتب للمدرسين والطلبة ، واجرى عليهم الجرايات ، وقتل سنة ٤٨٥ هـ

بالاختلاط بالناس . ثم حج وذهب الى الشام يدرس ويسيح لزيارة بعض مشاهد أنبيائها ، ثم دخل مصر وأقام بالاسكندرية مدة ، ثم عاد الى وطنه طوس واشتغل بتأليف الكتب الجليلة ، ثم لزم التدريس بنيسابور ، ثم عاد الى وطنه حيث قضى بقية عمره بين التدريس ووعظ الصوفية وعمل البر حتى مات بالطايران قصبة طوس سنة ٥٠٥ .

ويعتبر الفزالي من مؤيدي مذهب الأشاعرة المسمين بأهل السنة ومن أكبر أئمة الشافعية . وهو يعد خير من تكلم في التصوف بحال لم تشبهها نحل غلاة الصوفية الخارجين بها عن مألوف العقل البشري المعتاد . ويعتبر كتابه (احياء علوم الدين) من أفضل كتب التصوف والأخلاق واطهار حكمة القرآن والشرعية . وأصبحت كتابته فيه أبلغ كتابة توخى أسلوبها علماء هذه المقاصد وغيرهم من المصلحين حتى عصرنا هذا .

نشأة العلوم الكونية المنقولة وترجمتها

وأشهر المترجمين والمشتغلين بها من المسلمين ومواليهم وكانت تسمى علوم الفلسفة والحكمة . وتشمل أربعة علوم — المنطق ، والطبعيات ، والرياضيات ، والالهيات وتشمل الطبعيات علم الطبيعة والكيمياء وفن المواليذ الثلاثة والطب والصيدلة والفلاحة وتشمل الرياضيات علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات والحيل (الميكانيكا ^(١)) وعلم الفلك الشامل للهيئة والتنجيم ؛ ومن متعلقاته علم الجغرافيا الرياضية

ويلحق بهذه العلوم علم السياسة وتدبير المنزل والمال وعلم الأخلاق والموسيقى وتشمل الالهيات علم ماوراء الطبيعة من الروحانيات والمدرجات العقلية كالبحث عن صفات الخالق والقوى النفسية والجن والملائكة ونحو ذلك

(١) يرى بعض مهندسي عصرنا تسمية هذا العلم بعلم القوى

وهذه العلوم فطرية في الانسان من حيث إنه متفكر متمدين لا تختص بها أمة دون أخرى ، فكان الاشتغال بها ضرورياً لكل أمة أصبحت ذات حضارة ، ولذلك ترجم المسلمون بعضها في عصر بني أمية ، واستقدم المنصور العباسي كثيراً من الأطباء والمترجمين ، فترجموا له كتب اليونان والفرس والهنود في الطب والفلك والسياسة . ومن أشهر هؤلاء جرجيس الكبير ^(١) ابن بختيشوع ونوبخت ^(٢) وابنه أبو سهل وابن المقفع . ولما مات المنصور قترأ أمر الترجمة الى زمن الرشيد والبرامكة فحثوا العلماء على ترجمة الكتب اليونانية ، وصححوا بعض ما ترجم زمن المنصور

ثم جاء عصر المأمون فزخرت بحور الترجمة ، وبعث الى بلاد الروم جماعة من المترجمين كابن البطريق ^(٣) وسليم صاحب بيت الحكمة ، والحجاج بن مطر ، وحنين ^(٤) ابن اسحق ، فاختاروا كتباً حملوها الى بغداد ، وترجمت وتعلمها الناس وصححوا أغلاطها واستدركوا عليها . ولم يمض قرن من تأسيس الدولة العباسية حتى برع المسلمون في هذه العلوم كلها وظهر منهم من الحكماء والفلاسفة من كاد يلحق فلاسفة اليونان . ومن هؤلاء فيلسوف الاسلام والعرب أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي ^(٥) وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسي ^(٦) . وبنو موسى ^(٧) بن

(١) كان رئيس الپمارستان بچندیسابور زمن المنصور فاستدعاه اليه واتخذ طيبه الخاص حتى سنة ١٥٢ فاستأذنه في العودة الى بلده فمات (٢) آل نوبخت كثيرون كلهم اشتغل بالملك والنجوم والحكمة ، وكانوا ينقلون من الفارسية . وكان نوبخت ينقل هو وارده من الفارسية واليونانية ، وكان منجماً للمنصور فلما ضف عن الخدمة أحضر ولده أباسهل الى المنصور ليقوم مقامه فقبله وهو الذي كناه أباسهل (٣) هو بوحنان بن البطريق الترجمان مولى المأمون كان أميناً على الترجمة تولى ترجمة كتب ارسطو وبعض كتب بقراط (٤) هو حنين بن اسحق العبادي هربى الاصل من العباديين نصارى الحيرة برع في الترجمة من اليونانية توفي سنة ٢٦٠

(٥) من سلالة الاشعث بن قيس ، كان مترجماً وطالماً بالطب والفلسفة والحساب والمنطق وتأليف اللحن والهندسة وطبائع الاعداد والهيئة ، وترجم من كتب الفلسفة والكثير وأوضح منها المشكل ، وله اكثر من ٢٣٠ مؤلف (٦) هو العالم المتفنن في كل علم والمؤلف في كل فن ، كان نديماً للمعتضد الخليفة العباسي فأنكر عليه بعض امور فقتله سنة ٢٨٦ (٧) كان بنو موسى بن شاكر وذريتهم من أفاضل علماء الرياضة والفلك ، وكان أبوهم موسى من أتباع المأمون فمات وترك أولاده الثلاثة صدقاً وأبراهم المأمون وعنى بتعليمهم الحكمة وعلوم الازائل فبرعوا فيها للغاية ولا سيما الرياضيات

شاكر محمد وأحمد والحسن أشهر رياضي هذا العصر وأول المخترعين من المسلمين في الحيل والهندسة ، ومحمد بن موسى الخوازمي ^(١) مخترع علم الجبر والمقابلة .

ومذيع الحساب الهندي بين العرب

ثم ذهب طَوْرُ الترجمة والتصحيح وتلاه طورُ التأليف والتكامل والاختراع .
فأتى فيه بالعجب العجيب أبو نصر محمد بن طَرُخان الفارابي ^(٢) الحكيم الكبير .
مخترع آلة الطرب المسماة بالقانون والتي استنبط الافرنج بها كلتا آلة المعرف
(البيانو) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي ^(٣) الطبيب الكيميائي
الشهير المتوفى سنة ٣١١ هـ والشيخ الرئيس حكيم المشرق أبو علي الحسين بن سينا ^(٤)
المتوفى سنة ٣٢٨ هـ وأبو الريحان أحمد بن محمد البيروني ^(٥) الفلكي الرياضي المقوم
المتوفى سنة ٤٣٠ هـ — وكان لدولة الفوالم في مصر اشتغال بهذه العلوم فاشتهر
في دولهم في الفلك والرياضيات ابن يونس ^(٦) وفي الطب ابن رضوان ^(٧) وغيرهما .
ولم يُعَنَّ أهل الاندلس بهذه العلوم عناية أهل المشرق ، وأشهر من نبغ منهم فيها

والحيل والآلات ، وانفقوا على نقل كتب اليونان وترجمتها أموالاً طائلة وهم الذين حققوا
لامأمون مندار الدرجة الارضية وصححوه وكان اجلهم أبو جعفر محمد توفى سنة ٢٥٩

(١) ايس من أولاد موسى وكان منقطاً لحزارة كتب الحكمة لامأمون ، وبرع في الفلك والعدد

(٢) هو حكيم المسلمين بلا مداف ولذى تخرج بكتبه الرئيس ابن سينا . والفارابي من اصل

تركي من مدينة فاراب احدى مدن الترك فيما وراء النهر ، دخل بغداد فتعلم العربية وهر بها ثم قرأ

الناطق والمفسر على ابن بشر متا بن يونس ، ثم ذهب الى حران بالجزيرة فقرأ على يوحنا بن

خيلائ الحكيم ، ثم رجع الى بغداد ودرس والف ، ثم رحل الى الشام ومصر ، ثم أقام بدمشق زمن سيف

الدولة بن حمدان فأجرى عليه أربعة دراهم كل يوم حتى مات بدمشق سنة ٣٣٩ (٣) هو من

أهل الري كان في أول أمره ضارباً بالود ثم اكب على كتب الحكمة والطب وطانى بنفسه صناعة

التحليل والكيمياء فاستنبط كثيراً من المركبات الكيميائية مثل زيت الزاج (الحامض الكبير)

والاقول (الاسبرنو) وكان يقيم بالري وبغداد وينقل بالبلدان ، وله اكثر من ٢٠٠ مؤلف

(٤) كان ابوه من بلخ عمل ببخارى للدولة السامانية فنشأ ابنه بها وتعلم من صفه الحكمة

فبذل الاوائل والاواخر ، ولم يجي في الملة بعده من فاقه فيها عدا ما اهتدى اليه المحدثون في الطب

المحدث ، وتنقل في أواسط آسيا ، وخدم في الدولة السامانية والبويهية ووزر لاحد ملوكهم

(٥) بيرون من بلاد السند (٦) هو ابو الحسن علي الشهير بابن يونس صاحب الرنج الحاكي

في اربع مجلدات كبار وكان آية في الفلك والتنجيم والرياضيات مات سنة ٣٩٩

(٧) هو الطبيب النجم علي بن رضوان مات سنة ٤٦٠

أبو الوليد القاضى أحمد بن رشد وأبو القاسم الزهراوى ؛ ومن كتب هؤلاء الأئمة
اقتبس أهل (أوربة) كثيراً من أصول مدينتهم

الشعر

كان الشعر فى عصر صدر الإسلام ينبع من المعين الذى تنبع منه أئمة العربية
وفحول الفصاحة أعنى جزيرة العرب والعراق والجزيرة الفراتية . فلما قرت دولة العرب
فى العراق والأندلس أصبحت بغداد وقرطبة قبلة الشعراء ، ووجهة الأدباء ، ومن لم
يقصد ههما للأقامة فى ظلال الخلفاء والملوك ، قصد هما للنجعة والامتيان . ولم يعض على
بغداد وقرطبة قرن من تأسيس دولتيهما حتى صارتا عشرين للأدب وميدانين لتسابق
جياذ الفحول فى كل فن ولا سيما الشعر ؛ فقد كان له عند الخلفاء والوزراء والقواد
سوقٌ نافقة حتى عند رؤساء الاعلم من الديلم والترك ، وحتى تكلف بعضهم أن
يعانيه وينظمه بل ينبغ فيه . ودام كذلك الى انتهاء الدولة العباسية ، وبهذه العناية
العظيمة به وكثرة قائله ومنتجليه تفنن الناس وأدخلوا عليه فنونا لم تعهد فيه ، واستعملوه
فى كل غرض حتى التعبى به ، وتشكل أسلوبه وتنوعت معانيه بما يطابق أغراض
استعماله ولكنهم لم يخرجوا بها فى الجملة عن أسلوب العرب فى ابتدائهم بالنسيب
بالديار والأطلال : نداء لوطنهم القديم ، وتظرفاً بالتشبه بالأعراب . على أن النسيب
يمثل هذه الامور لم يعد ملتزماً فى مطالع القصائد منذ صدر الدولة العباسية ، بل
كثيراً ما كان يحل محله ذكر القصور^(١) ونعيم العيش وصحبة اخوان الطرب^(٢) وغناء
القيان والرحلة الى الممدوح على السفن^(٣) ونحو ذلك ، أو يستبدل به ذكر الحر^(٤)

(١) كقول اصبغ : قصر عليه نحية وسلام نشرت عليه جمالها الايام

(٢) كقول ابن هانيء : بسم الصباح لابعين الندماء وانشق حيب غلالة الظلماء

(٣) كقول بشار فى وصف سفينة :

تلاعب تيار البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجري

الى ملك من هائم فى نبوة ومن حير فى الملك والعدد الدر

(٤) كقول ابى نواس : الا فاسقنى خرا وقل لى هى الحر ولا نسقنى سرا اذا امكن الجهر

وأوصافها والحثُّ على اصطباحها واعتباقيها ، بل لم يقف الأمر عند هذا الحد حتى
تعداه الى التنديد بالنسيب بالأطلال وتهجين من يلهج بذكرها (١)

أما التغييرات التي طرأت على الشعر أبان الدولة العباسية فهي :

أولاً — ما يتعلق بفنون الشعر وأغراضه . ثانياً — ما يتعلق بهلظه وأسلوبه .
ثالثاً — ما يتعلق بمانيه وأخيلته . رابعاً — ما يتعلق بأوزانه وقافيته

الأمور التي حدثت في فنون الشعر وأغراضه

(١) زيادة استعماله في إنارة العصبية والمفاخرة في النسب (٢) والمذهب السياسي (٣)
والديني والعلوي (٤) . وفي الأغراض السياسية من استحقاق الخلافة وتحريض ولاية
الأمور وتهديدهم وانتقاد أعمالهم في شعر كثير من شعراء الدولة

(٢) الإغراق في التملق المشين في شعر كثير من شعراء الدولة ، وذلك لكثرة
المشتغلين بالشعر من الأدباء وقلة موارد الكسب الشريف فلم يجد الشاعر سوقاً رائجة
لبضاعته إلا أبواب الخلفاء ، ولم ير لنفسه شعراً أسير ولا جائزة أربى الأبدى
أغرق فيه وخرج به عن الذوق (٥) بل العقل (٦) بل الشرع (٧)

(٣) ازدياد المجون والتهتك وحكاية المحازي والفسوق ونحو ذلك . والإقذاع

(١) بظن أن أول من خلع هذا التقليد أبو نواس في جملة قصائده . ومن قوله في ذلك :

ياربع شغاك أنى عنك في شغل لا نأقنى فيك لو ندرى ولا جلى
وكقوله : صفة الطلول بلاغة القدم فاجمل صمانك لاينة السكرم

(٢) أما بين العرب والعجم كما في شعر بشار وعبدالله بن طاهر وسعيد بن حميد وغيرهم من
طوائف الشعوية ، وأما بين الجمانية والمفرية كما في شعر مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر وأبي نواس
وخلف الأحمر (٣) كالفخرة بين شبيعة آل أبي طالب وآل العباس كما في شعر مروان بن أبي
حفصة والسيد الحميري وهلى بن الجهم ودعبل الخزاعي (٤) كما في شعر أبي محمد البزيدى وغيره
(٥) كقول أبي نواس في ممدوحه :

كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نقره
(٦) كقول المتنبي في ممدوحه :

ونالوا ما اشتهموا بالحزم هونا وصاد الوحش غلهمو ديبا
وقول على بن جبلة : انما الدنيا ابودلف بين باديه ومحضره
فاذا ولى ابو دلف وات الدنيا على اثره

(٧) كقول ابن هاني الاندلسي : ما شئت لاما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

في الهجاء والتصريح المغيّبُ بأسماء العَوَرَات والتعرُّض للحُرْم لتناقض الوازع
الديني وازدياد الزنادقة وفُجَّار المَوَالى والكَتَّاب بِمَدَوَى تمازج الاخلاق والعادات
(٤) اغراقُ شعراء (المسلمين) في وصف الحَمرة وتشبيهاها والدعوة اليها والنشوة
بها وذكر سُقَاتِهَا ونِدْمَاتِهَا^(١) . والفزل بالمذكر والاستقصاء فيه حتى غلبَ على
ما سواه^(٢)

(٥) ازديادُ وصف الرياض^(٣) والبساتين والقصور ومجالس الأُنس وأحوال
الطبيعة ومسايد الوحوش والطير والسماك والأُمور الدقيقة
(٦) ازدياد الوعظ والتزهيد في الدنيا^(٤) والحكمة وضرب المثل وتأديب النفس
والقصص والحكايات^(٥) ، وأوّل من نظم ذلك أَبانُ بن عبد الحميد اللاحق^(٦)
ناظم كَلِيَّة ودِمْنَةَ للبرامكة
(٧) ضبطُ قواعد العلوم من فقه وغيره^(٧)

الأمور التي حدثت في المعاني والاختيلة الشعرية

(١) ترتيبُ الافكار وأخذ بعضها بِحُجَزَ بعض بحيث قلّ الاقتضابُ وشُدُوذُ
الانتقال من معنى الى مَبَين له كما كان يقع كثيراً في الشعر القديم
(٢) استعمالُ الخيال الفرضي الوهمي الذي لا يتصوّر تحقُّقه في الخارج أو في الذهن
مما يستدعيه الغلو والتغلُّل في المدح أو الهجو أو التشبيه
(٣) اختراعُ الاختيلة الجميلة التصوّر في التشبيه والاستعارة والأوصاف
وحسن التعليل
(٤) استعمالُ طرق الحكمة وقواعد الفلسفة وشعائر الدين ونحو ذلك^(٨) في
محاولة الاقتناع

(١) كما في شعر ابى نواس ومن تابعه (٢) كما في شعر والبة بن الحباب وابى نواس والحسين
ابن الضحاك والبحتري وغيرهم (٣) راجع نماذج الوصف وابن المعتز وابن خفاجة (٤) كما في شعر
ابى المتاهية وبقية الصوفية (٥) انظر ترجمة الطبراني (٦) هو مولى الرقاشيين بصري ذهب
الى بغداد واتصل بالبرامكة ومنحروه على نظم كَلِيَّة ودِمْنَةَ خمسة عشر الف دينار
(٧) واكثر من ذلك بعد أَبان بن عبد الحميد اللاحق ابو المتاهية ومن بعده
(٨) كما في شعر صالح بن عبد القدوس وابى المتاهية وابى تمام والمنبجي وابى الملا وغيرهم

الأُمُور التي حدثت في لفظ الشعر وأسلوبه

- (١) هجرُ الألفاظ الغريبة بالتدرّج
- (٢) زيادةُ دخول الكلمات الأعجمية فيه نظرًا كما في شعر أبي نواس وغيره
- (٣) رقةُ الأسلوب مع بقاء الجزالة ووضوح المعنى
- (٤) اختراعُ البديع والاستكثارُ من أنواعه

الأُمُور التي حدثت في الأوزان الشعرية والقافية

- (١) الاكثار من النظم في البحور التي لم تنظم منها العرب الا قليلاً كالمضارع والمفتضب
- (٢) اختراع أوزان ولدها الخليل من بحور الشعر ونظم منها كثير من المولدين
- (٣) اختراع أوزان أخرى كبعض أوزان اخترعها مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو العتاهية ونظموا منها وكالموالي (١) وزاد هذا الأمر تفاقماً اختراع الموشحات (٢) والزجل (٣) في أواخر الدولة العباسية
- ومن الأمور التي حدثت في القافية :
- (١) الخمس (٤) : وهو أن يؤتى بخمسة أقسام من وزن وقافية ثم بخمسة أخرى من الوزن وقافية أخرى الى آخر القصيدة
- (٢) المزدوج (٥) : وهو أن يؤتى بشطرين من قافية ثم بآخرين من قافية أخرى واكثرها منه جداً في نظم كتب الأدب والعلوم كما في نظم الأتنية

(١) وأول من اخترعه مولاة للبرامكة كانت ترثيهم به وتصبح بمد كل قطعة منه (وامواليه) فحملت الى الرشيد ، وكان قد تقدم بمناقبة من يرثيهم بشعر فقالت الجارية ليس هذا شمرأ لانه طامى ملحون (وان جاء على وزن البسيط) فسئى نظمها المواليا لصباحها (٢) اخترعها مقدم بن مفاخر الفريرى من الاندلسيين وأخذ عن أحمد بن عبدربه صاحب القمد (٣) اخترع بمد التوشيح في الاذلس أيضا ، وبرع فيه امام الزجالين ابو بكر بن قزمان وستأتى أمثلة هذه الفنون في المهر التالى لكثرة شيوعها فيه (٤) يقال ان أول من نظم به بشار ثم تبعه ابان وابو العتاهية

(٥) كقول خالد القناس :

وما نطقت واستمعجت حين كنت وما رجعت قولاً وما ان ترصرت
 وكان شفائى عندها لو تكلمت الى ولو كانت اشارت وسلمت
 ولكنها ضفت على بنيان

نماذج من الشعر في الأغراض الآتية

الحماسة — قال بشار بن برد :

وجيشٍ كجُنْحِ الليل يزحفُ بالخصى وبالشوك والخطى حُمُرٌ نَعَالُهُ^(١)
غدونا له والشمسُ في خِدرِ أمّها تُطالِعنا والطلُّ لم يجر ذائبُهُ
بضربٍ يذوق الموتَ من ذاق طعمه وتُدرك من نجى الفرارُ مثالبُهُ^(٢)
كَأَنَّ مُنَارَ النقعِ فوق رءوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبهُ
بعثنا لهم موتَ الفُجاءةِ إننا بنو الموت خفاقٌ علينا سبائبُهُ^(٣)
فراحوا فريقٌ في الإِسارِ ومثلُهُ قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحرِ هاربه

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي يفتخر بولائه لخزيمة بن خازم النهشلي من
مروءات أمراء العرب في الدولة العباسية :

إذا مضى الجراء كانت أرومتي وقام بنصري خازمٌ وابنُ خازمِ
عطستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قائمِ
وقال أبو الطيب المتنبي :

وإني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظمَا
فلا عبرتُ بي ساعةٌ لا تُعزّني ولا صحبتني مُهجةٌ تقبل الظلما

المدح — وقال مروان بن أبي حفصة بمدح معن بن زائدة الشيباني :

بنو مطر^(٤) يوم اللقاء كأنهم أسودُّ لها في غيل خَفَّانٍ^(٥) أشبلُ
هم بمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السما كين منزلُ
بهاليل^(٦) في الاسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أولُ

(١) الثعالب جمع ثعلب وهو هنا طرف الرمح الداخل في جية السنان : أى والرمح حراطرافها
من دماء الاعداء (٢) أى مثالب الفرار من الحزى والعار (٣) جمع سببية وهى الشقة من الثياب
(٤) بطن من شيبان منها معن (٥) أسددة قرب الكوفة (٦) جمع بهلول وهو السيد
الجامع لكل خير

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالمهم وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا
وقال أبو تمام:

تعوّد بسط الكف حتى لو أنه تنهاها لقبض لم تجبه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها ، فليتق الله سائله
وقال أبو عبادة البحتري:

كلما قلت أطلق الشكر رقي رجعتني له أياديه عبدا
أين عمر الزمان حتى أودي شكر إنامالك الذي لا يودي
وقال أبو الفياض الطبري:

يد تراها أبدا فوق يدٍ ونحت فم
ما خلقت بناؤها إلا لسيف أو قلم

الرناء — قال الحسين بن مطير يرى معن بن زائدة:

ألمّا علي معن قولا لقبره: سقتك القوادى مرّبا ثم مرّبا (١)
فيا قبر معن أنت أول حفرة من الأرض خطت للساحة مضجعا
ويا قبر معن كيف وارىت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا (٢)
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا (٣)
قنى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل بجراه مرّنا (٤)
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى وأصبح عرنين المسكارم أجدعا (٥)
وقال أشجع السكلى:

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق ولا مغرب إلا له فيه مادح
وما كنت أدري ما فواضل كفه على الناس حتى غيبتهم الصقاع

(١) الغادية السحابة تنذا غدوة (٢) المترع الملائن (٣) تصدع . تصدع أى تشقق
(٤) منبتا زرع فيه الابل (٥) العرنين الانف أو أوله مما يلى الحاجبين وهو موضع الشم
(الوسيط م — ٢٢)

فأصْبَحَ في لَحْدٍ من الأَرْضِ مَيْتًا وكانت به حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاحُ (١)
وما أَنَا من رُزءٍ وإنْ جَلَّ جَزَعُ ولا بِسُرُورٍ بَعْدَ موْتِكَ فَارِحْ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ يَقُمْ على أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النِّوَامُ
لَئِنْ حَسُنْتَ فَبِكَ الْمَرَانِي وَذِكْرُهَا لَتَدْحَسُنْتَ مِنْ قَبْلِ فَبِكَ الْمَدَامُ
الهجاء — وقال حماد عَجْرَدُ :

حُرَيْثُ أَبُو الصَّلْتِ ذُو خَبْرَةٍ بما يُصْلِحُ المَعْدَةَ الفَاسِدَةَ
تَخَوَّفَ نَحْمَةً أَضْيَافُهُ فَعَوَّدَهُمْ أَكْلَةً وَاحِدَةً
وقال خَلْفُ الأَحْمَرِ :

لَنَا صَاحِبٌ مَوْلَعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَا قَلِيلُ الصَّوَابِ
أَلْجُ لَجَاجًا مِنَ الْخُلَنَسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَاشَى مِنْ غِرَابِ
وقال أَبُو عَلِيٍّ البَصِيرُ :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ مَا نُسِبَ الْمُعَلَّى إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمُ
وَلَكِنْ الْبِلَادَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ وَصَوِّحَ نَبْتُهَا رُغِيَّ الْمَشِيمِ (٢)
وقال العَتَّابِيُّ :

لَئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أَنَا لَكَ ثَرَوَةً فَأَصْبَحْتَ ذَا سُروَقٍ كُنْتَ ذَا عُسْرٍ
لَقَدْ كَشَفَ الْإِثْرَاءُ مِنْكَ مَخَازِيَا مِنْ التُّؤَمِ كَانَتْ تَحْتَ سِتْرِ مِنَ الْفَقْرِ
وقال الأَبْيُورْدِيُّ :

وَقَصَائِدُ مِثْلِ الرِّيَاضِ أَضْعَفُهَا فِي بَاخِلِ ضَاعَتْ بِهِ الْإِحْسَابُ
فَإِذَا تَنَاشَدَهَا الرُّوَاةُ وَأَبْصَرُوا السِّمْدُوحَ قَالُوا : سَاحِرُ كَذَابِ
الاعتذار — وقال عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ لِلْمَتَوَكِّلِ :

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حَرَمَةً تَجُودُ بِعَفْوِكَ إِنْ أَبْعَدَا

(١) الصَّحَاحُ جمع صَحَّاح وهو ما استوى من الأرض (٢) صَوِّحَ يَبْسُ وَتَشَقَّى — الهشيم الجفاف من النبات

لئن جلّ ذنب ولم أعتدْ لأنت أجل وأعلى يدا
ألم ترَ عبداً عدا طوره ومولى عفا ورشيداً هدى
ومفسدٍ أمرٍ تلافيته فإد فأصلح ما أفسدا
أقلنى أقالك من لم يزل يقيق ويصرف عنك الردى

وقال ابراهيم بن المهدي في أبيات يعتذر بها للأمون :

الله يعلم ما أقول فانها جهد الأليّة من مقرّ خاضع
ما ان عصيتك والغواة تمدني أسبابها الأ بنية طائع
وقال أيضاً :

ذنبى اليك عظيم وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولاً فأصفح بفضلك عنه
أن لم أكن في فعالي من السكرام فكنته

وقال الحسن بن وهب :

ما أحسن العفو من القادر لا سيما عن غير ذى ناصر
ان كان لى ذنب (ولا ذنبلى) فما أه غيرك من غافر
أعوذ بالود الذى بيننا أن يفسد الأول بالآخر

الوصف — وقال ابن المعتز يصف طبيعة الكون عند انسلاخ النهار عن الليل

ما ترى نعمة السماء على الأر ض وشكر الرياض للأمطار؟
قد تولت زهر النجوم وقد بسشّر بالصبح طائر الأسحار
وغناه الطيور كل صباح وانفتاق الأشجار بالأنوار
وكان السحاب يجلو عروساً وكاننا من قطره فى نثار

وقال ابن طباطبا يصف الليل والنجوم :

ربّ ليل صحبته كاسف البيا ل كئيباً حليفهم شتيت
مؤنساً ربه بطول أنين وهولى موحش بطول السكوت
نحت سقف من الزمرد قد رصع حسناً بالدر والياقوت

وقال أبو بكر الصنوبري يصف ديكا :

مفرّد الليل ما يألوك تفريدا ملّ الكرى فهو يدعو الصبح مجهودا
لما تطرب هز العطف من طرب ومدّ للصوت لما مدّه الجيدا
كلابس مطرفاً مرّخيّ ذوائبه تضاحك البيض من أطرافه السودا
حالي المقلّد لو قيست قلائده بالورد قصر عنه الورد توريدا

الاجتماع والسياسة — قال شبل بن عبد الله مولى بني هاشم لعبد الله عم السفاح
يغريه بالأموين وقد حضر والديه ووضعت لهم الكراسي والتمارق :

أصبح الملك ثابت الآساس بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وترّ هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وياس
لا تُقبلن عبدّ شمس عثاراً واقطن كل رقلة (١) وغراس
ذلّها أظهر التودّد منها وبها منكم كحدّ المواسي
ولقد ساءنى وساء سيوائى قربهم من تمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الا بدار الهوان والاتعاس
واذ كروا مصرع الحسين وزيد (٢) وشهيد بجانب المهراس (٣)
والقتيل الذي بحوران (٤) أضحي ناوياً بين غربة وتناسي

وقال يزيد المهلبى من قصيدة يرثى بها المتوكل ويبكت بها بني العباس في نبذهم
للعرب واستغنائهم بماليك الترك :

لما اعتقدتم أناساً لاخلوكم لهم ضيّعتم وضيّعتم من كان يُعتقد
ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم حنكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم الجنم والانساب تجميعهم والمجد والدين والارحام والبلد
إذا قرّش أرادوا شدّ ملكهم بغير قحطان لم يبرح به أود (٥)

(١) نخلة (٢) هو ابن زين العابدين على بن الحسين (٣) ماء بأحد قتل عنده حزة عم النبي
(٤) بلد بالشام قتل فيها ابراهيم الامام ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس — و ابراهيم
هذا أخو السفاح (٥) عوج

الحكمة والمثل — قال صالح بن عبد القدوس :

وإن من أدبته في الصبا كالورد يسقى الماء في غرسه
حتى تراه موقفاً ناضراً بعد الذي أبصرت من يديه
والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في نرى رمسه
إذا أرعوى عاد إلى جهله كذي الضنى عاد إلى نكسه

وقال بشار بن برد :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فمش واحداً أو صل أخاك فانه مقاريف ذنب مرةً ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربة

وقال أبو تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حبود
لمولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

قال أبو الطيب المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
لا يخذعك من عدو دمه وارحم شبابك من عدو ترحم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان نجد ذا عفة فليمة لا يظلم
ومن البلية عدل من لا يرعوى عن غبه وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

الشعراء

لم يقصر الشعر على الموالي في صدر الدولة العباسية كالكتابة بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من أعراب البادية أحياناً ومن سلاسل العرب بالامصار أخرى ،

غير أن بضعة من فحول صدر الدولة كانوا موالى مثل بشار وأبي نواس ومسلم
وابن العنابية وابن الرومي

ومن أشهر شعراء الأمصار من العرب أبو تمام والبحترى وابن المعتز والمتنبي.
وأبو فراس وأبو العلاء المعري وابن هاني الأندلسي والشريف الرضي . ثم فتر
أمر الشعر في البادية الا قليلا ، وأصبح الشعراء المجوّدون لا ينجمون الا من
الحواضر عرباً كانوا أو موالى

التكسب بالشعر

أتى عصر الدولة العباسية والتكسب بالشعر ضاربٌ بجِرائه ، والرحلة به الى
الخلفاء والولاة خَلَّةٌ مألوفةٌ ، فلم يتركها بنو هاشم وولانهم من العرب ومستعربى.
الأعاجم حرفةٌ تمشى على رِسلها حتى ساقوها قدماً إلى غايتها بوفير عطاياهم ، وجزيل
جوائزهم ، وجعل لهم المهدي والرشيّد والمأمون أياماً لملاقاتهم ، واستماع ما تنتججه
قرائعهم ، ترفيهاً ولغة واعلاء لشأن الأدب ، وبالغوا في إكرام الشعراء الى حدٍّ أوجب
الشك في صحة الأخبار المروية عنهم في ذلك ؛ فبعد أن كانت جوائز الصدر الأول
حقائب الخنطة والزيب والتمر أو الاذواد من الأبل وبعض التخوت من الثياب ،
صارت بدر الدينير وعشرات الألوف من الدراهم ، عدا الجوارى المولدة ، والعبيد
الفاراهة . والخيول المطهّمة ، بل الضياع العامرة ، ذات الغلات الوافرة . ولقد ارتقى
كثير من الشعراء بشعرهم إلى رتبة الوزارة ، وولاية النواحي ، كسلم بن الوليد ،
وأبي تمام ، ومحمد بن عبد الملك الزيات^(١) ، وابن زيدون ، وابراهيم الصولي ،
حتى طمع بعضهم أن ينال به الملك ، كالمتنبي ، وابن عمار الأندلسي^(٢) ، غير أنه
دهى هذه الصناعة ما دهى العرب عامة أخريات هذا العصر باستعجام السلاطين.

(١) هو الوزير العظيم الشاعر الكاتب السياسي الجبار محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم
والواثق والمتوكل ، نكبه المتوكل لحقد قديم وعذبه حتى مات سنة ٢٣٣ (٢) هو الشاعر البليغ
قو الوزاريتين أبو بكر محمد بن عمار المهري الأندلسي الشابي وزير المعتصم بن عباد صاحب أشبيلية
من ملوك الطوائف خرج عليه واستقل بناحية تدمير فقتله المتمد سنة ٤٧٧

والقواد فتكسب كثير من الشعراء بالكتابة في الدواوين ، وقصروا مدحهم على ملوكهم وقلت الرحلة بالشعر الى الأقاليم ، واستبدل الشعراء بالمدح الأوصاف والألغاز والأحاجي والسخرية والمزاح مما بلغ أشده في العصر التالي

١ - بشار بن بُرْد

هو أبو معاذ بشار الرُّعَثُ^(١) بن بُرْد أشعر مُخَضَّرَمِي الدوانين ورأس الشعراء المحدثين . ومُتَمِّد طريق الاختراع والبديع للمفنين ، وأحد البلغاء المكفوفين وأصله من فُرس طُخَارِسْتَان^(٢) من سَبْيِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، ووقع ملكُ منشؤمه أبو يه لبنى عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ فَشَأْ بشار فيهم ، وتربى في منازلهم ، واختلف الى الاعراب الضاريين بالبصرة حتى خرج نابتة زمانه في الفصاحة والشعر . وكان أ كَمَهَ مجدور الوجه ، قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخَمَ الجثة ، متوقد الذكاء ، صادق الحس ، لطيف الهداية ، شديد المجون ، والاستخفاف بالناس ، كثير الاستهتار بالدين ، قليل المبالاة بالوقوع فيه متهماً بالزندقة ، شعوبياً ، متعصباً على العرب ، شديد التبرم^(٣) بالناس ، نهاشاً لأعراضهم ، لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة ، وكان من سعادة الرجل من أهل البصرة ألا يعرف بشاراً ولا بشاراً يعرفه : فانه إن لم يصب في عرضه أصابه في ماله

وقال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين . وما بلغ الحلم إلا وهو مخشئٌ مَرَّةً شعره لسانه . وقد أجمع رواة الشعر ونقدته على أن بشاراً هو رأس المحدثين وأسبقهم الى معاطاة البدع وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل الرقيق الحضري والهجاء المقذع ، وانه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ، وفتق عن المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة حتى عد شعره برزخاً بين الشعر القديم والحديث ومجازاً يعبر عليه الشعر من مراتب البداوة الى مقاصير الحضارة

(١) لأنه كان في أذنه (رعثة) أى قرط (٢) اقيم بناحية ما وراء النهر الى نهر جيحون

(٣) التضايق بالناس

وقد طرق كل باب من أبواب الشعر التي عرفت قبله وأربى عليها . وغلب عليه الهجاء والتشبيب بالنساء والخروج به عن الحد المألوف عند أهل زمانه حتى أنكره عليه العلماء والمتورعون لما رأوا من سوء أثره في شبان البصرة . وقد نهاه المهدي عن التشبيب فكان إذا مالت له نفسه يذكر منه ما يشاء ، ويقول ان الخليفة منعه من كذا وكذا وانه له مطيع . وضمن ذلك بعض قصائد مدح بها الخليفة فلم يزد على أن حرمه الجائزة ، وشجعه على ذلك وزيره يعقوب بن داود وكان متورعاً فهاجها ، فكان ذلك الى زندقته سبباً قتلته سنة ١٦٧ وقد نيف على التسعين . وهاجى بشار الشعراء المفلقين ، ونصب له منهم حماد عجرد واحتدم بينهما اللجاج والتقاذف بالأقوال المقنعة ، وظهر حماد عليه في بعض أهاجيه وآله وان لم يسقط منزلته

ومن شعره في المشورة والحكم والنصائح :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيحٍ أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غصاصة^(١) فان الخوافي قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل^(٢) أختها وما خير سيف لم يؤيد بقاءم
وخل الهوي^(٣) للضعيف ولا تكن نثوماً فان الحر ليس بناثم

وقال يفتخر بولائه لمضر :

إذا ما غضبنا غصبةً مضرية هتكنا حجاب الشمس أو أمطرت دما^(٤)
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرا منبر صلى علينا وسلماً^(٥)
وقال يهجو عبيد الله بن قرظة :

خليلى من كعب أعينا أخوا كما على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلًا بخل ابن قرظة إنه مخافة أن يرجى نداء حزين

(١) مذلة ونقيصة (٢) حديد أو حبل تشد به اليد الى المتق (٣) نصغير الهوى مؤثت الالهون ، وممناه التباطؤ والنهل (٤) أي شقنا النقع الذي يحجب الشمس كالسحب يبرق سيوفنا حتى تظطر السماء المفهومة من المفام دما ، ويدل على ذلك رواية (هتكنا سماء الله) وتقطر الدما (٥) يريد ان كل خطيب تفتتح خطبته بالصلاة والسلام على محمد وآله وهم من مضر

كَأَنَّ عُيَيْدَ اللَّهِ لَمْ يَلْقَ مَا جَدَا وَلَمْ يَدْرُ أَنَّ الْمَكْرُمَاتِ تَكُونُ
قَتْلَ لِأَبِي بِحَبِي مَتَى تُدْرِكُ الْعَلَا وَفِي كُلِّ مَعْرُوفٍ عَلَيْكَ بَيْنِ
إِذَا جَنَّتْهُ فِي حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا وَأَنْتَ كَكَيْنِ
وَمِنْ أَيْبَانِهِ السَّائِرَةِ :

الْحَرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ
تَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الْحَبُّ وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكِرَامِ
وَلَا بَدَّ مَنْ شَكَا إِلَى ذِي مَرْوَةِ يُؤَاسِيكَ أَوْ يَسْلِيكَ أَوْ يَتَوَجَّعُ

٢ - أَبُو نَوَاسٍ

هُوَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ هَاشِمٍ ، الشَّاعِرُ الْمُتَقَنُّ ، الْجَادُّ الْمَاجِنُ ، صَاحِبُ
الْصِّبْتِ الطَّائِرِ ، وَالشَّعْرِ السَّائِرِ ، وَرَأْسُ الْمُحَدَّثِينَ بَعْدَ بَشَارِ
وَهُوَ فَارِسِي الْأَصْلِ وَلَدَ بَقْرِيَّةٍ مِنْ كُورَةِ خَوْزِسْتَانِ^(١) سَنَةَ ١٤٥ وَنَشَأَ بَيْنَهُمَا ،
فَقَدِمَتْ بِهِ أُمُّهُ الْبَصْرَةَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنْ مَوْلَاهُ فَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ وَرَغِبَ فِي الْأَدَبِ ، فَلَمْ
تَعْبَأْ أُمُّهُ بِحَالِهِ ، وَأَسْلَمَتْهُ إِلَى عِطَارٍ بِالْبَصْرَةِ ، فَكَثَّ عِنْدَهُ لَا يَفْتَرُ عَنْ مُعَانَاةِ الشَّعْرِ
وَالْإِخْتِلَافِ إِلَى الْأَدْبَاءِ وَالْحُجَّانِ إِلَى أَنْ صَادَفَهُ عِنْدَ الْعِطَارِ وَالْبَةِ بْنُ الْحُبَابِ الشَّاعِرُ
الْمَاجِنُ الْكَوْفِيُّ فِي أَحَدَى قَدَمَاتِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَأَعْجَبَ كُلُّهُمَا بِالْآخَرِ ،
فَأَخْرَجَهُ وَالْبَةُ إِلَى الْكَوْفَةِ ، فَبَقِيَ مَعَهُ وَمَعَ نَدَمَائِهِ مِنْ خُلَعَائِهَا ، وَتَخَرَّجَ عَلَيْهِمْ
فِي الشَّعْرِ وَفَاقَهُمْ جَمِيعًا . وَقَدِيمٌ بِغَدَادٍ وَقَدْ أُرْبَتْ سُنُّهُ عَلَى الثَّلَاثِينَ ، فَاتَّصَلَ بِبَعْضِ
الْأُمَرَاءِ وَمَدَحَهُمْ ، وَبَلَغَ خَبْرُهُ الرَّشِيدَ فَأُذِنَ لَهُ فِي مَدْحِهِ ، فَمَدَحَهُ بِقَصَائِدِ طَنَانَةٍ ،
وَجَلَسَهُ مَرَّةً عَلَى هَجْوِهِ مُضَرَّ

وَكَانَ يَقْصِدُ بَعْضَ عَمَالِ الْوَلَايَاتِ وَيَمْدَحُهُمْ ، وَمِنْهُمْ الْخَصِيبُ عَامِلُ مِصْرَ ، ثُمَّ
انْقَطَعَ إِلَى مَدْحِ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ . وَثَبَتَ عِنْدَهُ بَعْضُ مَا يَوْجِبُ تَعْزِيرَهُ فَسَجَنَهُ ، وَلَمْ يَلْبِثْ
بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ السَّجْنِ أَنْ مَاتَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ ١٩٩^(٢)

(١) شَرْقُ الْبَصْرَةِ (٢) هَذَا رَأْيُ جَامِعِ دِيَوَانِهِ حِزَّةِ الْأَصْبَهَانِيِّ ، وَفِي بَنِ خَلْكَانَ رَوَايَاتُ أُخْرَى
(الْوَسِيطُ م - ٣٣)

شعره وكان أبونواس جميل الصورة، فكبة المحضر، كثير الدعاة، حاضر البديهة، متيناً في اللغة والشعر والأدب، متعصباً للباينية على المضربية. وأكثر علماء الشعر وتقدمه وفحول الشعراء على أن أبانواس أشعرُ المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفنناً، وأرصنهم قولاً، وأبدعهم خيالاً مع دقة لفظ وبديع معنى، وأنه شاعر مطبوع برز في كل فن من فنون الشعر، وامتاز بقصائده الخريات ومقطعاته المجونيات وأراجيزه الطرديات^(١). وكان شعره لقاح الفساد، والقُدوة السيئة لنقله الغزل من أوصاف المؤنث إلى الذكر، والخروج بذلك من مألوف العرب وآدابهم، اذ لم يكن ذلك معروفاً قبله وقبل شيطانته والبة. وزاد على ذلك انفراده (بالابداع) في وصف الخمر فكان نموذج سوء لمن تأخر؛ فافتتن بشعره الشبان في زمانه وبعده وحاكوه، وغلب عليهم هذا المذهب حتى صار الشاعر لا يُعدُّ ظريفاً الا اذا مزج شعره بشيء من ذلك وان لم يقع في محظوراته

ومن جيد شعره قوله في التشبيب والمدح:

طائفة من شعره
تقولُ غداةَ البين احدى نسائم
وقد خضبتُها عبرةً فلدَمعها
وقالت: الى العباس؟ قلتُ: فمن اذا؟
فهل يكملُنْ إلا براحتي الندي؟
ولست له كبيراً أبراً على الكبر
رأى جانبي وعراً يزيد على الوعر
على المنطق المتزور والنظر الشرز
أراني أغناهم وان كنت ذا فقر
الى أحد حتى أغيب في القبر

وقوله في الحماسة:

ومستعبد اخوانه بثرائه
اذا ضنى يوماً واياه محفل
أخالفه في شكاه وأجره
لقد زادني نيبها على الناس أنى
فوالله لا يبدى لسانى حاجة

(١) مى أقواله في مداردة الصيد وفيها يصف تكيده الى الصيد وكلاهما واوايد الوش وذن.ن
ابرع خمر الله رصفاً لكب حتى نحله الرواة طرديات غديره (٢) شق (٣) شق أيضاً (٤) أى
تجاوز لانه مصدر ميمي من عدا بمعنى تجاوز

فلا تطمعن في ذاك منى سُوقة ولا ملك الدنيا المحجَّب في القصر
فلو لم أَرِث فخرا لكان صيانتي فمى عن سؤال الناس حسبي من الفخر
وقوله ينعت كلباً :

أنت كلباً أهله من كده قد سعدت جدودهم بمجده
وكل خير عندهم من عنده يظل مولاه له كعبده
بيت أدنى صاحب من مهده وإن عرى جلله يبرده
ذا غرة محجلاً بزنده تلذ منه العين حسن قده
تأخير شذقيه وطول خده تلقى الأطباء عنناً من طرده
يشرب كأساً شدها بشده يصيدنا عشرين في مُرقده (١)

يا لك من كلب نسيج وحده

ومن أياته السائرة قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوٍّ في نياحٍ صديق
لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره
ليس على الله بمستذكر أن يجمع العالم في واحد

٣ - مسلم بن الوليد

هو صريع النَوَاقِ أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري أحد الشعراء المفلحين
والبلغاء المبدعين

قال الشعر في صباه ولم يتجاوز به الامراء والرؤساء ، مكتفياً بما يناله من قليل
العطاء ، ويُنفقه على مَلذَّاته مع اخوانه من خُلماء الشعراء ، ثم انقطع الى يزيد بن مَزِيد
الشَّيباني قائد الرشيد ، ثم اتصل بالخليفة هرون الرشيد وُعدَّ من شعرائه ومدحه
ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه . ولما أصبح الحل والعقد بيد ذى الرياستين :
الفضل بن سهل وزير المأمون في أوَّل خلافته ، قرَّبه وأدناه : لأنه كان من خاصته

قبل وزارته وولاه أعمالاً بجرّجان ا كتسب منها الف الف درهم ، ثم لزم منزله الى أن أنفقها في اللذات وعاد الى الفضل فقتله الضياع بإصبعان فاكتسب منها ألف ألف أيضاً . ولما مات الفضل لزم منزله ونسك ولم يمدح أحداً حتى مات بجرّجان^(١)

سنة ٢٠٨

وسلم أول من تكلف البديع في شعره واستكثر منه في قوله ، وسبقه بإشارته
إلى استعمال البديع إلا أنه لم يبلغ شأؤ مسلم فيه ، وقعدت العلماء هذا التصنع والتكلف
لإفساداً للشعر إذ قد تبعه في ذلك الشعراء مثل أبي تمام والسُّحُرى وابن المعتز وغيرهم
وقد مزج مسلم كلام البدويين بكلام الحضريين فضمه المعاني اللطيفة وكساه
الألفاظ الظرفية ، فله جزالة البدويين ورقة الحضريين

طائفة ومن كلامه في المدح :

وَرَدَنَ رِوَاقَ الْفَضْلِ فَضْلُ بْنُ خَالِدٍ فخط الثناء الجزل نائله الجزل
بَكْفٍ أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ الْغَنَى وَكُسْتَنْزَلُ الثُّعْمَى وَيُسْتَرْعَفُ^(٢) النُّصْلُ
وَيُسْتَعْطَفُ الْأَمْرُ الْأَبْيُّ بِحُزْمِهِ إِذَا الْأَمْرُ لَمْ يَعْطِفْهُ تَقْضٌ وَلَا قَتْلٌ
وقوله :

قَالُوا أَبُو الْفَضْلِ مَحْمُومٌ قُتِلَتْ لَهُمْ نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مُحْذُورٍ
يَالَيْتَ عَلَنَهُ بِي غَيْرَ أَنْ لَهُ أَجَرَ الْعَلِيلِ وَإِنِّي غَيْرُ مَأْجُورٍ
ومن قوله في الرثاء :

أَمَّا الْقُبُورُ فَانْهَن أَوَانِسُ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ
عَمَتْ مَصِيبَتُهُ وَعَمَّ هَلَاكُهُ فَالْنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ
رَدَتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

ومن هجائه لدعبل الخزاعي :

أَمَّا الْمَهْجَاءُ فَدَقَّ عَرِضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ

(١) بلدة عظيمة كانت بالقرب من بحر قزوين الى الجنوب الشرق منه (٢) رعن سال بالهم
أى يستدى السيف

فأذهب فأنت طليق عِرْضِكَ انه عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأنت ذليل
ومن جيد قوله :

أرادوا ليُخَفُوا قَبْرَهُ من عَدُوهِه فطِيبُ تُرَابِ القَبْرِ دَلٌّ على القَبْرِ
يجود بالنفس إن ضَنَّ الجوادُ بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود
دَلَّتْ على عيبها الدنيا وصدَّقها ما استرجع الدهر مما كان أعطاني

٤ - أبو العتاهية

هو أبو اسحق اسمعيلُ بن القاسم بن سُوَيْدٍ ، أطلع أهل زمانه شعراً وأكثرهم
قولاً وأسهلهم لفظاً وأسرعهم بديهة وأرتجالاً ، وأوّل من فتح للشعراء باب الوعظ
والتزهد في الدنيا والنهي عن الاغترار بها وأكثر من الحكمة

ولد بين النمر ^(١) سنة ١٣٠ ونشأ بالكوفة في عمل أهله وكانوا باعة جرار إلا
أنه رباً بنفسه عن علمهم . وقل الشعر في صباه وامتزج بلحمه ودمه حتى صار كما
قال هو في نفسه : (لو شئتُ أن أجعلَ كلامي كَهْ شعراً لفاعتُ) فذاع صيته وسلك
طريقُ خُلَفاء الكوفة — ثم قديم بغداد ومدح المهديّ وتعرّف ببعض خدام قصر
الخليفة وجواريه ، فتعشّقَ منهن فتاة تدعى عُتْبَة . ولما يأس منها لها عنها بعض الشيء ،
ودرس كثيراً من مذاهب المتكلمين والشيعة والجبورية والزهاد ، فكان يسلك
كل مذهب منها عدة أيام ثم ينتقل عنه الى الآخر حتى اختار له من كل ذلك عقيدةً
مختلطةً أنضت به الى العبادة والزهد في الدنيا قولاً ومعيشةً على إفراط منه في حب
المال والجمع له والبخل به على الأهل والولد والخدم

ولم يأت عصر الرشيد حتى أضرب عن الغزل وقصر قوله على الزهد في الدنيا
والتذكير بالموت وأهواله ، وهو في خلال ذلك يمدح الخليفة وملوك الدولة ويأخذ
جوائزهم . ثم عرضت له حلٌّ امتنع فيها عن قول الشعر البتة ، حتى حبسه الرشيدُ
أعدم تلييته ما اقترحه عليه من القول فيه ، ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبته وعاد إلى

قول الشعر على عادته فيه ، وترك الغزل والهجاء ، وبقي على ذلك مدة الرشيد والأمين
وأكثر أيام المأمون حتى مات سنة ٢١١ ببغداد

ويمتاز شعره بالسهولة المتناهية بالإضافة إلى أهل عصره وانطباعه ورقته وقرب
معانيه مما يجول بخواطر الخاصة والعامة ولا سيما الزهاد منهم فكان بذلك شاعر
الملوك والسوقة

ومن شعره بمدح المهدي :

أنته الخلافة مُنْقَادَةٌ إليه نَجْرٌ أذْيَالُهَا
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحدٌ غيره لزلت الأرض زلألها
ولو لم تُطعمه بناتُ القلوب لما قبل الله أعمالها
وإن الخليفة من بُغضٍ لآ إليه لُبغض من قألها

وكتب على البديهة في ظهر كتاب :

ألا إنما كلنا بائدٌ وأى بنى آدم خالد
وبدؤهم كان من ربهم وكلٌّ إلى ربه عائد
فبأعجباً كيف يعصى الألف أم كيف يجحد الجاحد
ولله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية تدلُّ على أنه واحد

ومن حكمه وأمثاله مُزدوجته التي ضمنها أربعة آلاف مثل ، ومنها :

حسبك مما تبغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
هي المقادير فلمنى أو قدر إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر

ومنها :

ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أى مفسده

ومن قوله :

ما الناسُ إلا للكثير المالِ أو لمسلط ما دام في سلطانه

فاذا الزمان رماهما ببلية كان الثقات هناك من أعوانه^(١)

ومن قوله أيضاً :

عذيري من الانسان لا ان جفوته صفالى ولا ان صرت طوع يديه

وانى لمشتاق الى ظل صاحب يروق ويصفوان كدّرت عليه

٥ - أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي^(١) أسبق ثلاثة الشعراء الذين سارت
بذكرهم الرُّكبان وخلد شعرهم الزمان ، ثانيهم البحتري^(٢) ، وثالثهم المتنبى .
والمشهور في نسبه أنه عربي طائي^(٣) ولد سنة ١٩٠ بقرية جاسم على ثمانية فراسخ
من دمشق ، وكان أبواه فقيرين ، ونقل صغيراً الى مصر فنشأ بها فقيراً ، وكان يسقى
الماء بالجرّة في جامع عمرو . ولعل طوّاً مقامه بالمسجد (وهو يومئذٍ عش العلماء)
حبب اليه العلم والأدب ، فتعلم العربية وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ، ونبغ
في قوله . ثم خرج الى مقرّ الخلافة فمدح المعتصم وحظي عنده ، ومدح وزيره محمد
ابن الزيات والحسن بن وهب^(٤) صاحب ديوان رسائله وغيرهم ، ورحل الى
كبار العمال بمالكهم ومدحهم بالقصائد الخالدة ، وقربوه منهم الى حد الصداقة
والإخاء ، ورغبوا به عن التكسب بالشعر ، فولاه الحسن بن وهب بريد الموصل ،
فأقام بها الى أن مات سنة ٢٣١ هـ^(٥)

وكان أسمر طويلاً فصيحاً حلوا الكلام فيه نمتة يسيرة ، حاصر الذهن ، سريع

(١) أي من أعوان الزمان

(٢) اختلف في صحة نسبة الى طي فكثير يقول ان أباه كان نصرانيا من أعاجم الشام وكان اسمه
(ندوس) فغير الى (أوس) ونحن نرجح رأى من يقول بمرتبته ومنهم صاحب الاغانى الذى
يقول فيه انه (من نفس طي صليبة)

(٣) أجداد آل وهب وفريقهم أهل كتابة وإلاغة كتبوا للأسراء والخلفاء منذ صدر الاسلام
الى أواسط الدولة العباسية (٤) في مولد أبي تمام ووفاته روايات عدة اخترنا منها هذه

الجواب ، قلما عرف من أهل زمانه مثله في حِدَّة الخاطر ولطافة الحس^(١) ويعدُّ أبو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين ، انتهت اليه معاني المتقدمين والمتأخرين ، وظهرَ والدنيا قد مُلِئَتْ بترجمة علوم الأوائِل وحِكْمِهَا : من اليونان والفرس والهند فحُصِفَ عقله ولُطِفَ خياله بالاطلاع عليها ، واستخرج من جملة ذلك طريقته التي آثر بها تجويدَ المعنى على تسهيل العبارة . وكان أوَّل من استكثر من الحِكم والأمثال في القصائد والاستدلال على الأمور بالأدلة العقلية ، والكنايات الخفية ، ولو أفضى به ذلك الى التعقيد أحياناً ، وحاول ستر ذلك بالجناس والطباق والاستعارة فسَلِمَ له بعضها واعتلَّ عليه بعضها^(٢) ، فأتى من الجناس بما التاث به شعره ، وصار كالكلِّف في صفحة البدر ، ومع هذا قد سلِمَ له من كلامه جملة لم يُحْمَ حولها سابقٌ ، وعجز عن محاکمتها كلُّ لاحق

وهو الذي مهَّد طريق الحِكم والأمثال للمتنبي وأبي العلاء وغيرهما ؛ ولذلك كان يقال : إن أبا تمام والمتنبي حكيمان والشاعر هو البحرى ولم يُرزَق أحدُ السعادة في شعره وتناول الناس له نقداً وشرحاً واشتهاراً به مثل هؤلاء الثلاثة

وأجاد أبو تمام في كل فن من فنون الشعر . أما مرثيته فلم يعلّق بها أحد جاش صدره بشعر

وأشهرها القصيدة التي رثى بها محمد^(٣) بن حُمَيْد الطائي ومنها :

- (١) حكى انه لما مدح احمد بن المعتصم بقصيدته السينية وانتهى فيها الى قوله :
اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم اخنف في ذكاه اياس
قاله ابو يوسف يعقوب الكندي الفياضوف وكان حاضراً الامير فوق من وصفت « فاطرق ملياً وقال ارنجالاً : لا تنكروا ضربى له من دونه
مثلا شرودا في الندى والباس
فأله قد ضرب الاقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس
(٢) كقوله : خان الصفاء اخ خان الزمان اخا
هذه فلم يتخوف جسمه الكمد
وكقوله : يوم اغاض جوى اغاض تزييا
خاض الهوى بحرى حجاب المزيدي
(٣) هو أبو نصر محمد بن حميد وهو واخوته من شيعة الدولة العباسية وأنصارها وقوادها قاتل احدى وقائع الحرّمية أصحاب بابك الحرّمي

نموجب
من
شعره

كذا فليجلّ الخطبُ وليقدح الأمرُ
توفيت الآمالُ بعد محمد
وما كان إلا مال من قلّ ماله
وما كان يدري بجدي جود كفه
إلا في سبيل الله من عطلت له
فتى كلما فاضت عيون قبيلة
فتى دهره شطران فيما ينوبه
فتى مات بين الطمن والضرب مينة
وما مات حتى مات مضرب سيفه
وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه
ونفس تعاف العار حتى كأنما
قأبت في مستنقع الموت رجله
غدا غدوة والحمد نسج ردائه
وله من قصيدة يدح بها الحسن بن رجاء (١) :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب (٢) للمكان العالى
وتنظري (٣) خبيب (٤) الركاب (٥) ينصّها (٦) محبي القريض (٧) الى مميت المسال
ومن قوله فى الحجاب :

يا أيها الملك النأى بغيرته وجوده لمرجى جوده كئيب (٨)
ليس الحجاب بمقص عنك الى أملا ان السماء تُرجى حين تحتجب
ومن أبياته السائرة قوله :

فلو صوّرت نفسك لم تزدّها على ما فيك من كرم الطباع

(١) من رؤساء الكتاب فى دولة المأمون والمتنم (٢) أى محارب
(٣) اتظري (٤) سرعة سير (٥) ابل السفر (٦) يسوقها (٧) يريد نفسه (٨) قريب
(الوسيط م — ٣٤)

وقال :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ويكدرى الفتى فى دهره وهو عالم
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلـ كن اذاً من جهلهم البهائم
وقال فى وصف سحابة :

سحابة صادقة الأنواء نجرٌ أهدابا على البطحاء
تجمع بين الضحك والبكاء بدت بنار وثنت بماء
ومن أخم قصائده قصيدته البائية التى هنا بها الخليفة المتصم بفتح عمورية
ويسخر بالمنجمين وأولها :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حدّه الحدّ بين الجِدِّ واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى متونهنّ جلاء الشك والريب
٦ - البُحْتَرى ^(١)

هو أبو عبادة الوايد بن عبيد الطائى الشاعر المطبوع ، أشهر من استحق
لقب (شاعر) على الاطلاق بعد أبى نواس

ولد سنة ٢٠٦ بناحية منبج ^(٢) فى قبائل طى وغيرها من البدو الضاربين
فى شواطئ الفرات ، ونشأ بينهم فغلبت عليه فصاحة العرب . ولازم وهو فتى
أبا تمام وعليه تخرج واقتبس طريقته فى البديع بنير إفراط . وخرج إلى العراق وأقام
فى خدمة المتوكل والفتح بن خاقان محترما عندهما مرعى الجانب الى ان قُتلا فى
مجلس كان هو حاضره ، فرجم الى منبج . وبقي يختلف أحيانا الى رؤساء بغداد
وسُرَّ من رأى حتى مات سنة ٢٨٤ هـ

وكان على فضله وفصاحته ورقة كلامه وبديع خياله من أبخل خان الله وأوسخهم
ثوباً وأبفضهم إنشاداً ، وأكثرهم فخراً بشمره ؛ حتى كان يقول إذا أعجبه شمره :
أحسنْتُ والله ، ويقول للمستمعين : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ - ذاك والله ما لا
يحسن أحد أن يقول مثله

(١) نسبة الى بحتر بطن من طى (٢) بين الفرات وحلب

والكثير على انه لم يأت بعد أبي نواس من هو أشعر من البحترى ولا بعد شعره
البحترى من هو أطبع منه على الشعر ولا أبدع منه فى الخيال الشعرى ؛ ولنشأته
البدوية ابتعد فى شعره عن مذاهب الحضريين وتعمقهم وفلسفتهم ؛ فكان شعره
كله بديع المعنى حسن الديباجة ، صقيل اللفظ ، سلس الأسلوب ، كأنه سيل ينحدر
الى الأسباع ، مجوداً فى كل غرض سوى الهجاء ، ولذلك اعتبره كثير من أهل
الادب هو الشاعر الحقيقى ، واعتبروا أمثال أبى تمام والمتنبى والمعرى حكماً . ولسهولة
شعره ورقته كان أكثر الأصوات التى يتغنى بها فى زمنه من شعره . وله ديوان
كبير طبع فى جزأين فى الاستانة وغيرها . ومن أحسن قوله :

دنوت تواضعاً وعلوت مجداً فشأنك انحدار وارتفاع
كذلك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

نبذة من
شعره

ومن قوله فى سرى الليل وطلوع الفجر :

ولقد سررت مع الكواكب راكباً أعجازها ^(١) بعزيمة كالكوكب
والليل فى لون الغراب كأنه هو فى حلوكته ^(٢) وان لم ينمب ^(٣)
والعيس ^(٤) تنصل ^(٥) من دجاء كما انجلى صبح الخضاب عن القذال ^(٦) الاشيب
حتى تبدى الفجر من جنباته كالماء يلمع من خلال الطحلب ^(٧)
ومن قوله فى الحكمة :

إذا ما نسبت الحادثات وجدتها بنات زمان أرصدت لبنيه
متى أرت الدنيا نباهة خامل فلا ترتقب إلا خول نبيه
وقال يمدح أمير المؤمنين المتوكل :

بسر من رآ لنا امام تعرف من بحره البحار
خليفة يرتجى ويخشى كأنه جنة ونار
كلنا يديه تفيض سحاً كأنها ضرة تغار

(١) مآخيرها (٢) فى شدة سواده وظلامه (٣) نيب الغراب صياحه (٤) الابل البيض
(٥) تخرج (٦) شعر مؤخر الرأس (٧) ما يطفو على وجه الماء الآسن من الحضرة

فليس تأتي اليمين شيئاً الا أنت مثله اليسار
فالملك فيه وفي بنيه ما اختلف الليل والنهار

وقال يصف الربيع :

أناك الربيعُ الطالقُ يختال ضاحكاً من الحسن حتى كاد أن يتكلم
وقد نبه النيروزُ في غسقِ الدجى أوائلَ ورْدٍ كُنَّ بالامس نوماً
يُفتقها برْدُ الندى فكأنه يثُ حديثاً كان قبلُ مَكْتَمًا
فمن شجر ردِّ الربيعِ لبَّاسه عليه كما نشرتُ وشيا منمنما
أحلُّ فأبدى للعيون بشاشةً وكان قذَى للعين إذ كان مُحْرَما
ورقٌ نسيمُ الريح حتى حسبته يجيءُ بأنفاسِ الاحبة نَعْمًا

٧ - ابن الرومي

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي مولى بني العباس ، الشاعر
المكثر المطبوع ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، والمعاني المخترعة ،
والأهاجي المقدعة

ولد ببغداد سنة ٢٢١ ونشأ بها وأقام كل حياته ، وكان كثير التطير جداً ، وله
فيه أخبار غريبة ، حتى كان أصحابه إذا أرادوا أن يعبثوا به أرسلوا اليه من يتطير
من اسمه فلا يخرج من بيته ، ويمتنع من التصرف سائر يومه . وكان القاسم بن
عبيد الله وزير المتمرز يخاف هجوه وقلبات لسانه ، فيقال انه دس عليه من أطعمه
'خشكناة' (١) مسومة فأكلها ، ثم أتى منزله وأقام به أياماً ومات سنة ٢٨٣
ببغداد . وقيل بل مرض ووصف له الطيب دواءً فيه سمٌ فغلط في مقداره وأكثرت
منه فمات

وقال ابن الرومي الشعر في كل غرض ولا سيما الوصف والهجاء ونبغ في الشعر
نبوغاً لم يتعثر به كثيراً عن درجة البحتری ، وربما فقه في اختراع المعاني النادرة

شعره

(١) ترادف ما يسمى الآن (بسكوينا)

أو توليدها من معاني من سبقه بشكل جديد ، ووضعها في أحسن قالب ؛ وكان اذا اخترع المعنى أو ولده من كلام غيره لا يزال يستقصى فيه وينظمه بوجوه مختلفة حتى لا يدع فيه بقية ؛ وهو ممن جمع صِقال اللفظ وإجادة المعنى . ويكفيه فضلاً أن يكون المنبئ أحد رواة ديوانه والآخذين عنه . وكان يكثر القول في مطولاته .

خيرذل منها الكثير . وله ديوان كبير طبع بعضه ؛ ومن معانيه البديعة قوله :

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله وأطال فيه فقد أطال هجاءه
لوم يقدر فيه بُعد المستقي عند الورود لما أطال رِشاءه^(١)

وقال بمدح :

كأن مواهبه في المحو ل آراؤه عند ضيق الحيل
فلو كان غنياً لعم البلاد ولو كان سيقاً لكان الأجل
ولو كان يعطى على قدره لأغنى النفوس وأغنى الأمل

وقال :

كم من يد بيضاء قد أسديتها تثني اليك عنان كل وداد
شكر الإله صنائعاً أوليتها سلكت مع الأرواح في الأجساد
وقوله في صانع رُقاق :

ما أنس^(٢) لا أنس خبازاً مررت به يدحو^(٣) الرقاقة مثل الملح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء^(٤) كالقمر^(٥)
إلا بمقدار ما تنداح^(٦) دائرة في جلة الماء يلقي فيه بالحجر
وقال في بغداد وقد غاب عنها في بعض أسفاره :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا ولبست ثوب اللهو وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رأيت وعليه أغصان الشباب تميد

(١) حبله (٢) (ما) شرطية و (انس) فعل الشرط و (لا أنس) جوابه — والمعنى ان نسيت شيئاً لا أنس كذا (٣) يسهط (٤) واسعة (٥) في حسن الاستدارة والبياض (٦) تعظم وتبسط

وقال وهو يجود بنفسه :

غَاظَ الطَّيِّبَ عَلَى غَلْطَةِ مُورِدٍ عَجَزَتْ مَوَارِدُهُ عَنِ الْإِصْدَارِ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ الطَّيِّبَ وَأَمَّا غَلْطُ الطَّيِّبِ إِصَابَةُ الْأَقْدَرِ

٨ - ابن المعتز

هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله ابن أمير المؤمنين محمد المعتز بالله ،
أشعر بنى هاشم ، وأبرع الناس في الأوصاف والتشبيهات

ولد سنة ٢٤٧ هجرية في بيت الخلافة ، وتربى تربية الملوك ، وأخذ عن المبرّد^(١)
ونعلب^(٢) ومؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي^(٣) وغيرهم ، ومهر في العربية والأدب
وكل علم يعرفه أئمة عصره وفلاسفة دهره ، حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كتابها ،
وعملوا على أن لا يقلدوه الخلافة خشية أن يكف أيديهم عن الاستبداد بالملك ،
وَوَلَّوْا المقتدر صبياً . ثم حدثت قنّ عظيمة فتسرع محمد بن داود بن الجراح^(٤)
(وكان من أفاضل الكتاب والأدباء) وجمع العلماء والكتاب والقضاة وخلصوا
المقتدر ، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة على غير طلب منه ، فلما رأى غلمان المقتدر أن
الأمر سيخرج من أيديهم حملوا على أتباع ابن المعتز فاختفى في دار بعض التجار^(٥) ،
فقبض عليه وخنق من ليلته ودفن بخرقة بجوار داره سنة ٢٩٦ هجرية

وكان ابن المعتز سهل العبارة ، كثير مراعاة البديع في قوله مع رشاقة وقلة
تكلف وتصنع . ولما كان مقامه يحلّ عن الاكتساب بالشعر قلّ المدح في كلامه
إلا في أهل بيته من الخلفاء وبعض وزراء الدولة ، وزاد في التشبيهات البديعة ،

شعره

(١) هو النحوى البصرى العظيم والاديب الكبير ابو العباس محمد بن يزيد المبرّد الازدى
المتوفى سنة ٢٨٥ صاحب الكامل والروضة والمقتضب (٢) هو النحوى العظيم الكوفى ابو
العباس احمد بن يحيى المشهور بشلب ، توفى سنة ٢٩١ (٣) كان أدبياً متفلسفاً أدب عبد الله
وروى عنه أخباره وشعره (٤) كان كاتباً صارفاً بأخبار الناس ودول الملوك ، له جملة مصنفات ،
قتل في فتنة ابن المعتز سنة ٢٩٦ (٥) هو ابو عبد الله الحسين المعروف بابن الجصاص التاجر
الجوهري أخذ منه المقتدر في حادثة ابن المعتز الى الف دينار وسلم له بعد ذلك سبعمائة الف
دينار ، وكان فيه غلة وبله على غنى مفرط ، توفى سنة ٣١٥

وأوصاف محاسن الطبيعة ، ومجالس الأنس ، ومراسلة الاخوان في الدعوة اليها ،
ووصف الصيد وكلابه وبواشقه وفهوده ، والقلم والقرطاس ، ونحو ذلك
والم تأمل في شعره يعرف فيه نضرة النعيم ، وترّف الملك ، ورقة الخيال ،
ولطف الوجدان

ومن ابتداءاته الجميلة قوله :

أخذتُ من شبابيَ الأيام وتولى الصبا عليه السلامُ
وارعوى باطلي فبان حديث النفس منى وعفت الأحلام
وقوله :

ما المغانى من بعدهم بالمغانى فليكن شأنك البكاء وشانى
امتحنى ربهم وكان جديداً ونأى منهم الذى كان دانى
مامررنا على لوى فيه نعم^(١) مذ مررنا على لوى نيمان^(٢)

ومن شعره قوله يصف فصل الربيع :

حبذا آذار شهراً فيه للنور انتشار
ينقص الليل اذا حل م ويمتد النهار
وعلى الأرض اصفرار واخضرار واحمرار
فكان اروض وشى^٣ بلغت فيه التجار
نقشه آس ونسرين وورد وبهار

ومن تشبيهاته قوله فى الهلال :

وانظر اليه كزورق من فضاء قد أثقلته حمولة من عنبر
وقوله :

انظر الى حسن هلال بدا يهتك من أنواره الحنيسا^(٤)
كنجل قد صيغ من فضاء يحصد من زهر الدجى نرجسا

(١) من أسماء نسايم (٢) مكان وجيلان ببلاد العرب (٣) الظلام

وقال يصف :

كَأَن سَمَاءَنَا لَمَّا تَجَلَّتْ خِلَالَ نَجْمِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ
رِيَاضَ بَنَفْسِجٍ خَضِلٍ نَدَاهُ تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوْرَ الْأَقَاحِي

وقال :

قَدْ أَغْتَدَى وَاللَّيْلَ فِي جَلْبَابِهِ كَالْحَبَشِيِّ فَرًّا مِنْ أَصْحَابِهِ
وَالصَّبْحَ قَدْ كَشَرَ عَنْ أَنْيَابِهِ كَأَنَّمَا يَضْحَكُ مِنْ ذَهَابِهِ

وقال :

وَفَتَيَانِ غَدَا وَاللَّيْلَ دَاجٍ وَضُوءَ الصَّبْحِ مِنْهُمْ الْوَرُودِ
كَانَ بَزَائِهِمْ أُمَرَاءَ جَيْشٍ عَلَى أَكْتَافِهِمْ صَدَأُ الْحَدِيدِ

٩ - أبو الطيب المتنبي

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي المتنبي ، الشاعر الحكيم صاحب الأمثال السائرة ، والمعاني النادرة ، وخاتم ثلاثة الشعراء ، وآخر من شارف شعره غاية الارتقاء

وهو من سلالة عربية من قبيلة جعفي بن سعد العشيرة : إحدى قبائل اليمانية ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ في محلة كندة ونسب إليها ، وليس بكندي . ونشأ بها . واولع بتعلم العربية من صباه . وكان نادرة في الحفظ لا يسأل عن شيء الا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر : وكان أبوه فيما يقال سقاء ، فخرج به الى الشام ، ورأى أبو الطيب أن استتمام علمه باللغة والشعر لا يكون إلا بالمعيشة في البادية فخرج الى بادية بني كلب ، وهو بعد قتي لا يزيد عمره على عشرين سنة ، فأقام بينهم مدة ينشدونهم من شعره ويأخذونهم اللغة إذ كانت لا تزال صحيحة بالبادية حتى أحاط بغريبها وحوشها ، فعظم شأنه بينهم . وكانت الأعراب الضاربون بمشارف الشام

شديد الشغب على ولايتها فوشى بعضهم الى لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدية^(١) بأن أبا الطيب ادعى النبوة في بني كلب^(٢) وتبعه منهم خلق كثير ونحشى على ملك الشام منه . فخرج لؤلؤ الى بني كلب وحاربهم وقبض على المتنبي وسجنه طويلاً ثم استتابه وأطلقه^(٣)

فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبي مع كراهته له . ثم تكسب بالشعر مدة انتهت بلحاظه بسيف الدولة بن حمدان^(٤) فمدحه بما خلّد اسمه أبداً الدهر، وتعلم منه الفروسية ، وحضر معه وقائمه العظيمة مع الروم حتى عدّ من أبطال القتال طمعاً منه أن يكون صاحب دولة . وبقي أثيراً عنده مقدماً على جميع حاشيته وبطانته مع حلفه ونبيه . فوشوا به الى سيف الدولة . وكان أشدهم حسداً له ابن خالويه النحوي^(٥) مؤدّب سيف الدولة . فحرت مناظرة بينه وبين أبي الطيب في مجلس سيف الدولة ، فضربه ابن خالويه بمفتاح حديد في وجهه فشجّه ولم ينصفه سيف الدولة منه . فقصد أبو الطيب كافوراً الاخشيدى أمير مصر رجاء أن ينال عنده ما لم ينل عند سيف الدولة ، ومدحه بقصائد سنية . ووعده كافور أن يقلده اماراً او ولاية . ولكنه لما رأى تفاليه في شعره وفخره بنفسه عدل أن يوليه ، وعاتبه بعضهم في ذلك فقال :

(١) الدولة الاخشيدية هي دولة استقلت بمصر والشام والحجاز استقلالاً داخلياً من سنة (٣٢٤ — ٣٥٨ هـ) ورأسها (محمد بن طنج الاخشيد) مات سنة ٣٣٤ وخلفه ابنه ابو القاسم أنوجور وكان صنيحاً فجعل الاستاذ ابو المسك كافور الحصى الاسودقيما عليه فمات أنوجور سنة ٣٤٩ وخلفه أخوه علي ولم يكن له مع كافور من الامر شيء ومات سنة ٣٥٥ فتولى كافور ملك مصر وجاءه تقليد الخليفة ومات سنة ٣٥٧ فتولى احمد بن علي بن الاخشيد فاقام شهوراً حتى جاءت الدولة الفاطمية وفتحت مصر (٢) راجع مصور جزيرة العرب الملاحق بهذا الكتاب

(٣) راجع كتاب تاريخ أدب اللغة في العصر العباسي

(٤) هو أبو الحسن علي أشهر أمراء الدولة الحمدانية من قبيلة تغلب ، وكان سيف الدولة يملك حلب والعواصم ، ثم أخذ دمشق من الاخشيدية ومات سنة ٣٥٦ وكان أخوه الحسن ناصر الدولة تملك الموصل والجزيرة وخلف سيف الدولة ابنه سعد الدولة ، وخلف ناصر الدولة ابنه ابو تغلب ثم أخوه الفضل (٥) هو أبو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه كان اماماً في اللغة والنحو . توفي سنة ٣٧٠

يا قوم: من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أما يدعى الملكة بعد كافور! فحسبكم.
فعاثبه أبو الطيب عتاباً أمضه وآله ، واستأذن في الخروج من مصر فأبى ، فتغفله ليلة
عيد النحر سنة ٣٥٠ هـ وخرج منها يريد الكوفة ، ومنها قصد عضد الدولة بن
بويه بفارس ماراً ببغداد ، فمدحه ومدح وزيره ابن العميد فأجزل صلته وعاد الى
بغداد ؛ وخرج الى الكوفة . فخرج عليه أعراب بنى ضبة وفيهم فاثك بن أبي جهل
وكن المتنبي قد هجاه هجاء مقدعاً ، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل هو وابنه وغلامه
سنة ٣٥٤

منزله في الشعر — لاختلاف عند أهل الأدب في أنه لم ينبغ بعد المتنبي في الشعر
من بلغ شأوه أو دانه ، والمعري على بعد غوره وفرط ذكائه وتوقد خاطره وشدة
تعمقه في المعاني والتصورات الفلسفية يعترف بأبي الطيب ويقدمه على نفسه وغيره
موازنة
بين المتنبي
والطائيين
شعره المتنبي أرجحهما . وقد قال المتنبي الشعر في كل غرض من أغراضه ، وأجاد في وصف
المعارك والعتاب والمرائي ، أما مدائحها فهي أكثر بضاعته ، وقلما ترك فيها معنى
لم يطرقه . ولثقتة بنفسه في اللغة وعلوم العربية جعل غايته في شعره إبراز معانيه
الشريفة وأفكاره الدقيقة على أي لفظ كان وبأي أسلوب تهيأ له ، ولولم يجز على
مشهور القياس^(١) أو ينطبق على وجوه البلاغة والأساليب الشعرية^(٢) السهلة ؛
ولذلك نجد في كلامه كثيراً من الغرابة^(٣) والتعقيد اللفظي^(٤) . وله من الحكم
والأمثال ما يربو به على كل شاعر تقدمه . وقد أصبح للغة العربية وآدابها من كلامه

- | | | |
|-----------|------------------------------|-----------------------------|
| (١) كقوله | ولا يبرم الامر الذي هو حال | ولا يحال الامر الذي هو مبرم |
| (٢) « | لولم تكن من ذالوري المذمك هو | عقت بمولد نسلها حواء |
| (٣) « | مبارك الاسم اغرّ القلب | كريم الجرشي شريف النسب |
| (٤) « | اني يكون ابا البرية آدم | وابوك والثقلان انت محمد |

ثروة لم تكن لها لولاه ، وما من كاتب أو خطيب أو متكلم أو مناظر أو مدرّس
إلاّ وله من حكم المتنبي مدد أيّما مدد

ومن قوله :

نبي من
شعره

إذا رأيت نيوب الليث بارزةً فلا تظنّ أن الليث يبتسمُ
أعيذها نظراتٍ منك صادقةً أن تحسب الشحمَ فيمن شحمه مرم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
يامن يعزّ علينا أن نفارقهم وجداننا كلّ شيءٍ بعدكم عدم
ان كان سرّكم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم
ويننّا لو رعيتم ذاك معرفةً ان المعارف في أهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيباً فيُعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألاّ تفارقهم فالراحلون هم

ومن قوله يمدح سيف الدولة ويصف معركة :

أتوك يجرّون الحديد كأنما سروا بجياد ما هن قوائم^(١)
خمس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم^(٢)
تجمع فيه كل لسن^(٣) وأمة فما يفهم الحداث إلا التراجيم
وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلّى^(٤) هزيمة ووجهك واضح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى الى قول قوم أنت بالغيب عالم
ضمت جناحيهم على القلب ضمةً تموت الخوافي تحتها والقوادم
بضرب أتى الهامات والنصر غائب وصار الى اللبات^(٥) والنصر قادم
حقرت الردينيات^(٦) حتى طرحتها وحتى كأن السيف للرمح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فأنما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرهم فوق الاحيدب^(٧) كله كما نثرت فوق العروس الدراهم

(١) كناية عن أنهم مسربلون هم والحبل بالحديد الى الأرض (٢) اصوات الرعد واران بها
الاصوات الشديدة (٣) لغة (٤) مجرّحة (٥) اعالى الصدور (٦) الرماح (٧) جبل الحدث

ومن قوله يرثي :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى أن الكواكب في التراب تمور
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى رَضَوِي^(١) على أيدي الرجال يسير
خرجوا به ولكلِّ باك حوله صعقات موسى يوم دُكَّ الطور
حتى أتوا جدناً كأن ضريحه في كل قلبٍ مُوجِدٍ محفور
كفلَ النناء له بردَ حياته لما انطوى فكأنه منشور
وديوان شعره مشهور شرح وانتقد وكتب فيه أكثر من أربعين تأليفاً .
ومن شروحه المطبوعة شرح العُكْبَرِي وشرح الواحدى

١٠ - ابن هانئ الأندلسي

هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي ، شاعرُ الغرب ومُتَنَبِّيه ،
والمؤثرُ فخامةً ألفاظه على رقة معانيه ، وأحد المفرطين في غلو المدح واستعمال
الاستعارة والتشبيه

ولد بإشبيلية سنة ٣٢٦ ولما نبه شأنه اتصل بعامل اشبيلية زمن المستنصر
الاموي^(٢) ومدحه بغير القصائد فأحلّه منه منزلة سنية وأغدق عليه العطايا فأكب
على اللهو والطرب والاستهتار ، واتهم بالزندقة والكفر لاشتغاله بمذاهب الفلاسفة
وظهور أثرها في شعره باستعمال الغلو المفرط في وصف ممدوحه بصفات المعبود
وغير ذلك

ولما شاع ذلك عنه تقمه عليه أهلُ اشبيلية وأشركوا عاملها في التهمة وكادوا
يهمون به ، فأشار عليه بالهجرة من إشبيلية فاجتاز البحرَ الى عُدُوَّة المغرب ، ومدح
ولأته من قبل المعز الفاطمي . ثم نفي خبره الى المعز^(٣) فوجه في طلبه فوفد عليه

(١) جيل بالحجاز راجع مصور جزيرة العرب الملحق بهذا الكتاب

(٢) هو الحكم بن عبد الرحمن الناصر توفى سنة ٣٦٦ (٣) هو أبو تميم محمد بن اسماعيل رابع
خلفاء الدولة الفاطمية وباعت القائد جوهر لفتح مصر ففتحها وأسس القاهرة وانتقل إليها المعزومات
بها سنة ٣٦٥ وأوائل خلفاء هذه الدولة كانوا بالمغرب ورأسهم هبيد الله المهدي توفى سنة ٣٢٢
ثم خلفه ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد نزار وتوفى سنة ٣٢٣ ثم خلف هذا ابنه المنصور اسماعيل
توفى سنة ٣٤١ ثم ابنه المعز المذكور آنفاً وحكم مصر أولاده وأحفاده وأشهرهم ابنه العزيز
ثم ابن العزيز الحاكم بأمر الله ثم ابنه الظاهر ثم عدة منهم وانقرضت دولتهم سنة ٥٦٧ هـ

بأفريقية ومدحه فبالغ في الانعام عليه ، ودخل في دعوة الفاطميين وأغرق فيها ،
فأصطفاه المعز وأخذ شاعر دولته

ولما فتح جوهر مصر وبني القاهرة ، ورحل اليها المعز ليتخذها دار ملكه شيعة
ابن هانيء ورجع لأخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه ؛ فلما وصل الى برقة نزل
على بعض أهلها فأقام عنده أياماً في مجلس أنس ، فيقال انهم عربدوا عليه وقتلوه
سنة ٣٦٢ وعمره ٣٦ سنة ، وقيل في سبب موته غير ذلك

ولم ينبغ في شعراء جزيرة الاندلس ولا بر المغرب جميعه من متقدميهم أو
متأخريهم من يفوق ابن هانيء في صناعة الشعر أو يساويه ؛ فقد كان عندهم في الشهرة
والاجادة وشرف الشعر بمنزلة المتنبي عند المشارقة لا في الطريقة والمعاني ، وكانا في
عصر واحد . ويسميه كثير من الأدباء بمتنبي المغرب

ولما بلغ المعز الفاطمي خبر وفاته وهو بمصر تأسف عليه كثيراً وقال (هذا
الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك) ويمتاز شعره بكثرة
غريبه ، وفخامة لفظه ووطننة تراكيبه ، وجلبة عبارته وهول وقعها في نفس سامعها
وان لم تكن كل معانيه مشاكلةً للفظه في العظم والروعة ، كما امتاز بحسن تصوير
الخيال ، وإجادة التشبيه والاستعارة المتلئة العلائق والقرائن ، وكثرة الغلو الذي
يقرب من الكفر في المديح ونحوه ، مع شدة تحامى الاندلسيين ذلك في شعرهم
والشأنهم . وابن هانيء ممن يجيد المطولات من القصائد ولو كانت صعبة القوافي

ومن قوله في وصف الخيل :

وصواهلٍ لا الهضب^(١) يوم مغارها^(٢) هَضْبٌ ولا البيد الحزون^(٣) حزون
عُرِفَتْ بِسَاعَةِ سَبْقِهَا لَا أَنَّهَا عَلِقَتْ بِهَا يَوْمَ الرَّهَانِ عَيُونُ
وَأَجَلٌ عِلْمُ الْبَرْقِ فِيهَا أَنَّهَا مَرَّتْ بِجَانِحَتَيْهِ وَهِيَ ظُنُونُ

ومن قوله الموهم الكفر في مطلع قصيدة يمدح بها المعز :

مَا شَأْنُ لَا مَا شَأْنُ الْأَقْدَارُ فَاحْكُمِ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

(١) الهضب والهضبة الجبل المنبسط على الارض (٢) أى يوم أغارتها (٣) جمع حزن ضد السهل

وقوله من قصيدة في مدح المعز ويخاطب حامل مَظَلَّتِهِ :

أُمْدِيرَهَا مِنْ حَيْثُ دَارَ لَشَدَّ مَا زَاخَمَتْ نَحْتَ رِكَابِهِ جَبْرِيلَا
ومن قوله في مبداء قصيدة رثاء :

صَدَقَ الْفَنَاءُ وَكُذِّبَ الْعَمْرُ وَجَلَا الْعِظَاتُ^(١) وَبَالِغَ النَّذْرِ
إِنَّا فِي آمَالِ أَنْفُسِنَا طَوْلٌ فِي أَعْمَارِنَا قَصْرُ
لَتَرَى بِأَعْيُنِنَا مَصَارِعَنَا لَوْ كَانَتْ الْأَلْبَابُ تَعْتَبِرُ
مِمَّا دَهَانَا أَنْ حَاضِرْنَا أَجْفَانُنَا وَالْغَائِبُ الْفِكْرُ
وَإِذَا تَدَبَّرْنَا جَوَارِحَنَا فَأَكْلَمُنَّ الْعَيْنُ وَالنَّظَرُ
أَيَّ الْحَيَاةِ الَّتِي عِشْتَهَا مِنْ بَعْدِ عَلَمِي أَنَّنِي بَشَرُ
خَرَسَتْ (أَعْمَرُ اللَّهِ) أَلْسِنَا لَمَّا تَكَلَّمْ فَوْقَنَا الْقَدَرُ

١١ - أبو العلاء المعري

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري الشُّوْخِي^(٢) الشاعر
الفيلسوف المتفنن الزاهد ، صاحب التصانيف والرسائل الماثورة
وهو عربي النسب من قبيلة تَنُوح من بطون قُضَاعَةَ ، وبيته بيت علم وقضاء .
وُلِدَ بِمَعْرَةَ النِّعْمَانِ^(٣) سنة ٣٦٣ هـ وجُدُر في الثالثة من عمره فَكُفَّ بصره ، وتعلم النحو
والعربية على أبيه وغيره من أئمة زمانه . وكان يحفظ كل ما يسمعه من مرة . وانتفع
كثيراً من دار كتب آل عمار^(٤) أمراء طرابلس الشام . وقال الشعر وعمره
أحدى عشرة سنة . ودخل بغداد وأقبل عليه السيد المرتضى^(٥) اقبالاً عظيماً

(١) المفعول محذوف أي جلا العظات الشبهات والغفلات في أمر الدنيا

(٢) راجع مصور جزيرة العرب في هذا الكتاب (٣) بلدة بين حماه وحلب أضيفت إلى النعمان
ابن بشير الصحابي لأنه اجتاز بها فدفن بها ولداً له ثم أقام بها (٤) هم أسرة استبدوا من طرابلس
الشام وملحقاتها وجمعوا من الكتب مالا يحصى فأحرقها الصليبيون عند استيلائهم على طرابلس
وأشهر هذه الأسرة أبو طالب بن عمار قاضي طرابلس المتوفى سنة ٤٦٤ هـ ثم ابن أخيه جلال الملك
أبو الحسن بن عمار (٥) هو السيد الشريف أبو القاسم علي بن الحسين أخو الشريف الرضي .
وهو صاحب (أمالى السيد المرتضى) توفي سنة ٤٣٦ هـ

ثم جفاه (١)

ولما رجع الى المعرة أقام ولم يبرح منزله ونسك وسمى نفسه رهن المحبين :
محس العمي ومحس المنزل . ووفد عليه الطلاب والأدباء والرواة والمتفلسفون ،
وكتابه الوزراء والعلماء . وبقي في منزله مكبا على التدريس والتأليف ونظم الشعر مقتنعا
بعشرات من الدنانير في العام يستغلها من عقار له محتجبا كل الحيوان وما يخرج
منه مدة ٤٥ سنة مكثفيا بالنبات والفاكهة والدبس (٢) متعللا بأنه فقير وأنه يرحم
الحيوان . وعاش عزبا إلى أن مات سنة ٤٤٩ بالمعرة . وأوصى أن يكتب على قبره :
هذا جناه أنى علسى وما جنيت على أحد

وله كثير من الشعر يناقض بعضه بعضا (٣) في حقيقة العالم والشرائع والمعبود ،
وللناس في اعتقاده أقوال كثيرة والظاهر أنه كان شاكّا متحيراً

وكان أبو العلاء المعري أحكم من رأى الناس بعد المتنبي ، وبزید علمیه فی الغریب شعره
والأخيلة الدقيقة والتكلم في الطبائع ووسائل الاجتماع وعادات الناس وأخلاقهم
ومكرهم وظلمهم ونظام الحكومات والقوانين والشرائع والأديان ، ولذلك يفضلته
الإفرنج ومستعربوهم عليه وهو في هذه الأمور معدوم النظر ، ولم ينظم في الملة أحد
غيره فيها . وشعره في المداخل والمراني والوصف وبقية أغراض الشعر الادبية أرق من

(١) وذلك أنه جرى يوما بحفرة المرتضى ذكر المتنبي فتغصه فقال المعري وكان يتعصب له لو
لم يكن له الا القصيدة التي مطلعها « لك يا منازل في القلوب منازل » لكفاه فضلا . فنضب المرتضى
وامر فسحب برجله واخرج من مجلسه وقال لمن بحضرته اندرون أى شيء أراد الاعمى بذكر هذه
القصيدة فان المتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها فقبل السيد النقيب اعرف
فقال اراد قوله في هذه القصيدة :

واذا اتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل
(٢) هو عمل التمر والفاكهة (٣) فبينما هو يقول :

لا اطلب الارزاق والى — مولى يفيض على رزق
ان اعط بعض القوت اء — لم ان ذلك ضئف حق

اذ يقول :

اذ كان لا يحظى برزقك فاقبل وترزق مجنونا وترزق احقا
فلا ذنب يارب السماء على امرى رأى منك مالا يشتمى فترزقا

شعره في النقد والفلسفة ، إلا أن أكثر شعره من هذا القبيل ضمنه ديوانه المسمى لزوم ما لا يلزم فتقيد فيه بقيود حبست أفكاره ونهكت معانيه فجاءت ألفاظه فيه غريبة وأساليبه معقدة ، وعندنا أن هذا أمقت شذوذه ، وإلا فما للفيلسوف والقيود اللفظية ، وقد كان له في نظم الأفكار التي لم تخطر على قلب أحد سواء غنية وشهادة على براعته وسبقه ، والله في خلقه شئون

ومن مرائيه مرثيته المشهورة ، ومنها :

غَيْرُ مُجِدِّ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نُوْحُ بَالِكٍ وَلَا نَرْثُمُ شَادٍ
 وشبيه صوت النعي إذا قبس بصوت البشير في كل ناد
 أَبَكَّتْ نِلْكُمْ الْحَمَامَةُ أُمُ غَسَّتْ عَلَى فَرْعِ غَصْنِهَا الْمِيَادُ (١)
 صاح هذي قبورنا تملأ الرُّحْبَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادٍ
 خَفَّفَ الْوُطءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْأَرْضِ الْآنَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
 وَقَبِيحٌ بَنَّا وَإِنْ قَدُمُ الْعَهْدُ هَوَانُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
 سَرَّانٍ اسْتَطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رَوَيْدًا لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ
 رَبُّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضَا حَكٌ مِنْ تَزَا حَمِ الْأَضْدَادِ
 وَدَفِنَ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ
 فَاسْأَلِ الْفَرَقْدِينَ (٢) عَنْ أَحْسَا مِنْ قَبِيلِ وَأَنْسَا مِنْ بِلَادِ
 كَمْ أَقْلَمَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ وَأَنَارَا لِمُدْلِجٍ فِي سَوَادِ
 نَعْبٍ كُلِّهَا الْحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبُ الْأَمْنَ رَاغِبٍ فِي إِزْدِيَادِ
 إِنْ حَزْنَا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
 خَلَقَ النَّاسَ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ
 إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لِي إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رِشَادِ

(١) أي أني لا أعرف الذرق بين صوت النعي وصوت البشير كما لا يعرف الناس صوت الحمامة فبعضهم يسميه بكاء وبعضهم يسميه غناء (٢) هما نجران في بنات نضال الصغرى (الدب الأصفر)

وهي طويلة ومنها :

بان أمرُ الإله واختاف الناس فداغ إلى ضلال وهاد
والذي حارت البرية فيه حيوانٌ مستحدثٌ من جماد
فاللييب اللييب من ليس يفتسر بكونٍ مصيره للفساد

ومن قوله الموهم في اللزوميات :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
نحطاً منا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

١٢ - ابن خفاجة الاندلسي

هو أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجة ، شاعر شرقيّ الاندلس ، وأحد
وصّاف الطبيعة

وُلد بجزيرة شَقَر^(١) من أعمال بلنسية سنة ٤٥٠ فتعلم ونادّب ونظم الشعر ،
وأحسن فيه ، وكتب الرسائل الاخوانية البليغة . وما زالت شمس أدبه في صعود
حتى صار واحد زمانه في الاندلس : شعراً ونثراً ، وحلاوة منطق ، وحسن محاضرة
وعلوّ همة ، فقلما ترض لاسماحة ملوك الطوائف^(٢) مع تهاقهم على أهل الأدب .
وكان في صباه طُروباً عاكفاً على اللذات ثم أقع في كهولته عن صبوته . وغلب على
شعره وصف الحوادث الجوّية ومناظر الطبيعة بأخيلة جميلة ، وتشبيهات بديعة . وله
غزل رقيق ، ومدح بارع ، ورناء بليغ . ويمتاز شعره بالجزالة وكثرة المعاني وازدحامها
في اللفظ حتى يحتاج في فهمها الى التأمل على خلاف مذهب الاندلسيين في ذلك ،
وتوفي سنة ٥٣٣ هـ

(١) هي بلدة بين شاطبة وبلنسية من شرق الاندلس ، وسيت جزيرة لازلالماء محيط بهامن
اكثر جهاتها (٢) لما انقرضت دولة بني أمية بالاندلس تقسم ولائها فواحيتها واستبد كل منهم
بعمل وسموا ملوك الطوائف

حلافة
من
شعره

ومن قوله يصف زهرة :

ومائسة تزهي وقد خلع الحيا
عليها حلي حمراً وأردية خضرا
يذوب لها ريق الغمام فضة
ويجمد في أعطافها ذهباً نضرا
وقوله :

وبوم جرى برقه أشقراً
تري الأرض فيه وقد فضضت
يطارد من مزنه أشهباً
ووجه السماء وقد ذهباً

وقوله يصف نهراً :

تمتطف مثل السوار كأنه
قد رق حتى ظن قُرصاً مفرغاً
والزهر يكتفه بجر سماء
هذب يحف بمقلة زرقاء
والريح تعبت بالغصون وقد جرى
ذهب الأصيل على لجين الماء

١٣ - الطفرائي^(١)

هو مؤيد الدين الاستاذ العميد فخر الكتاب أبو اسماعيل الحسين بن محمد الطفرائي صاحب لامية العجم . وهو اصبهاني الأصل ، برع في الكتابة والشعر حتى كان أوجد زمانه ، ولم ينبغ بعده في الشرق من يضاهيه . وترقت به الحال في خدمة سلاطين آل سلجوق الى أن صار وزيراً للسلطان مسعود بن محمد السلجوقي ، صاحب الموصل . ولما قهره أخوه السلطان محمود كان أول من اعتقل الوزير أبو اسماعيل الطفرائي ، ففسد بعض حسدته من رؤساء الكتاب الى السلطان محمود أنه ملحد فقتله ظلماً سنة ٥١٣

وله ديوان شعر جيد مطبوع في الاستانة

ومن شعره لامية العجم المعتبرة من عيون الشعر وقد كان قالمها ببغداد سنة ٥٠٥

(١) الطفرائي من يكتب الطفراء (وهي الطرة) وكانت تكتب في الدولة السلجوقية فوق البسملة بخط معاق فيها نموت السلطان وألقابه

يشكو فيها الزمان واهله . وهي مشهورة مشروحة بشروح كبار وصفار أكثرها مطبوع، وأولها:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل
ومنها:

حب السلامة يثني همَّ صاحبه عن المعالي ويفرى المرء بالكسل
فان جنحت اليه فاتخذ نفقاً في الأرض أو سلماً في الجو واعتزل
ودع غمار العلا للمقدمين على ركوبها واقنع منهم بالبلل
رضا الدليل بخفض العيش مسكنة والعز تحت رسم الأئنيق الدلل
وقال يصف:

وكانما الشمس المنيرة إذ بدت والبدر يجنح للمغيب وما غرب
متحاربان : لذا مجن صاغه من فضة ، ولذا مجن من ذهب
وقل يصف سحابة:

سارية ذات عبوس برقها بضحك والأجفان منها تهمل
كحلمة دكناء في حاشية فيها طراز مذهب مسلسل
إذا دنت عشارها صاح بها قاصف رعد وحدتها الشمال
وقال يصف غديراً:

عجنا الى الجزع الذي مد في أرجائه الغيم بساط الزهر
حول غدير ماؤه المنتهى الى بنات المزن يشكو الخصر
لولا ذت الريح سموماً به لا تقلبت وهي نسيم السحر
حصباءه در ور ضراضه سُحالة العسجد حول الدّرر
وقد كسته الريح من نسجها درعا به يلتقى نبال المطر
والبسته الشمس من صبغها نوراً به يخطف نور البصر
كانها المرأة مجلوة على بساط أخضر قد نشر

وقال وقد رزق مولوداً على كبر :

هذا الصغير الذى وافى على كبر
أقر عيني ولكن زاد فى فكرى
سبع وخمسون لو مرت على حجر
لبان تأثيرها فى صفحة الحجر
ومن كلامه فى القصص والأمثال :

شؤم الوشاية

لقد جاء فى أمثالهم ان ثعلباً
أضر به جوع شديد فشقه ^(١)
فجاز لديه الذئب يوماً بخلوة
فكله وأطعمه ^(٢) فما هو شكلنا
فلما أحسن الثعلبان ^(٣) بكيده
وقال : أرى بالملك داء مماطلاً
وفي كبد الذئب الشفاء لدائه
فصادف منه ذا قبولاً فعندها
فأفلت مسلوخ الأهاب ^(٤) مرلاً ^(٥)
وصاح به يا لابس الثوب قانناً ^(٦)
وذئباً أصابا عند ليث تقدمه
وأبقى له جلدًا رقيقاً وأعظمه
فقال : كفك الثعلب اليوم مطعماً
ولست أرى فى أكله لك مائماً
تطبّب عند الليث واحتال مُقدماً
تهدم منه جسمه وتحطماً
فان نال منها ينج منه مسلماً
أحال ^(٧) على الذئب الخبيث فصمماً
فلما رآه الثعلبان تبسماً
مضى نخل بالسلطان فاسكت لتسلماً

البهاء زهير

هو الوزير الشاعر الكاتب أبو الفضل بهاء الدين زهير بن محمد بن علي المهلبى
الأزدى المصرى صاحب السهل الممتنع والغزل الرقيق والعتاب الرفيق

ولد بوادى نخلة قرب مكة سنة ٥٨١ هـ ، ونشأ بمصر

وأجاد فنون العربية ؛ فبرع فيها نظماً ونثراً وخطاً . ثم اتصل بخدمة الملك
الصالح نجم الدين أيوب (من ملوك الدولة الأيوبية) وخرج معه فى خدمته الى بلاد
الشام والجزيرة . فلما نكب الملك الصالح بخيانة عسكره وانضواهم الى ابن عمه الملك

(١) شقه الهم والمرض النخلة (٢) أى وأطعنا منه (٣) الثعلب المذكور (٤) أقبل (٥) الجلد

(٦) أى ملطخاً بالدم (٧) أى شديد الحرارة

الناصر صاحب الكرك وقبض على الصالح واعتقله بقلعة الكرك حفظ البهاء
عهده صاحبه ولم يخدم غيره . وأقام بنابلس حتى تقلبت الأحوال واسترد
الصالح ملك الديار المصرية ، فقدم اليها في خدمته واتخذ وزيره وموضع سره ، وأحله
منزلة لم تكن لغيره : لحسن وفائه ورياضة أخلاقه ودماثة سجايه . ونفع بخدمته
خلقاً كثيراً . وبقى أنيراً عند الملك الصالح حتى مات ، فلزم داره . وحدث في
القاهرة في شوال سنة ٦٥٦ وباء مات به ودفن بالقراة وهي السنة التي سقطت فيها
بغداد في أيدي التتار

وكانت سهولة طباع زهير تفوق سهولة شعره . وان كان الشعر يشف عن
أخلاق صاحبه ورقته فأحرى به أن يكون شعر زهير . ولم يك في متأخرى المحدثين
من هو أسهل نظماً ولا أرق لفظاً ولا أكثر تشريفاً للمعاني المبثثة منه . وأجود
شعره ما كان في المغازلة والمعاباة والمعاتبة ، ولم تنفق له سوق كبيرة في غيرها وأكثر
معانيه عادية عامية إلا أنه كساها ديباجة من لفظه وسهولة أسلوبه رفعتها في أعين
أهل الذوق الى مرتبة أحرار المعاني . وله ديوان شعر طبع مراراً فراجع
ومن شعره في غير الغزل وقد غرقت به سفينة فسلم بنفسه منها وذهب
ما كان معه :

لا تعيب الدهر في خطب رماك به إن استردت قديماً طالما وهبا
حاسب زمانك في حالي تصرفه تجده أعطاك أضعاف الذي سلبا
والله قد جعل الأيام دائرة فلا ترى راحة تبقى ولا تعباً
ورأس مالك وهي الروح قد سلمت لا تأسفن شيئاً بعدما ذهباً
ما كنت أول مقروح بحادثة كذا مضى الدهر لا بدعاً ولا عجباً
ورب مالٍ نما من بعد مرزئته أما ترى الشمع بعد القطف ملتهباً
وقال يمدح :

أنا ذا زهيرك ليس إلا جودك كفك لي مزيته^(١)

(١) يشير الى زهير بن ابى سلمى المزنى الجاهلي مادح هرم بن سنان

أهوى جميل الذكر عنك كأنما هولى بُئينه^(١)
فأسأل ضميرك عن ودا دى انه فيه جهينه^(٢)

وله لفر في قفل :

وأسود عار أنحل البرد جسمه ومازال من أوصافه الحرص والمنع
وأعجب شيء كونه الدهر حارساً وليس له عينٌ وليس له سمع

الرواية والرواة

جاءت الدولة العباسية وقد اتسع نطاق الرواية ، واختص كل فريق من الناس برواية شيء : فمنهم من انقطع لرواية القراءات ، ومنهم من انقطع لرواية الحديث ، ومنهم من انقطع لرواية العريية والشعر والأخبار ، ومنهم من انقطع لرواية الفتوح والسير وغير ذلك

فلما دُوِّنت الكتب في عصر الدولة العباسية أفرغ الرواة ما حفظوه في هذه الكتب خوفاً عليه من الضياع فكان عصرهم الأول عصر جمع وتدوين حتى اذا ما جمعت كل هذه العلوم في بطون الكتب أخذ أمر الرواية يضمحل شيئاً فشيئاً في أكثر العلوم ولا سيما الأدب ، ثم اقتصر في الرواية على تصحيح النطق والأداء فيقرأ التلميذ على الشيخ القرآن أو الحديث أو اللغة أو الشعر وهو يجيز له أدائها كما سمع

وكانت الرواية الشغل الشاغل للعلماء في صدر الدولة العباسية لاهتمام الأمة بها وبذل الخلفاء المعونة لأربابها ، فاندس بين الرواة كثير من الوضّاعين وأدخلوا كثيراً من الروايات المكذوبة في الحديث وغيره ، واضطّر العلماء الى البحث عن تمحيص الصحيح ففعلوا شديداً العناية بتاريخ الرجال ، ومراتب الأخذ عنهم ، وميزوا ما أمكن تمييزه من الموضوع . ولكل علم رواية مشهورون . وقد سبق

(١) يشير الى جميل الشاعر المحب صاحب بئينه (٢) يشير الى قبيلة جهينة المفروب بها المثل في تعرف الاخبار

الكلام على رواة العلوم والفنون في تاريخ وضمها . ونزيد هنا من ذكر بعض رواة الأدب اذ كان هو غاية درسنا

فمن رواة الأدب والشعر خاصة حماد الراوية الكوفي^(١) وخلف الأحمر^(٢) البصري وأبو عمرو الشيباني الكوفي^(٣) والسكري البغدادي^(٤)

ومن رواة الأدب بجميع فنونه لغةً وشعراً وأخباراً أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي وأبو زيد الانصاري وأبو عبيد القاسم بن سلام^(٥) ومحمد ابن سلام الجُمحي^(٦) وغيرهم . ونذكر على سبيل الاختصار ترجمة أشهرهم في الرواية وهو الاصمعي فنقول :

الاصمعي

هو شيخ رواة الأدب الامام الثبوت الحجة الثقة النقي ، أبو سعيد عبد الملك ابن قريش بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي البصري نسب الى جده أصمع . وولد سنة ١٢٣ هجرية من بيت عربي قديم العهد في الكتابة

ونشأ بالبصرة فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة البصرة كأبي عمرو

(١) هو ابو القاسم حماد الراوية ان أبي ليلى ساجور الكوفي الديلمي مولى بكر بن وائل كان اعلم الناس بآيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ، وهو الذي جمع السبع الطوال المسماة بالملفات توفي سنة ١٥٥ (٢) هو ابو محرز خلف الاحمر بن حيان مولى بلال بن ابي بردة بن أبي موسى الاشعري وفيه يقول الاخفش لم ندرك أحداً اعلم بالشعر من حاف ، مات في حدود سنة ١٨٠ هـ (٣) هو ابو عمرو اسحق بن مرار الشيباني الكوفي كان راوية أهل بغداد واسع العلم باللغة والشعر ثقة في الحديث نبيلاً فاضلاً جمع أشعار العرب في عدة دواوين لكل قبيلة ديوان فكانت نيفا وثمانين قبيلة . عمر كثيراً حتى أتى عليه ١١٩ سنة وتوفي سنة ٢٠٦ (٤) هو ابو سعيد الحسن بن الحسين كان راوية ثقة من كبار الجامعين للشعر جمع شعر جماعة من الشعراء منهم امرؤ القيس والناطقة الذبياني والجمدي وزهير ولييد وأشعار بني هذيل وبني شيبان وبني يربوع وبني ضبة والازد وبني نهشل وتوفي سنة ٢٧٥

(٥) كان ابوه عبداً رومياً اشتغل بالحديث والادب واللغة فبرع في جميعها . وكان ثقة ديناً توفي سنة ٢٢٤ (٦) هو أبو عبدالله محمد بن سلام الجُمحي البصري صاحب كتاب طبقات الشعراء وكان من اعلم الناس بالشعر والاخبار توفي سنة ٢٣١

ابن العلاء والخليل بن أحمد ، وأخذ عن فصحاء الأعراب الذين كانوا يفدون على البصرة . وأكثر الخروج إلى البادية ، وشافه الأعراب وساكنهم . وربما استغرقت بعض رحلاته سنوات يحج في أثنائها ويلتقي بالفصحاء في المواسم ، حتى اجتمع له من الأخبار والنوادر والغريب ما لم يجتمع لغيره .

وتعلم من خلف الأحمر تقد الشعر ومعانيه . وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال مرة : أنا أحفظ أنتي عشر ألف أرجوزة فقال له رجل : منها البيت والبيتان ، فقال : ومنها المائة والمائتان . وراحت بضاعة الأصمعي عند الرشيد وأخذ جوائزه الكثيرة ورزق السعادة في رواية الأخبار والملح دون أهل زمانه ، فتهاقت الناس على نقلها في كتبهم لرضاهم عن مذهبه وتسنيده ^(١) : وكان يُحجَمُ عن تفسير القرآن الكريم والحديث تخرجاً ^(٢) وخوفاً من الزلل . وكان مع كل صفاته الحسنة بخيلاً مخشوشاً . وعمر حتى أدرك زمن المأمون . وأراد المأمون أن يقدمه إليه فاعتذر بكبر السن ، ومات سنة ٢١٦ هجرية . وله من الكتب المؤلفة والرسائل والأمالى شيء كثير

خلاصة أثر الحضارة العباسية في اللغة العربية

لما كانت حضارة الدولة العباسية قائمة على أساس الحضارتين الفارسية واليونانية باتخاذ خلفائها من أولئك أكثر شيعتهم ونصراتهم ، وإيثارهم على العرب بالملك والزعامة ، وتقليدهم إياهم في نظام ملكهم وطرق معاشهم ، ونقلهم عن هؤلاء علومهم وفلسفتهم ، كان لذلك آثار واضحة في حالة اللغة العربية حسناً وقبحاً .
أما الآثار الحسنة فهي :

١ — اتساع أغراض اللغة من حيث تدوين العلوم بها ، وترجمتها إليها وتدريسها ، والمناظرة فيها ، ونأدية مقاصد الصناعات ، ومظاهر الملك والترف والنعيم : من وصف القصور والبساتين ، ومناظر الطبيعة ، وأدوات الزينة ، وأساطيل الحرب ، وحصونها وقلاعها ونحو ذلك

(١) أي أخذه في أعماله بالسنة النبوية المطهرة (٢) أي ابتعاداً عن الحرج والاثم

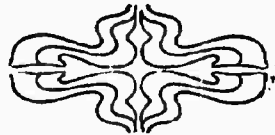
٣٢ — اتساع أفكار المتكلمين بها وتنوع أخيلتهم مما أدى الى ابتكار معان جديدة
أو توليد حديثة من قديمة

٣٣ — سهولة الالفاظ وتنوع الأساليب ، والتأنيق في صوغها ، وانفساح طرق التشبيه
والكناية والاستعارة ، ووضع كثير من اصطلاحات العلوم والصناعات ، وحدوث
لغة أدبية متعددة الصور والرسوم ، ولغة تأليفية تقاس بمقياس المنطق والبرهان العقلي
تدوّن بها ما لا يحصى من المؤلفات التي جمعت العربية أكثر من سبعة قرون أغنى
لغات العالم علوماً وآداباً
وأما آثارها السيئة فهي :

١ — كثرة ما دخل عليها من الدخيل الذي قلما خضع لقوانينها الصرفية والنحوية
بل كان كالصخرة الخشنة التي لم يصقلها استعمال الفصحاء ، ولا تهافت العامة

٢ — كثرة التأنيق في الحلية اللفظية كالسجع والجناس والتورية والمبالغة والتهويل
في الالفاظ والمعاني ، والتفخيم في الالقاب وصدور المسكّنات وكثرة التملق في المدح ،
والاقتداع في الذم ، والاغراق في وصف الخير ، ومجالس الفجور ، والغزل بلذكري
والمجون والخلاعة ، مما ورثوا أكثره من المدنية الفارسية

٣ — ضعف قوة الارتجال واستعجام اللسان مما أفضى الى اضمحلال أمر الخطابة بالتدريج



العصر الرابع

عصر الدول المتتابعة التركية

٦٥٦ — ١٢٢٠ هـ

حالة اللغة العربية وأدبها

في ذلك العصر

لما اكتمل التناسخ التتارُ ممالك الدولة العباسية وخرَّبوا البلادَ وقتلوا العباد وأبادوا الكُتُبَ ، افترقوا الى ممالك متعدِّدةٍ بآسيا وشرقِ أوربة ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أسلموا وشرعوا يخذُمون الاسلام بتقريب العلماء اليهم وترغيبهم في التأليف ، فأفاد ذلك في إدامة الحركة العلمية في الجملة ، وإن لم يفد اللغة العربية فائدةً تذكر لمكان العُجْمة منهم . أما علومُ العرب وأدبها فلم يكن لها مَبَاءةٌ ترجع اليها إلا البلاد العربية كالشام ومصر : فأصبحت القاهرة هي المَثابةُ الأخيرة للعرب والعربية ؛ نعم إن حكومتها كانت تركيةً أو شركسيةً ولكن لم يكن لرجالها وجُنودها عصبيةٌ قويةٌ تجعل لغتهم تُزاحمُ العربية ، فبقيت بطبيعة الحال اللغةُ الرسمية هي العربية ، وأصبح العلماء هم رجال الإدارة والكتابة والقضاء والحسبة وغيرها من المناصب الملكية ، واقتصر المالك على مراتب الجندية والمناصب العسكرية . غير أن تلك الحال لم تدم أكثر من مدة المالك وصدر الدولة العثمانية الوارثة لهم ، ثم أصبحت اللغة التركية العثمانية هي اللغة الرسمية للأعمال الدبلوماسية والسياسية في جميع الممالك العثمانية ، فزاحت العربية مزاحمةً ظهر أثرها بيننا في تحرير الرسائل الدبلوماسية والمعاهدات السياسية . ودخل في اللغة أثناء دولتي المالك والعثمانيين كثير من الالفاظ التركية والفارسية (١)

(١) من ذلك : الاتابكي ، الجاشنكير ، الدوادار ، الخواجه ، اسفهلار ، شراب خاناه ، فراش خاناه ، طبخخاناه

وعاصراً دولة الممالك : مصر والشام دولة بنى الأحمر بلأندلس^(١) ودولة بنى
مَرِين^(٢) والدولة الحفصية^(٣) بشمالى أفريقيا ، فكانت حالة لغة الادب فيها وخاصة
الاندلس أخريات هذا العصر خيراً منها فى مصر ، إذ كانت جمهرة السلاسل العربية
فيها حافظةً صبتها لالة طروء العناصر الأجنبية عليها

الذثر

لغة التخاطب

كادت تحمل محل اللغة العامية العربية (فى أعالى الجزيرة وشرقى العراق)
اللغة الفارسية والتركية والكردية ممزوجة بشئ من الألفاظ العربية

أما بقية الجزيرة والعراق ومصر والشام ؛ فقد بقيت العامية العربية لسان الجميع
فيها حتى الملوك والسلاطين لغلبة العناصر العربية فيها

ولما لم يتهيا لرؤساء الممالك وسلاطينهم اجادة العربية الفصيحة عضدوا العامية
بأقباهم على ادبها واحسانهم الى من ينظم بها ، فكان ذلك سبباً فى اتساع دائرة
الزجل والمواليا ومزاجتهما للشعر الفصيح ، بل دون بها بعض العلماء ، وان لم يكن
ذلك كثيراً ؛ فأصبحت بذلك لغة أدب وكتابة وقراءة ، ثم أخذت العناية بها
فى الانحطاط أواخر هذا العصر حتى صارت أخطأ ما كانت عليه فى عصر من
العصور وكادت تتساوى فيها لغة النساء والرجال

قال وصبح الاعشى : (الطبلخاناه) ومعناه بيت الطبل ، ويشتمل على الطبول والابواق وتواهبها
من الآلات ، ويحكم على ذلك أمير من أمراء العسرات يعرف (بأمر علم) يقف عليها عند ضربها
فى كل ليلة ، ويتولى أمرها فى السفر ولها (مهتار) متسلم لحواصلها يعرف (بمهتار الطبلخاناه)
وله رجال تحت يديه مابين (دبتدار) وهو الذى يضرب على الطبل و (منفر) وهو الذى يضرب
بالبوق (وكوسى) وهو الذى يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض وغير أولئك من الصناعات
ومن ذلك أيضاً أون باشا وييك باشا ديوز باشا وبرنجى وآخرين وفهوجى ونوبنجى وبلطجى
وخستخانه وكتبخانه وأدب خانه (١) هى آخر دولة عربية بالاندلس ويسمى سلاطينها بنى نصر
(٢) هى دولة بربرية من الدول المتفرعة من دولة الموحدين ، كانت تملك المغرب الأقصى
(٣) هى احدى الدول المتفرعة من دولة الموحدين ورثها الترك العثمانيون

الخطابة

لم تتغير الخطابة عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيث قصرها على خطب الجمع والأعياد وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات الا قليلا من الخطب السياسية كان يعدها ملوك المغرب قبل القاهيا

وبقيت لغة الخطابة العربية وحدها أو مع الترجمة الأعجمية في الممالك التي استعجم لسانها ، لمكان العربية من الدين . ولم يبق من أمرها أواخر هذا العصر إلا ما كان يُقرأ مكتوبا في الكتب ، بل قل حفظها واستظهارها في غير القاهرة ، وانتقل وعظها من حسن الذكري في أمر الدين والدنيا الى التخويف من القبر ووحشته ووصف الجنة ونعيمها وجهنم وأهوالها

الكتابة

الكتابة الخطية

درج الخط في هذا العصر في الطريق التي مهدها ابن مقلة وابن البواب وياقوت الملكى وياقوت المستعصى ، واستعملت فيه أكثر أنواعه ، إلا أنه اشتهر من بينها تسعة أنواع :

(١) الجليل (على قاعدة الثلث المعروفة لنا) وتشاهد نماذجه المتعددة على جدران مساجد القاهرة ، ومدارسها وأربطتها ، وخرائب قصور أمرائها
(٢) قلم الطومار (على قاعدة الثلث أيضا) وكانت تكتب به أسماء السلاطين وعلاماتهم على المنشورات والعهود ونحوها (راجع صبح الأعشى الجزء الثالث)

(٣) قلم الثلث وبشبه قلم الثلث عندنا ، ومنه الثلث المبسوط الحروف المسمى الآن بالريحاني كما في هذا الشكل :



(٤) النسخ على قاعدته المعروفة إلا أن بعض حروفه معلق الأطراف إلى فوق
ويقرب مما نسميه الآن خط التعليق — وكانت تكتب به كتب العلم والأدب .
(٥) التعليق — وكان يطلق على الثلث الخفيف عندنا مع تعليق خراطيم الحروف
إلى أعلى

(٦) قلم الرقاع — وكان وسطاً بين النسخ والتوقيع ، وكان تكتب به كتب
العلم والأدب والرسائل

(٧) القلم المسلسل المشتبك الحروف — وكانت تكتب به علمة الرسائل المطولة والعقود وكتب الوقف ونحوها .

(٨) الخط الفارسي — وكان استعماله عاماً في أواسط آسيا وفارس

(٩) الخط الاندلسي — وكانت أنواعه لا تختلف إلا بالصغر أو الكبر ، وربما مال الجليل منه الى بعض قواعد الثلث في أواخر عصورهم كما يشاهد على جدران الحمراء بقرناطة

وكان النقط والشكل في هذا العصر قليلي الاستعمال في الرسائل من الديوانية والإخوانية كثير. يهما في كتب العلم

وما زال الخط يجري في مضماره حتى قبض على عنانه مَكْتَبُو الترك العثمانيين فحولوا بعض أنواعه وخاصة قلم الرقاع (الرقعة) الى ما نعرفه ، وارتقوا بالمسلسل الى الغاية ، وولدوا منه خط العلامة السلطانية (الهياوني) وأبدعوا في بقية الأنواع بما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق

ومن أشهرهم الشيخ حمد الله الأماسي إمام الخطاطين العثمانيين وجلال الدين والحافظ عثمان

الحافظ عثمان سطر

هو الحافظ عثمان بن علي أحد نبغاء المجودين من خطاطي الترك العثمانيين ، والبارعين في كتابة مصاحف القرآن المبين

ولد رحمه الله بالاستانة ونشأ بها وتعلم بمدارسها ، وحفظ القرآن الكريم فلقب لذلك بالحافظ واتصل بالوزير مصطفى باشا الشهير بكبريلي زاده فأظله برعايته زمناً . وحبب اليه من صغره تجويد الخط فكان يختلف لذلك الى أشهر الخطاطين في عصره كالأستاذ درويش علي وغيره حتى حصل على اجازة تعليم الخط ، ولم تعد سنة ثمان عشرة سنة ، ولم يكتف بفوقه قرناه في الاجادة حتى خطر له أن يصحح محاضراته لأسلوب الأستاذ المولى حمد الله الأماسي ، فانقطع الى من يجيد هذه الطريقة كاللولى

إسماعيل فأجادها ، وأصبح بذلك نابغة عصره وبذ الخطاطين جميعاً حتى قال فيه إسماعيل أفندي المعروف بأغاقبولي أحد الخطاطين المشهورين : اننا رغم تجويدنا هذه الصناعة لا نرى من يستحق لقب خطاط على الإطلاق غير مولانا عثمان . ولما ذاع صيته اختير معلم خط للسلطان مصطفى خان الثانى والسلطان أحمد خان الثانى سنة ١١٠٦ فزال بذلك حظوة رفيعة ومنزلة سنية لم يقابلها بغير القناعة والزهد والنواضع والاخلاص لتعليم تلاميذه ولو على قارعة الطريق

وكان يخص يوم الأحد بتعليم الخط للفقراء مجاناً ، ويوم الأربعاء لتعليم الأغنياء . والمحافظ عثمان جليل الفضل على الخط العربى بما كتبه من نسخ المصاحف التى بلغت خمسة وعشرين مصحفاً عدا مقداراً عظيماً جداً من الرقاع والألواح وأجزاء القرآن ودلائل الخيرات ، اذ قد نقل بعض هذه بالتصوير الشمسى فداع فى الأقطار الإسلامية وطبع منه مئات الألوف وحاكاه بها من لا يحصى من المعلمين والمكتبيين ومن هذه المصاحف مصحف حفظ بجامع أياصوفيا وبخزانة جامع نور عثمانية . وبخزانة حضرة المفضل نور الدين بك مصطفى^(١) بشارع درب الجمايز بالقاهرة جملة رقع من خطه

وأصيب رحمه الله فى آخر عمره بالفالج وشفى منه وعاد الى خدمة الصناعة ولكنه لم يطل عمره بعد أكثر من ثلاث سنوات فتوفى رحمه الله سنة ١١١٠ ودفن برباط (قوجه مصطفى باشا) بعد أن غبر نحو أربعين سنة يعلم الخط

الكتابة الانشائية

كتابة الرسائل

أتبعت فى كتابة الرسائل أثناء هذا العصر طريقة القاضى الفاضل ، التى أساسها المعانى الخيالية والتزام السجع وإطالة فقاره ولا سيما الأخيرة منها ، والاستعارة ، والطباق ، ومراعاة النظر ، والتلميح ، والغلو فى التورية والجناس . وعصدة هذه

(١) وعنه نقل حضرة الفاضل محمود أفندي حمزة خلاصة هذه الترجمة منقولة عن التركية

الطريقة من كتاب هذا العصر شهاب الدين محمود الحلبي^(١) ومحيي الدين بن عبد الظاهر ، وابن فضل الله العمري وأولاده . وبقيت هذه الطريقة مرعية في مصر والشام حتى نهاية دولة المماليك وصدر حكومة العثمانيين

ولما غلبت اللغة التركية العثمانية على كتابة الدواوين وأصبحت رسمية في المحاضر والأمصار ، أخذ شأن الكتابة العربية في الازمحلال ، وتناقصت الرغبة في احسان صناعتها ، وقل الناقدون فيها ، ولم يعد في استطاعة الكاتب العربي إصابة وجوه البلاغة فضلاً عن إحسانه استعمال المحسنات اللفظية . فأصبحت الكتابة بذلك مجرد فقار من السجع المتكاف ، خالية من كل مزية إلا المبالغة والتهويل وأكثر ما كانت تستعمل في الرسائل الإخوانية وما أشبهها ، بل عجز الكتاب في أواخر هذا العصر أن يكتبوا لإخوانهم من إنشاءهم فوضعت دواوين كتابية تشمل عدة صور من المكاتبات المعتادة ، يستعير منها المراسل صورة قد تناسب غرضه وقد لا تناسبه — أما كتابة من عاصر المماليك من أهل الأندلس فكانت أمثل كتابة في هذا العصر على ما فيها من التكاف أيضاً بحيث يمكن قياسها بكتابة المتأخرين من أهل العصر الماضي

الكتاب

تسلسل

القاضي محي الدين بن عبد الظاهر

هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجندامي المصري مؤيد الطريقة الفاضلية ، ورأس المترسلين في دولة المماليك البحرية

وُلد سنة ٦٢٠ ورباه والده تربية شريفة جمع بها بين علوم الفقهاء ، وبلاغة الأدباء وظرف الشعراء ، فكان في زمانه زعيم كل هؤلاء . وبرع في كتابة الرسائل سالكاً طريقة القاضي الفاضل ، وخدم في ديوان الانشاء مدة الملك الظاهر بيبرس .

(١) ولد بدمشق وتخرج على ابن مالك النحوي وعلماء الشام ثم انتقل الى مصر وأقام بهامدة ينقلب في مناصبها ثم جاز الى دمشق رئيساً لديوان انشاءها الى أن توفي سنة ٧٥٥

البندقدارى ^(١) وولديه وبمض أيام المنصور قلاوون ^(٢) ويعتبر محي الدين وابنه محمد فتح الدين من واضعى اصطلاح الانشاء ونظام ديوانه الذى بقى مرعياً فى مصر والشام حتى نسخه النظام التركى العثمانى ، وتوفى سنة ٦٩٢ وله تأليف ورسائل ومكاتبات سلطانية كثيرة ، وشعر رائع

ومن فصوله فصل من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يردُّ على صاحب اليمن فى تعزيتة على موت ابنه ، ويظهر التجلد على فقده

« ولنا (والشكر لله) صبرٌ جميلٌ ، لا نأسف معه على فائت ولا نأبى على مفقود ، وإذ علم الله (سبحانه) حسن الاستنابة الى قضائه ، والاستكانة الى عطائه ، عوَّض كل يوم مايقولُ المبشر به : هذا مولى مولود . وليست الا بلباغلظاً أكباداً ممن له قابٌ لا يُبالى بالصدّ مات كُثِرَتْ أو قلَّتْ ، ولا بالباريح حَقَرَتْ أو جَلَّتْ ولا بِلأزّ مات إن هى توالَتْ أو تولَّتْ ، ولا بالجفون ان ألَقَتْ ما فيها من الدموع والهجوم وتخلَّتْ . ويخافُ من الدهر من لا حلبَ أشطُرُهُ ، ويأسفُ على الفائت من لا بات بنبأ الخطوب الخطرة . على أن الفادح بموت الملك الصالح (رضى الله عنه) وان كان مُنكياً ^(٣) ، والنافع بشجوه وان كان مُبكِياً ، والناجح بذلك الأسف وإن كان لِنار الأسف مذكياً ، فإن وراء ذلك من تثبيت الله عز وجل ما ينسفه نفساً ، ومن إلهامه الصبر ما يُجدِّدُ لتمزيق القلوب أحقُّ ما به تُرفى ، وبكتاب الله (تعالى) وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) عندنا حسن اقتداء بضرب عن كل رثاء صفحا »

شهاب الدين بن فضل الله العمرى

هو الشاعر الكاتب المصنف القاضى أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى ، سليل عمر بن الخطاب وصاحب كتاب مسالك الأبصار

(١) هو أشهر سلاطين المماليك البحريه توفى سنة ٦٧٦ أما ولدها فهما الملك السعيد محمد بركة ، تولى الملك ستين شهرا وخلع ، والملك العادل سلاش ملك خمسة أشهر وخلعه الأمير قلاوون وتولى بدله (٢) هو الملك المنصور قلاوون الصالحى النجمى من أعظم ملوك المماليك توفى سنة ٦٨٩ (٣) الصواب ناكيا . وهى لحنه كانت شائعة فى كتابة ذلك العصر

ولد بمدينة دمشق سنة ٧٠٠ وتفقّه وتأدّب على أبيه وغيره من أئمة وقته فخرج
واحداً زمانه علماً وأدباً وترسلاً وتصنيفاً وشعراً ، ولم يكن بين عصره وعصر القاضي
الفاضل من يدانيه في شيء من ذلك على كثرة النابغين فيهما ، وكان أعلم أهل
القطر بتراريخ الملوك وطبقات العلماء والأدباء ، وعلم وصف الأرض وأحوال الممالك
النائية : كالهند والصين والترك وغيرها ، فوق الفقه الذي نال فيه مرتبة الافتاء .
وكان أبوه وعمه يتناوبان كتابة السر في مصر والشام لسلطين آل قلاوون ونوابهم ،
وخلفهما في ذلك شهاب الدين وأخوه وأولادهما في مناصب رئاسة دواوين الانشاء
وكتابة السر وغيرهما لآل قلاوون وآل برقوق . وتوفي ابن فضل الله سنة ٧٤٩
ومن إنشائه في وصف قِطْ زَبَاد من رسالة طويلة : وقط الزباد الذي لا تحكيه
الاسود في صورها ، ولا تسمح غزلان المسك بما يخزّنه من عرفة الطيب في سرورها
كم تنقل في بيوت طابت موطناً ، ومشى من دارأصحابه فقالوا (ربنا عجل لنا قِطْنا)
ومن فصول رسائله فصل كتبه من رسالة على لسان سلطانه الى نائب الشام مع
طيور صيد جوارح أرسلها اليه :

« صدرت هذه المكاتبة الى الجنب العالي بسلام جميل الافتتاح ، وثناء يطير
اليه وكيف لا تطير قادمةً بجَنَاح ، ونعلمه أن مكاتبتة المتقدمة الورود أضمنت التذكار
من الجوارح بما بقي من رسمه ، وجرت عادة صدقاتنا الشريفة أن تُحَسَّب في قَسَمه
وقد جهزنا له الآن منها ثلاثة طيور لا يبعد عليها مَطَار ، ولا يوقد للقرى في غير حاليتها
جذوة نار ، ولا تؤمُّ طيراً إلا وترش الأرض بدمه فلا يلحق لها بغبار . وهي طائر
كم لها من فتكٍ أخذ الطير من مأمنه ، وسلب ما تحلى به من ريش الريش ثم تزيّياً بأحسنه »
ومن تأليفه كتاب « مسالك الابصار في ممالك الأمصار » في بضع وعشرين
مجلدة ولا يعلم قبله كتاب وسّع من علوم التاريخ ووصف الأرض والفلك والأدب
ما وسّعه ، وكتاب التعريف بالمصطلح الشريف في فن انشاء الدواوين وكتاب
« فواضل السمر في فضائل آل عمر »

لسان الدين بن الخطيب

هو ذو الوزارتين ، الكاتب الشاعر ، الفقيه ، المصنف ، الحكيم المتطبيب ،
أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن الخطيب

ولد سنة ٧١٣ بمدينة غرناطة من بيت عربي عريق في العلم والأدب والخطابة
والرياسة وقيادة الجند ، قرأ وتأدب وتنقح على مشيختها . واجتمع له من الحكمة
والأدب ملكة بذها أدباء الأندلس كتابةً وشعراً وتصنيفاً وسياسة

واشتهر بادئ أمره بنظم الشعر فأنشأ القصائد البليغة ، وأشاد بمدح السلطان
أبي الحجاج يوسف أحد ملوك بني الأحمر فجعله في عداد كتّابه ، ثم اجتباه وأضاف
إليه الوزارة وفوض إليه جميع شؤون المملكة . وما برح على هذه الخطوة حتى مات
سلطانه وتولى ابنه مكانه فأقره على الوزارة ، ثم وشى به حساده من الفقهاء والكتاب
عند السلطان ، وكادوا له المكاييد ، واتهموه بالإلحاد في الدين حتى أحفظوه عليه .
فلما أحس تنكره له فر إلى المغرب الأقصى . فأكرمه سلطانه ثم ابنه من بعده ، إلى
أن ثار عليه ثأر وساعد ملك بني الأحمر هذا الثأر بشرط أن يسلمه ابن الخطيب .

فقم له أمره وسُجِنَ بفاس وخنق في سجنه ، ثم دفن من الغد بها سنة ٧٧٦
وكان ابن الخطيب خاتمة بلغاء الاندلس وآخر الرؤساء الأعيان من كتاب
الرسائل والتأليف . وكان في عدوة الأندلس يضارع ابن خلدون في عدوة افريقية :
هتفاً ولغة وأدباً وتاريخاً وشعراً ؛ غير أن ابن خلدون كان قليل الحفل بالسجع
والزخرف ، وكان بابن الخطيب لؤنةً منهما

وكانت عبارة رسائله مشوبةً بصبغة يسيرة من أسلوب الفقهاء ورسوم العلماء ،
وتُشْفَعُ غالباً بشيء من شعره : إما متخللاً لها وإما متقدماً صدرها . وقلما صدرت عنه
رسالة موجزة ، شأن أكثر كتاب الأندلس

ومن قصار رسائله رسالة في الشوق كتبها إلى ابن خلدون وهي بعد الديباجة
(أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج ، وأما الصبرُ فسأل به أية درج ، بعد أن

تجاوز اللوى والمنعرج ؛ لكن الشدة تشق الفرج ، والمؤمن ينشق من روح الله الأرج . وأنى بالصبر ، على إبر الدبر ، ومطاوله اليوم والشهر ، وهل للعين أن تسلو صلو الفقير ، عن إنسانها المبصر ، أو تذهل ذهول الزاهد ، عن سرها الرأى والشاهد ، وفي الجسد مضغة يصلح اذا صاحت ، فكيف حاله ان رحلت عنه ونزحت . واذا كان الفراق هو الحام الأول ، فعلام الممول ؟ أعيت مراوضة الفراق ، على الراق ، وكادت لوعة الاشتياق ، أن تفضى الى السياق :

تركتونى بعد نشييمكم أوسع أمر الصبر عصيانا
أقرع سنى ندماً تارة وأستمحُ الدمع أحياناً

التدوين

ألف علماء هذا العصر تأليف جمة أخلت على العربية بعض ما أباده التتار والصليبيون : من الكتب النفيسة ، ويرجع أكثر الفضل في ذلك الى علماء مصر والشام وجالية الأندلس اليها . أما أعاجم المشرق فهم وان الفوا في العلوم الاسلامية والفلسفية كان تأثير بيئتهم الأعجمية جاعلاً كتبهم على شرف موضوعها وجلال . مباحثها صعبة التناول ، ضعيفة الأثر في تقدم اللسان العربى .
ونذكر هنا لمأ يسيرة من أحوال العلوم العربية ومؤلفيها في هذا العصر

الأدب

قد كان لأدباء القاهرة من الكتاب السابق في وضع الكتب الجامعة التي تبحث في عدة علوم أدبية أو ملحقه بها . ومن هؤلاء :
شهاب الدين التويرى^(١) صاحب نهاية الأرب^(٢) وابن فضل الله العزرى صاحب مسالك الأبصار ، وشهاب الدين القلقشندي صاحب صبح الاعشى^(٣)

(١) هو شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن احمد البكرى التويرى المؤرخ الاديب ، نسب الى نورة احدى قرى مديرية بنى سويف توفي سنة ٧٣٣ (٢) باشرت دار الكتب المصرية طبعه .
وانجزت منه ثلاثة اجزاء (٣) هو شهاب الدين احمد بن على ابن احمد القلقشندي تزيل القاهرة ، تنقحه ومهر وطاني الادب وكتب في الانشاء ، وكتابه صبح الاعشى في صناعة الانشاء أحسنه

ومن ألف في الادب بمناج مختلفة :

جمال الدين الوطواط صاحب الغرر والغرر، وشهاب الدين الحلابي صاحب منازل
الأحباب ، وحسن التوصل الى صناعة الترمذ ، وشهاب الدين أحمد الأبيشي
صاحب المستطرف ، والنواجي ^(١) صاحب حلبة الكهيت

بقية العلوم الاسلامية

لم تكن مصر ولا الشام في العصور الأولى ميداناً لتسابق جياذ علماء اللغة كما
كان العراق والأندلس

ولما أباد التتار بقية العلماء والنحاة في الشرق ، كاد أفق المشرق والشام ومصر
يصفر من النحاة وأهل اللغة لولا أن تداركها الله بدخول التتار في الاسلام ومعاضدتهم
هم والدول التي خلفتهم للعلم والعلماء ، وبجلاء بعض كبار النحاة واللغويين من الأندلس
والغرب قبيل حادث التتار وبعده كابن مالك ^(٢) والشاطبي ^(٣) وأبي حيان ^(٤) وابن
منظور الأفرقي ، فجددوا النحو واللغة بمصر والشام ، وتخرج عليهم تلاميذ أفاضل
كانوا كواكب العصور المتأخرة ، فدوتوا العلم وحفظوه لمن أتى بعدهم ممن نشئوا
في العصور المظلمة

على أن أكثر هؤلاء العلماء المتأخرين لم يكونوا منقطعين للعربية وحدها بل
كان لهم تخرج في كثير من العلوم ولا سيما الشرعية التي كانت الرغبة فيها حينئذ

ما كتب في تاريخ الانشاء طبع في مصر في ١٤ مجلدة ، وتوفي سنة ٨٢١ و (قللشندة احدى
قرى مديرية القليوبية)

(١) هو شمس الدين محمد بن حسن بن علي فاق أهل عصره في الادب وألف كتباً كثيرة
فيه توفي سنة ٨٥٩ و (نواج) احدى قرى مديرية الغربية (٢) هو الملامة جمال الدين ابو
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ، الجبائي ، زيل دمشق الشام ، امام النحاة ، ومجدد
النحو في المشرق ، وحافظ اللغة وصاحب الالفية والتسهيل توفي سنة ٦٧٢ و (حيان) بفتح الجيم
وتشديد الياء مدينة من مدن الأندلس شرقي قرطبة (٣) هو الشاطبي النحوي محمد بن علي بن
يونس الأندلسي البلنسي تصدّر بالقاهرة في اللغة والنحو وروى عنه ابو حيان وتوفي سنة ٦٨٤
(٤) هو الامام أبيه الدين محمد بن يوسف الفرائدي نحوي عصره ولغوي ومقرئه توفي سنة ٧٤٥

تفوق كل رغبة . ولم يكن في مصر والشام والغرب بنوع من العلوم الكونية إلا بالرياضة العملية من الهندسة والحساب والميقات . وهُجرت العلوم الفلسفية والمنطق ، بل حكم بعضهم بكفر منتحلها ، وبقى كثير من علماء المشرق من الفرس والأفغان والهنود يزاولها الى وقتنا هذا من غير تأثير لهم في ترقية شأنها عما كانت عليه

كتابة التدوين والتصنيف

أما كتابة التدوين فكانت في المتون ونحوها موجزة جداً ، جارية على أسلوب الأقيسة المنطقية . وكانت في الشروح والمطولات مبسوطاً ، كثيرة النقل عن الأئمة ، غزيرة الاستدلال بالبراهين والأدلة العقلية والنقلية ، وكان للشافعية في الإيجاز وتنقيح التحرير الباع الأطول . وبقيت هذه الحال حتى أوائل الحكم العثماني . ثم اخترع تأليف الحواشي والتقارير والرسائل الخاصة بشرح قاعدة أو جملة أوقصيدة . وضعفت عباراتها وازدادت تعقيداً وغموضاً حتى أصبح ذلك مما يتنافس فيه ، ويظن في صاحبه العلم والدقة

ومن أشهر المؤلفين في هذا العصر ابن خلكان — وابن خلدون — والسيوطي وابن مكرم — والفيروز ابادي — وعز الدين بن عبد السلام ^(١) — وابن حجر المسقلائي ^(٢) وابن هشام النحوي ^(٣) — ولسان الدين بن الخطيب — وسعد الدين النفثازاني ^(٤) — والسيد الجرجاني ^(٥) — والشهاب الخفاجي

(١) هو الفقيه المجتهد الشافعي علامة الزمان عز الدين . نشأ في الشام وتعلم بها وتصدر وقدم مصر فقام بها أكثر من ٢٠ سنة وتوفي سنة ٦٦٠ (٢) هو امام الحفاظ في زمانه قاضي القضاة ابو الفضل احمد بن علي بن محمد الكنتاني المسقلائي ثم المصري صاحب شرح البخاري والاصابة وتمييز الصحابة وغيرهما من فرائس الكتب توفي سنة ٨٥٢ (٣) هو امام النحويين ، وفخر المصريين ، عبدالله بن يوسف بن احمد بن عبدالله بن هشام الانصاري صاحب مني اللبيب ، عن كتب الاطارب ، ولد سنة ٧٠٨ وتوفي ٧٦١ ودفن بمجوار باب النصر ولا يزال قبره معروفاً (٤) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله العلامة في النحو والتصريف والبلاغة والتوحيد والفلسفة والفقه والاصول ، انتهت اليه معرفة العلوم بالمشرق توفي بسمرقند سنة ٧٩١ (٥) هو علامة المشرق السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحنفي الجرجاني ، كان نظير سعد الدين في اكثر العلوم ويزيد عليه في فصاحة المنطق ، وجرت مناظرات بينهما في مجلس الطاغية تيمورلنك وتوفي بشيراز سنة ٨١٦

ابن خَلَّكان

هو قاضى القضاة شمسُ الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبى بكر
خَلَّكان الإربلى

وُلد سنة ٦٠٠ بمدينة إربل^(١) من بيت كبير عريق فى الفضل ، وتوفى والده
وهو ابن سنتين . فنشأ بإربل وأقام بها الى سنة ٦٢١ فرحل الى حلب ومكث بها سنين
ثم الى دمشق وأقام بها مدة ، ثم أقام بمصر وتولى القضاء بها ، وفيها ألف أكثر
تاريخه العظيم (وفيات الاعيان) ثم تقلبت به الاحوال بين مصر والشام الى أن مات
بدمشق سنة ٦٨١

وكان كاتباً بليغاً ، وشاعراً مجيداً ، حسنَ المحاضرة لطيف المعاشرة ، واسع
الاطلاع شديد التحرى والضبط

وتاريخه (وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان) أفضل ما بأيدي الناس من كتب
التراجم لشدة عنايته بضبط الأعلام وأسماء البقاع والبلدان ، وتحقيق الحوادث بحسب
الامكان ؛ وهذا فوقَ مزيته الكبرى : وهى بناؤه على تعيين الوفيات ، وتنزُّهه
عن رواية أقوال الفحش والخنا ، وان كان يؤخذ عليه روايته لكثير من الأخبار
التي لا تخلو من مبالغة أو وضعها على علاتها متوخياً فى ذلك أمانة النقل . وقد اشتمل
هذا التاريخ على ٦٤٦ ترجمة ، ثم تم عليه محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤
بكتابه الذى سماه فوات الوفيات ولكنه لم يدرك شأواً سابقة لافى الضبط ولا فى ذكر
تاريخ الوفيات

ابن خلدون

هو حكيم المؤرخين ، وعلمَ المحققين ، الفقيهُ القاضى الكاتب الشاعر المصنف
عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون

وكان بيت خلدون هذا من أشرف بيوتات الشرف والرياسة وقيادة الجند

(١) تقدم انهامن مدن الجزيرة

بأشبيلية من قديم الزمان ولم ينقطع منهم الى خدمة العلم والأدب غير المترجم وأبيه
وكان أهله قد انتقلوا الى تونس عند تغلب الاسبان على اشبيلية . ويتصل نسبهم
بوائل بن حُجر من أقبال اليمن من حَضَرَ مَوْتَ

وُلد ابن خلدون بتونس سنة ٧٣٢ هجرية فحفظ القرآن الكريم وقرأه بالسمع
وتلقى العلم والأدب من أبيه ومن كبار العلماء ، وقرأ العلوم العقلية والفلسفية على
بعض حكماء المغرب

ولم يزل مُكَبِّاً على تحصيل العلم حتى دهم أفريقية طاعونٌ جارف مات فيه أبواه
وأكثر ذوى قرابته وشيوخه فاحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يَطُرْ شاربه ،
فكتب لبعض ملوك الدولة الحفصية بتونس ودولة بنى مرين بفاس ، ثم وصل بعد
ذلك إلى ملوك بني الأحمر بالاندلس فخطى عندهم حتى حسده على ذلك صديقه
لسان الدين بن الخطيب فأقنع عنها ، وذهب الى صاحب بِجَايَة بالمغرب الأوسط
فوزَّره ، وبقي يتردد بين المغرب الأوسط والأقصى وأفريقية والاندلس حتى
حسن في عينه التخلي عن السياسة والانقطاع الى العلم فنزل على بعض قبائل العرب
على حدود الصحراء أربعة أعوام ألف فيها تاريخه ومقدّمته التي لم ينسج أحد من
المتقدمين ولا المتأخرين على منوالها ؛ ثم عزم على الحج فدخل مصر سنة ٧٨٤ هـ
زمن سلطانها برقوق^(١) . ثم استقدم أهله وولده من المغرب ففرقت بهم السفينة
فأقام بمصر حزينا وجلس للتدريس بالجامع الأزهر وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٧ هـ
وأظهر العدل في أحكامه ، واستقال من القضاء ثم عاد اليه ، وخرج مع كثير من
علماء مصر في جيش السلطان فرج^(٢) بن برقوق لمداغة تيمورلنك^(٣) عن الشام

(١) هو الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن انص الجركسي أول ملوك الجراكسة وسمى
برقوق لجحوظ عينيه ، حكم مصر والشام ثم خلع ثم حكم ثانية وبقي سلطاناً حتى توفي سنة ٨٠١
(٢) هو الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق حكم ثم خلع ثم حكم ثم قتل سنة ٨١٥ (٣) هو
الطاغية الجبار تيمورلنك من سلالة جنكيزخان من جهة النساء ملك أواسط آسيا وأعلى الهند وفارس
وكاد يقضي على الدولة العثمانية في بدء نشأتها مع اسلامه والممامه بكثير من العلوم توفي سنة ٨٠٧ ودفن
بسمرقند

فوقع مع كثير من العلماء في أسر تيمور فأدخل عليه فخلبه بسحر بيانه فأكرمه وسرّحه إلى مصر ليأتى له بتاريخه ومقدمته فذهب ولم يعد إليه ، وبقى بمصر يشتغل بالتدريس بتارة والقضاء أخرى حتى مات وهو قاضى المالكية بمصر للمرة السادسة^(١) سنة ٨٠٨ هـ

منزله في الكتابة والتاريخ والشعر

أحيا ابن خلدون في عصره الكتابة المرسلّة الفطرية الخالية من السجع ونكلف التبديع في عصر بلغ فيه غايته ، وإلى ذلك عمد في كثير من فصول مقدمة تاريخه فجاء بعض كتابته فيها بمنزلة من البلاغة لا تقل عن كتابة فحول القرن الثالث ، ولم يكن لا انتفاع بالمقدمة وكتابته في وقت أظهر مما كان في العصر الحاضر ، إذ كانت هي الأسلوب الأمثل لكتاب الصحف والمجلات في نهضتنا الأخيرة

وكان ابن خلدون إماماً حكماً في التاريخ أكثر مما كان إماماً في الكتابة فإنه يعتبر من أكبر واضعى علمى العمران والاجتماع بما خطه في مقدمته . ولم تعد أحكامه في سياسة الممالك الاستبدادية التى ذكرها في مقدمته مطردة في عصرنا هذا ، إذ أصبحت طريقة الحكم بممالك عصرنا دستورية ، إلى أن معدت الحروب وظواهر المدينة الحاضرة تختلف كثيراً عن حالتها السابقة

ويؤخذ على ابن خلدون في مقدمته انحياؤه على العرب وقسوته في الحكم عليهم في كثير من سياسة الملك

ويمتاز تاريخه بأنه التاريخ الوحيد الذى فصل الكلام على دول المغرب من البربر وغيرهم

وكان ابن خلدون شاعراً ، طويل النفس ، وشعره بالإضافة إلى شعر عصره غاية في الجودة وإن وصفه هو بأنه متوسط بين الجودة والقصور تواضعاً منه

(١) كذا في حسن المحاضرة للسيوطي

جلال الدين السيوطي

هو عبد الرحمن جلال الدين ابن الامام كمال الدين الخضرى السيوطى العالم
المحدث المفسر المتفنن الجامع المختصر ، صاحب التصانيف المشهورة ، ورسائل
العلم الماثورة

ولد سنة ٨٤٩ ونشأ يتيمًا وحفظ القرآن وعمره دون الثمان ، ثم حفظ متون الفقه
والنحو ، وأخذ العلم عن مشايخ وقته وابتدأ فى التصنيف وسنه ١٧ سنة . ثم لازم
الاشياخ وطلب العلم فى بقاع الأرض فدخل الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب
والتكرور^(١) ونفع فى كثير من العلوم ، ورزق التبحر فى التفسير والحديث والفقه
والنحو والمعانى والبيان والبديع

وتولى التدريس والافتاء ولم يكن أشهر منه فى زمنه . وبعث السيوطى من الأئمة
الذين حفظوا العلم للخلف وسهلوا سبله للبتأخرين ، وقد ترك للناس أكثر من
ثلاثمائة مصنف ، ولو لم يكن له إلا الإتيان فى علوم القرآن ، والمزهر فى أصول اللغة ،
والأشباه والنظائر فى دقائق النحو وأصوله ، والهمع على الجمع فى فروع النحو وأصوله
والصرف ، لكفاه ذلك فخراً

وتوفى سنة ٩١١ هجرية ودفن بالمقبرة المنسوبة اليه شرق القاهرة الجنوبي

الشعر^(٢)

لما كان أكثر سلاطين الاسلام وملوكه وأمرائه فى هذا العصر بالشرق
والشام ومصر أعجم بالفطرية ، كان ميلهم الى الشعر العربى غير طبعى ، وعطفهم على فحول
الشعراء البلغاء ضعيفاً ، ولذلك انقرض الشعر العربى من أواسط آسيا وبقيت صباية

(١) هى جزء من السودان الغربى يقابل بلاد مراکش جنوباً والسنغال شرقاً وهى المسماة عند
الاوربيين باطالى (النيجر) وكان من أعظم بلاد مدينة (تنيكو) يضم فكون مكررين ثلاثاً
ومدينة (مالى) وهى من البلاد النابتة لفرنسا الآن (٢) يجدر بمن يريد التوسع فى معرفة أحوال
الشعر غرضاً ولفظاً ومعنى فى هذا المعصراً أن يقرأ على الأقل شرح بديعة ابن حجة المسماة بخزانة الادب

منه بالعراق والجزيرة ، وبقي على شيء من الرونق في الشام ومصر والاندلس والمغرب غير أنه قلَّ التَّكسُّبُ به فيها ، قال أكثر الشعراء الى انتقال الكتابة في الدواوين صناعة ، واستعملوا الشعر في تملُّق الملوك والرؤساء وفي إظهار التفصُّح والتسلية . فهجِر قولُه في الأغراض الهامة ، وعُدِلَ به الى أغراض غير فطرية إما مقبولة في الجملة كمدح النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) والشكوى اليه ^(٢) أو مدح بعض الأولياء ^(٣) أو الأهلج بأحوال التصرف والزهادة ونحو ذلك . وإما نافهة كالأغراض الآنية :

(١) الغزل غير الحقيقي وبخاصة المذكور ، وزاده مَقْنَأً وَسَاجَةً صدوره عن كبار العلماء ومشايخ الصوفية

- (٢) اظهار البراعة بنظم مقطعات تتضمن غزلاً أو وقائع خيالية لمجرد العثور على لفظ تصح فيه تورية ^(٤) أو يلتئم معه جِناس ^(٥)
- (٣) ازدياد المجانة والخللعة والهجاء المقذع
- (٤) وصف كثير من الأشياء والآلات التي لا يؤوبه لها كالناعورة ^(٦) والمخدة ^(٧)

(١) كما في البردة والهمزية وبديعيات ابن حجة وصفي الدين ودر الدين ودويان البرمي وغير ذلك
(٢) وغاب ذلك في الاندلس عند مضايقة الاسبانيين لهم (٣) ويكثر ذلك في دواوين المتصوفين والقصاص وكتب مناقب الأولياء وطبقاتهم
(٤) كقول السراج الوراق :

وأحق أضافنا بيقله لنسبة بينهما ووصله
فن أقل أدبا من سفله قد مد في وجه الضيوف رجه

(٥) كقول الصلاح الصفدي :

يا من اذا ما أناه أهل المودة أولم
انا محبك حقاً ان كنت في القوم أولم

(٦) كقول ابن الوردي :

ناعورة مذكورة ولهانة وحائره
الماء فوق كتفها وهي عليه دائره

(٧) كقول النواحي :

في نفع ولذة للنفوس وحياء وراحة للجلس
كم نديم أرحته بانكاء وتواضعت عند رفع الردوس

والبساط^(١) ورقعة المصلي^(٢) وكللروحة والسكين والدواة والسراج والمبخرة

(٥) الألفاظ والأحاجي^(٣)

أما معانيه فقلّ فيها الاختراع ودقة التصوير وضرب الأمثال وإبراز الحكمة ،
وان كثر تنوع التشبيه وتخيل الاستعارة
وأما ألفاظه وأسلوبه فشاع فيها ما يأتي :

(١) الاقتصارُ على الألفاظ السهلة ، وهجرُ الغريب بل اللفظ الجَزَلُ حتى استعملوا
الألفاظ العامية^(٤) أو التركية الفاشية في ذلك الزمان

(٢) الاقتصارُ على التراكيب السهلة ، واستعمالُ كثير من الأمثال العامية^(٥)

(٣) تكلف البدع ولا سيما التورية والجناس ، ثم قلّ ذلك في أواخر هذا
العصر : لضعف الشعراء عن استخراجهِ والترقيق في استعماله

(٤) اظهار الحذق بالاستكثار من الألفاظ المصغرة^(٦) أو المهملة أو المعجمة^(٧)

(١) كقول ابن نباته :

وبهدى للقلوب بها سرورا
وخير البسط ما يرضى الصدورا

بساط يلاً الاحداق حسنا
وبشرح حين يبسط كل صدر

(٢) كقول ابن الوردي :

منك الذي كنت أهله
صلى عليها وسلم

سجادة أذكرني
أهديتها لحب

(٣) كقول النابلسي في سراج :

ركاسدا اذ لا احتياج
في الدجى تلقاه راج

ما اسم تراه في النها
وان طرحت الربيع من

(٤) كقول ابى المواهب البكري :

لذوى الابواب عبده
أو تدلى فهو كثره

ان في الشاروخ معنى
ان تعالى فهو فرد

(٥) كقول بدر الدين الازهرى :

على شخص ولم بك في حسابي
فقلت نعم ودواس السكلاب

لقد عثرت بجمع الليل رجلى
فقال مجاوبا لي أنت أعمى ؟

(٦) كقول ابن حجة :

سحير في سحير في سحير

لحيطك والمقيلة مع نظيمي

(٧) كقول الخلي :

فيقضى بنقى في بنقى
وما أراه سؤله والمراد

غنى يضمن بنقى نقى
كم ساهر حرم لمس الوساد

وقوله :

جملة أو بصورة خاصة ^(١) ، أولزوم مالا يلزم ، أو مالا يستحيل بالانفكاس ^(٢) ،
أو التاريخ الشعري ^(٣) ، ولا سيما آخر هذا العصر الذي بلغ فيه التاريخ الشعري غايته
(٥) كثرة تضيئين ^(٤) الشعر المشهور ، وكذلك التشطير والتخميس
(٦) كثرة الاقتباس ^(٥) من القرآن الكريم والحديث ، وقلما يكون بغير تورية
أما أوزان الشعر فلم يحدث فيها في هذا العصر أوزان جديدة ، وإنما شاع فيه
استعمال الأوزان المولدة ونظام كثير من الموشحات الفصيحة والعامية وكثير جداً
من المواليا ^(٦) والزجل ^(٧) والقومة ^(٨) وكان وكان ^(٩) ونحوها ، وأعجب ذلك ملوك

- (١) كقول ابن حجة في المعجم من أعلى فقط :
وقد أمنت وزال الخوف منعظاً نحو المسدود ولم أخفر ولم اضم
(٢) كقول عز الدين الموصلي :
لم يستحل بانفكاس في سجيته (مدن) اخا طعم مطأخا ندم
(٣) كقول الخناني المصري : مفتي البرايا بنى لله مدرسة لها من الانس انوار تمشيها
على الهدى أسست واليمن ارحها دار الموم فيحيا العدل ممشيها
(٤) كقول الصفي : ملككت كتابا اخلق الدهر رسمه وما أحد في دهره بمخلد
إذا طابت كتي الجديدة جلده (يقولون لا تهلك أمي وتجلد)
(٥) كقول جمال الدين بن نباتة :
الله سخر لي (وطائي) من حف بي الاكرام والكرما
حتى تلوت قبل رؤيتهم (يأليت قومي يعلمون بما)
وكقول صفي الدين العزى : رب ثقيل امام قوم يؤم بالناس ثم يحجف
خالف في الفعل قول طه «من أم بالناس فليخفف»
(٦) تقدم الكلام في المواليا ومن أمثلته في هذا العصر قول بعضهم في التوجيه بالازهار وغيرها :
ك خد يا حي طالم يا كيت الطرد عليه لو نفس صباره وحر ويرد
ناداه والمارض النمام حوله فرد ما فانتك سانة يا شقيق الورد
(٧) لاحد لا وزانه وانما أشهرها (مستغفلن فعلن فعلن) اربع مرات لكل دور ، وربما قالوا
(فعلان) بدل (فعلن) الأخيرة كقول بعضهم :
من الكرك جانا الناصر وجب معه أسد الغابة
وركبناك يا شيخ هنقاش ما كانت الا كدابه
(٨) نوع من الزجل كان يوقظ به الناس للسحور في رمضان ووزنه (مستغفلن فعلان) اربع
مرات لكل دور كقول بعضهم :
ياسيد السادات لك في الكرم طادات
انا ابن أبو نقطة نعيش أبوا مات
(٩) نوع من الزجل ودوره مركب من أربعة شطور : الاول وزنه (مستغفلن فاعلتن)

مصر ولا سيما بني قلاوون^(١) وبرقوق فأنابوا الزجالين وقربوهم ، وراج الزجل في أيامهم حتى كاد ينسخ الشعر الفصيح . ومن أشهر هؤلاء الزجالين شيخهم الشيخ خلف الغباري زجال آل قلاوون الذي استخدم الزجل في كل أغراض الشعر

الشعراء

ظهر في هذا العصر شعراء كثيرون ، من أشهرهم :

- (١) شيخ شيوخ حماة شرف الدين الأنصاري المتوفى سنة ٦٦٢ (٢) جمال الدين ابن نباتة المصري وسنترجم له (٣) شهاب الدين التلمعري المتوفى سنة ٦٧٥ (٤) الشاب الظريف المتوفى سنة ٦٨٧ (٥) الامام البوصيري وسنترجم له (٦) ابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ (٧) أبو بكر بن حجة المتوفى سنة ٨٣٧ (٨) صفي الدين الحلبي وسنترجم له (٩) فخر الدين بن مكائس المتوفى سنة ٨٦٤ (١٠) ابن معتوق الموسوي وسنترجم له

١ - البوصيري

هو الكاتب الشاعر المتصوف ، شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي^(٢) البوصيري صاحب البردة والمهمزية

كان أحد أبويه من بوصير والآخر من دلاص . وُلد بدلاص^(٣) سنة ٦٠٨ ونشأ ببُوصير^(٤) ثم انتقل إلى القاهرة ، وتعلم علوم العربية والأدب فقال الشعر البليغ في جِدّه وهزله ، ونظم من جزّله ومرذوله ، وفصيحه وعاميه ، وكتب الرسائل

والثاني (مستفعلن مستفعلن) أو (مستفعلن مستفعلن) والثالث مثل الاول والرابع (مستفعلن فمellan) كقول بعضهم :

تحضر ولكن قلبك غاب وذهنك مشتغل
فكيف يا متخلف تحسب من الحضار

(١) هم أولاد الملك المنصور قلاوون الصالح النجمي سابع سلاطين المماليك البحرية وأشهرهم الملك الناصر محمد بن قلاوون

(٢) صنهاجة إحدى قبائل البربر وأصل وطنها الصحراء جنوبي المغرب الاقصى (٣) قرية من قرى مديرية بني سويف (٤) هي بوصير قوربدس من قرى بني سويف أيضاً

الأنيقة، واتخذ كتابة الدواوين صناعة فتصرف في مناصب كثيرة بالقاهرة والأقاليم،
وباشر مديرية الشرقية مدة، وله في ذم مباشرى الشرقية قصيدة طويلة
ويمتاز شعره بالرصانة والجزالة وحسن استعمال البديع في مدائح النبوية إلا أنه
لم يحفل بهذه المزايا في غيرها فجارى شعراء زمانه في أسلوبهم حتى في استعمال بعض
الألفاظ المولدة والاهاجى المقذعة، ثم تنسك وتصف
ومن شعره قصيدة البردة الشهيرة التى وقع الاجماع على أنها أفضل مدائح
الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بآت سعاد ونحوها من مدائح الصحابة؛ قيل انه
فليج فنظمها في مرضه وتوصل بها إلى رسول الله فشفى من مرضه
وأولها :

أَمِنْ تَدَكَّرِ جِيرَانِ بَدَى سَلَمٍ	مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مَقْلَةٍ بَدَمٍ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ ^(١)	وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ ^(٢)
فَمَا لِعَيْنِكَ إِنْ قُلْتَ اكْفَفَاهُمَا	وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفْقِيَهُمْ
أَبَحَسَبَ الصَّبُّ أَنْ الْحَبُّ مُنْكُمْ	مَا بَيْنَ مَنْسَجٍ مِنْهُ وَمُضْطَرَمٍ

ومن حكمها البديعة المشوبة بمحاسن البديع قوله :

وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تَهْمِلُهُ شَبَّ عَلَى	حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمُهُ يَنْفَطِمَ
فَأَصْرَفُ ^(٣) هَوَاهَا وَحَازِرُ أَنْ تُوَلِّيَهُ	إِنْ الْهَوَى مَا تُوَلَّى يُضْمُ ^(٤) أَوْ يَصْمُ
وَرَاعِيهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ ^(٥)	وَأَنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْعى فَلَا تَسْمُ
كَمْ حَسَنَتْ لَذَّةَ الْمَرْءِ قَائِلَةً ^(٦)	مَنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السَّمَّ فِي الدَّسَمِ
وَأَخْشَى الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ	فَرُبُّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنْ التُّخْمِ

(١) راجع مصور بلاد العرب بهذا الكتاب (٢) واد يبتدىء من غربي المدينة ويصب في بحر
الفلزم (البحر الأحمر) (٣) العرف في عرف زمانهم العزل عن الحكم ضد التولية
(٤) جواب (ما) الشرطية، أى ما تولى منه من أصيبت الصيد إذا قتله وأنت تراه (أو يصم)
من وصم العود إذا صدعه أو من الوصم بمعنى العيب (٥) يلمح إلى ما يستعمل في رمى الأبل
(٦) الآيات الآتية يلمح فيها إلى صناعة الطب، والاستفراغ والامتلاء والحمية من الفاظها

واستفرغَ الدمعَ من عينٍ قد امتلأتْ من المحارمِ والزَمَ حِمِيَّةَ الندمِ .
وقد اتخذ شعراء المدائح النبوية هذه القصيدة نموذجاً ينسجون على منواله
فكانت من أقوى الأسباب التي حملت شعراء هذا العصر وما يليه على الاكثار
من المدائح النبوية ، وكذلك اتخذها أصحابُ البديعيات مثلاً يحتذونه فعارضوها
بقصائدهم وزناً وقافية فلم يَلْحَقُوا لصاحبها غباراً

وقصيدة البوصيري الحمزية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لا تقلُّ عن:
البردة في فصاحتها ، وأولها :

كيف تَرَقَّى رُقِيَّكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَاءَ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ
لَمْ يَسَاوُوكَ فِي عُلاكَ وَقَدْ حَالَ لِي سَنَى مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ
ومنها :

صَاحَ لَا تَأْسَ إِنْ ضُعُفَتْ عَنِ الطَّاعَةِ وَاسْتَأْثَرَتْ بِهَا الْأَقْوِيَاءُ
إِنَّ اللَّهَ رَحِمَةٌ وَأَحَقُّ النَّاسِ مِنْهُ بِالرَّحْمَةِ الضُّعَفَاءُ
فَاقْبِضْ فِي الْعُرْجِ عِنْدَ مُنْقَلَبِ الذَّوِّ دَفْعِي الْعَوْدَ تَسْبِيقَ الْعُرْجَاءِ
لَا تَقُلْ حَاسِداً لِفَيْرِكَ هَذَا أَثْمَرَتْ نَخْلُهُ وَنَخْلِي عَفَاءُ
وَأَتِ بِالمُسْتَطَاعِ مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ مَ فَقَدْ يُسْقَطُ الثَّمَارَ الْإِنَاءُ
وله قصيدة أخرى على وزن بانه سعاد ، وأولها :

إِلَى مَتَى أَنْتَ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولٌ وَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَاقْدَمٍ مُسْتَوَلٌ
وتوفي البوصيري سنة ٦٩٥ بالاسكندرية وقبره بها مشهور يُزار

٢ - صفي الدين الحلبي

هو الشاعر البديعُ عبد العزيز بن علي الشهير بابن سَرَايَا الطائي الحلبي شاعر
الجزيرة

ولد سنة ٦٧٧ ونشأ بمدينة الحلة من مدن الفُرات فتأدب ونظم الشعر وأجاده
وأصبح فيه أشهر شعراء عصره ، وخدم به الملك المنصور نجم الدين غازي بن قره

ارسلان : أحد ملوك الدولة الأرمنية ملوك ماردین^(١) وديار بكر^(٢) من ذبول الدولة السلجوقية فحظى عنده ومدحه بكثير من القصائد ، ومنها جملةٌ بعدد حروف المعجم أوائل حروف أبياتها كرويتها وتسمى القصائد الأرمنية ، وطبعت على حديثها ومع ديوانه

واتصل بعده بابنه الملك الصالح شمس الدين ثم ذهب الى الحج ، وعرج مُنصرَفه منه على مصر فمدح الملك الناصر بن قلاوون ، وأشار عليه كاتبُ سره القاضي علاء الدين بن الأثير بجمع ديوانه فجمعه مرتباً على اثني عشر باباً شعره وتوفي سنة ٧٥٠ ويعتبر صفي الدين من أئمة البديع المبتدعين في أنواعه المغالين في استعماله في شعرهم بلا كثير تكلف ، وهو أول من نظم القصائد النبوية الجامعة لأنواع البديع المسماة بالبديعيات على مثال برودة البوصيري . وقد نظم من كل فنون النظم : الفصيح والعامي من جديتهما وهزليتهما : فقال القصائد المطولة ، والمقطعات والموشحات والخمسات والمشرطرات والموالي والزجل والقومة وكان وكان ، وغيرها ، وله جملة مصنفات غير ديوانه

وشعره في جملته سهل الألفاظ حسن المعاني إلا ما كان يتكلفه للمعاية وإظهار الخلق فانه ردىء النسيج ، ثقيل على السمع ، وله من ذلك في ديوانه شيء كثير^(٣) ومن قوله في الأدب :

نبذة
من
شعره

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجلًا بنطقك قبل ماتتفهم
لم تقط مع أذنك نطقاً واحداً إلا لتسمع ضعفاً ماتتكلم
وقوله :

إذا الجد لم يك لي مُسعداً فما حر كافي إلا سكون

(١) من مدن الجزيرة (٢) هي التي كانت تسمى قديماً آمد

(٣) كقوله من المنقطع الذي لا يتصل منه حرف بالآخر :

إذا زار داري زور ودرد أود وأورده ورد ودى

وكقوله من المتصل الذي لا ينفصل منه حرف عن آخر :

سل متلى عطفاً عسى يتمطف فلقد قسا قلباً فسا يتاطف

(الوسيط م — ٤٠)

إذا لم يكن ما يُريد الفتي على رغبته فليُرد ما يكون
وقوله :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه فتلك له عند الملأت أعوان
تهافت على حفظ اللغات مجاهداً فكل لسان في الحقيقة انسان
وقوله في وصف عود الطرب :

وعود به عاد السرور لأنه حوى اللهو قدماً وهو ريانُ ناعم
يغرب في تغريده فكأنه يُعيد لنا ما لقنته الحمام
وقوله يصف القاهرة المعزية :

لله قاهرة المعز فلها بلد تَخَصُّص بالمسرة والهناء
أوماترى في كل قطار منية^(١) من جانبيها وهي مجتمعة المني
وقوله يصف نيل مصر حين وفائه :

وفى النيل اذ وفى البسيطة حتمها وزاد على ماجاده من صنائع
فما إن توفى الناس من شكر منعم يُشار الى انعامه بالأصابع

٣ - ابن نباتة

هو الشاعر الأديب والكاتب المصنف ، جمال الدين محمد بن محمد المعروف
بإبن نباتة ، أشعر شعراء المصريين زمن المماليك ، وصاحب شرح العيون في شرح
رسالة ابن زيدون ، ووارث القاضي الفاضل في التعصب للتورية

وهو من سلالة ابن نباتة الخطيب عبد الرحيم خطيب سيف الدولة الحمداني
ولد رحمه الله تعالى بمصر الفسطاط سنة ٦٨٦ ونشأ بالقاهرة ، وتلقى العلم والأدب
على كبار مشيختها ورؤساء دواوينها ، وأكب على قراءة شعر القاضي الفاضل ورسائله
فرسخت فيه طريقته من الؤكوع بالتورية والتليج والطباق ، فعمل على تأييدها

(١) كنية ابن الحبيب ومنية الشرج ومنية غمر

والاشادة بها ، فكان بعد الفاضل إماماً لهذه الطريقة نظماً ونثراً ، وحاكاه آخرون من أدباء عصره كصلاح الدين الصفدي ^(١) وكثيراً ما أغار على معانيه وتورياته ، وكزين الدين بن الوردى وغيرهما ، ولم يأت بعده من شعراء مصر والشام من بلغ غايته في لطف التصور ورقة اللفظ وانسجام العبارة واستعمال المعاني البلدية وابن نباتة ممن لا يُعنى باستعمال الجناس ، ولا يمحفل به كابن الوردى وابن حجة وان وقع أحياناً في شعره . واختلط في أواخر عمره ومات بالبيهارستان المنصوري ^(٢) بالبحسين سنة ٧٦٨

ومن شعره قوله :

نبغة من
شعره

يامشكى الهمّ دعه وانتظر فرجا ودار وقتك من حينٍ الى حين
ولا تعاند اذا أصبحت في كدر فانما أنت من ماء ومن طين
وقوله في رثاء ولده عبد الرحيم :

يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا شوقى اليه ويا شجوى ويا دأى
في شهر كانون وافاه الحمام اقد أحرقت بالنار يا كانون أحشائى

وله ديوان عظيم طبع في مصر ، وله عدة مصنفات منها مريح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، وكتاب مجمع الفوائد ، وكتاب القطر النباتى ، والفاضل من انشاء الفاضل ، وفرائد السلوك في مصايد الملوك

٤ - ابن معتوق الموسوى

هو شهاب الدين بن معتوق الموسوى شاعر العراق في عصره ، وسابق حلبته

في رقة شعره

ولد سنة ١٠٢٥ ونشأ بالبصرة وبها تعلم وتأدب وقال الشعر وأجاده ، وكان في نشأته فقيراً ، فانصل بالسيد على خان أحد أمراء البصرة من قبل الدولة الصفوية

(١) هو خليل بن أيك المتوفى سنة ٧٦٤ هـ (٢) هو المشهور الآن بمسكنى فلاون ولم

يبق منه الا قسم الرمد

الإيرانية ، وكانت وقتئذ تملك العراق والبحرين ومدحه مدحا رقيقةً ، وأكثر شعره مقصوراً عليه وعلى آل بيته فصره باحسانه

وصفه
شعره

وابن معنوق من كبار شعراء الشيعة لنشوئه في دولة شيعية غالية فأفرط في التشيع في شعره ، وجاء في مدح علي والشهيدين بما يخرج عن حد الشرع والعقل ؛ ويمتاز شعره بالركة وكثرة الاستعارات والتشبيهات حتى لتكاد الحقيقة تهمل فيه جملة

وله ديوان شعر مشهور طبع مراراً بصر وغيرها ، ويشتمل على قصائد ومقطعات ودوييت ومواليا وبعض فصول من النثر سماها ابنه جامع ديوانه بنوداً

ومن قوله يهني أميراً بالنصر على أعدائه ، ويصف إيقاعه بهم ويلح لآيات من القرآن الكريم :

وأخرجتهم في زعمهم عن ديارهم	وما اعتقدوا هذا الى أول الحشر
وألقوا بحبال المنكرات وخیلوا	فعارضتهم في آية السيف لا السحر
كفى الله فيك المؤمنين لدى الوغى	قتال العدا حتى سلمت من الأزر
ولولم يكف البأس عذوك عنهم	لعدت وقد عاد الحديد من التبر ^(١)
فالبشوا إلا قليلاً فكم ترى	لهم من ظلم ^(٢) فرعن بيضة الحيدر
تولوا مع الخلفاء في غسق الدجى	وخافوا طلائع الشمس في عقب الفجر
إذا ما لهم عقبان راياتك انجلت	أعبروا من الغربان أجنحة الغر
وميتهمو في فيلق قد تفردت	به طائرات النجح في عذب السر

وله من قصيدة :

لله أيام تهوى بالمعيق وان	كانت قصاراً وساءت قصارها
أوقات أنس كأن الدهر أغفلها	إذ من صروف الليالي ما عرفناها
لم نشك من محن الدنيا الى أحد	من البرية إلا كان إحداها

(٣) أى حرمة الدماء (٢) الظالم ذكر النعام يريد به الفارس الفار عن حرمة

العصر الخامس

وهو عصر النهضة الأخيرة

من ١٢٢٠ - الى الوقت الحاضر

حالة اللغة العربية وآدابها في هذا العصر

كانت حالة البلاد العربية في أوائل القرن الثالث عشر غاية ما وصلت اليه من الفساد والاضمحلال حكومة وأخلاقاً ولغة وأدباً ، فرأت أوربة أن قد آن الأوان لأن تُجَدِّدَ غاراتها عليها ففعلت ، ولكن لا بشكل الحروب الصليبية الممقوتة ، بل بدعوى نشر متاجرها وبث علومها وآدابها ، وبمخاربة الواقفين لها في طريقها ، فابتدئ ذلك بمحملة نابليون على مصر والشام ، فكانت هي أوّل ناشر لعلم أوربة وآدابها في البلاد العربية وإن سبقها بقليل بعضُ الدعاة المسيحيين من أممها



محمد علي باشا

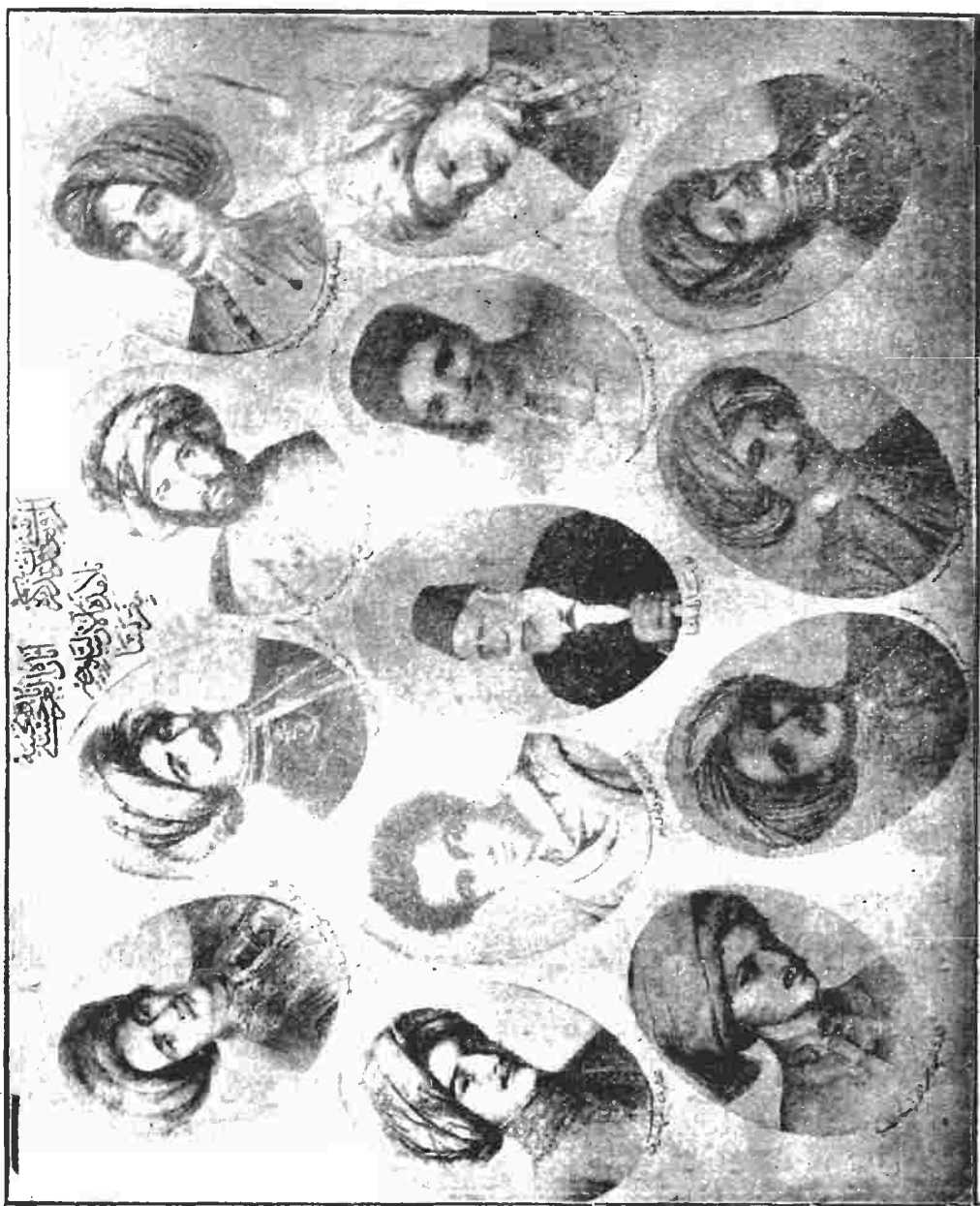
فلما استولى ساكنُ الجبلان محمد علي باشا على مصر بمجذته ودهائه ، كان أول قاعده أراد أن يبنى عليها مملكته وسلاطانه متابعة الأوربيين في الإدارة والتربية وتنظيم الجيش : لما رآه من آثار الفرنسيين بمصر ، ولما شاهده من تقدمهم أثناء اشتراكه في حربهم مع الترك والانجليز ، فاستعان بفرنسا وبعض ممالك أوربة على ادخال المدنية الاوربية في بلاده فتم له بعض ذلك إلا أن أحوال البلاد الطبيعية والدينية والاغوية لم تكن تسهل على مستخدمي الاوربيين ومن معه من الألبانيين والترك أن يستقلوا بجميع أمور البلاد . فرأى بحكمته أن يربّي من أبناء البلاد وجالية الترك والألبان من يكون خيراً واسطة لنقل معارف الاوربيين اليها ، فبعث إلى أوربة بثلاثة بعوث علمية في أزمنة مختلفة ^(١) كانت بعد ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والمهندسين والضباط : فذهلوا إلى اللغة العربية عشرات الكتب الجليلة في العلوم المختلفة فأحدث ذلك في اللغة العربية انقلاباً عظيماً ، واكتسبت من سمة الأغراض والمعاني والألفاظ العلمية والاساليب الاجنبية وطرق البرهنة والاستنباط وترتيب الفكر نروة طائلة ، وعهد إلى هؤلاء الاساندة ومن سبقهم ومن لحقهم من الأوربيين انشاء المصانع الونيرة ، والمدارس الكثيرة من ملكية وحرية ، وحاول أن يجعل اللغة التركية أساسية أو شبه أساسية في التعليم والسياسة والإدارة فتمدّر عليه ذلك ، واضطّر إلى مجاراة طبيعة البلاد فأصبحت العربية لغة كل ذلك ، وظهرت على اللغة التركية واللغات الاوربية المختلفة التي كانت تدرس وجوباً معها ، وكان من الأثر الشريف كل المدد الذي استمده محمد علي لتربية البعث العلمية وتدريس العلوم العربية بالمدارس ، ورأى العلماء والأدباء أنه صارت لهم دولة منظمة متحضرة تتقبل منهم بقبول حسن كل ما يحسنونه : من نتيجة كدّهم وثمرة أفكارهم ، فالتفوا حولها وصار للدولة كتاب وشعراء ومنشئون في جريدتها (الوقائع) أول جريدة عربية

البعث
إلى أوربة

أثر
البعث
في اللغة

أثر
الأثر

(١) وقد أوردنا في المصنعة التالية صور بعض طلبة البعث العلمية التي أرسلها محمد علي باشا



الاسماء مرتبة من اليمين الى اليسار

الصف الاول

مصطفى محرجي (مهندس)
 رفاعه بك (ناظر مدرسة الاسن)
 حسن بك (وزير بحرية)
 محمد بيومي (مدرس مدرسة الطب)

الصف الثاني

محمد علي باشا الحكيم (طبيب وجراح)
 محمد شبابي (مدرس مدرسة الطب)
 الوزير علي مبارك باشا
 أولاري بي كلهو ولد فيليمو (من أهلى السردان)
 عثمان بك (أحد وزراء الماروف)

الصف الثالث

محمد السكري (مدرس مدرسة الطب)
 أمين بك (ناظر الدخائر)
 مطهر بك (مهندس القناطر الحيرية)
 محمد شافعي (أحد ناظر مدرسة الطب)

أثر
السوريين البروتستنت واليسوعيين الكاثوليك وغيرهم فهاجر كثير من السوريين الى مصر
وانتظم في سلك الحكومة والمدارس المصرية ، ودخل كثير من نصاراهم مدارس
الدعاة الذين كان أكثرهم من المستعربين العارفين باللغة العربية فدرسوا العلوم
وألفوا الكتب باللسان العربي ، ونبع من مدارسهم رجال كانوا زهرة سورية ،
وغلب عليهم الأدب : من الشعر والكتابة وترجمة الروايات الأدبية ، واتخذوا
ذلك صناعة لم يتكسبون بها في الشام ومصر ، فعاد ذلك على القطرين بالتقدم في
الفصاحة وسعة الخيال وحرية الفكر والإرادة

أثر
إسماعيل باشا في النهضة
ومن الأسف أن هذه النهضة لم يستمر سيرها في مصر كما استمر في الشام بل
ركدت ربحها زمن عباس باشا الأول وزمن سعيد باشا ، ثم تنسبت في عصر اسماعيل
وما لبثت أن صارت رخاء طيبة فأعاد رحمه الله سيرة جده في نشر العلم فافتتح
المدارس والمكاتب وأنشأ الجسور والقصور والمصانع ، ووجد أكثر رجال البعث
العلمية الذين رباهم جده على قيد الحياة فاتخذ منهم المدرسين ورؤساء الإدارة ، وزاد
على جده في ارسال البعث العلمية الى أوربة ، وظهرت ثمرة أعماله في حياته ، وكادت
مصر توشك ان تكون قطعة من أوربة كما قال هو في بعض حديثه

وباطراد سيرها على هذا النظام تصبح زهرة الشرق كله ان شاء الله تعالى
ويمكننا تلخيص أسباب النهضة الأدبية في الأمور الآتية :

- (١) اتصال المدينة الغربية بالمدينة الشرقية من أوائل القرن الماضي وابتداء ذلك
بمحلة بونايرت واتخاذ الدعاة المسيحيين من الأمريكان البروتستنت واليسوعيين وغيرهم
بلاد الشرق مجالاً لأعمالهم ، وجعلهم اللغة العربية في أول أمرهم اللغة الرسمية لنشر
تعاليمهم وآدابهم ، وكان لعملهم في سورية أثر أبين منه في مصر ، فأنشئوا المستشفيات
والمدارس وانتظم فيها كثير من نصارى الشام ، فخرجت عدة طبقات منهم كان لهم
الفضل في نشر اللسان العربي وتوسيع دأثرته وعلومه وآدابه

ومن أركان هذه النهضة في سورية الشيخ ناصيف اليازجي وابنه الشيخ إبراهيم والدكتور فنديك المتعرب الأمريكاني واحمد فارس وأديب اسحاق وغيرهم

(٢) ازدياد عدد المستعربين بأوربة والشرق وسعيهم المتواصل في ايجاد المطابع العربية وطبعهم فيها نفائس كتب العرب ، وعنايتهم بطبعها وتنقيحها . وانشاء الجمعية الآسيوية الباحثة في أحوال الشرق وعلومه ، وتمد مجلتها الآسيوية من كنوز العلم والأدب

(٣) ايجاد المدارس النظامية المتعددة التي أنشأها المغفور له محمد علي باشا بمساعدة الاساتذة الأوربيين ثم علماء المصريين ، والمدارس التي أنشأها المغفور له الخديو اسماعيل وأعظمها خدمة للعربية وآدابها مدرسة دار العلوم التي أنشئت في زمنه باقتراح رجل مصر وعالمها المرحوم علي مبارك باشا فتخرج في هذه المدرسة مئات من المعلمين والقضاة والمحامين وكتّاب الدواوين ، وتربى على أيديهم إما مباشرة وإما بواسطة جميع متعلمي العصر الحاضر وفيهم أفاضل الأمة من محرريها وكتابها وقضاةها ومحاميها وشعرائها ، ولا يغطيها هذه الفضيلة إلا كل جاحد مكابر ، ويكفي دليلاً على اثبات هذا الفضل لما أورده حكيم المصريين الأستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده في تقريره عن الامتحان النهائي للمدرسة الذي رأسه سنة ١٩٠٤ قال « واني انتهز هذه الفرصة للتصريح بمكانة هذه المدرسة في نفسى وما أعتقد من منزلتها في البلاد المصرية ومن اللغة العربية : ان الناس لا يزالون يذكرون اللغة العربية واهمال أهلها في تقويمها ويوجهون اللوم الى الحكومة لعدم عنايتها بأمرها ، ولم أسمعهم قط ينصفون هذه المدرسة ولا يذكرونها من حسنات الحكومة . فإن باحثاً مدققاً لو أراد ان يعرف أين تموت اللغة العربية واين تحيا لوجدها تموت في كل مكان ووجدها تحيا في هذا المكان ، وان أوّل فضل في تقسيم اللغة العربية بتسهيل طرق تناولها وتأليف بعض الكتب المفيدة للتعليم في المدارس (الوسيط م — ٤١)

الابتدائية كان للمخرجين فيها ، ثم هم أساتذة المدارس الابتدائية والثانوية ، ولا يشك عاقل في أن تلامذة تلك المدارس يكتبون وينطقون على نمط أقوم مما كان يكتب وينطق عليه أساتذتهم من قبل » اهـ والفضل كل الفضل في تأهيل طلابها لقبولهم فيها راجع للأزهر الشريف الذي كان ويكون ان شاء الله المورد العذب لطلاب العربية وفنونها

(٤) البعث العلمية الذين أرسلهم محمد علي باشا ثم اسماعيل باشا الى ممالك أوربة لتلقى العلوم المختلفة ، وقد كانت مدد هذه البعث تصل أحياناً الى ١٢ سنة

(٥) شيوع تعلم اللغات الأجنبية وجعل تعليمها اجبارياً بمصر والشام في مدارس الحكومة والجمعيات ومدارس الرهبان والدعاة فنشأ من ذلك نقل كثير من المعاني والأساليب الفرنجية التي يقبلها الذوق العربي فأثرت بذلك اللغة وحصفت أفكار أهلها واتسعت أغراض القول في وجوههم ، وترجم منها ألوف الكتب والروايات والمقالات السياسية والعلمية الى العربية ، فاستفاد منها أيضاً من لا يعرف اللغات الأجنبية علماً جماً وأدباً غزيراً

(٦) إيجاد المطابع العربية بمصر والشام والقسطنطينية وطبعها كثيراً من الصحف السيارة وكتب العلم والأدب وخاصة الروايات

ومن أهم الكتب المطبوعة التي جددت حياة اللغة والأدب كتب المعجمات مثل الصحاح والقاموس وشرحه ولسان العرب والمخصص ، وكتب الأدب مثل الاغانى والمقد الفريد وكامل المبرد والمقامات للحريرى ، والبديع ، وأما الى القالى ، وصبح الأعشى ، ودواوين الشعر والرسائل الكثيرة ، وأمها كتب التاريخ : كالطبرى وابن الأثير وابن خلدون ومقدمته الجليلة ذات الأثر البين في الأدب والكتابة في العصر الحاضر ، ونفح الطيب وغيرها

وللاوربيين عظيم الفضل باختراع المطابع العربية في أواسط القرن الخامس عشر المسيحى كما اخترعوا غيرها من قبل ، وطبعوا بها الكتب العربية الجليلة بايطاليا وفرنسا

وأول مطبعة عربية وصلت الى الشرق كانت مع اللجنة العلمية التي صحبت حملة بونابارت وطبع بها في مصر كتاب التهجى العربية والتركية والفارسية سنة ١٧٩٨ ثم كتاب القراءة العربية ثم معجم فرنسى وعربى ثم كتاب فى نحو اللغة المصرية العامية ولما استولى محمد على باشا على ملك مصر أنشأ دار الطباعة العامرة ببلاق وصب حروفها على أجمل قاعدة نسخية وفارسية من حجوم مختلفة فطبعت ابتداء بعض الكتب التركية والفارسية ثم أخذت فى طبع نحو ثلثمائة كتاب من الكتب المترجمة عن اللغات الاجنبية فى العلوم الحديثة كالرياضيات والطبعيات والطب والجراحة . أما الكتب الأدبية فتأخر طبعها قليلا ومن أول ما طبع منها كلية ودمنة وخزانة الأدب الكبرى للبغدادى ومقدمة ابن خلدون ومقامات الحريرى وتفسير الرازى والقاموس والاغانى

ثم فشت المطابع فى الشام على أيدي رؤساء الرهبنات والدعاة وطبعت أولاً كتبها الدينية ثم بعض كتب أدبية وظهرت بعيد هذا الوقت دار الطباعة العامرة بالقسطنطينية فطبعت كثيراً من الكتب الشرقية والفارسية ثم طبعت بعد كتباً كثيرة فى الفقه والنحو والصرف والبلاغة والفلسفة والأصول والكلام وغير ذلك ثم شرع كثير من المصريين فى كوا حروف مطبعة بولاق وأنشوا مطابع عدة بالقاهرة والاسكندرية سهلت طرق العلم على الطلبة وخصوصاً فقراء طلبة الأزهر

(٧) انشاء الصحف العربية بمصر والشام والقسطنطينية

وأول جريدة عربية هى الوقائع المصرية التى صدرت سنة ١٨٢٨ وحرر أول عددها باللغة التركية ثم عهد فى تحريرها الى الشيخ حسن العطار والشيخ شهاب الدين صاحب السفينة فحررت فصولها بالعربية والتركية ثم اقتصر فيها فى الأزمان الأخيرة على العربية ثم صارت تطبع نسخ منها بالعربية ونسخ بالفرنسية وكانت تصدر ثلاث مرات فى الأسبوع وبقيت كذلك الى وقتنا هذا

وأول جريدة عربية ظهرت فى سورية كانت جريدة حديقة الأخبار الصادرة

في سنة ١٨٥٨ وأول جريدة عربية ظهرت في القسطنطينية سنة ١٨٦٠ كانت الجوائب لصاحبها أحمد فارس وظهرت بعدها في سورية جريدة سورية الرسمية سنة ١٨٦٥ ومن أول الجرائد التي ظهرت بمصر بعد الوقائع جريدة وادي النيل (القديمة) وتلتها جرائد أخرى : مثل الاسكندرية ، والزمان ، والاعتدال ، والفلاح ، والاهرام ، والمقطم ، والمؤيد ، واللواء ، والعلم ، والجريدة ، والشعب ؛ وفي سورية من نظائرها كثير

ولنصارى السوريين فضل سبق على المصريين في اتخاذ صناعة تحرير الصحف حرفة بسورية أولاً ثم بمصر ثانياً ، وهم أول من قام بإنشائها بمصر بعد الوقائع ولكنهم لم ينفردوا بها أكثر من عشر سنين ، ثم زاحمهم المصريون فاشتركوا معهم في تحرير صحفهم وتصحيحها ، ثم اشتغلوا بجرائد أو مجلات خاصة مثل التنكيث والتبكيث للسيد عبد الله النديم ، والمؤيد للشيخ علي يوسف ، واللواء لمصطفى كامل باشا ، والجريدة ، والعلم ، والشعب ، والأخبار ، والنظام ، ووادي النيل الثانية ، والأهالي لبعض الأحزاب المصرية

ومن أشهر جرائد السوريين التي كان لها جزيل الفضل على نشر العربية ، وتحبيب القارئ في القراءة جريدة الفلاح لصاحبها سليم حموي وقد احتجبت بعد موت صاحبها ، وجريدة الاهرام وأول من أسسها سليم تقلا ثم خلفه أخوه بشاره تقلا ثم ابن بشاره جبريل تقلا ، والمقطم لصاحبها فارس نمر ويعقوب صروف هذا والى المطابع والمطبوعات من كتب وصحف ومجلات يرجع أكثر الفضل في تكوين النهضة الحاضرة

فيها قلت مؤونة اقتناء الكتب الى حد لم يحلم به أسلافنا ، فسهلت على الحكومة نشر التعليم بين الناشئين : ونشرت التوسع في العلم والأدب لجميع طبقات الراغبين وضبطت أعمال المصالح والدواوين ، وقربت مسافة الخلف بين أصناف الناس في الأفكار والعادات والأخلاق ومسائل الاجتماع ، وحفظت للتاريخ أخبار الوقائع

والحوادث اليومية : عظيمها وحقيرها بما يطابق الحقيقة أو يقاربها ونحو ذلك مما لا يحصى

(٨) تنظيم التقاضى والترافع منذ انشاء المحاكم الأهلية ونشأ عن ذلك صناعة مستقلة ، أداتها فصاحة اللسان وقوة الحججة فى الخصومة : وهى صناعة المحاماة ، ونشأ بجانبها نظير لها فى مناصب المحاكم هى مرافعة وكلاء النيابة فى اثبات التهم ، واستتبع كلتاهما الإجادة فى تحرير القضاة صور الأحكام ، ووجدت لغة قانون قضائية أ كسبت العربية ثروة عظيمة

(٩) حدوث الأندية والجمعيات العلمية والأدبية لالقاء الخطب والمحاضرات ، وللسيد جمال الدين الأفغانى الفضل فى احداثها بمصر

(١٠) حدوث فن التمثيل باللغة العربية — وأوّل ما ظهر فى الشام ثم انتشر فى مصر ، بيد أنه لم يؤدّ بعدُ كلّ الغرض المطلوب منه لجهل أكثر الممثلين بصناعته وضعفهم فى العربية الفصيحة وسوء اختيار القصص الممثلة الملائمة لبلاد شرقية إسلامية

(١١) إحداث الشهادات الدراسية واعتبار الحصول عليها شرطاً فى خدمة الحكومة ، والاحتراف بالحرف العلمية كالطب والهندسة والمحاماة

(١٢) تنظيم التعليم بالأزهر الشريف والمعاهد الدينية وإدخال كثير من العلوم الحديثة بين مواد دراستها ، وللشيخ محمد عبده جليل الفضل فى اقتراح هذا الإصلاح الذى جعل مساعدة الأزهر بالمال والآراء السديدة وضمان مستقبله موضوع عناية دولتنا السنية — هذا وقد سبقت مصر والشام غيرهما من البلاد العربية ثم اقتفى أثرهما العراق والحجاز واليمن والهند وتونس

النثر

المحادثة أو لغة التخاطب

كانت العامية في أوائل هذه العصور غاية في الانحطاط ، ثم لما انتشر التعليم بين طبقات المصريين دخل في عبارتهم كثير من الفصح ، وانتقل ذلك لمعاشريهم من الأميين وبعض النساء . ومما ساعد على ذلك أيضاً جعل التقاضى باللغة الفصيحة وكثرة الصحف والمجلات والروايات . وترقى الزجل والموااليا والواو^(١) ، وبلغ الزجل في عصر اسماعيل باشا وتوفيق باشا غايته ، ومن أشهر رجاله المرحوم محمد عثمان جلال بك ، والمرحوم السيد عبد الله النديم ، والمرحوم الشيخ محمد النجار ، والمرحوم الشيخ احمد القوصى وغيرهم ، إلا أنه أخذ يضمحل في عصرنا هذا بغلبة الشعر الفصح عليه وترفع كبار الرجال عن استماعه

الخطابة

كان المصريون والسوريون أوائل هذا العصر لا يستعملون الخطابة في غير الأغراض الدينية ، ثم اتسعت دائرة الأفكار في عصر اسماعيل باشا ، وصادف ذلك مجيء السيد جمال الدين الأفغانى الى مصر ، والتف حوله كثير من الازهرين ولغيف من أدباء المصريين والسوريين ، فأدخلهم في عداد جمعيته وألف منهم أندية كانوا ينتابون الخطابة فيها في الأمور الدينية والأخلاق ، ثم تعدت ذلك الى الأمور السياسية

وانتشرت الخطابة بين شبان مصر وفشت بعد عصر اسماعيل في زمن توفيق باشا وولدت رجال الثورة العربية

(١) هو نوع من الزجل وزنه مثل بحر المجتث (مستفعلن فاعلان) أو فاعلان أربع مرات واخترع هذا النوع أواخر العصر الماضى وفشا جدا في صعيد مصر صدر العصر الحالى ومنه قول ابن عروس المنصوف :

مسكين من يطبخ الفاس	وبريد مرق من حديد
مسكين من يصعب الناس	وبريد من لا يريده

ومن أشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم وكان لا يجارى في سرعة البديهة
وشدة التأثير في سامعيه ، ويحسن الخطابة بالفصيحة والعامية ، والشيخ محمد عبده
وغيرهما

ولما أسست الجمعيات والأندية الأدبية بمصر ، شغلت موضعاً فسيحاً في عالم
الخطابة وبلغت في عصرنا هذا بسبب حالة مصر السياسية مبلغاً عظيماً وأصبحت في
حال زاهرة لا تقل كثيراً عما كانت عليه في عصور الدول الإسلامية الغابرة

الكتابة

الكتابة الخطية

وقف الخط في سبيل تقدمه عند الحد الذي رسمته له الطبقة الناشئة في القرن
العاشر والحادى عشر والثاني عشر من خطاطى الترك ، وكل من نشأ بعدهم فأنما هو
متبع طريقهم وحاذٍ حذوهم

وأشهر من نبغ في العصر الذى نحن بصدد الكلام فيه عبد الله الزهدى وهو
الذى خط بالقلم الجليل جدران المسجد النبوى وجدران سبيل والده عباس باشا الاول
بالصليبة بالقاهرة وجامع الرفاعى ، ومحمد مؤنس أفندى ، وتخرج عليه وعلى تلميذه
المرحوم محمد جعفر^(١) بك جميع خطاطى قطرنا المصرى

عبد الله بك الزهدى

هو الخطاط الشهير والمجود الخطير عبد الله بك الزهدى

ولد باللاستانة ونشأ بها وتلقى الخط على مشهورى عصره أمثال حافظ راشد
أفندى الشهير بأبوب على ومصطفى أفندى عزت الذى كان قاضى عسكر ومن هذا
الأخير حصل على إجازة الخط ، فعين معلماً له بجامع نور عثمانية باللاستانة ، ثم ندبه
السلطان عبد الحميد لكتابة خط الحرم المدينى فسافر الى الحجاز ، ولما قدم منه مجتازاً
مصر أبقاه المرحوم اسماعيل باشا وأمر بتعيينه مدرساً للخط بالمدرسة الخديوية فقام

(١) كان مدرساً للخط بمدرسة دار العلوم وهو الذى كتب حروف المطبعة الاميرية المستعملة الآن

بهذه الوظيفة خير قيام ، ثم كلفته الحكومة كتابة الآيات القرآنية وغيرها على كسوة الكعبة الشريفة فأبدع فيها بما ابداع ، ولا تزال كتابته عليها تشهد له بالبراعة وحسن الرونق ، وقد عهد اليه اسماعيل باشا كتابة الخط على سبيل أم عباس بالصليبة فأجاد كمادته ، ولا تزال هذه الكتابة ماثلة للعيان ، وقد تخرج عليه كثيرون في القطار المصري ممن جودوا الخط وكان لهم فضل عظيم في نشره وتحسينه ، واستمر يعلم الخط بالمدرسة الخديوية حتى توفي سنة ١٢٩٦ هـ

وقد رثاه بعض الشعراء بقوله :

مات رب الخط والاقلام قد نكست أعلامها حزناً عليه
وانثنت من حسرة قلماتها بعد ما كانت تباهى في يديه
ولذا قد قلت في تاريخه مات زهدى رحمة الله عليه

١١٥ ٦٦ ٦٤٨ ٢٦ ٤٤١

١٢٩٦

الكتابة الانشائية

مضى العصر المتقدم وليس لكتاب الدواوين في أواخره شأن يذكر لجعل التركية هي اللغة الرسمية ، وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغير في الممالك العثمانية إلا قليلاً وشرعت تتغير في مصر إلا أنه لم يكن تربي بها من فتيان المسلمين من يتولى الكتابة في مناصب الحكومة ، فكانت مقاليدها في يد كتبة القبط واشتهر من بينهم المعلم غالى^(١)

ثم استخدمت الحكومة رجال البحوث العلمية وتلاميذ المدارس المنشأة بمصر والسوريين في أعمال الكتابة فتقدمت شيئاً ما . ويعرف ذلك من صورها السقيمة المدرجة في أعداد الوقائع المصرية لذلك العصر ، ثم لما انشئت المدارس النظامية وتولى التدريس بها مشايخ الأزهر ثم متخرجو مدرسة دار العلوم نشأت طبقة من

(١) كان رئيساً لكتاب وكاتب سر محمد علي باشا وقتل سنة ١٨٢١

كتاب الدواوين رَقَّوا كتابتها . وقد هجز السجع الذي أكثر منه الأقدمون إلا أن عبد الله باشا فكرى أشهر المصلحين للكتابة الديوانية الفصيحة أَلَمَّ به في كثير من مكاتباته الرسمية

ومن أهم البواعث على اجتناب زخرف البديع في الانشاء تعلم اللغة الأجنبية والترجمة عنها لأنها أقرب إلى الطبيعة من الطرق الموروثة عن مستعربى الفرس في الصور الوسطى

أما كتابة التأليف والصحف فإنها أخذت تنحو منحى كتابة ابن خلدون في مقدمته لانكباب كثير من المدرسين والقارئین والمحرفين على دراستها ومحاكاتها ولما ولت الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع الرسمية والاشراف على تحرير الجرائد ، ترقَّت كتابتها كثيراً ودرجت في سبيل التقدم الى الآن

كتابة التدوين

كان أكثر الكتب التي ألفت أو ترجمت في مصر علمية لشدة احتياجها اليها في تأييد حكومتها وادخال اصلاحات في زراعتها ومالياتها وادارتها وقضاها ؛ أما سورية فكانت حالة الأدب فيها في النصف الأول من العصر الحاضر خيراً منها في مصر ، ولكن مصر نهضت في النصف الثاني ، واسترجعت حياتها الأدبية ، وأدخلت دراسة أدب اللغة في مدارسها وألّف فيه عدة كتب ، وانحط شأن سورية في العربية ، ولا سيما بين طوائف النصرانية : لعدول جمعيات البعث الدينية عن التعاليم باللغة العربية الى اللغة الاجنبية ، فلم ينبغ في العربية من السوريين في السنوات الأخيرة من يضارع سابقهم

ويعتبر عصرنا الحاضر من أزهى عصور العربية بمصر فقد أصبحت قبلة العالم العربي ومركز حضارته وبلاغته بمن نشأ فيها : من كبار العلماء والمؤلفين والمترجمين والمهندسين والقضاة والمحامين وكتاب الجرائد والمجلات والخطباء والشعراء والمدرسين وسلك العلم في سيره طريقاً حديثاً غير طريق أهل الأزهر

ومن أشهر العلماء الأزهرين في هذا العصر الشيخ الجبرتي والشيخ حسن العطار
والشيخ العروسي والشيخ التميمي والشيخ الباجوري والشيخ عlish والشيخ اليباري
والشيخ السقا والشيخ الانبأبي والشيخ الأشرفي والشيخ الشريفي وغيرهم
ومن غير الأزهرين من أهل النهضة الحديثة رفاعة بك شيخ المترجمين والمؤلفين
وعلى مبارك باشا مؤسس دار العلوم وأشهر المؤلفين المصريين ، والنطاسي الشهير
محمد علي باشا ، والسيد صالح مجدي بك ، ومحمود باشا الفلكي ، وأحمد ندي بك ،
وعبد الله باشا فكري ، وقدرى باشا ، ودرى باشا

نماذج من النثر

✕ كتب الامتاز المرحوم الشيخ حمزة فتح الله الى صاحب السماحة السيد عبد الحميد
البكري معتذراً :

مولاي — اما الشوق الى رؤيتك فشديد ، وسل فؤادك عن صديق حميم ،
وود صميم ، وخلة لا يزيد بها تعاقب الملوين ، وثائق اليرين ، إلا وثوقاً في العراء ،
واحكاماً في البنا ، ونماء في الفراس ، وتشيداً في الدعائم . ولا يظن سيدي أن عدم
ازدياري ساحته الشريفة ، واجتلائي طلعتة المنيفة ، لتعاس أو تقصير ، فان لي
في ذلك معذرة اقتضت التأخير ، والسيد أطل الله بقاءه أجدر من قبل معذرة
صديقه ، وأغضى عن ريث استدعته الضرورة . وبعد فرجائي من مقامكم السامي
أن لا تكون معذرتي هذه عائقاً لكم عن زيارتي ، فلكم مئة طوقته ونيتها ، ولكم
فيها فضل البداة وعلى دوام الشكران ، والسلام مـ

✕ وكتب المرحوم الشيخ عبد الكريم سلمان وقد أهدى كتاباً :

الانسان الكامل ، والمولى الفاضل ، دام كماله ، وزاد اقباله
كتابي الى الأستاذ ، والهدايا تزيد في النواد ، وتوسع في قوة الارتباط ، ان
كانت لغير من حظرها عليه الشرع القويم ، والشيخ مني بمنزلة الأخ من أخيه ، وأنا
منه بمثابة الولد من أبيه ، ولا داعية لي اليه سوى الصلة به ، ولا أريد منه غير الوداد

(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) وقد اخترت لك من كتب الأدب العربي القديم كتاباً حديث العهد بلوجود ، بعثته إلى حضرتك معترفاً بأنه نموذج فضلك ، ومعنى أدبك ، يعترف لك مهديه ، بأنه لاحظ المناسبات ، ونظر الى الرغبات وقبل أن تشتغل بالبحث فيه عن اسمه والأوصاف ، أعلمك بأنه كتاب المنسوب والمضاف ، فهنيئاً له بالشيخ يقدره حق قدره ، وهنيئاً للشيخ به يزيده في أمره ، وإن قبول الأستاذ لهديتي مكفول بحسن أخلاقه ، وطهارة أعراقه ، وبعلمه بأن النفع بها وهي عنده أهم وأوفى ، فله الحمد على ما قبل ، والشكر على ما أولى

وكتب المرحوم الشيخ حسن افندى توفيق يعتب على صديق له :
عذلت أيها الصديق ولات حين عدل ، حيث أملت أن أكون لك كما أنتلى ، وأنا ذلك الخدن الذى ملئت جوانحه شوقاً ، وحشيت أحشاؤه صدقاً ، أغرك لإرجاء المكاتبة ، أم ضمت الأقلام ، والقلوب كالسبيكة إذا أصدأها السكون فهي خالصة الباطن أو كحجرة الزند تتأجج وهي مغبرة الظاهر ، بل تحكم لديك الشك فحكمت وكان عهدي بك اليقين ، ومع هذا فاني أشكرك على عدلك ، وأحمدك على فضلك ، فلا لوم إلا بين أصدقاء ، ولا عتاب إلا بين أوداء ، وما اختياري لهذا أن أقرع عصاك ، بل أن أجعل شكك يقيناً في صديق رؤيتك أشهى آماله ، ولقاؤك أعظم أمنياته ، والسلام

الكتاب والمعلماء

رفاعة بك رافع الطهطاوى

هو الكاتب الشاعر الأديب المترجم السيد رفاعة بك الحسينى الطهطاوى شيخ الترجمة وإمام النهضة الحديثة

وُلد بطهطا من أسرة شريفة افتقرت بعد غنى فتنقل به والده في بعض بلاد مديريته مديرية قنا بضع سنين تعلم في أثنائها القراءان الكريم ودرس مبادئ العربية وحفظ كثيراً من المتنون على أخواله

ثم توفي والده فتولت والدته تربيته فأرسلته الى الجامع الأزهر فأكمل دراسته

فيه ، ثم انتخب إماماً لبعض فرق الجيش ، ولم يلبث أن اختاره المرحوم محمد علي باشا إماماً ومعلماً لأول بعث علمي أرسل إلى فرنسا سنة ١٢٤١ ، فرافقه علوم أوربة وعظمتها فأكب بنفسه على تعلم اللغة الفرنسية حتى أجادها فيها وأنشاء وإن لم يُجِدْها نطقاً وارتجالاً ، وكتب أثناء إقامته بباريس كتاب رحلته إلى أوربة ، وترجم قلائد المفخر ، في غرائب الأوائل والآخر ، فسر بذلك محمد علي باشا فلما عاد إلى مصر سنة ١٢٤٧ هـ اختاره رئيساً للترجمة بمدرسة أبي زعبل ، فترجم بها كثيراً من الكتب والدروس



رفاعة بك رافع الطهطاوى

واشترك هو وأستاذه الشيخ حسن المطار في اقتراح اشاء الوقف المصرية وتحريرها ثم نقل إلى مدرسة المدفعية (الطبيعية) بطرة لترجمة الكتب الهندسية ، ثم صار مديراً لمدرسة الألسن والترجمة فبلغ عدد تلاميذها ٢٥٠ تلميذاً ، ثم على أيديهم ترجمة أكثر ما نقل من علوم أوربة الحديثة إلى العربية زمن محمد علي باشا وإسماعيل باشا ، ولما أُلغيت مدرسة الألسن زمن عباس باشا الأول ، تقلب في عدة مناصب ثم بقي مدة بلا عمل إلى أن أعيد زمن إسماعيل باشا إلى نظارة قلم الترجمة ، وانتخب عضواً بلجنة المدارس ، وتولى إدارة مجلة روضة المجالس ، وعكف على الترجمة والتأليف حتى

توفي سنة ١٢٩٠ هـ تاركاً لمصر كتباً ورجالاً هم أركان النهضة الحديثة
وقد ألف وترجم رفاعة بك غير ما تقدم كتباً تزيد على عشرين كتاباً ، أهمها
ترجمة جغرافية (ملطبرون) والتعريبات الشافية لمريد الجغرافية ، والمرشد الأمين
في تربية البنات والبنين

وترجم القانون المدني الفرنسي ، وكتاب هندسة (ساسير) ، ورواية تليماك ،
وكتاب مناهج الألباب المصرية ، وله كتب شتى في الأدب وعلوم العرب ، وآخر
ما ألفه نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ، وكان في ترجمته وتأليفه ينتجى أحياناً
طريق السجع ، واضطر لانجاز ما يكلفه من الترجمة أن يستعمل بعض الألفاظ
التركية أو العامية الشائعة في زمنه

عبد الله فكرى باشا

هو الكاتب الشاعر الأديب عبد الله فكرى باشا أحد أركان النهضة الأدبية
في الديار المصرية



عبد الله فكرى باشا

كان أبوه محمد بليغ أفندي ضابطاً بالجيش المصرى وهو ابن الشيخ عبد الله أحد علماء الأزهر

ولد سنة ١٢٥٠ وتوفى والده وهو فى سن الحادية عشرة فكفله بعض أقاربه فعلمه القرآن وبعث به الى الأزهر فأكبَّ على تلم علومه مشغلاً أيضاً باللغة التركية واستُخدم من أجلها مترجماً للعربية والتركية فى عدة مناصب آلت الى نقله الى حاشية سعيد باشا ثم اسماعيل باشا ، فعهد اليه بتأديب بنيه الكرام وغيرهم من أمراء بيت الملك

ثم تقلب فى جملة مناصب آخرها نظارة المعارف سنة ١٢٩٩ وبقي بها حتى زمن الثورة العراقية فسقط مع الوزارة ، وأتهم فى الثورة فقبض عليه ثم اتضحت براءته فأطلق وردَّ اليه معاشه بعد أن استعطف الخديو توفيقاً بقصيدة طويلة وتوفى سنة ١٣٠٧

وكان فكرى باشا كاتباً بليغاً ملك فى كتابته طريقة كتاب القرن الرابع كالبديع كاتبه
الهمداني والحوارزمي : من التزام السجع القصير القليل التكلف للمحسنات البديعية فى أكثر رسائله الصادرة عن القصر والنظارات ، وبذلك يقول فيه المرحوم الشيخ حسين المرصفي مدرس الأدب والعربية بدار العلوم (لو تقدم به الزمان لكان فيه بديعان ، ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همدان) . ويمدَّ عبد الله فكرى من واضعى الاصطلاحات والألفاظ الديوانية المصرية الحديثة ، وبعضها مقتبس من اصطلاح دولة المماليك ، وله شعر وسط فى الجودة ، ومن كتابته ما كتب به وصاية بشخص قال بعد الديباجة :

رافعُ هذا الرقيم ، الى حى المقام الكريم ، يذكرُ أن مسألته طال فيها المدى ،
وبقى فى انتظارها على مثل رؤوس المدى ، ويشكو من الفقر المدقع ، والضرر المضجع
ما أخرج صدره ، وأخرج عنه صبره ، وأشرف به على اليأس ، والاستسلام
لخالب اليأس ، لولا أمل من مولاي يُبقي على حوائه ، وينشرُ تذكاره ميت رجائه .
وله فى سيدى ثناء يبارى نفحات الأزاهر ، ويبقى على صفحات الدهر الداهر . ثم

هو بقية بيت حفزت الأيم نسبة ، وإن أضاءت حوادثها تشبه . وهو أولى من
تعطى عليه عواطف كرمه ، وتعطف إليه جواد همه ، وأرجو أن يحقق مولاي
في تلك الشيم الكريمة ما أمّله . وأهدى من الثناء أتمّه واكمله

على مبارك باشا

هو أبو المعارف المصرية العالم المورخ مؤلف المترجم المربي العظيم على بن مبارك
ابن سليمان بن ابراهيم ، مصلح العلم والادارة ببلدبار المصرية ، ومؤسس دار العلوم
ودار الكتب الملكية



على مبارك باشا

ولد سنة ١٢٣٩ بقرية برمبال الجديدة من مديرية الدقهلية ، وكان والده الشيخ
مبارك من أهل الفقه والعلم ببلده فذاق به العيش فنتقل الى مديرية الشرقية وشغل

بالمعاش عن تربيته بنفسه فكان يرسله الى معلم قاس يتعلم عليه القرآن الكريم
فحفظه وهرب من المعلم لقسوته وضربه : وأخذ يتعلم الكتابة على بعض كتاب المراكز
والقرى ، ويفر من قسوة هذا إلى ظلم ذاك ، حتى عثر في بعض خرجاته بتلاميذ
ذاهبن الى مدرسة ابى زعبل فصحبهم ودخل المدرسة

ثم اختير في جملة من تلاميذها لمدرسة قصر العيني ومنه ١٢ سنة ، ودرس
الرياضة فبرع فيها فانتخب طالباً بمدرسة الهندسة فأكمل في خمس سنوات درس
فن الهندسة ، وأرسل إلى أوربة سنة ١٢٦٠ ليتعمد دراسته بها ، فمكث نحو أربع
سنوات درس فيها فن الهندسة والحرب ، ثم عاد الى مصر ضابطاً بالجيش ، ثم قدم
لعباس باشا الأول مشروعاً بنظام المدارس المصرية فأعجبه وعهد اليه في رئاسة ديوانها
وألف بعض الكتب الدرامية فكان أول من نظم المدارس المصرية ، وفي زمن
سعيد باشا وشيئ به اليه فساء حظه وبُعِثَ الى البلاد العثمانية في الحملة التي وُجِعت
لحاربة روسيا فعاد منها بعد أهوال ، وبقي يعتزل الخدمة طوراً ويخدم آخر ويتجر
أحياناً ويعلم أخرى حتى كان زمنُ اسماعيل باشا فألحقه بمحاشيته وتقلد عدة مناصب
هندسية جرى على يده فيها عظيم الأعمال

ثم عيّن سنة ١٢٨١ وكيلاً لديوان المدارس وسافر الى فرنسا لمهمة فأحسن
أداءها وأنعم عليه برتبة الباشا (الميرميران) وتزاحمت عليه المناصب فكان مديراً
للسكك الحديدية وناظراً للمعارف وللأشغال وللأوقاف والقناطر الخيرية فقام بذلك
جميعاً في آن واحد خير قيام

ومن أعماله العظيمة انشاء دار الكتب ، وانشاء مدرسة دار العلوم ليوفّق بين
طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث ، ويحسن تعليم العربية فجاءت هذه المدرسة
بأحسن ما يطلب منها . ومنها تجديد مدينة القاهرة وأمّهات مدن القطر بانشاء شوارعها
ومبانيها العظيمة ، وانشاء كثير من الترع والجسور كترعة الابراهيمية والاسماعيلية ،
وبقي يتقلب في النظارات ووكلاتها حتى جاءت الثورة العربية فكان من شيعة

توفيق باشا ، ثم قلد نظارة المعارف وغيرها حتى اعتزل الأعمال قبيل وفاته وتوفي
سنة ١٣١١

وله مؤلفات جليلة منها الخطوط التوفيقية في عشرين جزءا وكتاب علم الدين
وكتاب نخبة الفكر في تدير نيل مصر ، وكتاب الميزان في الأقيسة والأوزان ،
وكتاب الهجاء والمسامرات وغيرها

الشيخ محمد عبده

هو المصلح الكبير ، والمجتهد الخطير ، والكاتب البليغ ، والخطيب المصقع ،
الأستاذ الامام الحكيم الشيخ محمد عبده أحد أركان النهضة العربية ، ومؤسس
الحركة الفكرية



الشيخ محمد عبده

ولد باحدى قرى مديرية الغربية ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديرية البحيرة وترك بلا تعليم حتى ناهزت سنه العاشرة ثم رغب فى التعلم فحفظ القرآن الكريم ، وطلب العلم بالجامع الأحمدي ، ثم انتقل الى الأزهر ونبغ فى علومه

ولما قدم مصر السيد جمال الدين الافغانى سنة ١٢٨٦ وأعاد الى مصر دراسة الفلسفة وعلوم الحكمة والكلام بعد انضوب معينها عددة قرون ، لزمه المترجم هو وطائفة من نابغى الأزهر كانوا يعدون السنة الفصاحة وأئمة الحركة الفكرية ، وكان الشيخ محمد عبده أنبغ تلاميذه ، وأحرصهم على ملازمته والاستفادة منه ، ونال درجة العالمية سنة ١٢٩٤ واختير سنة ١٢٩٥ مدرساً للأدب والتاريخ العربى بدار العلوم ومدرسة الألسن ، ثم فصل منها ولزم بلده الى أن أشير على رياض باشا باختيار المترجم لاصلاح لغة الوقائع المصرية ثم صار رئيس تحريرها ، وفى هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً على كتابة الجرائد ونحريها

وحدثت عقب ذلك الثورة العربية فاشترك فيها ونفى من مصر فذهب الى سوريا وتولى التدريس بمدارسها ، ثم انتقل الى أوربة فالتقى بالسيد جمال الدين بباريس فأنشأ جريدة العروة الوثقى . ثم عاد الى مصر ورضى عنه الخديو توفيق باشا فجعل قاضياً بالحاكم الأهلية ، وبقي مدة طويلة مثلاً للعدل الى سنة ١٣١٧ فأسند اليه منصب افتاء الديار المصرية ، وتولى التدريس بالأزهر . وما زال كذلك حتى توفى سنة ١٣٢٣ . وكان رحمه الله من خير من ظهر فى مصر من شيوخ العلم منذ قروود ويعتبر بلجهاده فى كثير من مسائل العلم من أئمة الدين ، كما يعتبر بكتابه البليغة من فحول الكتاب . وله القدم الراسخة فى كتابة الجدل والنقد ، ولم يترأ الشيخ كاستاذة كثيراً من المؤلفات لكثرة مشاغله بالمناصب العلمية والادارية ولما هض الخصوص له أكثر حياته . ومن مؤلفاته : رسالة التوحيد ، وشرح نهج البلاغة وشرح مقامات بدیع الزمان . وأملى تفسير سورة البقرة وآل عمران والنساء بطريقه لم يسلكها مفسر فى انطباقها على مقاصد الاسلام وكتب تفسير جزء عم وجزء تبارك

وله رسائل بليغة منها ما كتب به من مصر الى بعض الأصدقاء الفضلاء قل فيه :
تناولت كتابك ولم يذكر منى ناسياً ولم ينبه لذكرك لاهياً . فاني من يوم
عرفتك لم ينب عنى مثالك ، ولا تزال تتمثل لى خلالك ، ولو كشف لك من نفسك
ما كشف منها لى لفئت بها واحق لك أن تنبه على الناس أجمعين ، ولكن ستر الله
عنك منها خيراً ما أودع لك فيها ، اتزينها بالتواضع ، وتجملها بالوداعة ، وتسعى الى
ما لم يبلغه ساع ، فتكون قدوة لاخوانك في علو الهمة ، وبذل ما يبرز على النفس
في نفع الأمة ، زادك الله من نعمه ، وأوسع لك من فضله وكرمه ، ومتعني بصدق
ولائك ، وجعلك لى عوناً على الحق الذي أدعو إليه ولا أحيأ إلا به وله والسلام

الشيخ حمزة فتح الله

هو الشيخ الوقور ، اللغوي المحجة النقي الشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة
العربية بوزارة المعارف المصرية

ولد رحمه الله بشفر الاسكندرية سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ م) ونشأ بها وبعد أن
حفظ القرآن الكريم انتظم في سلك طلبة العلم بجامع الشيخ ابراهيم باشا ثم أكمل دراسته
بالازهر الشريف ، وأمعن في قراءة الأدب واللغة ، وقرض الشعر وحرر الرسائل
وحفظ الغريب . ثم عاد الى الاسكندرية واختير (في منتصف العقد الثالث من عمره)
محرراً في إحدى الصحف التونسية فكث هناك حوالى ثمانى سنوات اكتسب
فيها الدربة على كتابة الصحف السياسية ، ثم عاد الى مصر فوجد نار الفتنة العرابية
مستعرة فانضم الى حزب الخديو توفيق ، وكتب وخطب في تأييده ، وعهد اليه بعد
ضرب الاسكندرية في اصدار صحيفة تكون لسان حال الخديو وتهده الخواطر ،
وبعد أن انتهت الفتنة العرابية استخدم في وزارة المعارف ومكث بها زهاء ثلاثين سنة
متنقلاً بين التفتيش والتدريس حتى كان في سنة ١٩١٠ م مفتشاً الاول للغة العربية ،
وفي غضون تلك المدة ندبته الحكومة مرتين لحضور مؤتمر التعريبين ممثلاً لها لما
كلم فيه من النقة . ولما له من غزارة المادة ، وسعة الاطلاع ، ثم أحيل الى المعاش

واستمر مشغلاً بمدرسة العلم حتى بعد أن كف بصره ، ولم يثنه عن ذلك إلا ما فاجأه من الموت في فبراير سنة ١٩١٨ م

علمه وأعماله — كان الشيخ أكرم الله مثواه كثير القراءة في كتب اللغة والأدب والحديث شديد الحفظ والذكر قلما تحدث أمامه حادثة أو تذكر الأروى فيها شعراً أو مثلاً أو قصة . وكان فكه المحاضرة صحيح العبارة يحوكمها على سنن العربية الفصيحة وهو أملاً من شاهدناه باللغة والأدب والصرف

عهد اليه بالتدريس في دار العلوم فأحيا بتدريسه وتأليفه ما دثر من آثار السالفين كالجاحظ والمبرد والقالى والمرضى ، وأظهر ما كان ذلك في مواهبه الفتحية

أسند اليه تفتيش اللغة العربية في مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها فرأى المجال فسيحاً لتخليصها من أدران العامية ، وأوضار الدخيل ، وفساد التراكيب ، وعجمة الأساليب ، فأخذ يرشد المعلمين الى ما يثر عليه من ذلك في كتابة التلاميذ ، ويتحفظهم بمرادفه تارة . ويرشدهم الى المظان أخرى ، فتنبه بذلك الغافل ودقق المتساهل ، واتهموا أنفسهم في كل كلمة ، وحاسبوها على كل جملة ، وعكفوا على مراجعة معجمات اللغة بعد أن طال هجرها ، ووقفوا عند نصوصها ناسجين على منوال الشيخ (من الوقوف عند السماع دون العمل بالقياس) بل تغالى بعض المفتونين منهم ، وتعدوا طورهم ؛ فجعلوا يقولون : لا توجد هذه الكلمة في اللغة ، ولو وجدت في شعر فحول الأدباء من أهل القرون الأولى ، ولعلمهم لم يعرفوا من اللغة أكثر من طريقة الكشف في معجماتها على ندرة المطبوع منها ، فلقى المؤلفون والأدباء وبلغاء الناس منهم بلاء عظيماً وعنتاً مقيتاً

أخلاقه : كان الشيخ حليماً رحيماً ، تقياً ورعاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، صالحاً مهاباً ، يميل الى الصالحين من المعلمين ؛ ويحارب من إشاع عنهم التهاون بشعار الدين ، وربما سعى في فصلهم من عملهم ؛ يعمل ذلك ولا غاية له إلا احاطة النشء

بسياج من الفضيلة ، حتى لا يتسرب اليهم الزيغ في زمن قد كثر فيه أنصار
الرديلة ، وقل طلاب الفضيلة

وكان جزاءه الله خيراً يحب العرب والعربية ، ويرى أن الله قد خصها بكل
مزية ، وأن جميع ما يتجدد من أنواع المدنية الحديثة قد سبق الى نوعه العرب ، وأن
لأسمه مرادفاً في لغتهم . يعرف ذلك من خالطه أو قرأ مواهبه

مؤلفاته : مما عرف من مؤلفاته كتاب المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية ،
وباكورة السلام في حقوق النساء في الاسلام ، ورسالة في التوحيد ، وأخرى في الخليل ،
وكتيب في المفردات الأعجمية التي في القرآن

شعره وكتابته : كان بدوى الشعر من حيث ألفاظه ومعانيه ، وتراكيبه
وأصاليه وتشبيهاته واستعاراته على طريقة شعر العلماء ؛ ولم نرله شعراً مدوناً الا
نصيده البائية التي اختتم بها مؤتمر العلوم الشرقية ، المنعقد باستكهلم أواخر سنة
١٣٠٦ ، سنة ١٨٨٩

أما كتابته فيؤخذ ، ما عثرنا عليه منها أنه كان لا يلتزم فيها طريقة واحدة بل
تارة تكون سهلة يكثر فيها السجع وإن لم يلتزم غالباً وآونة تكون ضخمة الألفاظ
نريتها عليها مسحة التعمل والتكلف ، وأكثر ما كان ذلك في توقيعاته

نموذج من شعره :

كم جامع بالثريا راضه سفر	فوق الثرى بين أكوار وأقناب
إن الثواء تواء والقصور قبو	ر العاجزين ولا إبراء للخابي
ومن بنى نيل مجد وهو في دعة	فقد بنى من صفاء دَرٍّ أحلاب
والمرء في موطن كلدُر في صدف	والنبر في معدن والتبع في غلب
والسيف مثل المصان كان مُغتمدا	وزامر الحي لا يحظى باطراب
وأزهد الناس في علم وصاحبه	أدنى الأحبة من أهل وأصحاب

نموذج من نثره

ومن رسائله ما كتب به الى السيد توفيق البكرى بمدحه :

إعادة العَرَض يوم العَرَض

مسألة كلامية نارت فيها عَجَاجَةُ الكلام ، بين علماء الكلام ، فمن إيجاز واطناب ، في سلب وإيجاب ، (وتعلم أنت أن الألفاظ أعراض سيّالة) لكنني آمّنت عياناً ، أن الله تعالى يحبي الموتى أعراضاً وأعياناً ، اذ كانت كتبك زيادةً في البيان والبرهان ، وإن كان خبر المعصوم أوثّق من الحِسِّ ، في النفس ، فأُنشدُ الله أمراً شيمته العدل ، والقول الفصل ، أليست كتبك هذه حجة للموجب دافئةً للسالب ، أليس ذلك البيان ، غاية شأوقسٍ وسجبان ، أليس قصارى ابن العميد ، ومُحمّدى عبد الحميد ؟ وبعد فقد أُعيد العرض الذى هو الكلام في الدنيا ففى الاخرى أخرى . فترانى يامليك اليراعلت ، وقسور تلکم الغابات ، أسيفاً على ضن الزمان بك الى الآن ، فلو أن الله تعالى بَرَّاك ، وخلقك فسوّاك ، حين استعر الخصام ، فى هذا المقام ، لما اختلفَ فى شأنه اثنان ، ولا انتطح عَنزَان ^x

^x نموذج من توقيعاته : وقع لبعض المدرسين على قطع المحفوظات التى أرسلت اليه ليقراها بعد أن ضرب على بعضها

لم أرد بذلك الترميج الاالرّغوى على النشء فان قلّاً مع حفظ المبنى وفهم المعنى خيراً من كثر يطوّح بهم فى مواى المنبّت

باحثة البادية

هى المفكرة ، الكاتبة الشاعرة ، السيدة ملك حفنى ناصف

ميلادها ونشأتها — ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ ولما ميزت ، أرسلها والدها الى احدى المدارس الأولية ، ثم الى المدرسة السنية ، فحصلت منها على شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩٠٠ م (وهى أول سنة تقدمت فيها الفتيات المصريات لنيل هذه

الشهادة) ثم أتمت دراستها في قسمها العالى ، واختيرت مدرسة في إحدى مدارس البنات بالقاهرة

وفي سنة ١٩٠٧ تركت التعليم العلمى بالمدارس واشتغلت بالتعليم العملى فى بيت زوجها

أخلاقها وأعمالها : كانت مدة دراستها خير نموذج لقريناتها : أخلاق سامية ، وسريرة صافية ، ونفس أبية ، ومثابرة على العمل

وكانت بعد زواجها تباشر أكثر أعمال بيتها بنفسها ، لا لسبب سوى أن تكون قدوة لغيرها من السيدات اللاتي يلقين حبال أمورهن على غواربها ، ويتركن بيوتهن الى من لا يحسن القيام عليها ، والتدبير فيها ، فيوقعن أزواجهن فى الفقر المدقع والبلاء الشديد . وكانت اذا فرغت من شئون منزلها ، عكفت على قراءة الكتب النافعة ، وتعرف أحوال السيدات ، وزيارة مدارس البنات ، وخص منهاج التعليم بها

كل أولئك لتكون لها رأياً صحيحاً . وفكراً ناضجاً فى تربية البنات ، واصلاح حال الأمهات وظلت تستسهل فى ذلك الصعب ، وتستحلى المر

وكان من رأيها فى تربية المرأة أن تباشر من أعمال الرجل مالا ينافى الشرع الشريف ، وألا تكون زيتها مشغلة لها ولا عبئاً ثقيلاً ينوء به بعلمها ، ولها فى ذلك خطب فى محافل نسوية كان لها تأثير فى عدول الكثيرات منهن عن جودهن وأفكارهن القديمة . وكان ييتها مقصداً لزيارة كثير من السيدات الغربيات والشرقيات يستنرن به فى الوقوف على مبلغ رقى المرأة المسلمة وما ينتظرن من شئونها المستقبلية . ولم يكن شئ من ذلك كله لينسيها ما يجب عايتها لزوجها وذوى قرباها ومن يقع تحت نظرها ممن أجهدهم الفقر ، وأعوزتهم الحاجة . وأشد ما كان برها لوالدها (أغدق الله عليها رحمته) فكانت تألم الألم كله لألمه

آثارها العلمية : —

(١) كتابها الذى أسمته (النسائيات) وهو مجموع ماخطبته وكتبته فى (الجريدة) خاصاً بالمرأة

(٢) حقوق النساء وهو كتاب لم يطبع بعد أنجزت منه ثلاث مقالات الأولى فى الموازنة بين المرأة المسلمة الشرقية ، والمرأة المتمدينة الغربية فى الحقوق المالية ، والثانية فى حقوق المرأة المسلمة من جهة ادارة الأعمال العامة ، والثالثة فى حقوق المرأة المسلمة من جهة الانتخاب

(٣) رسالة ضافية قدمتها للمؤتمر المنعقد فى مايو سنة ١٩١١ بمصر الجديدة ضمنها آراءها السديدة فى وسائل ترقية المرأة المصرية

ثم عاجلتها الحمى الأسبانية ١٣٣٧ هـ فاختضرت وهى فى مئة شابها . ويانع عمرها فتركت بفقدائها فى العالم النسوى المصرى فراغاً لم يشغل بعد

كتابها — ان الناظر فى كتاباتها المختلفة يرى عبارة سهلة . صحيحة الألفاظ . عربية الأسلوب . خالية من تصنع السجع . وتعمل البديع . قد عنى فيها بدلالاتها على المعانى تمام الدلالة كما عنى فيها بنشر ألفاظ حديثة للمسميات التى تسربت الى الشرقيات من المدنية الغربية . وترى ذلك واضحاً فى كتابها النسائيات

شعرها — قالت الشعر وهى فى الحادية عشرة من عمرها ، وكان بدء أمرها فيه أن تقوله معارضة لما تحفظه فى المدرسة نارة جداً وتارة هزلاً . ثم كان لها من حسن استعدادها وكثرة قراءتها ونبوغ والدها فيه خير معاون على تعبيد سبيله . وتذليل أبيته . وأكبر ما كانت تتناوله من الأغراض غرض واحد وهو ترقية المرأة الشرقية . وشعرها حسن الديباجة جميل الأسلوب يعد فى الدرجة الوسطى من شعر هذا العصر وهالك نموذجاً من نثرها وشعرها :

رسالة كتبها من رمل الاسكندرية لصديقة لها وهى :

عزيزتى السيدة بلسم

أحييك : ولولا برودة البحر لالتهمت اليك شوقاً ، ولولا تصبّرى لطرت اليك

حبا ، وانى لم ينسنى صفاء السماء صفاء ودِّكِ ولارقة النسيم رقة حديثك ، انما شجاني
وذكري ولم أكن ناسيةً

عزيرنى

لينكِ كنتِ معي ترين الطبيعةَ بجمالها ، ترين البحر يزخر كالرعد ، والأمواج
تتلاطم زرافات ووحدانا ، : صفاء في البحر و صفاء في السماء كأنهما قلبانا ، وتسمعين
تفريد الطيور وحفيف الأشجار ، انها لعمرك مناظر تلهي المرء ولكن هيهات لمثلي
أن تلهو ، وهي تعلم ما يكنه الدهر وما يخبئه الليل والنهار . تقبلي مني أحراً قبلاتي ،
وأوفر أشواقى ما

المخلصة

ملك ناصف

ومن شعرها تخاطب المرأة المصرية :

سيرى كسير السحب لا تأنى ولا تتعجلى
لانك نسي أرض الشوا رع بلازار المسبل
أما السفور فحكمه في الشرع ايس بمفضل
ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحلل
ويجوز بالاجماع منهم عند قصد تأهل
ليس النقاب هو الحجاب ب قصى أو طولى
فاذا جهلت الفرق بينهما فدونك فاسألى
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لمقولى
لا أبتغى غير الفضيلة للنساء فاجلى

الشعر

كانت حالة الشعر في النصف الأول من هذا العصر لا تزيد شيئاً مذكوراً على ما كانت عليه في العصر الماضي ؛ إذ كانت حكومة محمد علي باشا في أول أمرها تركية الصبغة ، وكان هو أمياً لا يحلُّ عنده الأدب محل العلم الذي عليه مدار تأسيس المملكة ولكن الشعر أخذَ بعد ذلك في الترقى . وسارت مصر في طريقه ، وانتشرت بينها العربية حتى زمن اسماعيل باشا ، وكان هو متأدباً وعصره غاصاً بالأدباء . فتقدم الشعر في عصره خطوات تمثلت في شعر السيد علي أبي النصر والشيخ علي الليثي . ثم طفر طفرة الى عظيم الشعراء البارودى

ولم يزل للعلم والعلماء مع ذلك المقام الأول في مصر حتى كان العصر الحاضر ونالت مصر بعض حاجتها من العلم وكتبه ، فهب أهله يتفككون بالأدب وكتابته والتأليف فيه ، ويستمعون الشعر ويحضرون المجامع العظيمة لانشاده ، فأقبل الشعراء على نظمه في كل أغراضه القديمة والحديثة ونحواً به نحو الشعر الفرنجى : من وصف المناظر الطبيعية ، وأحوال الوجدان والعواطف النفسية ، وكثير من الشعراء بعد البارودى لم يحاكِ القدماء في نَدْب الديار ووصف الظاهن وحث المطايا مستغنياً عن ذلك بوصف القطار والكهرباء والمسرّة والبرق . ويقول الآن ^(١) الشعر على هذه الطريقة مئات من الشعراء في مصر والشام والعراق إلا أن المصريين سبقوا السوريين بمراحل في هذا العصر ومما يمتاز به شعرُ هذا الوقت خلوه من تكلف البديع والجناس ، والرجوع به الى حالته القديمة الطבעية حتى صار شعر فحوله يشبه شعر أهل القرن الرابع والخامس

نماذج من النظم

قال المرحوم السيد علي أبو النصر :
بصادر آمالى ووارد خاطرى كُفْتُ فيانفسى الأبية خاطرى
ولا تجزعى ان هال خطب فر بما تدين الأمانى لامرى غير قادر

(١) أما قبل الآن أى زمن محمد علي وسعيد واسماعيل فكان يرى الى الاغراض القديمة كما ترى في النماذج

وكوني على حمل الأذى مستعدة فكم عادل أرخي العنان لجائر
ولا تشتكي الايام إلا لنصف فلا خير في الشكوى الى غير ناصر
ومن لم يكن ذا همة هاشمية أخافته في الهيجا بروق البوائر
وقال المرحوم محمود صفوت الساعاتي يمدح الشريف علي باشا ابن عون ويعاتبه :

ترنو النجوم باحظها البراق	والجو في الارعاد والابراق
فإذا تبسمت البروق لغبطة	بكت السماء بدمعها المهرق
عاملتموني بالجفاء رويدكم	الورد ذو أرج بلا احراق
مالي أراكم تنكرون مكاتي	الشمس لا تخفى مع الاشراق
قلدتم غيري الجميل وقلتم	حسب المفرد زينة الأطواق
أسديتم الجدوى له وسددتم	طرق الرجاء على بالاطراق
إن لم يكن مثلي يسىء ومثلكم	يفضى فإين مكارم الأخلاق

وقال المرحوم السيد علي اللبني في الحكم :

كل حال لضده يتحول	قلزم الصبر اذ عليه المعول
يا فتاوى استرح فما الأمر إلا	ما به محكم القضاء تنزل
قدر غالب وسر الخفايا	فوق عقل الأريب مهماتكامل
رب ساع لحفته وهو ممن	ظن بالسعي لأملا يتوصل

وقال المرحوم الشيخ شهاب يرني ابراهيم باشا ويؤرخ وفاته سنة ١٢٦٤

صبراً على ما قد مضى	اذ لا مخلص من قضا
كيف التصبر والمنا	يا ذات غضب منتضى
أردت بابراهيم مند	بلغ المقام المرتضى
واليه آل الامر في	حكم (الايالة) وانتضى
فضى وقلت مؤرخاً	(الله يرحم من مضى)

الشعراء

شعراء هذا العصر كثيرون وانك لتري شعرهم منشوراً في الصحف والمجلات ، وإن سابق حلتهم وقائدهم في هذا العصر محمود سامي باشا البارودي وهالك ترجمته :

البارودي

هو رب السيف والقلم أمير الشعراء وشاعر الامراء محمود سامي باشا ابن حسن حسني بك البارودي ، أحد زعماء الثورة العربية وأشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية وُلد سنة ١٢٥٥ وتولى أبوه تربيته حتى اذا بلغ سبع سنين توفاه الله وكفله ذوو قرابته حتى بلغ الحادية عشرة فأدخل المدرسة الحربية فتعلم فنون العسكرية ورُقّي منها ضابطاً بالجيش وما زال يترقى فيه حتى كان أحد ضباط الحملة التي أمدّت بها مصر الدولة العثمانية أثناء ثورة البلقان وإقريطش ، وكان له في مواقعها الحربية شهرة ذائعة . ورجم الى مصر فتقلب في مراتب الجيش وغيرها حتى ولّاه المرحوم الخديو توفيق باشا نظارتى الحربية والأوقاف . ثم استقال منها واعتزل العمل حتى ولى رئاسة النظار قبيل الثورة العربية . فلما اضطرت نيران الثورة أرغمه زعمائوها على اضطلاع ناراها فخبّ فيها ووضع . وحُكِمَ عليه بعد انقضائها بالنفى الى جزيرة سرنديب (سيلان) حتى عي وشفع فيه فأذن له بالتدوم الى مصر بعد مضي ١٢ سنة من منفاه ، وبقي في منزله كفيفاً يشتغل بالأدب الى أن مات سنة ١٣٢٢ وقد عانى نظم الشعر من صغره بدون معلّم ولا تخرج في العروض والقافية بلّه النحو والصرف والبلاغة بل كان ينظمه محاكاة ومعارضة لشعر الاقدمين ، فحفظ من كلامهم كثيراً ونسج على منواله ، ولذلك صدر شعره في رتبة شعر فحول القرن الثالث والرابع خالياً من تكلف البديع ضخم المعاني جزل الألفاظ متين الأسلوب ، وخير ما صدر عنه أيام شبابه وأثناء محنته . ثم ضاف شعره قبيل وفاته لسكرالذهنه ولخود قريحته . وله شعر كثير جمع في ديوان وطبع منه جزءان

شعره



محمود سامی باشا البارودی

ومن قوله :

والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر وإنما صفوه بين الوري لمع
لو كان للمرء فكر في عواقبه ما شان أخلاقه حرص ولا طمع
وكيف يدرك ما في الغيب من حدث من لم يزل بفرور العيش ينخدع
دهر يغرّ وآمال تسرّ وأعـ مار تمرّ وأيام لها خدع
يسعى الفتي لأموار قد نضرّ به وليس يعلم ما يأتي وما يدع
يأبها السادر المزور من صلف مهلاً فانك بالأيام منخدع
دع ما يريب وخذ فيما خلقت له لعلّ قلبك بالآيمان ينتفع
إن الحياة لثوبٌ سوف تخلّعه وكل ثوب إذا مارث ينخلع

ومن قوله وهو آخر ما قلته :

أنا مَصْدَرُ الْكَلِمِ الْبَوَادِي بين الحَاذِرِ وَالنَّوَادِي
أنا فَرَسٌ أَنَا شَاعِرٌ في كُلِّ مَلْحَمَةٍ وَنَادِي
فَإِذَا رَكِبْتُ فَإِنِّي زَيْدُ الْفَوَارِسِ فِي الْجِلَادِ
وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي قُسُّ بْنُ سَاعِدَةِ الْإِيَادِي

حَفْنِي نَاصِف بَك

هو القاضي الفاضل الشاعر الكاتب المصنف محمد حَفْنِي ابن الشيخ اسماعيل
ابن الشيخ خليل بن ناصف ، أحد أركان النهضة الأدبية بالديار المصرية
ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية سنة ١٢٧٢ يتيمًا فقيرًا ، فكفله خاله وجدته
أم أبيه



حَفْنِي نَاصِف بَك

ولما ترعرع تعلم القرآن على معلم كان يُفَرِّط في ضربه ففر ماشياً على قدميه إلى الأزهر ؛ حتى علمت جدته لأبيه بخبره ، فحملت له الزاد والمثونة . وجاور في الأزهر عشر سنين ، جَوَّدَ فيها القرآن ، وحَفِظَ المتون ، ودرس فقه الشافعي ، وعلوم اللسان العربي ، واشتغل بالأدب والشعر فبرع فيهما ؛ حتى أصبح من شعراء الأزهر المعدودين وحج أثناء ذلك . ثم كان أول الناجحين من الطلبة المقبولين في دار العلوم ، وبقي أولهم حتى خرج من المدرسة . ثم اختير مدرساً وضابطاً لمدرسة الخرس والعميان ، فأتى في تعليمهم بالعجب العجيب . ثم نقل إلى النيابة كاتب سر للمرحوم شفيق بك منصور يكن ؛ فاستعان به في تحرير جميع كتبه باللسان العربي . واختير في الوفد الذي ندب لحضور مؤتمر علماء الشرقيات بمدينة ويانة (فينا) ؛ فلم يقبل بمحاضر جلسات المؤتمر سوى رسالته (مميزات اللغة العربية) فطبعت في مجموعة المؤتمر . ثم نقل مدرساً للانشاء والبلاغة والمنطق وآداب البحث والمناظرة بمدرسة الحقوق ، فقام بتعليمها بها خمس سنين نبغ على يده فيها أكثر نابغي العصر من الوزراء والمستشارين وكبار المحامين . وفي أثناء ذلك كلفته نظارة المعارف مع آخرين تأليف سلسلة كتب سهلة لتعليم النحو والصرف والبلاغة ، فألف خمسة كتب لم يزل العمل في التعليم جارياً عليها وعم بها النفع في مصر وغيرها . ثم نقل إلى القضاء الأهلي ، فمكث يترقى في درجاته مدة عشرين سنة كان في خلالها مثال العدل والنزاهة . ونقل من وكالة محكمة طنطا الأهلية مفتشاً أول للغة العربية بوزارة المعارف ؛ ولم تكن تزيد المدة الباقية من أمد خدمته القانوني على أكثر من ثلاث سنوات خدم فيها اللغة العربية وفن التعليم خدمة لا يزال يذكرها المدرسون والطلبة بالثناء عليه والإعجاب به . وأحالت عليه الوزارة مع مؤلفي هذا الكتاب تطبيق رسم المصحف الشريف الذي طبعته على رسم الإمام عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، وضبط أئمة العربية ، فأحيل على المعاش أثناء هذا العمل ، وأتمه مع رفاقه بعده ؛ فكان أعظم عمل قامت به دولة إسلامية لخدمة المصحف الكريم منذ

ستائة سنة ، ووقع على آخر تجربة مطبعية منه قبل موته بأيام ، وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير سنة ١٩١٩ م ودفن يوم الأربعاء بالقرافة (مقبرة الامام الشافعي)

خلقه وعلمه وأدبه

كان رحمه الله من أطيب خلق الله حديثاً ، وأرقهم فكاهة ، وأملهم نادرة ، وأحضرهم جواباً ، مع دعاية فيه . وقل أديب من أدباء العصر الحاضر لم يرو عن حفي ناصف فكاهة أدبية ، أو نادرة فكاهية ، أو جواباً حاضراً مسكناً . وكان مع ذلك إذا حضر مجلس الازهرين فكأنه أكبر شيخ فيهم لغة وفقهاً وفهماً لكتبهم ومنظوماتهم ، وإذا حضر مجلس المعلمين على نظام الاوربيين فكأنه (فيما عدا اللغة الأجنبية) أحد المتخرجين في باريس

أما شعره فلم ينكر الأدباء عليه أنه أبو الطبقة التي نشأت بعد طبقة البارودي وعبد الله باشا فكرى ، وكل من نبغ بعد ممن انتهت اليهم الرياسة في الشعر فعليه تعلم ، أوله قلد ، حتى أصبحوا شعراء هذا الزمان

وأكثر شعره من نوع السهل الممتنع الكثير الملح المطربة ، والتكت الادبية المعجبة ، حتى في المراتى : لتمثلها في صورة جدية بديعة

وحفي بك ممن تم على أيديهم نقل الكتابة من الطريقة البديعية المسجوعة الكثيرة التورية (التي سميناها طريقة القاضي الفاضل) الى طريقة الترسل الحالية ، وبشاركه في ذلك الشيخ محمد عبيد ، والشيخ عبد الكريم سلمان ، وابراهيم بك المويلحي ، والشيخ علي يوسف صاحب المؤيد . وله في كلتا الطريقتين رسائل بليغة

ومن شعره يخاطب أحد الرؤساء

أحييت آمالي وكنت أمثها	من طول ما لا قيت من اخواني
أدلى باخلاصي لهم وأذود عن	أعراضهم بجوارحي ولساني
محضتهم ودى فلما أسروا	كانت بداية أمرهم نسياني

حسبي من الدنيا صديقٌ ثابت فردّ فكنته ولا أحتياج لثان
وقال قطعة تكتب على باب دار سعادة احمد باشا تيمور في دعوة :
زوروا الذي بجميلكم قبل الزيارة يعترف
واسعوا لأحمد أنه عن شكركم لا ينصرف
وقال تاريخاً يكتب على قبر عريان بك :

لقد هوى في أفق هذا المكان بدرُ الملا عريانُ فخر الزمان
ومذ أتى الجنات أرخته عريانُ أضفى في ثياب الجنان

سنة ١٨٨٨

وقال أيضاً :

أتقضى معي - ان حان حيني - تجاربي وما نلتها إلا بطول عنائي
ويُحزنني أن لا أرى لي حيلة لاعطائها من يستحق عطائي
إذا ورث المترون أبناءهم غني وجاهاً ، فما أشقى بني الحكماء !

وقال عند ما أعلن بالاحالة على المعاش قبل انتهاء مدة خدمته بمشرين يوماً :

برزت في سحر البيا ن وشاب فيه مفرقي
وقضيت عمري في البلا غة سابقا لم ألحق
وخدمت ديوان المما رف مخلصا بتشوق
والآن أذن بالرحي ن مؤذن لم يُشفق
عشرون يوماً قد بهـينَ وبعدها لا نلتقي
فتبلى يا نفس بالـمفروض المسترزق
فكثير من الحيا ة وقل منها ما بقي

كتبه ومؤلفاته :

وللمرحوم حنفي بك غير كتب النحو والبلاغة الخمسة كتاب مميزات اللغة ،

وكتاب حياة اللغة العربية (دروس الأدب بالجامعة المصرية) ، وكتاب القطار السريع في علم البديع ، ورسالة في البحث والمناظرة ، ورسالة في المنطق ، ورسالة في الأصول ، ورسالة في العروض والقوافي ، وكتاب الأمثال العامية ، وكتاب بديع اللغة العامية ، وكتاب عامية الشام ، وكتاب عامية الصعيد ، ورحلته الى الاستانة ، وديوان شعره ، وديوان رسائله ، وكتابه الذي ألفه مشتركاً مع مؤلفي هذا الكتاب في رسم المصحف وضبطه .
وأكثر مؤلفاته لم يطبع ، وبعضها ضاع أثناء تفتيش أوراق أولاده بعد وفاته في الفتن الأخيرة . رحمه الله وجزاه عنا خير ما يجزي مخلص لأمته وعامل على إحياء لغته آمين ما

والحمد لله أولاً وآخراً

فهرس

كتاب الوسيط في الادب العربي وتاريخه

صفحة	صفحة
٢٠	٢
٢١	٣
٢١	٣
٢١	٤
٢٢	٥
٢٣	٥
٢٣	٧
٢٥	٨
٢٦	٩
٢٦	١٠
٢٧	١١
٢٨	١١١
٣٠	١١
٣٢	١٢
٣٦	١٣
٣٧	١٥٤
٣٨	١٦
٤٢	١٧
٤٦	١٨٤
	١٩

صفحة	صفحة
١٠٠ طائفة من آيات القرآن الكريم	٥٠ معانيه وأخيلته في الجاهلية
١٠١ جمع القرآن وكتابته	٥١ ألفاظه وأسلوبه ٥٢ أوزانه وقوافيه
١٠٢ الحديث النبوي	٥٢ نماذج من الشعر الجاهلي
١٠٢ طائفة من الأحاديث الشريفة	٥٨ الشعراء ٥٩ التكسب بالشعر
١٠٣ النثر وتقسيمه الى محادثة وخطابة وكتابة	٦٠ طبقات الشعراء ٦١ امرؤ القيس
١٠٣ لغة التخاطب ١٠٥ الخطابة	٦٦ النابغة الذبياني
١٠٥ أسباب رقيها ١٠٦ مميزاتها	٦٩ زهير بن أبي سلمى
١٠٨ نماذج من الخطب والوصايا	٧٣ عنزة العبسي ٧٦ عمرو بن كلثوم
١٠٩ الخطباء ١١٠ أبو بكر الصديق	٧٨ طرفة بن العبد ٨٠ أعشى قيس
١١١ عمر بن الخطاب	٨٣ الحارث بن حلزة
١١٣ عثمان بن عفان	٨٥ لبيد بن ربيعة
١١٤ علي بن أبي طالب ١١٥ سحبان وائل	٨٩ أمية بن أبي الصلت
١١٦ زياد بن أبيه ١١٩ الحجاج	٩٢ الرواية والرواة
١٢٢ الكتابة الخطية	٩٣ مصور الدولة العربية والبلاد التي خضعت لسلطانها
١٢٤ صورة كتاب النبي عليه السلام للمقوقس	٩٤ العصر الثاني : عصر صدر الاسلام
١٢٥ صورة كتاب قديم خال من النقط	ويشمل بني أمية
١٢٦ صورة نموذج من المصحف مضبوط	٩٤ حالة اللغة وآدابها في صدر الاسلام
بضبط أبي الأسود	٩٤ خلفاء بني أمية (هامش)
١٢٧ الكتابة الانشائية	٩٦ أغراض اللغة
١٢٧ كتابة الرسائل والدواوين	٩٦ معاني اللغة ٩٧ عبارة اللغة
١٢٨ مميزات الكتابة الانشائية	٩٧ التعريب (هامش)
١٣٠ نماذج من الرسائل والامثال والحكم	٩٨ القرآن الكريم وأثره في اللغة
١٣٣ الكتاب ١٣٣ عبد الحميد	٩٨ اعجاز القرآن (هامش)

صفحة	صفحة
١٣٦ موازنة بين النثر في الجاهلية ونثر	١٨٦ المعاني والافكار
١٣٧ صدر الاسلام	١٨٧ الالفاظ والأساليب
١٣٩ التدوين والتصنيف	١٨٨ النثر - والمحادثة - ١٨٩ الخطابة
١٤١ الشعر والشعراء	١٩٠ نماذج من الخطب
١٤٢ أغراض الشعر وفنونه	١٩١ الخطباء ١٩١ داود بن علي
١٤٣ معانيه وأخيلته	١٩٣ شبيب بن شيبه
١٤٣ ألفاظه وأسلوبه	١٩٤ الكتابة الخطية
١٤٣ أوزانه وقوافيه	١٩٦ نموذج من القراءان مضبوط بضبط
١٤٣ نماذج من الشعر في هذا العصر	الخليل وأبي الأسود
١٥٠ الشعراء	١٩٧ ابن مقلة
١٥١ تكسب الشعراء بالشعر	١٩٨ الكتابة الانشائية
١٥٢ كمب بن زهير	١٩٨ كتابة الرسائل الديوانية والاخوانية
١٥٤ عمرو بن معديكرب	٢٠٢ نماذج من الرسائل والتوقيعات
١٥٦ الخنساء	والمقامات
١٥٨ حسان بن ثابت	٢٠٤ الكتّاب - ٢٠٥ ابن المقفع
١٦١ الخطيئة	٢٠٨ ابراهيم الصولي
١٦٣ النابغة الجعدي	٢٠٩ ابن العميد
١٦٦ عمر بن أبي ربيعة - ٦٨١ الاخل	٢١٠ أمراء الدولة السامانية وبقية العباسيين
١٨١ الفرزدق - ١٧٥ جرير	٢١١ صاحب بن عباد
١٧٨ الكميث - ١٨٢ الرواية والرواة	٢١٣ أبوبكر الخوارزمي
١٨٣ العصر الثالث عصر الدولة العباسية	٢١٤ بديع الزمان الهمداني
١٨٣ أثر الحضارة العباسية في أحوال	٢١٦ ابن زيدون
اللغة وآدابها	٢١٨ القاضي الفاضل
١٨٣ خلفاء بني العباس الى ٣٢٣ (هامش)	٢٢٠ التدوين والتصنيف
١٨٤ أغراض اللغة	٢٢٠ كتابة التصنيف والتدوين

صفحة	صفحة
وأشهر المترجمين	٢٢١ العلوم اللسانية ونشأتها
٢٢٤ الشعر	٢٢١ الأدب ٢٢٢ الجاحظ
٢٤٥ فنون الشعر وأغراضه	٢٢٤ احمد بن عبدربه
٢٤٦ معاني الشعر وأخيلته	٢٢٥ العقد الفريد
٢٤٧ لفظ الشعر وأسلوبه	٢٢٥ الحريرى
٢٤٧ أوزان الشعر والقافية	٢٢٦ فن التاريخ
٢٤٨ نماذج من الشعر	٢٢٧ العروض والقافية
٢٥٣ الشعراء	٢٢٧ النحو
٢٥٤ التكسب بالشعر	٢٢٨ علم اللغة
٢٥٥ بشار بن برد	٢٢٩ علوم البلاغة
٢٥٧ أبو نواس	٢٣٠ الخليل بن احمد
٢٥٩ مسلم بن الوليد	٢٣١ سيبويه
٢٦١ أبو العتاهية	٢٣٢ الكسائى
٢٦٣ أبو تمام	٢٣٢ العلوم الشرعية — التفسير
٢٦٦ البحتري	٢٣٣ الحديث
٢٦٨ ابن الرومى	٢٣٤ الامام البخارى
٢٧٠ ابن المعتز	٢٣٥ علم الفقه
٢٧٢ المتنبى	٢٣٥ أبو حنيفة النعمان
٢٧٦ ابن هانئ الأندلسى	٢٣٦ الامام مالك
٢٧٨ أبو العلاء المعرى	٢٣٧ الامام الشافعى
٢٨١ ابن خناجة الأندلسى	٢٣٨ الامام احمد بن حنبل
٢٨٢ الطغرائى	٢٣٨ علم الكلام
٢٨٤ البهاء زهير	٢٣٩ أبو الحسن الأشعرى
٢٨٦ الرواية والرواة	٢٤٠ الغزالى
٢٨٧ الأصمعى	٢٤١ نشأة العلوم الكونية المنقولة وترجمتها

صفحة	مصحفة
٣١٧ العصر الخامس عصر النهضة الأخيرة	٢٨٨ خلاصة أثر الحضارة العباسية في اللغة العربية
٣١٧ حالة اللغة وآدابها	٢٩ العصر الرابع عصر الدول المتتابعة
٣١٧ صورة محمد علي باشا	٢٩٠ حال اللغة وآدابها في ذلك العصر
٣١٩ صور رجال البعثة العلمية الى أوربا	٢٩١ النثر - لغة التخاطب
٣٢٠ أسباب النهضة العلمية والأدبية	٢٩٢ الخطابة
٣٢٦ النثر - لغة التخاطب	٢٩٢ الكتابة الخطية
٣٢٦ الخطابة	٢٩٣ نموذج من القرآن بالخط الريحاني
٣٢٧ الكتابة الخطية	٢٩٤ الحافظ عثمان
٣٢٧ عبد الله بك الزهدى	٢٩٥ الكتابة الانشائية - كتابة الرسائل
٣٢٨ الكتابة الانشائية	٢٩٦ الكتاب - محي الدين بن عبد الظاهر
٣٢٩ كتابة التدوين	٢٩٧ شهاب الدين بن فضل الله
٣٣٠ نماذج من النثر	٢٩٩ لسان الدين بن الخطيب
٣٣١ الكتاب والعلماء	٣٠٠ التدوين - الأدب
٣٣٢ رفاعة بك الطهطاوى وصورته	٣٠١ بقية العلوم الاسلامية
٣٣٣ عبد الله باشا فكرى وصورته	٣٠٢ كتابة التدوين والتصنيف
٣٣٥ على مبارك باشا وصورته	٣٠٣ ابن خلكان ٣٠٣ ابن خلدون
٣٣٧ الشيخ محمد عبده وصورته	٣٠٦ جلال الدين السيوطى
٣٣٩ الشيخ حمزه فتح الله	٣٠٦ الشعر
٣٤٢ باحثة البادية	٣١٠ الشعراء
٣٤٦ الشعر	٣١٠ البوصيرى
٣٤٦ نماذج من النظم	٣١٢ صفي الدين الحلى
٣٤٨ الشعراء ٣٤٨ البارودى	٣١٤ ابن نباته
٣٤٩ صورة البارودى	٣١٥ ابن معنوق
٣٥٠ حنفى ناصف بك وصورته	